

**الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية  
الغلسطينية الأسيرة  
في الفترة ما بين 1985 إلى 2015م**

(دراسة بحثية)

د. رأفت خليل حمدونة





وزارة الإعلام

الطبعة الأولى  
سلسلة إصدارات وزارة الإعلام  
2018

جميع الحقوق محفوظة  
ربيع الثاني 2018

تصميم: نمير عابدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

صدق الله العظيم

سورة النمل، الآية: 19



# الإهداء

إلى معلم البشرية ومنبع العلم نبينا محمد (ص)، وإلى الشهداء الأكرم منا جميعاً، وإلى الزملاء من الأسرى والأسيرات، وإلى والدي (أبو رأفت) الذي لم يبخل عليّ يوماً بشيء، وإلى والدي (أم رأفت) التي كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي، وإلى إخواني وأخواتي، وإلى زوجتي ورفيقة دربي، وإلى زهراتي الأربعة «نور وآية وجنى وإيمان» وقمري الذي أشرفت دنياي برؤياه «خليل»، وإلى عموم شعبي الفلسطيني الصامد والمكافح، أهدي هذا العمل.



الصفحة	الموضوع
9	المقدمة
12	الإطار النظري للدراسة
12	مشكلة الدراسة
14	محددات ومعوقات الدراسة
14	تساؤلات الدراسة
15	فرضيات الدراسة
16	أهمية الدراسة
17	أهداف الدراسة
18	منهجية الدراسة
20	أدوات وإجراءات الدراسة
21	أسباب اختيار الدراسة
21	مبررات الدراسة
22	مفاهيم ومصطلحات الدراسة
28	الدراسات السابقة
40	تقسيم الدراسة
88 – 43	الفصل الأول الحركة الأسيرة النشأة والتطور

45	المبحث الأول : الحركة الفلسطينية الأسيرة تاريخها ومراحل تطورها
59	المبحث الثاني : مظاهر تضيق السجان الاسرائيلي على الأسرى الفلسطينيين
70	المبحث الثالث : الوسائل النضالية للأسرى كحالة إبداع في مواجهة الاحتلال
79	المبحث الرابع :عوائق سلطات الاحتلال لطمس الجوانب الإبداعية للأسرى

<b>134 – 89</b>	<b>الفصل الثاني عوامل الإبداع "الظروف والمتغيرات"</b>
91	المبحث الأول: العوامل التي ساهمت في تنمية الإبداع لدى الحركة الفلسطينية الأسيرة
100	المبحث الثاني: الهياكل والمؤسسات التي أبداعها الأسرى لمواجهة السجان الاسرائيلي
109	المبحث الثالث: دور الحركة الأسيرة في تعزيز الجوانب الإبداعية لدى الأسرى
119	المبحث الرابع: انعكاس المتغيرات السياسية على واقع الأسرى وإنجازاتهم
<b>186 – 135</b>	<b>الفصل الثالث الحالة الثقافية والتعليمية في السجون</b>
137	المبحث الأول: وسائل الاحتلال لتفريغ الأسير من محتواه النضالي والثقافي
151	المبحث الثاني: المسيرة الثقافية للحركة الأسيرة "البداية والتطور"

162	المبحث الثالث: أدب السجون (الخصائص والمميزات)
176	المبحث الرابع: المسيرة التعليمية للأسرى في السجون وأبرز مظاهر الإبداع
<b>226 – 187</b>	<b>الفصل الرابع من مظاهر الإبداع في السجون</b>
189	المبحث الأول: الإضرابات المفتوحة عن الطعام
200	المبحث الثاني: أطفال النطف المهربة حالة نضالية مستجدة في السجون
209	المبحث الثالث: تأثير الأسرى ووثيقة الوفاق الوطني كأساس للمصالحة الفلسطينية
215	المبحث الرابع: شكل التجربة الديمقراطية في السجون وانعكاسها على حياة الأسرى
228	خاتمة الدراسة
281	نتائج الدراسة
234	التوصيات
238	المراجع
262	الملاحق



# فهرست اطلاحق

الصفحة	العنوان	الرقم
262	استمارة مقابلة شبه مقننة	1
283	من أشكال التعذيب "بالصور"	2
285	نص وثيقة الأسرى للمصالحة الوطنية الفلسطينية	3
290	رسائل خرجت من السجون "بالصور"	4
293	نماذج سياسية تحررت من السجون	5
295	تحف وفنون خرجت من السجون "بالصور"	6
297	من أدب السجون "بالصور"	7

## مقدمة:

المبدعون هم الثروة البشرية التي يجب على الدول اكتشافها، وإطلاق طاقاتها واستثمارها لصالح تقدمها في العالم الذي سوف يكون الحسم فيه للعقل والفكر وحسن استخدام الموارد المالية والبشرية، والصراع بين الدول هو صراعٌ بين عقول أبنائها من أجل الوصول إلى سبقٍ علمي، من ثم فإن الهدف الأسمى في وقتنا المعاصر هو تنمية الإبداع والتفكير بجميع أنماطه<sup>(1)</sup>.

ولعل أهم ما يميز هذه الدراسة أنها ستسلط الضوء على الزاوية الأهم من قضية الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين، والتي ستظهر معاملها بشكلٍ مختلفٍ وغير تقليدي قياساً بما كتب عن الأسرى والسجون، حيث أن العادة جرت في التعاطي مع قضيتهم بالكثير من البكائيات وإبراز جانب الانتهاكات والعذابات التي تحولت في ذهن المتابع والمتضامن الفلسطيني والعربي والدولي إلى شيء مألوف وغير جذاب وغير منصفٍ في آنٍ واحد، تلك الصورة النمطية التي غيّبت مئات الإضاءات والإشراقات والإبداعات والانتصارات التي تألق بها الأسرى.

كما أن الدراسة استندت للمناهج والأدوات البحثية، وأهمها الملاحظة الشخصية للباحث الذي عاش تجربة الاعتقال لفترة طويلة وفريدة، كونه عايش الكثير من الأحداث والمراحل الدقيقة والحرجة التي مرت على الحركة الأسيرة، على مدار خمسة عشر عاماً من الاعتقال، ما بين العام (1990 حتى 2005م)، عمل خلالها في الكثير من المؤسسات واللجان التنظيمية والاعتقالية، وعمل الباحث أثناء اعتقاله في العديد من المرافق منها (عضو في لجنة الحوار مع إدارة مصلحة السجون واللجنة النضالية العامة، وقام بكتابة عدد من الكتب والروايات والمؤلفات، وأنهى دراسته الجامعية من الجامعة المفتوحة في إسرائيل أثناء اعتقاله، وكونه شغل بعد تحرره مديراً عاماً بهيئة شؤون الأسرى والمحررين، وناطقاً إعلامياً لها، ومديراً لدائرة القانون الدولي، ومستشاراً لوزير الأسرى، ومديراً لمركز الأسرى للدراسات، ومديراً للبرامج في إذاعة صوت الأسرى، وعضواً في لجنة الأسرى للقوى الوطنية والإسلامية، ومقدماً إذاعياً وتلفزيونياً لعدد من البرامج المتخصصة بقضية الأسرى ) ، وبلا شك أن تلك التجربة المتراكمة في داخل السجون وخارجها مكنته من التمييز والترجيح بين عشرات الكتابات وتفحص الروايات ونقل الأذى والأصدق في دراسته بما يخدم قضية الأسرى، ومصداقية العمل.

واستند الباحث في تبيان حقوق الأسرى وانتهاكات سلطات الاحتلال الإسرائيلي لها لعددٍ كبير من القوانين والاتفاقيات الدولية، وما صاغته وتعارفت عليه وتوصلت إليه الإنسانية، من أعراف ومفاهيم تعطي الحق للشعوب المقهورة، برفع الظلم عن كاهلها وتحقيق غاياتها، كلغةٍ عالمية متفق عليها بين الشعوب.

(1) حسام حمدونة: تصور مقترح لتفعيل دور الجامعات والكليات في تنمية الإبداع لدى طلبة الجامعات، فلسطين، مقدمة لمؤتمر السنوي الخامس « لتنمية ثقافة الإبداع» ووزارة الشباب والرياضة، 2013، ص3.

وستجيب الدراسة عن السؤال الأهم ، هل أبدع الأسرى خلال اعتقالهم ، و تكييفوا مع واقع الاعتقال ؟؟ وواجهوا العقاب والعقبات التي وضعها السجن لتحطيم معنوياتهم وللحيلولة دون تطوير إمكانياتهم وقدراتهم، وأبدعوا في إيجاد المؤسسات الديمقراطية للتنظيمات الفلسطينية في السجون، وبين السجون، وفي السجن الواحد، وفي التنظيم الواحد، وأبدعوا في تجربة الإضرابات المفتوحة عن الطعام والتي وصلت لمئات الأيام، وأبدعوا حينما أوجدوا معادلة توازنٍ بينهم وبين إدارة مصلحة السجون، رغم الإمكانيات الأخيرة مقابل افتقار الأولى من الإمكانيات المادية، وأبدعوا في أشكال التواصل والاتصال بين السجون وخارجها، وفي تجارب التعليم وحصولهم على الدراسات العليا من جامعاتٍ إسرائيلية وعربية ودولية، وأبدعوا في البناء الثقافي، وفي التأثير السياسي، وصياغتهم لوثقاة الأسرى التي تحولت لوثقاة الوفاق الوطني الفلسطيني لتحقيق الوحدة الوطنية، وأبدعوا في إدخال الهواتف النقالة لداخل السجون لتوفير الاتصال بالأهل في ظل منع الزيارات لسنواتٍ طويلة، وفي إخراج النطف وإنجاب الأطفال كتجربةٍ غير مسبوقة على مستوى حركات التحرر العالمية.

إنّ هذه الدراسة تقدم تفسيراً حول إنجازات الأسرى التي أثرت إيجاباً على مجمل حياة الحركة الأسيرة الفلسطينية، بل على مجمل الحياة النضالية الفلسطينية تأثيراً بتجاربههم، لأن السجون والمعتقلات كانت ولا زالت مدرسةً وطنيةً وتربويةً ودائرة من دوائر العمل النضالي الإبداعي فصاغت وبلورت طلائع الأسرى والمعتقلين، الذين كان لهم عظيم التأثير في بلورة الوعي النضالي والديمقراطي في المجتمع الفلسطيني<sup>(2)</sup>، وكان لآلاف الأسرى المحررين دورهم في هذا الاتجاه، بعد أن تخرجوا من أكاديمية السجون وتصدروا المواقع والمراكز المتنوعة، وتبوؤوا مواقع سياسية وأماكن مهمة في المؤسسات المجتمعية المختلفة ولعبوا ولا زالوا دوراً مؤثراً في الحياة السياسية، والفكرية، والاجتماعية، والإعلامية، كقادة سياسيين وعسكريين، ووزراء ونواب وأمناء عامين وأعضاء مكاتب سياسية لفصائل وحركات ثورية، وأعضاء في المجلسين « الوطني والتشريعي»، ومدراء لمؤسسات رسمية وأهلية، وخبراء ومفكرين، ونخب أكاديمية وإدارية.

وسيعرض الباحث في دراسته عدداً كبيراً من إبداعات الأسرى داخل السجون في مجال الأدب والثقافة والتعليم وحركة الصحافة الاعتقالية والفن والترجمة، ومظاهر الثقافة والمجلات وشكل المكتبات، فكان المشهد الثقافي داخل سجون الاحتلال من أهم معالم الحياة الاعتقالية التي صاغت الحركة الأسيرة منذ نشأتها<sup>(3)</sup>، لتمييز ذلك المشهد بالمفاهيم الأخلاقية والكفاحية في عملية لا تتوقف، والذي يجدر المثل الإنسانية العليا، مما يعني الاندماج والانخراط في صميم القضية الوطنية بالكلمة الثائرة التي تشع شعوراً نضالياً جامحاً، تتحول إلى رصيدٍ ومخزونٍ ثوري هائل، يمد العملية الثورية بشلالاتٍ بشرية مؤمنة بقضيتها تصبّ في نهر الثورة العظيم<sup>(4)</sup>.

(2) خالد الهندي: التجربة الديمقراطية للحركة الفلسطينية الأسيرة، رام الله، مؤسسة ناديا للطباعة والنشر، 2000، ص 190.

(3) عبد الستار قاسم وآخرون، التجربة الاعتقالية في المعتقلات الصهيونية، بيروت، دار الأمة للنشر، 1986، ص 182.

(4) سلمان جاد الله: المواجهة والاحتراف «رؤية نقدية»، القدس، اصدار مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، جامعة القدس، 2014م، ص 2 و3.

إنَّ اختيار الباحث لهذا الموضوع لم يكن من باب الإضافة الأدبية للمكتبة النضالية الفلسطينية أو العربية وحسب، وإثماً إنصافاً لمن ضحوا بكلِّ حياتهم وزهرات شبابهم من أجل الحرية والسيادة والاستقلال، وإنصافاً لقضية إنسانية وأخلاقية ووطنية وقومية وسياسية ودينية بحجم معاناة مئات الآلاف من الأسرى والأسيرات، بعرض جوانب مشرقة ومتألقة وغير مُغطية ومألوفة عنهم في ظل زحمة وتتابع الأحداث والانتهاكات التقليدية من الأخبار العامة، التي ملأت الصحف والمواقع الالكترونية والمكثبات والبرامج الاذاعية والتلفزيونية، وشغلت اهتمام الجمعيات والمراكز الخاصة بالأسرى والمؤسسات الحقوقية.

# الإطار النظري للدراسة

## مشكلة الدراسة:

يمثل الابتكار والإبداع أحد الضرورات الأساسية في إدارة الأعمال والمؤسسات، إذ أن الزمان في تصاعد الحاجات والطموحات هي الأخرى في نمو واتساع، فلا يعد كافيًا أو حتى مرضيًا أداء الأعمال في المؤسسات - على اختلاف أمطها وأنواعها - بالطرق الروتينية التقليدية لأن الاستمرار بها يؤدي إما إلى الوقوف وهو بالتالي تراجع عن الركب المتسارع في المُضي إلى الأمام أو الفشل.

قد يمكننا تعريف الإبداع بأنه أفكار تتصف بأنها جديدة ومفيدة وملتصبة بحلٍ أمثل لمشكلات معينة أو تطوير أساليب أو أهداف أو تعميق رؤية أو تجميع أو إعادة تركيب الأنماط المعروفة في السلوكيات الإدارية في أشكال متميزة ومتطورة تقفز بأصحابها إلى الأمام، إلا أن التعريف وحده لا يحقق الإبداع ما لم يتجسد في العمل، لذا قد يمكن أن يقال أن الإبداع الحقيقي هو في العمل المبدع لا في التفكير وإن كان العمل المبدع يسبقه تفكير مبدع.

التفكير الإبداعي قد يتجاوز الأعراف والتقاليد ويخرق المألوف بشجاعة وإقدام فلا يخضع لقواعد ثابتة أو قرارات محكمة لذا فإنه في الغالب يخيف ويوقع المتعاشين معه بالحذر والارتباك كما هو المعروف في طبيعة البشر من تخوفهم من كل جديد، لذلك فإن الفكر الخلاق قد لا يعدم أن يجد من يخالفه بشدة وينسب إليه النواقص، حتى يثبت مصداقيته وصحته بعد حين والأمر الذي يهون الخطب هو أنه بعد النجاح سيشكل انتصارًا كبيرًا لأصحابه ويزيد من مصداقيتهم وكفاءتهم. ولا يخلو الأمر من تعارض بين النمطين في التفكير، والحل الأمثل هو الجمع بين النمطين وأفضل طريقة لذلك هو إفساح المجال لكلا الفكرين في العمل ولأفرادهما بالمواصلة.

المعاناة تولد الإبداع، جملة متداولة لدى كل الشعوب، والإبداع لا يقتصر على المعذبين، لكنه أجمل وأصدق وأروع منهم لأنه يخرج من رحم الموت ليصنع الحياة، فأصل كل إبداع التخيل، ولأن الإبداع مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية، إما لجلب منفعة أو دفع ضرر، فالحاجة هي التي تدفع إلى الإبداع<sup>(5)</sup>، وكون الأسير الفلسطيني عاش تجربة كان أحوج فيها لدفع الضرر الذي أوقعه الاحتلال بحقه، فكان كثير التخيل لجلب المنفعة على قلة الإيمان، مما أنتج عنده روح التحدي وروح الابتكار، وجعله يفكر بطريقة غير مألوفة وغير تقليدية ليقهر الظرف الزمني باستغلاله استغلالاً أمثلاً مما أدى إلى الحالة التجديدية فكانت النتيجة إبداعية، فالإبداع ثمرة مميزة، تصدر عن أسيرٍ مميز يحيا ظروفًا خاصة غالبًا ما

(5) وليد رفيق العيصرة: مهارات التفكير الإبداعي وحل المشكلات، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2013، ص 131.



تكون معاناة وفهراً أو إحساساً بالظلم، إن عملية الإبداع في الواقع، هي تعبيرٌ عقلي قائمٌ على مضمون وأحاسيس، يرتفع بهم إلى الروحانية والإبداع الفني، وهو أيضاً صناعة إنسانية، تُقدم للبشرية مادةً جماليةً بغرض إسعادها.

إنَّ الاهتمام بإبداع الأسرى أتى من خلال تقدير الباحث بأن هنالك قولبة فلسطينية وعربية ودولية غير دقيقة اتجه الأسرى الفلسطينيون، فنظرة الأكثرية باتجاههم على أنهم فقط مقاتلين من أجل الحرية، أي أنهم لا يفهمون إلا لغة واحدة «هي لغة السلاح والمقاومة تجاه العدو»، مع أن هذا الجانب جزءٌ من حياتهم، فهم قبل أي اعتبار شريحة متنوعة من الطبقات والاهتمامات والمستويات الاجتماعية والتعليمية ومن فئات متعددة ومنهم من المثقفين والأكاديميين والحقوقيين والخريجين ومنهم من فئات تحتاج إلى وسائل وأساليب وظروف تمكنهم من التطور والإبداع والارتقاء بالذات في تخصصات علمية وتطلعات ثقافية، فالحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة تشكل مجتمعاً كاملاً مصغراً يعيش ظروفًا قاسية ولكنه نشيطٌ وزاخرٌ بالحيوية والإمكانيات والطاقات المتنوعة التي تطورت من خلال مؤسسات الاعتقال لتأخذ مكانها ودورها في اتجاهات متعددة.

من هنا فإن الإحساس بالمشكلة يكمن في إلقاء الضوء على الإبداع لدى الأسرى من خلال التعرف على المشكلات والمعوقات الإبداعية التي تواجههم داخل مؤسستهم ألا وهي السجن، وتحديد الأهداف الإبداعية لديهم داخل هذه الأسوار، من خلال وضع رؤية وخطة واضحة لتحديد الأهداف لدى الأسرى الفلسطينيين المبدعين، وتأكيد الالتزام بالبرامج التي تسهم في صناعة الإبداع، وفي توفير الدعم والإرشاد لهم، والمحافظة على التواصل المستمر معهم، ولذا لا بد أن تتضمن القضية اتباع خطة واضحة عندهم حول مفهوم الإبداع، يتضمن وجود قدرٍ من الثقافة التاريخية الإبداعية، والاستمرار في نقل وتوطين واستحداث الأساليب والوسائل العلمية الإبداعية الناجحة لتطوير وتعزيز قدرات الأسير الفلسطيني، لتقييم واختيار الخبرات الفلسطينية للحركة الأسيرة الملائمة لتفعيل الجوانب الإبداعية لديهم حتى بعد تحررهم.

إنَّ التحديات التي تواجهها الحركة الأسيرة في الجوانب الإبداعية، تحتاج إلى أسس وتصورات استراتيجية تتمثل في السياسات والآليات لتنفيذ الأهداف، تحتاج إلى تبني رؤية شمولية في تطوير أولويات الإبداع، تؤدي إلى تآزر مكوناتها وتناسق خططها وتوثيق روابطها وتفاعلها مع الأنشطة الإبداعية، وتهيئة السبل الإبداعية الكفيلة بتعزيز وتطوير وتنسيق جهودها، وضمان تلبيتها وتكاملها من خلال إيجاد آلية مناسبة وفعالة، وتنويع مصادر الدعم المالي المخصصة لأنشطتها بما يضمن قيامها بأداء مهامها على الوجه المطلوب، والاستمرار في نقل واستحداث الأساليب والوسائل العلمية الناجحة لرفع الكفاءة الإبداعية الوطنية، وتعزيز القدرات التنافسية الإبداعية.

## محددات ومعيقات الدراسة:

تتمثل في ندرة المراجع والمصادر في توثيق تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة وخصوصاً جوانب الإبداع فيها كون أن معظم الدراسات التي تتعلق بالأسرى تتناول معاناتهم وانتهاكات إدارة مصلحة السجون وأجهزة الأمن الإسرائيلية بحقهم، وهنالك مشكلة تكمن في صعوبة التواصل مع الأسرى في داخل السجون إلا من خلال زيارات المحامين والتواصل من خلال أدوات الاتصال المهربة النادرة كالهواتف النقالة، ولكون أن الشريحة المستهدفة متواجدة في سجون احتلال مغلقة بدواعٍ أمنية، وأما الصعوبات العملية التي ستواجه الباحث فتتمثل في صعوباتٍ باللقاءات مع أسرى من المحافظات والمدن البعيدة، مثل الأسرى في الضفة الغربية وأسرى ال 48 والأسرى العرب الذين عاشوا نفس تجربة الاعتقال في السجون الإسرائيلية مع أشقائهم الفلسطينيين، وسيستعيز الباحث لتجاوز هذه المشكلات بإجراء مقابلات مباشرة مع الأسرى المحررين من الذين قضوا فترات طويلة من حياتهم في الاعتقال، ومروا بمعظم تجارب ومحطات الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة.

## تساؤلات الدراسة:

تتلخص مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

كيف استطاعت الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة أن تواجه ممارسات سلطات الاحتلال الإسرائيلي في السجون بطرق ابتكارية ووسائل ابداعية؟ وما هي أشكال المقاومة التي استخدمتها للتغلب على العوائق التي واجهتها؟

## ويتفرع من السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

1. ما هي العلاقة بين ظروف الأسرى القاسية وابتكار أساليب مقاومة لمواجهتها؟
2. هل تنوعت وسائل المقاومة والمجالات الإبداعية لدى الحركة الأسيرة؟
3. كيف استطاعت الحركة الفلسطينية الأسيرة من تراكم إنجازاتها الإبداعية؟ وكيف تمكنت من الحفاظ عليها رغم تقلب الظروف والمتغيرات السياسية؟
4. كيف تمكن الأسرى من إيجاد استراتيجيات وأدوات تتلائم مع خصوصية الاعتقال لتنمية قدرات الأسرى وتعزيز أشكال الصمود لديهم؟

## فرضيات الدراسة:

- هناك علاقة بين الضغوط التي يمارسها الاحتلال على الأسرى وقدرتهم على بلورة أفكار وأساليب جديدة للتكيف والمواجهة والإبداع.
- هناك علاقة بين المتغيرات السياسية وقوة وتراجع الجوانب الإبداعية للحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة.
- توجد علاقة ما بين اكتساب الخبرات والتجارب وأشكال الإبداع وبين الأسرى قياساً (بالعمر، والفترة الزمنية التي أمضاها في السجون، والأحكام التي فرضت عليهم).

## أهمية الدراسة:

أولاً، الأهمية الأكاديمية (العلمية):

تكمن أهمية البحث بكونه جديد وغير تقليدي، بسبب ندرة المراجع التي تتناول الجوانب الإبداعية للحركة الفلسطينية الأسيرة، ومراكمة البناء على دراسات سابقة قديمة تناولت موضوعات متفرقة لم تتطرق للكثير من المظاهر الإبداعية المستجدة في السنوات القليلة الأخيرة، وتحاول الدراسة التطرق لموضوعات جديدة نسبياً في مجال علم النفس الإبداعي وعلم النفس السياسي، والجمع بين العلوم السياسية، ومجالات الإبداع وإسقاطهما على وسائل المقاومة داخل السجون، من خلال إظهار حقيقة الصراع المحتدم في السجون الإسرائيلية بين مخططات السجن الساعية لتقويض إمكانيات الأسرى وتصويبها باتجاه السجن بأشكال النضال المدروس من قبل الأسرى بدقة لمواجهة القهر بالصبر، والتدمير بالتنوير، والسعي لتحطيم الأسرى وثقافة القتل لصناعة الحياة والتفاؤل والأمل، وتنبع أهمية الدراسة بإثراء البحث العلمي والمكتبات بمرجع لربما الأول في تركيزه على هذا الجانب المضيء والإنساني، والذي سيساهم حتماً بتوفير المادة للمهتمين للتعرف على قضايا وإضاءات مشرقة غائبة عن الحركة الأسيرة، وتسجل الدراسة تأريخ مقاومة الفلسطينيين داخل السجون والمعتقلات، وتسجيل صور المعاناة وأساليب المقاومة في جوانب كثيرة تختلف عن الأخبار التقليدية اليومية التي تثيرها وسائل الاعلام عن معاناتهم، وأشكال انتهاكات دولة الاحتلال بحقهم.

ثانياً- الأهمية العملية:

- تقديم مادة مشرقة عن الأسرى للرأي العام العالمي تنقض الصورة النمطية التي تسوقها دولة الاحتلال عن الأسرى الفلسطينيين بأنهم (قتلة ومخربون وأيديهم ملطخة بالدماء وغير ذلك من الأوصاف الباطلة).
- توفر الدراسة للمؤسسات الرسمية في السلطة الفلسطينية والمؤسسات الأهلية مادة مستجدة عن الأسرى يمكن الاستفادة منها على الصعيد الحقوقي في ظل الانضمام للاتفاقيات والمواثيق الدولية، وفي التعليم والتثقيف وإبراز الحالة الإبداعية للأسرى الفلسطينيين.
- تزود الدراسة جهات الاختصاص في هيئة شؤون الأسرى والمحررين والمؤسسات العاملة في هذا المجال، لتشجيع الجوانب الإبداعية وتعزيزها لدى الأسرى في السجون، من خلال توفير الإمكانيات، وأهمية الانتباه لإمكانيات الأسرى بعد التحرر، من خلال الاستفادة من قدراتهم وتجاربهم المنوعة.

## أهداف الدراسة:

- التعرف على أشكال الإبداع للحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة.
- إبراز جوانب الإبداع التي تميز بها الأسرى في السجون الإسرائيلية عن أسرى آخرين في حركات تحرر عالمية أخرى.
- بيان كيف تمكنت الحركة الأسيرة من الحفاظ على تراكم إنجازات الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة كحالة إبداع في ظروف صعبة.
- إلقاء الضوء على المعوقات والمشكلات التي تحد من مستويات الوعي الإبداعي في تاريخ الحركة الأسيرة.
- توضيح الاستراتيجيات والسياسات والآليات التي استخدمها الأسرى في تطوير منظومة الجوانب الإبداعية لدى الأسير الفلسطيني.
- بيان البرامج التي تسهم في تعزيز وتطوير الإبداع لدى الأسرى الفلسطينيين.

## منهجية الدراسة:

لكون الدراسة تندرج في إطار الدراسات البينية، لكونها تجمع ما بين العلوم السياسية والتاريخ والمجالات الإبداعية، يستخدم الباحث المنهج التاريخي التحليلي، والمنهج الوصفي التحليلي، والاستعانة باقترب ومنهاجية « التحليل الثقافي »، والأدوات البحثية وأهمها « المقابلة»:

### 1- المنهج التاريخي التحليلي

التاريخ هو السجل المكتوب للماضي والأحداث الماضية<sup>(6)</sup>، ولكنه غير مقفل، بل سجلاً مفتوحاً، تهمل منه كل العلوم، وتعتمد على سجله في البحث والدراسة وهناك فرق بين التاريخ والدراسات التاريخية المتخصصة التي تستهدف التعرف على فترة أو فترات حسب اهتمامات الباحث، وكثيراً ما تكون دراسات للأحداث والمواقف الفردية والجماعية، وكل الدراسات التاريخية عبارة عن جزء من بقية العلوم التي تشكل جزءاً من التاريخ<sup>(7)</sup>، والمنهج التاريخي هو الطريق الذي يختاره الباحث في تجميع معلوماته وبياناته العلمية في دراسة الموضوع، والذي يسلكه في التحليل والتفسير، وتبيان الحقائق ولأن هذا المنهج موضوعه الواسع هو التاريخ فيكون المنهج هو الطريق الذي يربط بين الحاضر والماضي والمتوقع، ويعتمد المنهج التاريخي على أدلة وأدوات ومصادر يمكن استعمالها بعد التأكد منها. ومن أهم أدوات المنهج التاريخي الملاحظة والمشاهدة والمقابلة والاستبيان لأن للتاريخ شواهد وأدلة يمكن التأكد منها<sup>(8)</sup>، ومهم القول أن أي بحث مهما كان الأسلوب المتبع فيه لا غنى له عن الاستعانة بمعطيات المعرفة التاريخية<sup>(9)</sup>.

ومن خلال استخدام هذا المنهج سيقوم الباحث بجمع الحقائق والمعلومات من خلال الوثائق والأرشيف والكتب التي أرخت وقائع فترة الدراسة، وسيقوم بدراسة الظواهر والأحداث والمواقف، والبحث في نشأة هذه الظواهر والتطورات والعوامل التي أدت إلى تكوينها بشكلها الحالي، وسيقوم الباحث بتحليل وتفسير هذه التطورات استناداً إلى المنهج العلمي، الذي يربط النتائج بأسبابها، وسيقوم بعرض الأنشطة الإبداعية للأسرى الفلسطينيين والتعرف عليها وتبينها، واستخلاص القوانين الاجتماعية وآليات حركة مجتمع المعتقلين منذ نشأته، والتغيرات والتطورات المتراكمة التي طرأت عليه، والتي تأثر بها.

### 2- المنهج الوصفي التحليلي

حين يريد الباحث أن يدرس ظاهرة ما فإن أول خطوة يقوم بها هي وصف الظاهرة التي يريد دراستها، وجمع أوصاف ومعلومات دقيقة عنها، والأسلوب الوصفي يعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً ويعبر عنها تعبيراً كيفياً أو تعبيراً كمياً، فالتعبير الكيفي يصف لنا الظاهرة ويوضح خصائصها، أما التعبير

(6) Homer.Hockett: The critical.method in historical research and wztion , new yourk: the mac millan co,1968,PP:3

(7) عقيل حسن عقيل: فلسفة مناهج البحث العلمي، طرابلس، جامعة الفاتح، 1999م، ص57.

(8) عقيل حسن عقيل: المصدر نفسه، ص58.

(9) سمير نعيم: المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية، القاهرة، المكتب العربي للأوقست، ط 5، 1992م، ص130.

الكمي فيعطينا وصفاً رقمياً يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجات ارتباطها مع الظواهر المختلفة الأخرى وقد بدأ هذا الأسلوب في البحث في نهاية القرن الثامن عشر حيث قامت دراسات لوصف حالة السجون الانجليزية ومقارنتها بالسجون الفرنسية والألمانية، كما نشطت هذه الدراسات في القرن التاسع عشر حيث ركزت الدراسات الاجتماعية التي قام بها « فردريك لوبلاي » بإجراء دراسات تصف الحالة الاقتصادية والاجتماعية للطبقة العاملة في فرنسا مستخدماً في ذلك أدوات بحث خاصة كالاستبيان والمقابلات، ولكن التطور الهام الذي ساهم في تطوير الأسلوب الوصفي في البحث كان في القرن العشرين، بعد اكتشاف الآلات الحاسبة التي تسطيع تصنيف البيانات والأرقام وتحديد العلاقات بسرعة هائلة، وكان الأسلوب الوصفي مرتبطاً منذ نشأته بدراسة المشكلات المتعلقة بالمجالات الإنسانية وما زال هذا الأسلوب هو الأسلوب الأكثر استخداماً في الدراسات الإنسانية حتى الآن<sup>(10)</sup>، فالمنهج الوصفي هو التصور الدقيق للعلاقات المتبادلة بين المجتمع والاتجاهات والميول والرغبات والتطور بحيث يعطي البحث صورة للواقع الحياتي ووضع مؤشرات وبناء تنبؤات مستقبلية<sup>(11)</sup>، ويتضمن هذا المنهج دراسة الحقائق المتعلقة بطبيعة ظاهرة أو موقف معين أو مجموعة من الأحداث أو الأوضاع أو البشر التي يرغب الباحث في دراستها والتعرف على أبعادها المختلفة<sup>(12)</sup>.

وسيتمتع الباحث على المنهج الوصفي في تفسير أوضاع وأحداث وظواهر الحركة الوطنية الأسيرة، وسيعرض من خلال البحث ما كان كائناً منذ بدايات الاعتقال، ووصف الظروف التي أحاطت بتلك الحقبة، ومن ثم بدراسة المتغيرات والتطورات التي أثرت على المجتمع الاعتقالي، وسيتناول الباحث أهم ظواهر الإبداع للأسرى، وتفسير الأسباب والمنطلقات والعوامل التي شجعت وساهمت في تطوره، وسيقوم الباحث بوصف تلك المظاهر الإبداعية الإنسانية والشكلية والمادية، وعرض أشكالها وأنواعها، وسيجاوز الباحث مجرد جمع البيانات الوصفية حول تلك الظواهر والمظاهر، إلى تحليلها والربط والتفسير لهذه البيانات، وتصنيفها وقياسها واستخلاص النتائج منها.

### 3- اقتراب « التحليل الثقافي »:

وسيستعين الباحث باقتراب ومنهجية « التحليل الثقافي » الذي يقوم على دراسة المحيط الثقافي للظاهرة وتحليلها، دون إغفال أثرها على هذا المحيط، أي أن الدراسة يجب أن تأخذ بعين الاعتبار العلاقة على أساس تبادلي ولا يقتصر تحليلها على اتجاه واحد، وهذا المدخل له العديد من الاقتربات، فهناك من يتخذون من الملبس أو المأكل اقتراباً للمدخل الثقافي، وآخرون يستخدمون الموسيقى أو العادات والتقاليد.

(10) د. ذوقان عبيدات وآخرين: البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، عمان، دار الفكر للطباعة والنشر، 1998، ص 149.

(11) دوجيه مجبوب: البحث العلمي ومنهجه، عمان، الأردن، دار المناهج للنشر والتوزيع، 2016، ص 248.

(12) د محمد عبد الهادي: أساليب وأعداد وتوثيق البحوث العلمية، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، 1995، ص 98.

ويعتقد الباحث أن ما يتناسب مع هذه الدراسة هو اقتراب البنية المعرفية، وهي الجزء العقلي والفكري من بين مكونات الثقافة، كما أن البيئة المعرفية هي أحد أهم العوامل المُشكّلة للثقافة السياسية والتي يعتبر مفهوم الهوية أحدها<sup>(13)</sup>، فمن خلال دراسة الحالة الثقافية والتعليمية والأدبية وثقافة الديمقراطية وممارستها ونمط الحياة الاعتقالية ونظمه، وتعقب سلوك المعتقلين يصل الباحث باستخدام مدخل «التحليل الثقافي» إلى مستوى الحالة الإبداعية للحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة التي تتميز عن غيرها في السلوك وبعض العادات بحكم ظرف الاعتقال وقوانين السجون المفروضة على الأسرى والمعتقلين.

## أدوات وإجراءات الدراسة:

إن أهم الأدوات التي سيعتمد عليها الباحث في دراسته هي (الملاحظة والمشاهدة والمقابلة)، مع التأكيد أن الملاحظة ليست المشاهدة مع أنهما يتداخلان كثيراً، فالمشاهدة هي الوقوف عن كثب على الشيء المراد رؤيته، لأنها مقتصره على العين في مشاهدة الأشكال والأفعال، والملاحظة هي الربط بين المشاهد والمسموع، لأنها الأداة المستعملة لحاستي السمع والبصر والعقل في وقتٍ واحد، فالمشاهدة عابرة، والملاحظة عميقة وواسعة وتحتوي على الاستنتاج العقلي، فالملاحظة تمكن الباحث من استقراء التاريخ، واستنباط العبر منه، وهي تفسيرية إلى جانب كونها وصفية، لأنها تعتمد على الحس والعقل، وتتعلق بالظاهر والكامن، وتعتبر الملاحظة والمشاهدة أحياناً أداتين هامتين لوسيلة المقابلة، لأنه من خلال المقابلة يمكن مشاهدة المبحوث وتصرفاته، ويمكن ملاحظة ردود أفعاله على الأسئلة المطروحة عليه من قبل الباحث<sup>(14)</sup>، لأن ملاحظته تميزت بالمعاشة والمشاركة.

والمقابلة أداة هامة للحصول على المعلومات من خلال مصادرها البشرية، فالمقابلة المتميزة بالتخطيط والإعداد المسبق، والقائمة على التأهيل والتدريب الخاص، تفيد الباحث في الحصول على معلومات هامة تفوق في أهميتها ما يمكن أن يحصل عليه من خلال استخدام أدوات أخرى، ومن خلالها يستطيع الباحث اختبار مدى صدق المفحوص، والكشف عن المعلومات المطلوبة، ومدى دقة إجاباته عن طريق توجيه أسئلة أخرى مرتبطة بالمجالات التي شك بها<sup>(15)</sup>.

وسيقوم الباحث بتوظيف فترة معاشته الطويلة للأحداث في السجون عبر مشاهدته وملاحظته وتفسيره لها قبل التحرر، وإجراء عدد كبير من المقابلات المنوعة (المقننة وشبه المقننة والمفتوحة) للفترات والأحداث التي لم يعايشها قبل اعتقاله، وبعد تحرره، وسيحرص الباحث في إجراء المقابلات على أن تكون مع مجموعةٍ من قيادات الحركة الوطنية الأسيرة،

(13) محمد أحمد العجاني. (2001). أزمة الهوية في الفكر السياسي العربي، دراسة مقارنة في رؤى حسن حنفي ومحمد عابد الجابري، «رسالة ماجستير غير منشورة»، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، القاهرة، ص8.

(14) عقيل حسن عقيل: مرجع سابق، ص164 - 172.

(15) د. ذوقان عبيدات وآخرين: مرجع سابق، ص109.



والأسرى المحررين من صفقتي التبادل في العام 1985م وفي العام 2011م، والمفرج عنهم في أعقاب اتفاقية أوسلو حول أهم الإبداعات التي لديهم، وسيتم تنوع انتماءاتهم التنظيمية، ومساهماتهم البنائية في الجانب الاعتقالي والتنظيمي والنضالي والكتابات الأدبية والسياسية والتعبوية، وكذلك بسبب مكانتهم التنظيمية، والفكرية، والأهم قدرتهم على وصف الظواهر، والربط بينها وتفسيرهم وتحليلهم لنشوتها وأسبابها ومؤثراتها وانعكاساتها على المجتمع الاعتقالي.

فتجربة الباحث الاعتقالية، والمقابلة مع كوادر الأسرى ستضيف للدراسة الكثير على صعيد شكل المواضيع، ووصف الأشياء بدقة وعن كثب، دون وسطاء قد يساهموا في تبييع الحقائق والمعلومات سواء بالنقص أو الزيادة<sup>(16)</sup>، وسيستعين الباحث بأدوات أخرى كالحكي والتأريخ الشفاهي، والأرشيف المتوافرة لدى المؤسسات ذات الشأن، والوثائق، والمذكرات، والتراجم.

### أسباب اختيار الدراسة:

تحدث الكثيرون عن الحركة الوطنية الأسيرة، وشكل مراحل تطور الفترات الاعتقالية من الناحية التاريخية، وتناولوا معاناة الأسرى، والانتهاكات الإسرائيلية بحقهم، ولكن قلّة من الباحثين ومراكز دراسات الأسرى من تناولوا « الجوانب الإبداعية، والمظاهر الإنسانية، والإمكانات والقدرات العقلية والصلابة النفسية للأسرى، وأشكال التكيف الإيجابي في مواجهة التضييق الإسرائيلي، وحتى الدراسات الأكاديمية التي وضعت خلال السنوات العشر الأخيرة لم تتطرق لهذه الجوانب التي تميز بها المعتقلون.

وقد وجد الباحث لأسباب ضمنية وأخلاقية وإنسانية وتضامنية، أن يعكف على دراسة الجوانب الإبداعية للحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة التي حافظت على تماسكها وحمّت أسراها من الاستهداف الأمني والأخلاقي، واستطاعت أن تُخرّج أجيالاً كان لها الأثر الكبير في عملية النضال والثورة الفلسطينية.

### مبررات الدراسة:

وجد الباحث أنه من غير الممكن الاكتفاء بقضايا الشجب والندب، وإظهار المظلومية، وأشكال المعاناة، والانتهاكات اللحظية والتفصيلية في قضايا الأسرى، فما لا يعرفه الكثيرون عن قضايا الأسرى يفوق مرات مضاعفة عن المثار جماهيرياً والمتداول إخبارياً وإعلامياً، وما تسوقه دولة الاحتلال من حملات تشويه عالمياً عنهم.

ولربما أن أهم المبررات في تناول هذه الدراسة محاولة الباحث إنصاف زملائه بتناول الشق المبدع الآخر عن حياتهم، وجمال الصورة التي يعايشونها، وقوة وثبات الموقف الذي تسلحوا به أمام بطش سجانهم، وأن يتطرق للجانب الإنساني الذي قضاه لسنوات بمعيتهم، لأن هذا الموضوع لا يمكن أن يكتب أو يوصف، لأن موضوع الأسر لا يمكن أن يتحدث عنه إلا من جرّب.

(16) عقيل حسين عقيل: مرجع سابق، ص 182.

ويرى الباحث أن الحرية تاج فوق رؤوس الأحرار لا يعرفها إلا الأسرى، ولو أتينا بكل الخطباء والفصحاء والشعراء والبلغاء - ممن لم يعتقلوا - لكي يوصفوا مشاعر الأسير وقت الشدة والضيقة، والفرح والانتصار في عتمة الزنازين فلن يستطيعوا، ومن هنا وقع التكليف على الباحث لرصد وتتبع وفهم وتحليل الجوانب الإبداعية وأثرها على الحركة الأسيرة، وفهم واستكشاف الظروف والمحددات الإبداعية، وقد تم اختيار الموضوع كرسالة إنسانية ووطنية بطريقة أكاديمية، إيماناً وأملاً منه بأن تؤدي الرسالة المرجوة، والأمانة العلمية التي ستحمل إشرافاتهم المتوقفة والمبدعة للعالم.

## مفاهيم ومصطلحات الدراسة:

• **أسرى الحرب:** حددت اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949م الفئات التي يحق لها التمتع بوضع أسير الحرب، إذ تنص المادة الرابعة من الاتفاقية على أن الشخص يكتسب هذا الوضع عند وقوعه في قبضة العدو إذا كان منتصباً لإحدى الفئات التالية:

1. القوات المسلحة النظامية.
2. الميليشيات والوحدات المتطوعة وعناصر المقاومة المنظمة.
3. القوات المسلحة النظامية التابعة لطرف غير معترف به من قبل الدولة الحاجزة.
4. الأشخاص الذين يرافقون القوات المسلحة دون أن يكونوا جزءاً منها.
5. أفراد الأطقم الملاحية.
6. سكان الأراضي غير المحتلة المشاركون في الهبة الجماهيرية<sup>(17)</sup>.

• **الأسير الفلسطيني:** هو المواطن الذي اعتقلته سلطات الاحتلال الإسرائيلي بسبب مقاومته للاحتلال على خلفية سياسية، أو تنظيمية، أو أمنية، أو عسكرية، ومنهم من اعتقلته أجهزة الأمن والجيش الإسرائيلي ضمن ملف سري وبدون لائحة اتهام لتخوفات أو مبررات أمنية واهية كالمعتقل الإداري<sup>(18)</sup>، والأسير الفلسطيني أو العربي هو كل من يقبع في سجون الاحتلال الإسرائيلي على خلفية مشاركته في النضال ضد الاحتلال<sup>(19)</sup>.

• **الأسير المحرر:** وهو الأسير أو المعتقل الذي تعرض للسجن والاعتقال، وقضى مدة حكمه، وأفرج عنه بعد انقضاء هذه المدة، أو تم تحريره بموجب اتفاقية معينة، كتبادل أسرى، أو كنتيجة لمفاوضات سياسية<sup>(20)</sup>.

(17) نداء البرغوثي، أسرى الحرب في القانون الدولي، القاهرة، دار النهضة العربية، 2015، ص 61.

(18) موقع مركز الأسرى للدراسات: <http://alasa.ps/ar/index.php?act=post&id=24374>.

(19) إسماعيل الداغور: دور الأسرى في الحركات السياسية الفلسطينية (1987-2006)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، 2013، ص 19.

(20) إسماعيل الداغور: مرجع سابق، ص 19.

• **الحركة الوطنية الأسيرة:** هي مجموع الأسرى والأسيرات الفلسطينيين الذين تعرضوا للاعتقال منذ بداية الاحتلال العسكري الإنجليزي لفلسطين عام 1917م، إلى الاحتلال الإسرائيلي عام 1948م، واحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة من قبل إسرائيل أيضاً عام 1967م إلى الآن<sup>(21)</sup>، وهي تطلق على مجتمع الأسرى والأسيرات من الذين عاشوا تجربة الأسر، وقد بلغ تعدادهم لما يقارب من المليون فلسطيني وفق رئيس هيئة شؤون الأسرى والمحررين<sup>(22)</sup>.

• **الشخصية المبدعة:** هو «الشخص المرن ذو الأفكار الأصلية، والمتمتع بالقدرة على إعادة تعرف الأشياء أو إعادة تنظيمها، والذي يمكنه التوصل إلى استخدام الأشياء المتداولة بطرق وأساليب جديدة تعطيها معانٍ تختلف عما هو متداول أو متفق عليه. وهو «وعاءٌ ممتلئٌ بالانفعالات التي تأتي من كل المواقع، من السماء، من قصاصات الورق، ومن شكلٍ عابر، أو من نسيج العنكبوت، والمبدع يودع ما يرى أو يسمع أو يقرأ ليخفف من وطأة الانفعالات من ازدحام عقله بالرؤى<sup>(23)</sup>، واتفق كثير من علماء النفس على تعريف الشخصية المبدعة التي تفضل التفكير في نسق مفتوح الذي يؤدي إلى السلوك الإبداعي واستقلاليته، وتقييم الأفكار والكفاية الذاتية والثورة ضد المألوف والمثابرة والتكيف والمرونة في حل المشكلة والأصالة في إنتاج الحلول، وسرعة الإنجاز والدافعية، كما تتميز الشخصية المبدعة بطلاقة وأصالة ومرونة التفكير والتطوير وتحدي الصعاب وهي أكثر مرونة نفسية وذات شخصية مؤثرة وأكثر ميلاً لتأكيد الذات ومطالبها، وأنها ذات إرادة قوية ومتحررة ترفض الخضوع والخنوع، وكثيرة المثابرة والفضول وارتفاع مستوى الطموح والمهارات<sup>(24)</sup>.

• **إبداع الأسرى:** ما تميز به الأسرى من أشكال الإبداع، كعملية ذهنية ومعرفية تتضمن الطلاقة والمرونة والأصالة<sup>(25)</sup>، ولقد وجد الباحث في مجتمع الأسرى هذه الأبعاد من الطلاقة التشكيلية المتوفرة في كمية الأفكار التي أنتجها الأسير خلال فترة زمنية محددة مكنته من إنجاز علمي أو ثقافي أو مادي، ومرونة تشكيلية تشير إلى قدرة الأسير في السجون على تغيير اهتماماته الذهنية والعقلية<sup>(26)</sup>، بما يتناسب مع واقع الأسر بخلاف واقع الحرية ووسائل النضال واستبدالها بوسائل نضال مختلفة ضد الاحتلال حتى في ظل الاعتقال، والأصالة التي ميزت إنتاج الحركة الوطنية الأسيرة بالندرة والجدة وعدم التكرار من خلال ما يقوم به كأدب السجون والدراسات والإنتاج الثقافي والمادي المتعدد.

(21) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة - جامعة القدس، موسوعة تجارب الأسرى الفلسطينيين والعرب، القدس، فلسطين، 2014م، ص 43.

(22) موقع صحيفة رأي اليوم: <http://www.raialyoum.com/?p=256617>

(23) أحمد شعبان المرغاون: الإبداع لدى مرحلة الجامعية الأولى دراسة ميدانية، مجلة التربية المعاصرة، 2003، ص 51.

(24) طارق عبد الرؤوف عامر: الإبداع مفاهيمه وأساليبه ونظرياته، القاهرة، الدار العالمية للنشر والتوزيع، 2005، ص 75.

(25) وليد رفيع العياصرة: مرجع سابق، ص 43.

(26) (إبداع الأسرى) كما تشير الدراسة.

• **مصلحة السجون الإسرائيلية العامة:** بالعربية (مصلحة السجون الإسرائيلية - الشاباص) بالعبرية (שירות בתי הסוהר) بالانجليزية (Israel Prison Service) تأسست عام 1949م وهي تتبع لوزارة الداخلية الإسرائيلية وتمثل الذراع التنفيذية لإنفاذ القانون في إسرائيل ويقع مقرها الرئيسي في مدينة الرملة وسط إسرائيل وهي مسؤولة عن 32 سجن منتشرة في إسرائيل وتضم 35 ألف سجين و 8 آلاف موظف عام 2009، نسبة السجناء الأميين (سجناء المقاومة الفلسطينية/الباحث) بلغت 40 % ونسبة السجناء الجنائيين بلغت 60%<sup>(27)</sup>.

• **الجهاز الثقافي:** يتكون الجهاز الثقافي في السجون من المفوض العام، واللجنة الثقافية العامة لهذا الفصيل أو ذلك، ويقف على رأس الجهاز الثقافي أحد أعضاء اللجنة المركزية أو اللجنة التنفيذية أو أحد أعضاء المنظمات الحزبية أو المكاتب السياسية - وفق مسميات الهيكلية التنظيمية لكل فصيل - ويتكون هذا الجهاز من موجهي الأقسام الثقافييين ولجانة الثقافية وموجهي الغرف الثقافييين<sup>(28)</sup>، وفي الحقيقة لا يوجد في المعتقل جهاز ثقافي وإنما أجهزة حيث يمتلك كل فصيل خاصة الفصائل الكبيرة جهازه الخاص، وعلى الرغم من تعدد الأجهزة الا أنها تتوافق في الترتيب والوظيفة<sup>(29)</sup>.

• **أدب السجون:** هو أحد أشكال إبداعات الأسرى، وكل ما أنتجوه عبر هذه المسيرة النضالية والجماعية الطويلة، هذا النتاج الفكري والأدبي<sup>(30)</sup> الذي عكس أبعاد هذه الظاهرة وجوهرها وعبر عن مضمونها الإنساني وتفوقها الأخلاقي وهويتها عبر رموز ولغة حيّة وإيماءات ونصوص وأشكال تعبير وملامح خاصة وهوية إنسانية مميزة<sup>(31)</sup>.

• **الإضراب المفتوح عن الطعام:** يعرف أيضاً بمعركة الأعماء الخاوية وممكن أن يكون فردي أو جماعي ومطلبي لتحسين شروط الحياة أو سياسي بهدف الحرية، ويعد خطوة سلمية لإبراز مطالب الأسرى ومشروع دولياً، وهو قرار يقضي بعدم تناول كافة أشكال المواد الغذائية باستثناء الماء والملح حتى تحقيق المطالب، وقد تلجأ إدارة مصلحة السجون لإرغام الأسير أثناء إضرابه على تناول المدعمات والفيتامينات عن طريق التغذية القسرية بطريقة عنيفة وخطيرة محرمة دولياً قد تؤدي بحياة المضربين<sup>(32)</sup>.

• **اللوائح والأنظمة الداخلية:** هي قوانين ونظم ترقى لمرتبة الدستور « الناظم لحياة الدول والمجتمعات الطبيعية، وتحظى اللوائح والأنظمة الداخلية باحترام وتقدير كبيرين

(27) زياد أبو زيد: تأثير حقبة أوسلو على وحدة وانجازات الحركة الأسيرة في السجون الإسرائيلية 1993-2012، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة القدس، القدس - أبو ديس، (2012)، ص10.

(28) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة - جامعة القدس: مرجع سابق، ص48.

(29) محمد لطفى ياسين: مرجع سابق، ص108.

(30) «أدب السجون» كل ما كتبه الأسرى عن السجن وغيره داخل الاعتقال وليس خارجه، بشرط أن يكون من أجناس الأدب كالرواية والقصة والشعر والنثر والخطبة والمسرحية والرسالة.

(31) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: مرجع سابق، ص74.

(32) إبراهيم أبو الهيجا: المنسيون في غياهب الاعتقال الصهيوني، جمهورية مصر العربية، مركز الاعلام العربي، 2004، ص160.

من كافة الأسرى، وتشكل مرجعيتهم المتعاقد عليها لفض المشكلات التي تواجههم<sup>(33)</sup> واللوائح الداخلية للتنظيمات داخل السجون تبين أسس الحياة في المجتمع الاعتقالي وبعض جوانب سلطته الثورية من جانب آخر تتبنى التنظيمات المختلفة نظاماً داخلياً أو دستوراً اعتقالياً يحكم علاقات التنظيم الواحد ويوضح أسس التنظيم الاعتقالي ورؤيته الفكرية والهيكل التنظيمي بهيئاته والقوانين التي تحكم نشاطها، كما يوضح الأخطاء وكيفية معالجتها<sup>(34)</sup>.

• **اتفاقيات جنيف:** انصرفت اللجنة الدولية للصليب الأحمر في أعقاب الحرب العالمية الثانية إلى وضع اتفاقية لحماية المدنيين في زمن الحرب، حيث التقت 63 دولة عام 1949م في جنيف وتبنت أربع اتفاقيات (35): الأولى: حول تحسين مصير الجرحى والمرضى في القوات المسلحة، والثانية: حول القوات البحرية، والثالثة: حول معاملة أسرى الحرب، والرابعة: حول حماية المدنيين (36) وعلى الرغم من مصادقة إسرائيل على اتفاقيات جنيف الأربعة فهي لم تعترف بالأسرى الفلسطينيين كأسرى حرب (37) رغم دعوة المنظمات الدولية والحقوقية لها باحترام الاتفاقيات الدولية والقانون في معاملة السجناء يتعلق بتلك الحقوق الفلسطينيين لديها (38).

• **صفقة تبادل 1985م:** تعتبر من أكبر صفقات تبادل الأسرى بين إسرائيل و الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيادة العامة - أحمد جبريل بموجب اتفاقية تبادل للأسرى وقعت في جنيف عن 3 جنود إسرائيليين، مقابل إفراج إسرائيل عن 1155 أسيراً، من بينهم 153 أسيراً لبنانياً<sup>(39)</sup>.

• **وثيقة الوفاق الوطني:** مجموعة من النقاط التي وضعتها الحركة الوطنية الأسيرة في السجون الإسرائيلية وتحديدًا في سجن هداريم، وقد استندت النقاط لاتفاق القاهرة مارس/آذار 2005م، من أجل إنجاح الحوار الوطني الفلسطيني الشامل لإنهاء الانقسام، والوثيقة وضعت آلية أو برنامج عمل سياسي للفصائل الوطنية والإسلامية الفلسطينية بتاريخ 9/5/2006م بعد استشعارها خطر الانقسام الذي يهدد القضية الفلسطينية<sup>(40)</sup>.

• **القيادة الجماعية:** وتعني تصريف أمور الأسرى وشؤونهم من قبل الهيئات المنتخبة، من خلال التشاور الحثيث فيما بينها وبين قواعدها التنظيمية، سواء داخل كل فصيل من فصائل العمل الوطني أو بين الفصائل كافة، وخاصة عندما يتعلق الأمر بمصير الأسرى ككل<sup>(41)</sup>.

(33) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: مرجع سابق، ص 58.

(34) قدرى أبو بكر: من القمع إلى السلطة الثورية، عمان، دار الجليل للنشر، 1989، ص 161.

(35) أنظر ملحق اتفاقية جنيف بشأن معاملة الأسرى: ص 266.

(36) ناصر عبد الجواد، الأسرى ( حقوقهم واجباتهم أحكامهم )، ط 2، الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2013، ص 28.

(37) غادة فريد بدر: أسرانا في سجون الاحتلال الإسرائيلي، عمان، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، 2006، ص 177.

(38) مركز التخطيط الفلسطيني: البيان الختامي لمؤتمر الأمم المتحدة في فينا، مجلة المركز، العدد 29، غزة، 2011، ص 204.

(39) سكاى نيوز: <http://www.skynewsarabia.com/web/article/645137>

(40) محمد أبو شريعة: الحركة الأسيرة وتأثيرها في السياسة الفلسطينية 2006 2012، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، (2013)، ص 8.

(41) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة - جامعة القدس، موسوعة تجارب الأسرى الفلسطينيين والعرب، فلسطين، القدس، 2014م، ص 57.

- **العزل:** يعتبر العزل عقاباً من أقسى أنواع العقوبات التي تلجأ اليه سلطات الاحتلال الإسرائيلية ضد الأسرى الفلسطينيين والعرب فتضعهم في زنازين معتمة ضيقة ولفترات طويلة من الزمن، ويحرم الأسير المعزول من أبسط الحقوق الإنسانية والأساسية<sup>(42)</sup>.
- **الاعتقال الإداري:** يستند لقانون الطوارئ الذي فرضته السلطات البريطانية في سبتمبر/أيلول 1945 م، ويعتبر الاعتقال الإداري بحق الأسرى الفلسطينيين في السجون وفي المحاكم العسكرية الإسرائيلية من أكثر الأساليب خرقاً لحقوق الإنسان، ويتم بموجبه تحويل المعتقل للحبس إدارياً بدون تهمة أو محاكمة لفترات تتراوح بين 3-6 أشهر<sup>(43)</sup>، ويمكن تجديد الاعتقال الإداري لمدة إضافية مساء يوم انتهاء أمر الاعتقال الساري<sup>(44)</sup>، وأثناء الحجر لا يسمح للمعتقل أو محاميه بالاطلاع على أية تفاصيل عن أسباب الاعتقال الموجهة له، وبالتالي يحرم من حق الدفاع عن النفس، واستمرت سياسة الاعتقال الإداري حتى بوجود الاتفاقيات السياسية بين الجانب الفلسطيني والإسرائيلي<sup>(45)</sup>.
- **الجلسة:** تطلق على إجراء وتقليد أصيل لدى الأسرى، حيث يجتمع الأسرى بموجبه على شكل حلقات صغيرة داخل الغرف أو الزنازين أو في ساحة النزهة لمناقشة مواضيع ثقافية أو سياسية أو أمور داخلية، وهي أشبه بالحصّة المدرسية أو المحاضرة الجامعية وهناك جلسات خاصة لكل تنظيم وجلسات مشتركة وتمتاز بالالتزام والدقة في مواعيدها<sup>(46)</sup>.
- **الفورة:** هي تعبير عن النزهة اليومية التي يقضيها الأسير في ساحة السجن المخصصة لذلك، وكلمة فورة مشتقة من فار فوراً وفوراناً، أي يتحرك بقصد النشاط والحركة، وبشكل دائري - وفي الغالب - من اليمين إلى اليسار، بعكس عقارب الساعة<sup>(47)</sup>.
- **الصندوق الاعتقالي العام:** هو مصطلح افتراضي لمهمة حساسة تتكون من إدارة الواردات من «دكان الأسير - الكنتين» بعد عدها وحصرها وتقييدها في سجل خاص يكون في عهدة الأسير المكلف بالقيام بهذه العملية، وهو أسير يتم التوافق عليه من قبل الفصائل المتواجدة في المعتقل، لأن دوره وصلاحياته تشمل الاتصال بالأسرى كافة، وللأسير المكلف مساعدتين يسمى كل منهم أمين الصندوق الاعتقالي لقسمه<sup>(48)</sup>.

(42) المصدر نفسه، ص57.

(43) وزارة شؤون الأسرى والمحررين: تقرير شامل عن أوضاع الأسرى في السجون الإسرائيلية، فلسطين، الدائرة الإعلامية للوزارة، 17 / 4 / 2007، ص18.

(44) Prisoners of Peace Administrative Detention During the Oslo Process, B'TSELEM, Jerusalem July, 1997, PP.11 (44)

(45) Amnesty International Report 1998, Israel ( state of ) and the occupied Territories , Amnesty International Publications , United Kingdom (45) London , pp.207.

(46) عيسى قراقع: الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية 1993-1999م، فلسطين، معهد الدراسات الدولية، جامعة بير زيت 2000م، ص XIII.

(67) محمد أبو شرعية: مرجع سابق، ص9.

(48) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة - جامعة القدس: مرجع سابق، ص57.

• **الكبسولة:** مشتقة من الكلمة الانجليزية «capsule» أي الوعاء البلاستيكي الذي يوضع فيه الدواء ويكون رقيقاً ومحكم الإغلاق<sup>(49)</sup> ومكتوب على ورق رقيق بخط صغير جداً<sup>(50)</sup> ولا يتم هضمه في حال بلعه كونه ملفوف ومتقن بالنالون الشفاف، ويتم إغلاقها بواسطة التسخين على لهب بسيط ويتم وضع عنوان المادة المكتوبة على ظهر الكبسولة وتستخدم لنقل المادة المكتوبة من سجن لآخر أو للخارج عبر وضعها في الفم والمعدة<sup>(51)</sup>.

• **النتف المهربة:** ثورة إنسانية في وجه السجن الذي حرم الأسرى من حق الإنجاب في ظل الأحكام الخيالية والردعية، فقام عدد من الأسرى وخاصة المتزوجين بتهرب السائل المنوي عن طريق الزيارات وزرعه في رحم الزوجة<sup>(52)</sup>، ونجح عدد من الأسرى بالإنجاب بهذه الطريقة التي تم احتضانها وتفهمها اجتماعياً، وسمي أطفال الأسرى عن طريق النتف المهربة « بسفراء الحرية »

• **البوسطة:** تعبير يطلق على سيارة نقل الأسرى التابعة لإدارة مصلحة السجون وهي غالباً عبارة عن مركبة كبيرة، ولا يوجد فيها سوى فتحات صغيرة جداً، وتشبه المركبة خزائناً مغلقة لنقل الأسرى، وتحمل أبشع أنواع الإذلال والعقاب والضرر الصحي حيث تكون مملوءة بالأوساخ والروائح الكريهة، وهناك مركبة صغيرة تسمى « ترانزيت » تستخدم في حالات خاصة لنقل عدد من الأسرى، ويشرف على البوسطة شرطة خاصة تسمى فرقة « البوسطة عادة من وحدة الناحشون » تمتاز بمعاملتها الفظة للأسرى المنقولين<sup>(53)</sup>.

• **العصافير:** وهو المصطلح الذي أطلقه المعتقلون الفلسطينيون على العملاء في سجون الاحتلال، ويرجع سبب التسمية إلى طريقة تسليم هؤلاء العملاء أنفسهم لإدارة السجون، حيث أنهم ينتظرون قدوم إدارة السجن من أجل العدد، أو تفتيش المعتقلين فيستغلون الموقف ويهربون إلى إدارة المعتقل كما يفر الطائر من عشه، حيث يقال للشخص الذي سلم نفسه لإدارة المعتقل « عصفر » أي أصبح عصفوراً وانضم إلى مجتمع العملاء<sup>(54)</sup>.

(49) جمعية الأسرى والمحربين: الأسرى الفلسطينيون وجيروت التعذيب الإسرائيلي في السجون الإسرائيلية، غزة، فلسطين، مركز الدراسات والتوثيق والمعلومات، 2005، ص12.

(50) أنظر ملحق شكل الرسائل التي تخرج من السجون : ص 288 .

(51) عيسى قراقع: مرجع سابق، ص XIV

(52) نائل رمضان: أحكام الأسرى في سجون الاحتلال الإسرائيلي، بيروت، لبنان، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2012، ص103.

(53) عيسى قراقع: مرجع سابق، ص XII.

(54) عبد الناصر فروانة: الأسرى الفلسطينيون: آمم وأمال، القاهرة، صادر عن جامعة الدول العربية، 2015، ص317.



## الدراسات السابقة:

### أ – دراسات في موضوع الإبداع:

1. دين كيث سايمنتن (1993) بعنوان: (العبقرية والابداع والقيادة) ترجمة د. شاعر عبد الحميد<sup>(55)</sup>.

تناولت الدراسة تعريفات واضحة « للإبداع والقيادة والعبقرية والعلاقة التي بينهما » ، والاجابة على السؤال ، ما هي الأسباب التي جعلت من يحتلون هذه المنزلة المتفوقة على سواهم من البشر ؟ والخلفية الأسرية والتعليم ومستوى الذكاء ؟ وهل يوجد عمر خاص يصل عنده الإبداع إلى ذروته ؟ ، وللإجابة على السؤال قام المؤلف بتعريف مجال يسمى « القياس التاريخي » ، وقد بدأ بشرح الأسلوب : اختيار وحدات التحليل ، سواء كانت من الفلاسفة أو الأفراد أو من المعارك الحربية التاريخية ، او كانت لحناً موسيقياً كلاسيكياً ، ثم تحديد المتغيرات الحاسمة في التحليل وحسابها ، والقيام بعد ذلك بحساب العلاقات السببية الأكثر احتمالاً من خلال تحليلات احصائية متقدمة ، وتوصل الباحث إلى أن النضج العقلي المبكر ، ومعدل الانتاجية ، وكذلك طول العمر الإبداعي ، كلها قابلة للتطبيق على القيادة ، وعلى الإبداع على حد سواء . واستفاد الباحث من الدراسة في تعريف المصطلحات ، والتطبيق الاحصائي الذي استخدمه الباحث واسقاطه على واقع الأسرى ، وتفسير العلاقة بين الإبداع وبين انتاجية الأسرى على مستوى الثقافة والتعليم وطول تجربة الاعتقال وبناء الشخصية القيادية ، وسلامة البناء التنظيمي كأحد الشروط المهمة في تخريج الكادر المبدع على قاعدة استراتيجيات البقاء والتعايش مع الواقع واستثماره نحو الأفضل .

2. د. أيمن عامر ( 2003 ) بعنوان ( الحل الإبداعي للمشكلات بين الوعي والأسلوب ) .

تناولت دراسة الباحث ظاهرة نفسية مهمة ، وهي ظاهرة الإبداع ، وركز الباحث خلال دراسته على زاوية الوعي بالإبداع ، وأثر ذلك على كفاءة التفكير الإبداعي ، واحتوت دراسته على سبعة فصول ، انصبت الفصول الأربعة الأولى على شرح للمفاهيم الرئيسية في الميدان ، وأهم البحوث الامبريقية والمحاولات التنظيرية ، وتنصرف الفصول الثلاثة الباقية إلى عرض البحوث التي أسهم بها المؤلف ، وما توصل اليه من نتائج ، وبيان مواضع الاتفاق والاختلاف مع بحوث سابقه .

(55) دين كيث سايمنتن : العبقرية والإبداع والقيادة ، ترجمة د . شاعر عبد الحميد ، الكويت ، الناشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 1993 .



ومن أهم النتائج التي توصل إليها المؤلف النتيجة القائلة بارتباط كفاءة حل المشكلات « سواء كانت هذه المشكلات ضعيفة البناء أم محكمة البناء » بكل من الأسلوب الإبداعي للشخص ، ووعيه بعمليات الإبداع للشخص ، ووعيه بعمليات الإبداع كما تتم لديه ، كنتيجة بالغة الأهمية نظرياً وتطبيقياً ، تهتم المنشغلين بالعلوم النفسية ، والتربوية كذلك .

وثمة نتائج كثيرة توصل إليها الباحث لها أهميتها أيضاً وان لم تبلغ الدرجة نفسها من الشمول ، وركز الباحث في تحليله على مكونين رئيسيين من مكونات الشخصية « الأسلوب الإبداعي ، والوعي بعمليات الإبداع » وتأثيرهما في كفاءة الحل الإبداعي للمشكلات ، وموقع هذين المكونين من منظومة الشخصية .

وهدفنا الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف منها ما هو نظري ، ومنها ما هو منهجي ، ومنها ما هو تطبيقي ، كالإسهام في توضيح مساحة الغموض والخلط في تعريف مفهومى « الأسلوب الإبداعي ، والوعي بعمليات الإبداع » من خلال مجموعة من الاختبارات ، والإسهام في حسم النتائج المتعارضة في الانتاج الفكرى السابق عن علاقة الأسلوب الإبداعي بالمستوى الإبداعي، بقياس هذه العلاقة في ضوء عدد من المتغيرات الوسيطة مثل الوعى بالإبداع .

واستفاد الباحث من دراسة د. عامر في تعريف مصطلحات الإبداع ، ومقومات وسمات الشخصية المبدعة ، وإبداع الأسمى في حل المشكلات والمعوقات التي وضعتها إدارة مصلحة السجون الاسرائيلية في وجههم ، وكيفية التصدى لها بطرق ابتكارية واعية وبخطوات نضالية محكمة<sup>(56)</sup> .

### 3. د. مؤيد عبد الحسين الفضل (2009م) بعنوان: (الإبداع في اتخاذ القرارات الإدارية)(57).

هدفت الدراسة لإبراز مبدأ التنافسية والصراع من أجل البقاء، والالتزامات الكبيرة في اتخاذ القرارات، معتبراً الكاتب « الفضل » أن صناعة القرار يجب أن تتم على أسس منهجية علمية معتمدة على أدوات التفكير والتخطيط والبدائل التي تصل لترشيد القرارات وصولاً إلى أفضل النتائج التي تميز الشخص والتنظيم والمنظمة الناجحة، ويهدف الكتاب إلى تبيان طبيعة القرارات الإبداعية ومتطلباتها، وكيف توظف الإبداع في هذا الجانب بحيث يمكن أن يؤدي ذلك إلى أفضل المعالجات الإدارية والأحكام المثلى على الأشياء والوصول الأقصر والأسرع للأهداف المرجوة بأخف وأقل الأضرار والوصول لحل المشكلات المختلفة من خلال اختيار البديل الأمثل وبالتالي اتخاذ القرار الأمثل على أساسه.

ويرى د. الفضل تميز في بحثه في مجال الإبداع الإداري، ومنحت دراسته الباحث إشراقة في مجال اتخاذ القرارات، وحل المشكلات، واختيار الأساليب والوسائل التكتيكية والاستراتيجية،

(56) د.أمين عامر: الحل الإبداعي للمشكلات بين الوعى والأسلوب ، القاهرة ، مكتبة الدار العربية للكتاب، 2003 .

(57) مؤيد عبد الحسين الفضل: الإبداع في اتخاذ القرارات الإدارية، الأردن، اثناء للنشر والتوزيع، 2009.

والبدائل لاستدراك الفشل وتحقيق النجاحات، وأسقط الباحث النظريات الإبداعية الإدارية على واقع الأسر في مجابهة سياسات إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية وطواقمها، للوصول لحياة تضمن للأسرى الكرامة والحقوق الأساسية والإنسانية.

#### 4. د. وليد رفيق العياصرة (2013م) بعنوان: (مهارات التفكير الإبداعي وحل المشكلات) (58).

هدفت الدراسة إلى معالجة موضوعاً هاماً وحيوياً في مهارات التفكير الإبداعي وحل المشكلات واستراتيجيات تعليمه، وخصائصه ومبادئه، وناقش الباحث خلالها العلاقة بين التفكير الإبداعي وبين استراتيجية حل المشكلات، وقدم أمثلة تفصيلية و نماذج تطبيقية في تعليم التفكير الإبداعي، وعرض المبادئ النظرية والجوانب العملية لممارسته، وتطرق إلى مدخل في التفكير كمدخل حقيقي للمعلومات وكقوة فعالة باعثة على النشاط والمهمة، وإلى التفكير الإبداعي الذي يحقق زيادة الوعي ويعالج القضايا ويزيد من كفاءة العمل الذهني، وأشار بالتفصيل لصفات الشخص المبدع في أحلك الظروف.

ويرى الباحث أن « د.عياصرة » قدم فصلاً مهماً في تعريف الإبداع، والشخصية المبدعة، والابتكار والذكاء ومكونات التفكير، ودور الوراثة والبيئة والمهارات المكتسبة في تنميته، وشكلت تلك المقدمة النظرية مرجعاً للباحث بإسقاط تلك المكونات على واقع الأسرى لقياس مستوى الإبداع لديهم، في فضاء الخيال الواسع، وعدم الاستسلام للمشكلات، والنقد والانضباط الذاتي، والاتصاف بالعقل المفتوح والقدرة على القيادة والتكيف مع المحيط، والمرونة في المواقف للخروج بأفضل الحلول.

لكن الدراسة ركزت على مهارات التفكير لدى الطلبة، وتنمية الرغبة في العمل للتعلم، وتنمية القدرة لديهم على التفكير، مما جعل الدراسة ذات اهتمام تعليمي وارشادي، غير موسعة لتشمل كل مجالات الإبداع وأنواعه وأشكاله.

#### ب- دراسات عامة عن الأسرى والمعتقلين:

##### 1. دراسة قدرى أبو بكر (1989م) بعنوان: (المعتقلون الفلسطينيون من القمع إلى السلطة الثورية) (59).

تناول الباحث في دراسته سمات السلطة الثورية التي نشأت في المعتقلات الإسرائيلية، والحدود الديموغرافية والجغرافية الضيقة التي قامت عليها، ودور القيم والإيمان بالقضية وصمود هذه السلطة أمام أشرس أنواع القمع من جانب الاحتلال، واعتبر الكاتب أن مجتمع الأسرى سار ضمن قوانين تحميه وأفراده والتي تم التوافق عليها بالإقناع والشكل الديمقراطي،

(58) وليد رفيق العياصرة: مرجع سابق.  
(59) قدرى أبو بكر: مرجع سابق.

واعتبر الكاتب أن حالة إبداعٍ وُجِدَت في السجون على الرغم من قلة الإمكان، فأسسوا هياكل تنظيمية وقوانين اعتقاله، وألزموا أنفسهم ببرامج ثقافية ثورية رغم كل محاولات التحطيم من قبل إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية، ووصف الحركة الوطنية الأسيرة بالمجتمع الاعتقالي الميسس الذي يمتاز بالنضوج ورفي العلاقات السائدة فيه وبالقيم الإنسانية الثورية المحاربة لكل السلوكيات اللامسؤولة والفردية، ومجتمع اشتراكي في كل قوانينه «كل شيءٍ للجميع، وحرب ضد الفردية، ولا حياة للفرد في ظل التنظيم ولا تنظيم إلا ببناء الفرد المؤطر، والتلاحم هو السلاح الأقوى في مواجهة الأعداء، وروح العمل الجماعي هي السائدة».

ويرى الباحث أن الكاتب قدرى أبو بكر وفق في وضع القارىء بالكثير من جوانب الحياة الاعتقالية، واستفاد الكاتب من الدراسة بشكل كبير فيما يتعلق بالعلاقات الفصائلية، والأسس التي رسختها، ويرى الباحث أن الدراسة افتقرت للكثير من مظاهر الإبداع الأخرى بالإضافة، للوائح الداخلية، والداياتر الاعتقالية التي نظمت شكل العلاقات الفصائلية داخل المعتقلات.

## 2. دراسة رأفت حمدونة، ومحمد أبو جلاله (1992م) بعنوان: (نجوم فوق الجبين) (60).

الدراسة عبارة عن كتاب، قدم فيه المؤلفان اللذان أمضيا فترة اعتقال طويلة أهمية انتقاء العنصر التنظيمي في المواجهة مع المحتل الإسرائيلي قبل الاعتقال، واعتبرا أن العنصر المتميز بالنقاء الأمني والثقافة العالية والانتماء الصادق يستطيع تحقيق الكثير من الانتصارات الميدانية خارج الاعتقال، والصمود والتضحية والقدرة على الصبر في مواجهة السجن خلال فترة التحقيق والاعتقال، وتناول الكاتبان الأعمال الفدائية التي قام بها أسرى عزل « نيتسان - الرملة » كأسوأ مكان عرفه المعتقلون في تاريخ الحركة الوطنية الأسيرة، وتحديثا عن الظروف المعيشية القاسية فيه من كل النواحي (الصحة والغذاء والعلاقات الفصائلية والحالات النضالية والجانب الثقافي).

استفاد الباحث من الكتاب عند تناوله لظروف العزل، والحياة اليومية للمعزولين رغم تجريدهم من كل الحقوق الأساسية والإنسانية، ولكن الكتاب افتقر لتنوع المصادر لإثراء التجربة التنظيمية لكل الفصائل الوطنية والإسلامي، وعكس الكتاب الحالة التنظيمية التي عايشها الكاتبان وفق انتباههم التنظيمي.

## 3. دراسة سلمان جاد الله (2000م) بعنوان: (أدب المواجهة) (61).

جاءت دراسة الباحث الأسير المحرر جاد الله والذي أمضى في السجون الإسرائيلية إثني عشر عاماً، ويعد من رواد الحركة الأدبية في السجون لتؤكد على الكثير من السمات الجمالية لأدب

(60) رأفت حمدونة، محمد أبو جلاله: نجوم فوق الجبين، غزة، فلسطين، اللجنة الثقافية لحركة الجهاد الاسلامي، 1992.

(61) سلمان جاد الله: أدب المواجهة، غزة، فلسطين، جمعية الأسرى والمحررين 2000م.

السجون والأوضاع الثقافية العامة داخل المعتقلات، واستعرض الباحث الذي تميز بالجرأة في كتابه عدد من الموضوعات كان أولها أهمية الرقي الثقافي للأجيال الفلسطينية والعربية لتوازي حجم التحديات المفروضة مع الاحتلال، واعتبر الكاتب جاد الله أن هناك أزمة ثقافة فلسطينية وعربية قياساً بتنشأة المستوطنين اليهود في هذا المجال، واعتبر التطبيع مع الفلسطينيين والعرب حلاً صهيونياً لإنهاء الصراع بوسائل أخرى غير العنف، ثم تناول أشكال المقاومة وبيئة الأسر وأيدولوجيا الثورة في السجون وخارجها، والإنتاج الأدبي لرواد الحركة الأدبية والثقافية والتعليمية والفنون بأشكالها وتنوعها خلال الاعتقال، ومراحل تطور الحركة الأسيرة وسماتها مستنداً للمعيار الثقافي والأدبي والتغيرات التي أحدثتها نضالات الأسرى التراكمية على قاعدة المواجهة الواعية والاحترازية، واعتبر الباحث أن كتاب جاد الله من أهم المراجع التي تناولت أدب المواجهة داخل الاعتقال، وشكل مرجعاً غنياً له في مبحث أدب السجون والثقافة والفنون، لكن الكاتب جاد الله لم يتوسع في كتابه ليرفق التجارب الأدبية والإبداعية بكاملها، واكتفى بدائرة أحاطت به من الأدباء والكتاب.

#### 4. دراسة عيسى قراقع (2000م) بعنوان: (أسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية بعد أوسلو 1993-1999م) (62).

تناول الباحث والأسير المحرر عيسى قراقع - الذي شغل وزيراً للأسرى في الحكومة الفلسطينية السادسة عشر، وعين رئيساً لهيئة شؤون الأسرى والمحررين في آب 2014م - في دراسته الأوضاع الاعتقالية ما قبل اتفاقية أوسلو في العام 1993م، ومن ثم بين الأوضاع الاعتقالية وانعكاس التسوية السياسية على مجمل أوضاعهم الاعتقالية، وعرض الكاتب تدمير الأسرى في السجون على الاتفاقيات لافتقارها لمواد واضحة بموجبها يتم الإفراج عنهم في أعقاب التوقيع عليها بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، وترك الأمر لحسن نوايا قادة دولة الاحتلال، وقسم الكاتب دراسته لمراحل التطور التي مرت بها الحركة الأسيرة، وقد بدأها مرحلة حماية الذات في بداية السبعينيات، ومرحلة بناء المؤسسة الاعتقالية وتحسين شروط الاعتقال، ومرحلة تحقيق المنجزات من خلال محطات نضالية على مدار سنوات الثمانينيات، ومرحلة النضال الشامل حتى العام 1992م، ومن ثم كانت المتغيرات السياسية وانعكاس عملية السلام على الأسرى.

ووفق الباحث قراقع في دراسته التي تميزت بالمنهجية والتحليل للحصول على درجة الماجستير من «جامعة بيرزيت»، وشكلت مرجعاً مهماً للباحث في ما يتعلق بالوضع القانوني وانعكاس التسوية السياسية كمتغير مهم على الحركة الأسيرة وأشكال النضال المتمثلة بالإضرابات السياسية المفتوحة عن الطعام لإثارة قضيتهم والتأكيد عليها في هذه الفترة الزمنية المهمة، ولكن الكاتب قراقع لم يؤكد على الجوانب الإبداعية لتلك المرحلة رغم التراخي الذي أصاب الحركة الأسيرة، ومن تلك الجوانب استمرار الحالة الديمقراطية والتعليمية والثقافية، والحفاظ على المؤسسات الاعتقالية والهياكل التنظيمية، وتواصل الحالة النضالية، وشكل العلاقات

## 5. دراسة منقذ أبو عطوان (2006م) بعنوان: (مأسسة الحياة الاعتقالية للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية -1967 2005م)(63).

جاءت الدراسة للتأكيد على الضوابط التي حكمت العلاقات بين الأسرى وإدارة مصلحة السجون، والأسرى أنفسهم، والآليات التي اتبعتها الأسرى لإيجاد عمل مؤسسي منظم، وتحويل السجن من مؤسسة احتلالية قائمة لإنهائهم وشطبهم من المسرح التاريخي كفاعلين أساسيين، إلى مؤسسة تعيد إنتاج ذات وطنية مقاومة، وقدّم الباحث أبو عطوان من خلال الدراسة تحول الأسرى على عدة محاور أساسية، ساعدتهم في تحويل مؤسسة السجن من مؤسسة هدامة للنفس والجسد إلى مؤسسة تعيد إنتاج إنسان مقاوم واستنتج أنّ هناك عدة آليات اعتمد عليها الأسرى في عملية التحول كالتحول التاريخي للسجون، ومن حالة علاقات قائمة على أساس فردي، إلى علاقات اجتماعية قائمة على أسس جماعية ومن علاقات جماعية مؤطرة داخل قوى مختلفة، إلى علاقات جماعية ممأسسة، والتشكل المؤسسي بعد توحيد النصوص داخل المجتمع الأسيري، وكيف أسهم هذا التوحيد في جعل السجون المتناثرة والمشتتة في مواقع مختلفة كأنها سجنٌ واحد.

ويرى الباحث أن الكاتب «أبو عطوان» أحسن في توصيفه للفترات والتحويلات، وتعتبر دراسته مرجعاً ومستنداً قوياً لكل باحث يحتاج لتفاصيل بناء المؤسسات الاعتقالية واللوائح الداخلية والعلاقات الفصائلية، ويرى الباحث أن الدراسة ستكون أشمل في حال تناولها لانعكاس المتغيرات السياسية على الحالة الاعتقالية.

## 6. دراسة جهاد البطش (2007م) بعنوان: (المعتقلون الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية)(64).

قسم الباحث دراسته لخمسة فصول، في أولها أعطى لمحة عن المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية قبل عام 1967م، وأنواع الاعتقال ومراحله، وعن قضية التعذيب في السجون، والثاني: وضع المعلومات عن السجون من حيث أماكنها، وإنشائها، والتطور التاريخي لها، والفعاليات المهمة التي شهدته، وأهمية كل سجن بالنسبة لإسرائيل، وما عاناه المعتقلون فيه، والثالث: يعكس صورة عن مجتمع المعتقلين من حيث استطاعتهم بناء تنظيات ذات نظم متفرعة من القاعدة حتى رأس الهرم، وكذلك شكل هذا المجتمع من الناحية الأمنية والثقافية والاجتماعية، والرابع تحدث عن الدور النضالي للأسرى الفلسطينيين، والذي أخذ صوراً عديدة كعلاقتهم بالحركة الوطنية، والإضرابات والتمرد والهروب، إضافة إلى عمليات تبادل الأسرى، ودور النساء والأطفال الفلسطينيين الذين اعتقلتهم إسرائيل على خلفية وطنية داخل السجون، والفصل الخامس بين الباحث مواقف الأطراف والجهات المختلفة من

(63) منقذ أبو عطوان: استغلال الأيدي العاملة الأسيرة في سجون الاحتلال الإسرائيلي، فلسطين، بدو دار نشر، 2006.  
(64) د. جهاد البطش: المعتقلون الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية، غزة، فلسطين، مكتبة اليازجي، 2007.

قضية المعتقلين الفلسطينيين وأهمها الموقف الفلسطيني من مؤسسات، وشخصيات، وأهالي المعتقلين، والموقف الإسرائيلي غير الرسمي، إضافة إلى الموقف العربي والدولي خاصة الأمريكي، والذي شدّ عن غالبية مواقف دول العالم اتجاه القضية بشكل عام ومن ضمنها قضية المعتقلين وتكفل بالدعم المطلق والكامل للخطرسة والممارسات الإسرائيلية.

وبلا شك شكلت دراسة، د. البطش « مرجعاً مهماً للباحثين والمختصين في قضية الأسرى، واستفاد منها الباحث في تتبع مراحل الحركة الأسيرة، وتطور العلاقات التنظيمية في السجون، وتطور الأوضاع الاجتماعية وواقع السجون، والموقف الفلسطيني والعربي والدولي من قضية الأسرى.

#### 7. دراسة مفيد عرقوب (2008م) بعنوان: (بناء الجملة في شعر المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية من العام 1967-2005م) (65).

هدفت دراسة « د. عرقوب » لإبراز محاولات إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية في تفرغ الأسير الفلسطيني من محتواه الثقافي، ودور الحركة الفلسطينية الأسيرة لمواجهة هذه المحاولات، وإقدام الأسرى على خطوات احتجاجية لكسر الحصار الثقافي، وتحويل غرف السجون وخيام المعتقلات إلى فصول دراسية وقاعات تعليمية.

وتناول الباحث « د. عرقوب » ظروف بداية وإرهاصات مرحلة أدبية ذات أهمية في حياة أدب الأسر، والذي سُمي بأدب السجون، وتطرق إلى أهمية استغلال الوقت لدى الأسرى، كأداة جعلت من الاعتقال منحة لصالحهم، وتقويض سياسة السجن الذي سعى لزرع الفتنة والخلافات بين الأسرى، وركز على الحركة الثقافية والتعليمية في السجون، وما حملت من تعلم لغات وإنتاج أدبي ودراسة التاريخ الفلسطيني والسياسة، وكل التخصصات، وإنهاء مراحل تعليمية ابتداءً من الثانوية العامة وحتى الدراسات العليا.

ويرى الباحث أن دراسة « د. عرقوب » تشكل مرجعاً أدبياً وثقافياً للمختصين والمهتمين بأدب السجون، وشكلت الدراسة مرجعاً مهماً له في الفصل الثالث الذي تناول الحالة الثقافية والتعليمية في السجون كأحد أهم المظاهر الإبداعية في السجون، ولكن الباحث « د. عرقوب » تطلع لأدب الأسرى من خلال نوافذ محددة، لم تتوسع لتشمل عدداً كبيراً ومتنوعاً لكتاب وأدباء الحركة الوطنية الأسيرة.

#### 8. دراسة زياد أبو زياد (2012م) بعنوان: (تأثير حقبة أوسلو على وحدة وإنجازات الحركة الأسيرة في السجون الإسرائيلية -1993-2012م) (66).

(65) مفيد عرقوب: بناء الجملة في شعر المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، رسالة دكتوراة، جامعة عين شمس - كلية الآداب، جمهورية مصر العربية، 2008.

(66) زياد أبو زياد: مرجع سابق.



تناولت هذه الدراسة التحولات العميقة التي طرأت على واقع الحركة الأسيرة بعد اتفاقيات أوسلو 1993م، من خلال تبيان الفرق، بين الآليات والأساليب التي استخدمتها الحركة الأسيرة مع بدايات تشكيلها، وتلك التي استخدمتها بحقبة أوسلو، والكشف عن التأثيرات التي خلفتها، على وحدة وإنجازات الحركة الأسيرة.

وناقشت الدراسة الفترة الزمنية التي تلت اتفاقية أوسلو في العام 1993م ولغاية العام 2012م، وخلص الكاتب إلى أن الحركة الأسيرة بعد أوسلو عاشت أزمة حقيقية تمثلت في غياب الإرادة النضالية نتيجة الانقسام السياسي لدى النخبة القيادية والفصائل الكبيرة، وغياب الأمل عند الأسرى بالتححر والعودة إلى الحياة الطبيعية، وغياب وتغييب الإعداد الواعي من قبل تنظيمات الانقسام السياسي لأجل استرداد الإنجازات التي سلبتها مصلحة السجون العامة، وتراجع العمل بالأدبيات التنظيمية، وإهمال الإفادة والعمل بما راكمته التجربة الاعتقالية، من أساليب وأدوات للصدوم والمواجهة والتطور.

ويرى الباحث أن دراسة أبو زياد قدمت مادة ثرية ومنهجية عن بدايات نشأة الحركة الأسيرة، وغطرسة السجن الإسرائيلي في السنوات الأولى من الاعتقال، ووضعت القارئ في التطور التنظيمي للحركة الوطنية الأسيرة، وأوج قوتها في العام 1992م، وشكلت الدراسة مرجعاً للباحث في قضايا كثيرة، لكن الباحث لم يوافق « أبو زياد » في المبالغة بتراجع الحركة الوطنية الأسيرة في أعقاب اتفاقية أوسلو وغياب الأمل لديهم بالحرية، فبدون شك عاشت الحركة الأسيرة حالة من التراخي في تلك الفترة، لكن الأسرى لم يتراجعوا عن إرثهم النضالي والاعتقالي، ولم تتمكن إدارة مصلحة السجون من النيل من إنجازاتهم التي حافظوا عليها على مدار سنوات الاعتقال، قبل وبعد اتفاقية أوسلو وحتى يومنا هذا.

## 9. دراسة أ. محمد أبو شريعة (2013م) بعنوان: (الحركة الأسيرة وتأثيرها في السياسة الفلسطينية 2006 - 2012)(67).

ناقش الباحث من خلال رسالة الماجستير لكلية الاقتصاد والعلوم الإدارية بجامعة الأزهر بغزة مدى تأثير الحركة الأسيرة في السياسة الفلسطينية وتأثيرها وتأثرها بها، وقسم الباحث دراسته إلى خمسة فصول، أولها إطاراً نظرياً، والثاني: تناول فيه واقع الحركة الأسيرة في السجون ما قبل اتفاقية أوسلو، والثالث خصص لموقف الحركة الأسيرة من الاتفاقيات الفلسطينية الإسرائيلية، والرابع عن علاقة الحركة الأسيرة بالمؤسسات الوطنية والعربية والدولية والخامس تناول مساهمة الحركة الأسيرة في صناعة القرار السياسي الفلسطيني.

وبالعموم ركز الباحث على الدور البارز الذي لعبته في بلورة وثيقة الوفاق الوطني الفلسطيني التي تم الإعلان عنها في مايو 2006م في أعقاب حالة الانقسام الفلسطيني وفشل كل المحاولات المجتمعية والسياسية والمبادرات الداخلية والخارجية من أجل رأب الصراع

(67) محمد أبو شريعة: مرجع سابق.

الفلسطيني الداخلي بين حركتي فتح وحماس، وما خلف ذلك من آثار جسيمة على واقع الشعب الفلسطيني على كل المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، واعتبر الباحث أن للحركة الأسيرة تاريخ حافل بالبطولة والقوة والتضحية وأنها الأقدر على توجيه البوصلة الفلسطينية نحو الطريق الصحيح والضغط على القيادة الفلسطينية بمختلف اتجاهاتها من أجل تغليب مصلحة الشعب الفلسطيني وقضيته على النزاعات الفصائلية الداخلية.

ويرى الباحث أن أ. أبو شريعة استطاع من خلال دراسته إبراز دور الأسرى وتأثيرهم في السياسة الفلسطينية، وشكلت دراسته إحدى المراجع المهمة له في المبحث الثالث « وثيقة الوفاق الوطني أساس للمصالحة الفلسطينية »، وتمنى الباحث على (أ. أبي شريعة) لو تناول بعمق انعكاس المتغيرات السياسية على الواقع الاعتقالي، خاصة الانتفاضتين « 1987 - 2000م » كحدثين سياسيين مركزيين أثرا على الحركة الأسيرة في السجون.

## 10. دراسة إسماعيل الداعور (2013م) بعنوان: (دور الأسرى في الحركات السياسية الفلسطينية (-1987 2006م)(68).

قدم الباحث أ. الداعور دراسته للحصول على درجة الماجستير في العلوم السياسية من كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية بجامعة الأزهر - غزة، واستعرض الباحث في دراسته دور الأسرى المحررين في الحركات السياسية، والتعرف على سمات الأسرى المحررين بتوجهاتهم السياسية والثقافية والأيدولوجية والاجتماعية، ومدى انخراطهم في الحركات السياسية، ومعرفة أهم التحديات والمعوقات والعراقيل التي تحول دون مشاركة المحررين في لعب دور بارز بصنع القرار السياسي داخل الحركات السياسية الفلسطينية، وتناولت الدراسة نجاحات الحركة الوطنية الأسيرة في تقديم نماذج يحتذى بها في النضال والفكر الثوري والممارسة السياسية، ومشاركة أبناءها من المحررين في صنع القرار السياسي، وتحديث عن تجارب الأسرى المحررين في الحركات السياسية داخل فلسطين المحتلة وخارجها، وخاصة في أعقاب عملية تبادل 1985م ووصول المحررين إلى أعلى سلم قيادة التنظيمات الفلسطينية، وألقت الدراسة الضوء على أهمية دور الأسرى المحررين في الحركات السياسية و صياغة المشروع الوطني الفلسطيني في مناهضة السياسات العنصرية والمشروع الصهيوني.

وبلا شك تعتبر الدراسة مرجعاً لأي باحث للتعرف على دور الأسرى المحررين في المشاركة السياسية في الحركات السياسية الفلسطينية، وتمنى الباحث على أ. الداعور لو تناول خلال دراسته آليات بناء هذا الكادر التنظيمي، ومحطات تدرجه ثقافياً وتنظيمياً خلال الاعتقال، والتعرف على البرامج التي جعلته قادراً ومؤهلاً لتبوء مكانة كبيرة في المجتمع الفلسطيني بعد التحرر.



## 11. أحمد أبو السعود (2014م) بعنوان: (ومضات من خلف القضبان)(69).

استعرض «أبو السعود» الذي عاش تجربة الاعتقال لخمسة وعشرين عاماً متواصلة، وتم تحريره من الأسر في صفقة « وفاء الأحرار- 2011م » - في دراسته موجزاً عن بدايات الحركة الوطنية الأسيرة وقسوة ظروف الاعتقال في البدايات، ومراحل تطور الاعتقال وأشكال نضالات الأسرى، ونشأة الجماعة الإسلامية وتنامي قوتها والتحويلات على الهيئة القيادية في السجون، وتناول الإضرابات المفتوحة عن الطعام بشقيها المطلبي والسياسي، وانعكاس اتفاقية أوسلو والانقسام الفلسطيني على الأسرى، وتطرق للكثير من الوقائع والأحداث والتطورات والنشاطات التي أثرت على مسيرة الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، وحياة الاعتقال من مختلف جوانبها.

ويرى الباحث أن الكاتب « أبو السعود » تميز بالنظرة النقدية للأحداث، وقدم مقترحات عملية ملموسة وذات قيمة في محاولة وضع الحلول المناسبة لمناحي حياة الاعتقال بما يحقق المزيد من الانتصارات وزيادة الفعالية المطلوبة لنضال الأسرى وتحقيق أهدافهم ومطالبهم العادلة، بالإضافة لتوثيق الكاتب لمحطات نضالية مركزية تُوّجت بالعشرات من الشهداء، والتي أنجزت عدداً كبيراً من الحقوق الأساسية للأسرى الفلسطينيين، كانت قد تنكرت لها إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية.

وشكل الكتاب مرجعاً مهماً في عدد من مباحث الدراسة، ولكن الباحث وجد أن الكاتب « أبو السعود »، تعمق في تأريخ الكثير من المتغيرات وفقاً لتجربة الرفاق في الجبهة الشعبية التي انتمى الكاتب إليها، وبلا شك ستكون الدراسة أشمل لو عرّج الكاتب على تجارب التنظيمات الفلسطينية الأخرى التي عاشت ظروفًا وبرامج مختلفة.

## 12. دراسة د. فهد أبو الحاج (2014م) بعنوان: (التجربة الديمقراطية للأسرى الفلسطينيين في المعتقلات الإسرائيلية في الفترة 1967-2007م)(70).

تناول الباحث الأسير المحرر د. أبو الحاج الذي أفرج عنه في صفقة تبادل 1985م في دراسته تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة من حيث نشأتها والظروف الموضوعية التي أحاطت بها، وركز على نضال الأسرى من أجل تطوير ظروفهم الحياتية اليومية، وتتبع الباحث ولادة وتطور مفاهيم العمل الديمقراطي لدى فصائل الحركة الأسيرة الفلسطينية، مشيراً للعوامل الذاتية والموضوعية المؤثرة فيها، وكذلك آليات وأدوات تطبيق الديمقراطية كنظام حكم ونظام حياة من خلال تراكم التجربة ونضوجها من نشوء القيادة الفردية إلى القيادة الجماعية وصولاً لإدخال مفاهيم الانتخابات وتداول السلطة وصياغة لوائح داخلية مفصلة تتناول مناحي الحياة اليومية كافة ووجود هيكلية تنظيمية واضحة.

(69) أحمد أبو السعود: ومضات من خلف القضبان، غزة، فلسطين، وزارة الثقافة، 2014.

(70) فهد أبو الحاج: التجربة الديمقراطية للأسرى الفلسطينيين في المعتقلات الإسرائيلية في الفترة 1967-2007، القدس، فلسطين، مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، 2014م.

واستعرض د.أبو الحاج في دراسته الحالة الديمقراطية داخل الفصيل الواحد، وبين فضاء العمل النضالي في المعتقلات، وتمثيل هذه العلاقات بطريقة ديمقراطية، والوصول إلى بناء المؤسسات الاعتقالية، ووضع دستور ونظم داخلية ديمقراطية تحكم هذه العلاقات وآليات تطبيقها.

وشكلت دراسة د.أبو الحاج مرجعاً للباحث في فصل مظاهر الإبداع في السجون، ولكن الدراسة اقتصر على التجربة الديمقراطية لفصائل منظمة التحرير الفلسطينية، ولم تتطرق لتجربة التنظيمات الإسلامية التي عاشت تجربة مماثلة في حياتها الاعتقالية وفي أدبياتها، ولوائحها الداخلية، وممارستها التنظيمية وعلاقاتها ومشاركتها في المؤسسات الاعتقالية على قاعدة الديمقراطية وحسم المواقف بالتراضي أو بالأغلبية.

### 13. مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة (2014م) بعنوان: (موسوعة الأسرى الفلسطينيين والعرب - الجزء الأول)(71).

هدفت الموسوعة لتوثيق تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، من خلال سرد التجارب الفردية والجماعية للأسرى، وقدمت تفسيرات علمية شاملة ووافية حول ظاهرة الأسرى الفلسطينيين والعرب داخل المعتقلات والسجون الإسرائيلية منذ أن عرفت فلسطين عهد الاحتلال المتتالي، وذلك من خلال تقديم الإجابة على الأسئلة المثارة حول موضوع الاختصاص وهو «الأسرى»، واعتمدت الموسوعة على مقابلات مع الأسرى في السجون والمحربين خارجها، وتطرق للمصطلحات الأساسية المتداولة في السجون، وإنتاجات الأسرى الأدبية، وشهداء الحركة الأسيرة، والتعريف بالسجون وبالتعريف بالحركة الأسيرة وبداية نشأتها وتطورها وأشكال التعذيب والانتهاكات الإسرائيلية بحق الأسرى والأسيرات.

واعتبر الباحث الموسوعة عملاً ضخماً ومهماً لم يسبق له مثيل في توثيق وتاريخ تجارب المعتقلين المنوعة في السجون، والتعريف بالمصطلحات والمفاهيم الأساسية المستخدمة في حياتهم الاعتقالية، وتوثيق أدبيات الأسرى، وشهداء الحركة الوطنية الأسيرة، والتعريف بالسجون والمعتقلات بالشرح والصورة، ولكن الموسوعة في جزئها الأول لم تتناول التجربة الأدبية لعدد كبير من الأسرى وفق قوائمها، وافتقرت لتنوع التجارب والشهادات، وستكون الموسوعة في أجزائها الأخرى مميزة حينما تكون شاملة ومنوعة في عرضها لكل التجارب والانتماءات السياسية بشكل متوازي.

### 14. د. نداء البرغوثي (2014م) بعنوان: (أسرى الحرب في القانون الدولي) (72).

جاءت هذه الدراسة لتعالج جانباً جوهرياً في قضايا الأسرى من حيث القواعد العامة لنظام أسرى الحرب في القانون الدولي المعاصر، ومدى انطباقها على المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، بهدف التعرف على الوضع القانوني لهؤلاء المعتقلين، وتحديد القانون واجب

(71) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة - جامعة القدس: مرجع سابق.  
(72) نداء البرغوثي: مرجع سابق.

التطبيق عليهم، والحقوق المقررة لهم، والوسائل التي يمكن من خلالها حمل إسرائيل على أداء التزاماتها الدولية اتجاههم.

واحتوت الدراسة على عدد من المباحث ذات العلاقة بالوضع القانوني، بدأت بالتطور التاريخي لنظام أسرى الحرب وخصائصه، وانتهت بسياسة إسرائيل اتجاه الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين، وموقفها من تطبيق الأحكام الخاصة بأسرى الحرب على الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين.

وتميزت الدراسة بالمنهجية الأكاديمية كونها قدمت للحصول على درجة الدكتوراة في العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة، واتسمت بتنوع مصادرها وخاصة الأجنبية، وشكلت الدراسة مرجعاً للباحث في الجانب القانوني، وتمنى الباحث من "د. نداء" لو استندت للمراجع العبرية في مبررات تنكر دولة الاحتلال بالتعامل مع الأسرى والمعتقلين في سجونها بناءً على الاتفاقيات الدولية وخاصة اتفاقية جنيف الثالثة والرابعة.

## 15. دراسة الباحث عبد الناصر فروانة (2015) بعنوان: (الأسرى الفلسطينيون.. آلام وآمال) (73).

تناول الباحث والأسير المحرر فروانة في الكتاب عدداً من القضايا المهمة ذات العلاقة بالقضايا الاعتقالية بدأها بالخلفية التاريخية للسجون والمعتقلات ومراحل تطورها، والتعذيب الجسدي والنفسي، وانتهى بشهداء الحركة الوطنية الأسيرة، مروراً بانتهاكات متعددة يتعرض لها الأسرى في حياتهم اليومية الاجتماعية والمعيشية، وتطرق لخصوصية أسرى القدس والمناطق الفلسطينية المحتلة عام 1948م، وقضية الأسرى العرب كجزء أصيل من مكونات الحركة الأسيرة، وتحدث الكتاب عن الأوضاع الثقافية والتعليمية والإضرابات المفتوحة عن الطعام والإنجاب من خلف القضبان وتهريب الهواتف النقالة، وعمليات تبادل الأسرى والعملية السياسية وأثارها على واقع الأسرى.

واعتبر الباحث كتاب المحرر فروانة مميّزاً ومنوعاً عن الحركة الأسيرة وتاريخها، كونه عرّج على عدد كبير وواسع من الموضوعات، وشكل مرجعاً للباحث في الكثير من فصول الدراسة، ولكن الكتاب افتقر لقامة المصادر والمراجع، ولتوثيق تجارب وكتابات وأبحاث سابقة تعززه وتثريه، وتم طرح معظم القضايا بإيجاز نظراً لتنوعها وتزاحمها.

(73) عبد الناصر فروانة: الأسرى الفلسطينيون.. آلام وآمال: مرجع سابق.

## التعقيب على الدراسات السابقة:

من خلال عرض الباحث للدراسات السابقة لم تطرق الكتب المتخصصة بالإبداع « إبداعات الأسرى » بل أسقطت نظريات الإبداع على الكثير من الشرائح المجتمعية دونهم، حتى الدراسات التي تناولت موضوع الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة من جوانب مختلفة، لم تتطرق غالبيتها لهذا الموضوع، والدراسات التي تناولت بعض مظاهر الإبداع لم تكن بشكل منهجي ومعمق بل ظهرت في سياق الدراسات كموضوع فرعي، ولأن دولة الاحتلال تكشف من الحملات الإعلامية التي تشوه صورتهم الإنسانية فشكلت الدراسة بمضمونها الإنساني والأخلاقي والإبداعي رداً على تلك الحملات.

وبلا شك أن الدراسات السابقة ساعدت الباحث في بناء منهجية دراسته وتكوين رؤية عن مجمل الجوانب المتعلقة بظروف الاعتقال من الناحية التاريخية، ومن خلالها تم التعرف على وثائق وبيانات الحركة الأسيرة وتاريخ السجون، والأساليب الإحصائية للباحثين في تحليل النتائج وتوصياتهم، وأغنت تلك الدراسات هذه الدراسة بالخبرات الواردة فيها، ووجد الباحث أن الكثير من الدراسات السابقة كانت عامة ولم تستقي معلوماتها من المصادر الأولية كالرسائل الداخلية بين الفصائل ومرجعياتهم في الخارج والمقابلات مع أسرى محررين وخاصة من الكوادر التي تحررت في صفقة وفاء الأحرار (2011م) من ذوي المحكوميات العالية ومن أمضوا فترات طويلة وصلت لثلاثين عاماً متواصلة، ومن تلك الدراسات السابقة من تناولت فترات قديمة باستثناء عدد قليل من الدراسات الجديدة، وبغالبيتها لم تشمل إبداعات الأسرى الحديثة كهريب وسائل الاتصال لكسر منع الزيارات، وتهريب النطف كثورة إنسانية، والإضرابات المفتوحة والأطول عن الطعام في الأعوام ما بين (2012 - 2015م) ضد الاعتقال الإداري، وغيرها من مظاهر الإبداع التي ستتناولها دراسة الباحث، كما وأن الدراسات السابقة وإن تطرقت لأفكار هنا وهناك إلا أنها بدت مشتتةً بين مطالب البحث الأكاديمي الصارمة، التي تتطلب الالتزام بعنوان محدد والاتصاف به، وبين شخ المعلومات والمصادر الأولية، كما وجد الباحث بأن هناك اختلافات عديدة بين الرسائل والكتابات البحثية، الأمر الذي أنتج تداخلات وتشابه بين الدراسات، واختلاف الروايات.

## تقسيم الدراسة المقترحة:

قام الباحث بتقسيم دراسته إلى إطار نظري وأربعة فصول و خاتمة، تضمن كل فصل منها أربعة مباحث، كان أولها مقدمة عن نشأة الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، ومظاهر التضييق والانتهاكات بحق الأسرى في الكثير من النواحي، واجتهد خلالها في تقسيم مراحل تطور الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، والوسائل النضالية التي اتبعها الأسرى في مواجهة الاحتلال، وعوائق سلطات الاحتلال لطمس الجوانب الإبداعية للمعتقلين، وبيّن في الفصل الثاني العوامل التي ساهمت في تنمية الإبداع لدى الحركة الأسيرة، والآليات الاعتقالية لتطوير منظومة الجوانب الإبداعية داخل السجون، وانعكاس المتغيرات السياسية على واقع الأسرى وإنجازاتهم، وعرض الباحث بالتحليل في الفصل الثالث وسائل الاحتلال لتفريغ المعتقلين من

محتواهم النضالي والثقافي، والمسيرة الثقافية للحركة الأسيرة، والعوامل التي ساعدت في ظهور أدب السجون، والمسيرة التعليمية للأسرى كأحد أهم مظاهر الإبداع في السجون، وتجلت تلك المظاهر في الفصل الرابع بتناول الإضراب المفتوح عن الطعام (التعريف، والجذور، والأنواع)، وظاهرة أطفال النطف المهربة كحالة نضالية مستجدة في تاريخ حركات التحرر العالمية، وجهود المعتقلين الفلسطينيين في إنهاء الانقسام الفلسطيني على الساحة السياسية الداخلية من خلال « وثيقة الأسرى » كأساس للمصالحة، والتجربة الديمقراطية في السجون وانعكاسها على حياة الأسرى، وانتهت الدراسة بالخاتمة والنتائج والتوصيات وقائمة المراجع.





**الفصل الأول**  
**الحركة الأسيرة النشأة والتطور**

# الفصل الأول

## الحركة الأسيرة الناشئة والتطور

وثق المؤرخون الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة من العام 1967م في أعقاب هزيمة حزيران، واحتلال ما تبقى من فلسطين التاريخية، وزجّ الآلاف من أبنائها في معتقلات الاحتلال وارتفاع عددهم بشكل كبير، بحيث أصبحت حياة المعتقل ظاهرة بارزة في حياة الشعب الفلسطيني ككل (74)، في أعقاب بلورة القواعد الأساسية وظهور الحركات والتنظيمات الفلسطينية وبرز الأعمال الفدائية ضد الاحتلال الإسرائيلي.

وللتأريخ فإن جذور الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة لا تنحصر بالعام 1967م بل تعود لفترة الانتداب البريطاني لفلسطين الذي سجن الثوار وأعدمهم في سجن عكا « عطا الزير ومحمد مجوم وفؤاد حجازي » في العام 1933م والشيخ المجاهد فرحان السعدي والشيخ يوسف أبو دية في العام 1939م واعتقال العشرات من المقاومين أمثالهم، وتشير الوثائق إلى أن العصابات الصهيونية أقامت معسكرات اعتقال للفلسطينيين وتصفية البعض منهم خلال حرب 1948م (75)، وهناك صعوبة كبيرة في تحديد عدد الأسرى الذين تم اعتقالهم في السجون الإسرائيلية في الفترة ما بين 1948 - 1949م في أعقاب الحرب من الفلسطينيين والعرب، لأن الإحصائيات المتوفرة جزئية في تلك الفترات، وعليه فقد تباينت المصادر بشأن العدد الدقيق الذي يتراوح ما بين 7000 معتقل كحد أدنى و 12000 معتقل كحد أقصى (76).

سيتناول الباحث في هذا الفصل أربعة مباحث تتحدث عن نشأة وتطور الحركة الأسيرة، وسيتناول في المبحث الأول: تعريف عام بالحركة الوطنية الأسيرة وبداياتها، ومراحل تطورها، ومعاملة إدارة مصلحة السجون وانتهاكاتها بحق الأسرى، وفي المبحث الثاني سيتطرق لمظاهر التضييق، والوضع القانوني لهم، وفي الثالث سيوضح الوسائل النضالية التي استخدمها الأسرى كحالة إبداع في مواجهة الاحتلال لتحقيق حقوقهم، وفي الأخير سيبيّن، عوائق سلطات الاحتلال لطمس الجوانب الإبداعية للأسرى وكيفية التغلب عليها من قبل المعتقلين.

(74) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص 11.

(75) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص 18.

(76) مصطفى كها، وديع عواودة، أسرى بلا حراب « المعتقلون الفلسطينيون والمعتقلات الاسرائيلية الأولى 1948 - 1949، بسروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2013، ص 21.



# المبحث الأول

## الحركة الأسيرة تاريخها ومراحل تطورها

تناول المؤرخون والباحثون في قضايا الأسرى ظروف الاعتقال في أعقاب « نكسة حزيران من العام 1967م »، والتي حرصت سلطات الاحتلال الإسرائيلي منذ البدايات على معاينة المناضلين الفلسطينيين وإبقائهم في ظروف اعتقالية متدنية للغاية في تلبية احتياجات الإنسانية الأولية، وما نقصده بشروط الاعتقال هي مجمل الشروط المادية التي يوفرها السجن لقاطنه لأجل ممارسة حياته بصفته كائناً حياً في المعاملة والسكن والمنام والملبس والمأكل والعلاج الطبي<sup>(77)</sup>.

في هذه المرحلة تجرّع المعتقلون الأوائل مرارة سياسة استهدافهم من أبواب كثيرة وطنية ونفسية واجتماعية وفكرية، فقد اتبعت حكومة إسرائيل في هذه المرحلة كل الأساليب الممكنة لأجل تحقيق هدفها في تطويع المناضل الأسير لإخضاعه تمهيداً لشطبه وطنياً وإنسانياً<sup>(78)</sup>.

وحيثما يتحدث الباحث عن الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة يقصد بها « جموع الأسرى والأسيرات الذين دخلوا السجون » كون أن إسرائيل اعتقلت منذ بدء احتلال فلسطين آلاف النساء من بينهن أمهات وقاصرات وكبيرات سن<sup>(79)</sup>، شاركن في المقاومة، ورفعن أصواتهن عالياً مطالبات باسترداد حقوقهن المغتصبة وأرضهن السليبية<sup>(80)</sup>، فساهمت المرأة الفلسطينية وشاركت بفعالية وعطاء في كل مجالات العمل النضالي الكفاحي<sup>(81)</sup>، وامتشقت البندقية وقاومت وخاضت غمار الكفاح المسلح<sup>(82)</sup>، وتعرضت للاعتقال والإبعاد والإقامة الجبرية<sup>(83)</sup>، وفي السجون خاضت الأسيرات العديد من النضالات والخطوات الاحتجاجية والإضرابات المفتوحة عن الطعام في سبيل تحسين شروط حياتهن المعيشية، والتصدي لسياسات القمع والبطش اللواتي تعرضن لها<sup>(84)</sup>.

في هذا المبحث سيتناول الباحث ظروف الاعتقال الأولى، وتقسيم مراحل تطور الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة ومراحل النضال، وذروة تحقيق الإنجازات والانتصارات، والإضاءات المشرقة والإبداعية فيها.

(77) عيسى قراقع: مرجع سابق، ص 24.

(78) وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية: <http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=3999>

(79) فراس أبو هلال: معاناة الأسير الفلسطيني، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2009 ص 85.

(80) وليد الفاهوم، فلسطينيات في سجن النساء الإسرائيلي، عمان، دار الجليل للنشر، 1985، ص 7.

(81) سامي الأخرس: فيروزيات نضالية، غزة، فلسطين، مطبعة الأندلس، 2015، ص 49.

(82) جمعية الدراسات النسوية، المجموعة العربية للتنمية: الأسيرات المحررات الفلسطينيات، غزة، فلسطين، شركة مطابع بيت المقدس، 2014، ص 5.

(83) وليد الفاهوم، الحركة النسائية الفلسطينية، رام الله، مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 2000، ص 95.

(84) غادة بدر: مرجع سابق، ص 84.

## أولاً - ظروف الاعتقال الأولى:

باجماع الباحثين، كانت بدايات الاعتقال لا تصلح للحياة الآدمية، وبعيدة كل البعد عن شروط الحياة الإنسانية، والاتفاقيات والمواثيق الدولية التي وضعت قوانين وقواعد لمعاملة الأسرى وقت النزاعات والحروب، ولم تكن تلك المعاملة عفوية أو نتيجة لظروف سياسية معينة بل كانت ممنهجة من قبل الحكومات الإسرائيلية وإدارة مصلحة السجون.

وللمقارنة بين سجون الاحتلال الإسرائيلي بسجون أخرى في العالم، وتجربة المعتقلين الفلسطينيين بأسرى آخرين من حركات التحرر العالمية، وجد الباحث أن السجون الإسرائيلية تعد من أسوأ سجون العالم، وانتهاكات سلطات الاحتلال بحق المعتقلين غير مسبوقه في الكثير من نواحي الحياة - وعلى سبيل المثال لا الحصر - تحدث نلسون مانديلا في مذكراته التي نشرت في العام 1994م بعد خروجه من السجن بعد 27 عاماً من الاعتقال في سجون نظام الفصل العنصري «الابرتهايد»، عن تجاربه في الزراعة حيث وافقت إدارة السجن السماح له بزراعة قطعة صغيرة، وكانت تجاربه في الزراعة محلاً للاحتفال والذكر في رسائله لزوجته، في مقابل ذلك منعت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية عن الأسرى الفلسطينيين كل مظهر للحياة في سجونها.

ويعتبر الباحث أن السجون الإسرائيلية أقسى بظروف اعتقالها من أسوأ عشرة سجون على مستوى العالم وهي «سجن ألكاتارز الاتحادي الأميركي الذي يضم أخطر المساجين على الإطلاق، ومعسكر 22 السياسي الذي تم إنشاؤه عام 1965م في شمال كوريا في مكان منعزل تماماً وحراسته بالكلاب والأسلحة الحديثة، وإحاطة السجن بسور مكهرب لإحباط أي محاولات هرب، و سجن سان كوينتين الأميركي المكتظ بولاية كاليفورنيا، وسجن غوانتانامو الذي أقامه جورج بوش (الرئيس الأميركي السابق) من أجل حربه مع العراق وأفغانستان، واشتهر هذا السجن بإجراءات التعذيب، وسجن نيروبي بكينيا، وسجن فلورانس الأميركي الذي أنشئ من أجل احتواء أشد المساجين شغباً والمشتهر بالعزل الانفرادي، وسجن سانت الفرنسي الذي أنشئ عام 1867م، وهو واحد من أهم ثلاثة سجون في فرنسا، وتم استخدامه أثناء الحرب العالمية الثانية، وتأقلم السجناء فيه مع الفئران وقضية الازدحام، وسجن مينتوزا بالأرجنتين المعروف بالازدحام وقضاء الحاجة بالزجاجات مما يجعل هناك روائح كريهة وانتشار الأمراض، بالإضافة إلى عدم وجود عناية طبية كافية، وسجن سايبينيتا الفنزويلي المزدهم والمشهور بسوء العناية الطبية واستخدام أسلحة نارية.

ويرى الباحث أن الظروف المعيشية لأسوأ عشرة سجون في العالم مجتمعة موجودة في سجون الاحتلال من إجراءات التحقيق والتعذيب وقتل الأسرى باستخدام الأسلحة الحية، وسوء الطعام، والاحتفاظ، والتفتيشات العارية، والاقحامات الليلية، والاستهتار الطبي، وانتشار الحشرات ومنها السامة وخاصة في سجون ومعتقلات والأماكن المنعزلة والنائية في صحراء النقب، والأسوار الشاهقة واستخدام الكلاب في التفتيشات.

ويعتقد الباحث أن استخدام مصطلح "الباستيلات الصهيونية" نسبة إلى سجن الباستيل الذي أنشئ في فرنسا بين عامي 1370 و1383 كحصن للدفاع عن باريس ومن ثم كسجن للمعارضين السياسيين والمحرضين على الدولة والجناة أخلاقياً يعد تقييداً من قسوة الحياة في السجون الإسرائيلية، فلحظة افتتاح السجن من قبل الثوار الفرنسيين عند الساعة السابعة عشرة والنصف من الرابع عشر من تموز 1789م، لم يجد الثوار في سجن الباستيل سوى سبعة من السجناء من مزوري العملة، والصابين، والمصابين بالأمراض العقلية، والمتهمين بالجنح الأخلاقية، ولم يجدوا سجناء الملك المكبلين بالسلاسل، ولا كل المبالغيات التي روجها عوام الناس في فرنسا عن أحوال السجن وأعداد معتقليه، على العكس تفاجئوا بغرف كبيرة مشرقة ومكتبة منظمة، ولم يجدوا الزنازين السيئة التي وصفت وصفاً مرعباً في التصاوير، وبناءً على شهادة أحد السجناء، كان السجن في القرن الثامن عشر مريحاً، لأن الطعام كان جيداً، والورق والحبر كانا متوافرين، وكانت مصاريف السجن على نفقة الملك بشكل مباشر، ولهذا يجد الباحث أنه من التجني إسقاط كلمة الباستيلات على سجون ومعتقلات الاحتلال الإسرائيلي، لأنها أكثر جرماً وأشنع ممارسة، وأصعب وأقسى حالاً منه<sup>(85)</sup>، من حيث طريقة الاعتقال، وما صاحبها من إرهاب وتحقيق واستهداف أخلاقي وأمني وتعذيب نفسي وجسدي، وتضييق كبير على الأسرى الفلسطينيين في كل تفاصيل ومجالات الحياة.

وللاطلاع على واقع السجون الاسرائيلية في بدايات الاعتقال أجرى الباحث عدد من المقابلات النادرة مع أسرى محررين عايشوا بدايات الاعتقال في السجون الاسرائيلية ممن بقوا على قيد الحياة، منهم الأسير المحرر عمر خليل عمر المعتقل في يناير 1968، الذي وصف هذه المرحلة عبر مقابلة مع الباحث بالصعبة جداً، وليست ذات أي معنى للحياة، فلا كتاب ولا راديو ولا تلفاز ولا صحيفة، كنا مقطوعين عن العالم الخارجي، بلا زيارات للأهل، ولا طعام نظيف ولا علاج للمرضى، ومنعونا من التعليم والندوات والجلسات الثقافية، ومنعوا عنا النوم في النهار، والمعاملة كانت صعبة.

ولم تكن معاملة الأسيرات بأفضل حال من معاملة الرجال، فالأسيرة المحررة الدكتورة مريم أبو دقة والتي اعتقلت في العام 1969 وصفت ظرف الأسيرات عبر مقابلة مع الباحث بالقاسي جداً وقالت: عاملونا بالكثير من العنف، واستخدوا معنا في التحقيق التهديد النفسي والاعتداء الجسدي ووسائل الترغيب والترهيب، وبعد التحقيق لم يدخلوا لنا ملابس بل ادخلوا لنا البجامة الرجالية التي تتسع لاثنتين أو أكثر، وسمحوا لنا بخمس دقائق حمام، وإذا لم تنتهي بهذه السرعة فتحوا علينا الباب، وأجبرونا على النوم الساعة العاشرة مساءً، وكانوا يمارسون الدهاء لتحسين صورتهم امام العالم، وذات مرة قالوا لنا: اطلبوا ما تشاءون، فطلبنا منهم الكثير من الطلبات حتى الفرشة، واحضروها لنا مستغربين، حينها عرفنا أن في الأمر شيء، وبالفعل كانت زيارة لمنظمة الصليب الأحمر الدولي في اليوم التالي للاطلاع على ظروف اعتقالنا.

(85) مركز الأسرى للدراسات: <http://alasila.ps/ar/index.php?act=post&id=27884>

أحد عمداء الأسرى المحرر سليم حسين الزريعي ” الملقب بمنديلا فلسطين ” والذي اعتقل في العام 1970، وأمضى في السجون 27 عاماً متواصلة قال عبر مقابلة للباحث: اتسمت تلك الفترة بالقهر والمعاناة الكبيرة، فلم تسمح فيها لنا إدارة السجون بالجلوس أو الحديث داخل الغرفة وخارجها، وفي حال تم مشاهدة مجموعة تجلس مع بعضها، يتم اقتحام الغرفة والاعتداء عليهم، ومعاقبتهم ونقلهم إلى الزنازين، وكنا مجبرين بالرد على السجناء بكلمة ” نعم يا سيدي ”، و كان الأسرى يدخلون الحمام للاستحمام مرة واحدة كل أسبوع، ويتم تعرية الأسرى كاملاً بشكل مهين وبشع جداً أمام ناظر الآخرين ممن معه، ولأقل من خمس دقائق ثم يخرجوه قبل أن ينتهي، ومن الأسرى من كان يرفض الذهاب للحمام ويغتسل في الغرفة بالماء البارد بطريقته الخاصة، كنا نشعر بأن الحياة عبء في ظل تلك السياسة، كنا نتمنى لو استشهدنا على أن لا يتم اعتقالنا بهذه الظروف.

وأضاف الزريعي أن الأسير ملزم بالاستيقاظ ما بين الساعة الخامسة والنصف إلى السادسة صباحاً مستعداً ومنتظراً العدد المسمى ” السفيراه ” ثلاث مرات يومياً في الصباح والظهر والمساء، وكلما اقتضت الحاجة لذلك، وعلى الأسير حين سماع صافرة العدد، أن يقوم بطي فرشته وبطاينة بطريقة عسكرية، حيث يمر ضابط القسم من فترة لآخرى للكشف على حالة الانضباط والانصياع للأوامر، وعلى الأسير أن يجلس منتعلاً حدائه، مستعداً للعدد القادم وعليه أن لا يرفع رأسه بالنظر إلى ضابط العدد، إضافة ” لجلوس كل خمسة أسرى معاً إلى أن ينتهي العدد“.

وكان التدخين مسموح ولكن تحت رحمة السجناء، حيث كان يطلب من السجناء إنهاء تدخين الاربع سجائر بساعة النظهة، ومن يريد إشعال سيجارته عليه أن يطلب بأدب من السجناء ويقول له لو سمحت أريد ولاعة يا سيدي.

” كما كان يمنع على الأسير امتلاك الأوراق أو الأقلام أو الكتب ومن يضبط بحوزته أيّاً منها، كانت غرفته تتعرض لتفتيش دقيق يتم خلاله قلب الغرفة وتحطيم محتوياتها والعبث بأغراض وملابس الأسرى الآخرين“.

لم تكن شهادة الأسير المحرر أحمد عبد الرحمن ابو حصيرة الذي أمضى 35 عاماً على اعتقاله، كان أولها في العام 1970 وصف بدايات الاعتقال والمعاملة عبر مقابلة مع الباحث بالمعاملة اللانسانية وقال: كانوا يعطون الحلاق شفتين فقط ليحلق لخمسين أسير على الصفر، وأذكر أنه تم الاعتداء علينا بوحشية لأن إحدى الشفر فقدت بعد الحلاقة، وكل ممتلكاتنا هي 4 بطايات براءة تنتمه ومنتسخة، ولم يوجد وسادات بل كنا نضع الحذاء تحت رؤوسنا وعليه بطاينة، وقطعة بلاستيكية نضعها تحتنا بسمك 1سم وصحنان ” قروانان ” وكاسة بلاستيك وملعقة، ووقت العدد يجب أن نكون على ركبنا وأمامنا تلك الأغراض ونبقى ولو لساعات حتى ينادى الضابط أن العدد صحيح، وكانت إدارة السجون تمنع الأذان، وكنا نتناوب على الأذان رغم العقاب، والزيارات كل شهر مرة نصف ساعة، ولا يوجد صلاة جمعة، وكنا نصلى

فقط العيد جماعة بخطيب يحضروه لنا من خارج السجن، ولم يسمح بامتلاك الملابس بل كل ما نلبسه الغيار الداخلى وأبرهول، وكنا نعاني من الأمراض الجلدية والقمل، حتى أننا ذات مرة جمعناه وقدمناه للصليب الأحمر حينما زارنا ليصدق ما نقول، ولا يوجد مرحاض في الغرفة بل ثلاث جرادل ” واحد للبول والثاني لقضاء الحاجة والثالث للقمامة ” وكنا ننام على الجنب كون أن كل شخص يحظى بما لا يزيد عن 30 سم، ومن يذهب لقضاء الحاجة لن يستطيع العودة لمكانه بعد فقدانه، وقد يبقى واقفاً في إحدى الزوايا.

اتفقت شهادة الأسير المحرر الدكتور خضر محمود عباس المعتقل في 1970 مع زملائه حينما تحدث عبر مقابلة مع الباحث عن بداية الاعتقال بمرارة: ” كان الأسرى يشعرون بالجوع دوماً، وكان فطورنا من 3 - 4 فرمات خبز، ونصف بيضة مقسومة بالنصف وكأنها ممتددة لأن القشرة باقية عليها بعد الانفصال أو نصف حبة طماطم، وأقل من ملعقة مربى، و4 حبات زيتون، والغذاء صحن زريعة ” شوربة ” وصحن الرز لاثين وصحن الطبخ لأربعة ورغيف الفينو لأربعة، أو صحن مية فاصوليا نرى فيها القشيرات فقط مع قطعة لحم كل أسبوع مرة، أو قطعة سمك كذلك، وكانوا يحضروا لنا ما نسميها بشوربة المكناس أو ” البيقة ” الشبيهة بالبازيلاء، و كان أكل السبت مقززاً بسبب طهيه يوم الجمعة لأسباب دينية عند اليهود لعدم السماح بشعال النار فيه، ووجبة العشاء قريبة من وجبة الفطور، وكانوا يعتدون بالضرب على كل من ينام أثناء النهار“ .

أما عن حالة الحصار والتضييق على الأسرى فوصفها الأسير المحرر محمود سليمان الزق والذي اعتقل في العام 1971 عبر مقابلة مع الباحث بالقول: ” حاصرتنا الإدارة بالكامل، لم تسمح باقتناء الورقة والقلم وحتى الصحف والمذياع والتلفاز كان ممنوعاً علينا، وكان يسمح فقط بسماع صوت اسرائيل باللغة العربية لساعتين، ساعة صباحاً وساعة مساءً للأخبار وأغاني أم كلثوم، وجريدة الأنباء تصدرها المخابرات الاسرائيلية بشكل موجه“ .

وبالإضافة إلى المعاملة غير الانسانية قامت دولة الاحتلال في بداية الاعتقال بتشغيل الأسرى الفلسطينيين وفق نظام السخرة بهدف الاستغلال والإذلال والمهانة فأخرجت بعض الأسرى للعمل في الأعمال الإنتاجية التي تفيد الاحتلال مثل حياكة شبك الدبابات وإنتاج بعض الأمور للمؤسسة العسكرية ” ولم يكن العمل بحد ذاته شيئاً مفيداً او يدفع على الإبداع والتفكير كتشغيل الماكينات أو التدقيق أو الإدارة والمتابعة أو أي شكل من أشكال العمل الذهني والإداري الذي من شأنه أن يمنح العامل القدرة على التفكير وتطوير أدوات جديدة للعمل وغيرها من الأمور المرتبطة بعملية الإنتاج، فهو لم يكن بهدف التعليم أو التأهيل، وإنما هو استغلال بشع للقوة العاملة الأسيرة، وتجسيدها للعبودية التي ولت منذ عقود، ولكن الأسرى رفضوا هذا النظام الإستبدادي.

ومع هذا عدد قليل جداً من الأسرى من خرج للعمل في هذه المرافق، الذي انتهى بدم الشهيد الأسير عمر شلبي " فلسطيني من مخيم النيرب بحلب"، الذي سجل للعمل وهمياً، وحينما خرج قام بتكسير كل الأدوات والآليات وقلب المكان رأساً على عقب فقاموا بضربه حتى الشهادة، وكان دمه مُمّن لوقف نظام السخرة.

في هذه الحقبة لم يهتم المعتقلون بالإنتماء الفصائلي لأنهم لم يكونوا على معرفة وافية بالتنظيمات من حيث بناءها الإداري وهيكلها التنظيمي وأيضاً فإنهم لم يكونوا يميزون كثيراً بين الفصائل المختلفة فهم كانوا يعتبرون أنفسهم أبناء حركة وطنية فلسطينية واحدة، هذا بالإضافة إلى ضعف التجربة فإن مسألة إقامة أطر تنظيمية وتشكل هيكل إدارية لم تستحوذ على اهتمام خالصدى المعتقلين، ومن ناحية ثانية فإن كثيراً من الروابط والعلاقات التي كانت تسود بين المعتقلين في السنين الأولى بعد عام 1967 كانت تقوم على أساس بلدي أو عشائري أو شخصي وأحياناً أخرى على أساس الانتماء لمجموعة أو خلية واحدة قبل الاعتقال

## ثانياً - مراحل تطور الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة:

### 1. اجتهادات الباحثين في تقسيم المراحل:

تجربة الحركة الأسيرة النضالية لم تعبر بطريق مستقيم، بل مرت بمراحل من التقدم والتراجع، والتصاعد والهبوط، وقد تركزت جهودها مرحلة ما قبل أوصلو حول النضال ضد مصلحة السجون لتحقيق شروط حياة أفضل، وقد نجح الأسرى في تسجيل نقلات نوعية بين فترة وأخرى في مسيرة صعبة وشاقة، خاض خلالها الأسرى سلسلة من النضالات الجزئية، والشاملة، فكان الثمن سقوط الشهداء والجرحى<sup>(86)</sup>.

ومن الباحثين من قدم اجتهادات في توثيق تجربة الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، فمنهم من اعتمد على الجانب الثقافي<sup>(87)</sup>، فقسم تطور الحركة الأسيرة لأربع مراحل، الأولى مرحلة القمع الثقافي (1967-1972م)، ومرحلة النضال والتمرد (1972-1980م)، ومرحلة الازدهار (1980-1991م)، ومرحلة التذبذب من (1992 - مستمرة)<sup>(88)</sup>، ومنهم من اعتمد على عملية التطور النضالي وحالة الصعود والهبوط في نضال الحركة<sup>(89)</sup>، وقسمها لخمس مراحل، الأولى: مرحلة حماية الذات الوطنية (1969 - 1971م)، الثانية مرحلة بناء المؤسسة الاعتقالية وتحسين شروط الاعتقال (1972-1979م)، والثالثة: مرحلة تحقيق المنجزات وحمايتها (-1980 1987م)، الرابعة: مرحلة النضال الشامل (1987-1992م)، والخامسة: مرحلة ما بعد اتفاقية أوصلو وانشدادال ذهن نحو الحرية وانعكاسها على واقع الأسرى (1993 - مستمرة)، ومنهم من اعتمد على معيار نشاط المقاومة للشعب الفلسطيني ودرجة العنف الثوري ضد المحتل وانعكاسه على السجون، واعتبر أن الحركة الأسيرة مرت بعدة مراحل منها: (1967-1972م)

(86) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص27.

(87) المركز الفلسطيني لفضايا السلام والديمقراطية: ثقافة تحدث القيد، رام الله، بورشة عمل، 2002، ص16.

(88) المصدر نفسه، ص16.

(89) عيسى قراقع: مرجع سابق، ص24.



مرحلة العنف الثوري والمطاردات والاعتقالات والمحاكمات العالية، والثانية: مرحلة (1973-1981م) حالة من الهدوء في نشاط المقاومة وكان فيها عدد الموقوفين في حد أدنى بسبب استقرار منظمة التحرير ومقاومتها من لبنان، المرحلة الثالثة العمل بالاعتقال الإداري وتبني أساليب العمل الجماهيري والنقابي للمنظمات الفلسطينية (1982-1985م)<sup>(90)</sup>.

ومن الباحثين من استند على توصيف الفترات الاعتقالية وفق حالات السجون المركزية وما مرت به من أحداث وحالات التقدم والتراجع، فاعتبر أن سجن السبع المركزي مر بثلاث مراحل قد تنسحب على باقي السجون والمعتقلات، الأولى: مرحلة تحقيق الإنجازات وبناء الواقع الاعتقالي، والثانية: مرحلة الصدام والمصادمات مع إدارة مصلحة السجون، والثالثة: مرحلة العصر الذهبي، والرابعة: مرحلة الضعف<sup>(91)</sup>، ومنهم من قسم مسيرة الحركة الأسيرة إلى مرحلتين، الأولى مرحلة المخاض بدأت مع بداية الاحتلال الإسرائيلي واستمرت حتى منتصف السبعينيات، والثانية: مرحلة البناء و بدأت من منتصف السبعينيات وحتى طباعة الدراسة في العام 1986م<sup>(92)</sup>، ومنهم من اعتمد على التجربة الشخصية والتنظيمية فقسماها إلى أربع مراحل، أولاها مرحلة النهوض العام وتحقيق الإنجازات القوية ووحدة الحركة الوطنية الأسيرة (1987 - 1993م) والثانية مرحلة التراجع في أعقاب اتفاقية أوسلو وسيطرة فكرة التحرر على أذهان الأسرى (1994 - 2001 م) والثالثة تعتبر حالة استنهاض للحركة الأسيرة (2002 - 2006 م)، والرابعة مرحلة الاستقرار النسبي (2007 - مستمرة)<sup>(93)</sup>، ومن الباحثين من اعتمد على تطور نضالات الأسرى وانعكاسها على واقعهم فاعتبر أن الحركة الأسيرة مرت بأربع مراحل: الأولى بناء المؤسسة الاعتقالية المنظمة (1967-1973م)، والثانية مرحلة تنظيم الصفوف الداخلية (1974 - 1976م)، الثالثة: مرحلة الدفاع عن الحقوق الإنجازات (1977 - 1987م)، الرابعة: مرحلة القمع في أعقاب الانتفاضة الأولى (1987-1993م) والمرحلة الأخيرة ما بعد اتفاقية أوسلو وانتفاضة الأقصى وانعكاسهن على واقع الحركة الأسيرة<sup>(94)</sup> وتلك الفترات الكثير من المحطات المشرفة<sup>(95)</sup>، التي تراكمت عليها إنجازات وإبداعات الاسرى في فترة الدراسة.

(90) جهاد البطش: مرجع سابق، ص40.

(91) حلمى عنقاوي، المراحل الأولى للمسيرة خلف القضبان، رام الله، مطبعة الغد، 1995 م، ص241.

(92) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص76.

(93) أحمد أبو السعود: مرجع سابق، ص143.

(94) إبراهيم أبو النجا: المنسبون في غياهب الاعتقال الصهيوني، القاهرة، مركز الاعلام العربي، 2004، ص13.

(95) محطات مشرفة تطلعت المراحل السابقة : يعتقد الباحث أن حالة الإبداع التي يجب أن تسجل للحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في بداياتها رغم كل ما ذكرنا من ظروف قاسية شهدتها بدايات السجون من حالات قمع وازهاق بحق الأسرى من قبل الحكومة الإسرائيلية وإدارة مصلحة السجون بعد حرب 1967 والتي كانت أساس انطلاق خطوتهم النضالية الجماعية على طريق الحفاظ على الذات الثورية والوطنية ونحو تحقيق الكرامة والعقوق الأساسية والإنسانية والتي تعتبر نواة الحركة الفلسطينية الأسيرة في السجون هو بدء حالة النضال والتمرد والاستنهاض وبدء الحياة التنظيمية والقرار الجماعي واللجان الاعتقالية ووضع اللوائح الداخلية في السجون، وذلك بالتزامن مع بدء الانتماء الفصائلي بين المعتقلين في نهاية الستينيات وبداية السبعينيات، وفي أعقاب اعتقال الجلالي التنظيمية والخبرات الادارية والشخصيات القيادية، التي عملت على « القضاء على حالة التسبب والفوضى من جهة ولواجهة إدارة السجون التي تفرض أوضاعاً قاسية تتناقض مع أبسط القيم والأعراف الدولية والانسانية من جانب آخر( محمد لطفى ياسين: التجربة الاعتقالية في السجون الإسرائيلية، ص115)، ومن أهم ما بلورته هذه التجربة هو بناء الحياة التنظيمية على أساس مركزي، حيث برز لأول مرة هيكل تنظيمي يقوم على أساس المراتب التالية ( موجه عام يقف على رأس التنظيم وموجه قسم وموجه غرفة وموجه خلية، واللجنة المركزية على قمة الهرم التنظيمي تضع السياسة العامة، واللجنة الثقافية، كمشرفة على النشاط الثقافي والجلسات، بالإضافة إلى النشاط الأمني والمالي والاجتماعي مع الضبط الإداري، وترسيخ الالتزام الثوري بالحياة التنظيمية في ظل القانون تحت شعار لا فردية ولا انتهازية ولا مساومة بل روح المجموع وصمود ونضال (قدري أبو بكر: من القمع إلى السلطة الثورية، ص138)، في تلك الظروف شهدت السجون حرباً بكل ما تعنى الكلمة من معنى بين الانسان الأسير المدافع عن انسانيته وذاته الوطنية وبين سياسة الجلادين الرامية إلى تفريغ هذه الذات وقتلها، وعلى مدار الحركة الأسيرة وجدنا قصة نضالية في كل سجن وقسم وغرفة وتجارب جماعية وفردية متنوعة شكلت تجربة الانسان الفلسطيني الأسير ( جمعية الأسرى والمحررين، السجون والمعتقلات الإسرائيلية، ص6)، في أعقاب تلك النضجات تحطمت محاولات إدارة السجون على صخرة العناد الوطنى والصمود النضالي المتواصل، الذى امتلأ صفحاته بالقصص المشرفة التي كتبها كل مناضل رغم الأثمن والمعاناة التي يعيشها الأسرى في السجون ( فاضل يونس: زنزانة رقم 7، ص5 ).

## مراحل تطور الحركة الأسيرة ما بين 1985 – 2015 م:

بعد عملية تقييم ومراجعة مستفيضة للباحث في تقسيم مراحل تطور الحركة الوطنية الأسيرة وفق اجتهادات الباحثين السابقة وجد الباحث تركيز المعظم على المراحل الأولى للاعتقال، مع افتقارها لفترة زمنية مهمة، هي فترة الدراسة ما بين « 1985 – 2015م ».

وكون الباحث عاش معظم هذه التجربة بنفسه في معظم السجون الإسرائيلية وكان شاهداً عليها فقام بتقسيم تلك الحقبة وفق المتغيرات السياسية « كتبادل الأسرى في العام 1985م، والانتفاضة الأولى في 1987م، واتفاقية أوسلو في 1993م، والانتفاضة الثانية في العام 2000م، والانقسام الفلسطيني في 2007م، وعملية تبادل الأسرى مقابل شاليط في العام 2011م، واستهداف حكومة الاحتلال الإسرائيلي للأسرى بسن القوانين والتشريعات والتضييق عليهم والإضرابات الفردية والجماعية التي شهدتها المرحلة الأخيرة ما بين 2012 حتى 2015م وما أحدثته تلك الأحداث على الواقع الاعتقالي وأثرت فيه ما بين مد وجزر، وبناءً على ذلك قسمها لأربع مراحل وهي:

- الأولى من (1986 – 1994م) مرحلة النضال الشامل وذروة تحقيق الإنجازات والانتصارات.
- الثانية من (1994 – 2000م) مرحلة النضال السياسي.
- الثالثة من (2001 – 2006م) مرحلة الاستيعاب ومحاولات الاستنهاض.
- الرابعة من (2007 – 2015م) مرحلة الانقسام السياسي والنضال الجماعي والفردى.

في الخامس من تموز 1970 انتصر الأسرى في سجن عسقلان المركزي في ثاني معاركهم الاستراتيجية على إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية في أعقاب الاضراب الأول في العام 1969 في سجن الرملة وبيت ليد، وفي هذا الاضراب استشهد المناضل الوطنى الجريح « عبد القادر أبو الفصح » الذى فتح استشهاده أبواب الأمل الفلسطينى خلف جدران الاعتقال الإسرائيلى، وأدى إلى إجبار إدارات الاعتقال على كسر سياساتها القمعية، والتخفيف من حداثها، ووقف الاهانات ضد الأسرى، ورفع الضرب والتعذيب عنهم، وتحسين البيئة الصحية لغرف الاعتقال، والتخفيف من ازدحامها، وتحسين قائمة الطعام، والسماح بإدخال الكتب التعليمية والثقافية، والسماح للأسرى بالتقدم إلى امتحانات الدراسة الثانوية العامة، ووقف العقوبات الجماعية، والنهاء نظام الجلوس على الأرض، والوصمت في غرف الاعتقال، ونظام كلمة يا سيدى المذلة، ونظام الطوابير الصباحية والمسائية في ساحات الفسحة اليومية، وإيقاف تشغيل الأسرى بالسخرة والإجبار والاكراه في المرافق الصناعية ذات الطابع الحربى والانتاجى داخل المعتقلات، وحصر تشغيل الأسرى في في مطبخ المعتقل والمغسلة ومرافق النظافة داخل كل معتقل، والسماح بإنشاء المكتبات، وإقامة النشاطات التعليمية والترفيهية بين الأسرى، وإدخال أدوات وألعاب التسلية، والسماح للأسرى بشرائه بعض الحاجيات من المقتصد الاعتقال المعروف باسم « الكنتين » وإطالة مدة الفسحة اليومية من نصف ساعة صباحية ومثلها مسائية إلى ساعة، وتحسين نظام الرعاية الصحية داخل عيادات المعتقل، وإجراء العمليات اللازمة للأسرى المحتاجين لها، وغيرها من القضايا المطلوبة الضرورية التى كان من شأنها كسر نظام تطويع الدماغ وتمزيقه وبناء نظام اعتقال جديد أقل قمعاً وتعذيباً من النظام المذل السابق(مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، موسوعة تجارب الأسرى الفلسطينيين والعرب، ص37)، واستمرت حالة المواجهة بين إدارة مصلحة السجون والأسرى ومرت بالكثير من المخططات المشرفة الاضراب التاريخى عام 1976 في سجن عسقلان الذى استمر 45 يوم ليعلن عن بداية مرحلة جديدة في مسار حركة أسرى الثورة الفلسطينية وفي مسار سلطات سجون الاحتلال بعد الفشل الذريع الذى منيت به تلك السياسات والقفزة النوعية التى طرأت على نضج الناصر الفلسطينى ( جبريل الرجوب: زنزانة رقم 704، ص16)، هذا الاضراب أعطى للمعتقلين الثقة بانفسهم، وعزز دورهم الجماعى، وأكد على أهمية الاطر التنظيمية سواء الخاصة بالفصيل أو العامة ذات العلاقة بالفصائل مجتمعة، وأدركت « ادارة السجون » أن الاضراب جاء نتيجة فعل وتخطيط وأن يوم ليس كالأمس (حسن عبد الله: الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين، ص31)، وكان اضراب 1980 في سجن نفحة لمدة 33 يوماً متتالياً والذى انتهى باستشهاد « على الجعفرى وراسم حلولا، وأنيس دولة وتبعهما الأسرى الشهيد اسحاق مراغة في 1983 على خلفية الاضراب نتيجة تراكم المرض بسبب إجباره على التغذية القسرية « كان هذا الاضراب علامة مضيئة في الظلام العميق الذى يغذي العدو دائماً بالمزيد من ممارسات القمع (محمد القيسى، الهواء المقتنع، ص283)، واستطاع الأسرى في هذا الاضراب أن يحققوا إدخال أجهزة التلفاز والمذياع، وتدريب الأبرة للنوم وإدخال المزيد من الكتب وتحسين الطعام والرعاية الصحية وزيادة وقت الزيارة لتصل 45 دقيقة واستلام المطبخ وإدخال احتجاجات الأسرى من ملابس وأغطية والتمكن من الزيارات بين الأسرى (مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، ص124)، ومن ثم اضراب 1984 لمدة 12 يوماً في سجن جنيد حتى دخول مرحلة جديدة من النضال والتي سنتطرق إليها في الحدود الزمنية للدراسة بين عامى 1985 و 2015 م.



وللاطلاع على ظروف ومتغيرات كل مرحلة، وملاحظها ومميزاتها من حيث انتهاكات سلطات الاحتلال الإسرائيلي، وأساليب ووسائل الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، وأشكال نضالها ومقاومتها نتناول كل مرحلة منها بالتفصيل:

## • المرحلة الأولى من 1986 - 1994 م مرحلة النضال الشامل وذروة تحقيق الإنجازات والانتصارات:

حاولت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية في أعقاب عملية التبادل في العام 1985 م أن تنال من الحركة الوطنية الأسيرة بسبب تحرير عدد كبير من قيادات السجون والكوادر الاعتقالية، والالتفاف عما حققه الأسرى من إنجازات مهمة جداً كنتيجة لإضرابي نفحة 1980 م وإضراب جنيد في العام 1984 م والذي حقق إدخال التلفاز والراديو وإدخال الكتب والحرامات والملابس، فبدأت بحملة من القمع وفرض الإجراءات الخانقة والمذلة لتصبح الحركة الأسيرة في موقف الدفاع عن منجزاتها التي حققتها بالتضحيات الغالية حيث خاض الأسرى سلسلة من الإضرابات الجزئية والشاملة في إطار التصدي لهجمة إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية على حقوقهم، وفي 1987 م خاض الأسرى إضراب سجن جنيد استمر 20 يوماً لمناهضة تلك السياسات التي استهدفت البنى التحتية للسجون<sup>(96)</sup>، لاشك أن عملية تبادل الأسرى في العام 1985 م والتي تمت في 20 مايو 1985 م م بين إسرائيل والجهة الشعبية القيادة العامة والتي أطلقت إسرائيل بموجبها سراح 1155 أسيراً مقابل ثلاثة جنود إسرائيليين كانت مؤثرة على الحركة الأسيرة بسبب الإفراج عن مئات الكوادر المجربة والقيادات التنظيمية القادرة والممكنة.

ولكن ما لمسها الباحث من زملائه خلال الاعتقال أن من تبقى شعر بمحاولات إدارة السجون لاستغلال هذا الظرف، ولكنها فشلت لدفاع من تبقى من الأسرى عن منجزاتهم بشراصة، وبدؤوا ببث الأمل في روح بعضهم البعض، وعكفوا على تقوية المعنويات وبث روح النضال من جديد، وتم صقل شخصية الأسير المناضل القادر على مواجهة السجن بحرفية وتجربة نضالية عالية، وبدأوا ببرامج ثقافية يومية مكثفة، تخللتها ثلاث جلسات في مجالات متعددة، أهمها نقل التجربة الاعتقالية للجدد، وحافظوا على قمة النشاط والحيوية والانضباط والتنظيم، ولم يسمحوا بلحظة من الفراغ، معتبرين أن الفراغ تربة خصبة للأمراض، وتواصلوا مع الخارج بالأسرى المحررين الذين كان لهم دور بمساندة خطواتهم النضالية.

فالكوادر التي بقيت رهن الاعتقال بعد التبادل لعبت دوراً كبيراً في ملء الفراغ، وبذلت جهوداً استثنائية في قيادة المعتقلين الجدد خاصة في أعقاب انتفاضة 1987 م والتي اعتقل فيها عشرات الآلاف بقي منهم ما يقارب من 15.000 معتقل تشربوا ممن تشربوا مفاهيم وأسس التجربة التنظيمية والفكرية والثقافية والإبداعية، حتى أن الأسرى في هذه المرحلة تفاعلوا بشكل كبير جداً مع مستجدات الانتفاضة الفلسطينية فأصدروا المجلات والنشرات والبيانات التي تناولت الانتفاضة تشخيصاً وتحليلاً، وتبنوا الشهداء، وأحيوا في احتفالات

(96) عيسى قراقع: مرجع سابق، ص 31.

خاصة مناسبة دخول الانتفاضة في كل شهر جديد من عمرها النضالي وكثفوا مراسلاتهم مع فصائلهم محاولين الإسهام من وحي تجاربهم النضالية بالاقتراح والتصور لعل ذلك يغني ويفيد التجربة<sup>(97)</sup>.

في هذه المرحلة عين دافيد بن ميمون مديراً لمصلحة السجون العامة، وأشار بفخر إلى سياسته القمعية للأسرى أمام لجنة الداخلية في الكنيست الإسرائيلي، لكن سرعان ما قدم استقالته في أعقاب عمليتي هروب من سجن غزة وسجن نفحة الصحراوي ولفشل سياسته بعد عام واحد من التجربة عين مكانه شاؤول ليفي الذي تعامل مع مطالب الأسرى، وولدت مرحلة توازن المصالح بين الحركة الأسيرة وإدارة مصلحة السجون في المعتقلات<sup>(98)</sup>، وعاد لسياسة مدير مصلحة السجون الأسبق رافي سويسا ولم تكن هذه السياسة احتراماً للأسرى في السجون أو رغبة منه في العمل على تحسين شروط حياتهم بل كان نتيجة لعدة عوامل أهمها:

- فشل سياسة القبضة الحديدية التي عمل على فرضها سلفه دافيد بن ميمون، والخبرة الواسعة لشاؤول ليفي وقراءته الجيدة لتفاصيل حياة الأسرى واستعدادهم لكل جديد.
- طبيعة الأوضاع المأساوية في المعتقلات وشعور مديريةية السجون بالاستعدادات التي يقوم بها المعتقلون لمواجهة السياسات التصفوية لمديرية السجون.
- التغييرات التي حدثت على مديريةية السجون ومن ثم حل اللجنة الأمنية، التخوفات من اشتعال انتفاضة في الخارج يكون الأسرى عنوانها، وتنامي الوعي الدولي وازدياد حملات المساندة للأسرى<sup>(99)</sup>.

وذروة الإنجازات والانتصارات لهذه المرحلة تجسدت في إضراب 27/9/1992م والتي تجسدت فيها الوحدة والتماسك الاعتقالي، والتعبئة النضالية والروح الوطنية العالية للأسرى، والالتفاف حول قيادة وطنية اعتقالية موحدة، وقوة التنظيمات والمؤسسات الاعتقالية، والتواصل مع الخارج والعلاقات الوطنية الاعتقالية، والتفاهم على الحد الأدنى والأقصى لمطالب الأسرى وقد تحققت في هذا الإضراب جميع مطالب الأسرى، كالتعليم الجامعي في الجامعة المفتوحة في إسرائيل، وإدخال البلاطة الكهربائية للطهي في داخل الغرف، والسماح بالمراوح، والاعتراف بممثل الأسرى والتعامل معه، والسماح بالاتصال الهاتفي والزيارات الخاصة، وإغلاق أقسام العزل، والسماح بساعة رياضة صباحية، ووقف التفتيش العاري وزيادة وقت الزيارة وإدخال الأطفال للأسير (100).

(97) حسن عبد الله: الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين، القدس، اصدار نقابة الصحفيين الفلسطينيين، 2005، ص37.

(98) خالد الهندي: مرجع سابق، ص42.

(99) عبد الحق شحادة: التجربة النضالية لمعتقل عسقلان، غزة، فلسطين، بدون دار نشر، ص104.

(100) رأفت حمدونة، صرخة من أعماق الذاكرة، غزة، فلسطين، دائرة شؤون الأسرى، 2006، ص32.

في هذه المرحلة ظهرت القدرة من قبل الأسرى على استيعاب التراث النضالي والاعتقالي وتمكنوا من تخليد تجربة مشرفة تسترشد بوحى نظريتها ومعالمها الأجيال الاعتقالية، ولتضيء لهم طريق النضال الاعتقالي دون الوقوع في الأخطاء ومن ثم السقوط في هاوية التخبطات (101).

#### • المرحلة الثانية من 1994 - 2000م مرحلة النضال السياسي:

منذ التوقيع على وثيقة إعلان المبادئ في واشنطن بتاريخ 13/9/1993م بين منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف) وحكومة إسرائيل حدث تحول نفسي عند الأسرى الفلسطينيين المحتجزين في السجون الإسرائيلية حيث ارتفعت مستويات التوقع لديهم، والمتعلقة بإنهاء معاناتهم والإفراج عنهم، حيث رأوا أن حصيلة أية تسوية سياسية بين طرفي النزاع لابد وأن تشمل إطلاق سراح المعتقلين، ومن هنا فإن تفاعل الأسرى مع الاتفاقيات الموقعة كان كبيراً ومشعباً بالأمال وقد يكون هذا التفاعل هو أحد أبرز التحولات الداخلية على صعيد مجتمع الاعتقال وعلى كافة المستويات تنظيمياً وسلوكياً وثقافياً (102).

في هذه المرحلة تراجعت الاهتمامات على المستوى النضالي والاعتقالي، وتعطلت البرامج الثقافية والتنظيمية والأمنية نزولاً عند ترتيبات الإفراجات المتتالية، وتواصل تعليق البرامج بانتظار المزيد من الإفراجات، وهربت مع هذا الانتظار الرغبة في العودة أو إعادة الانتظام للحياة الاعتقالية، وتراخت القدرات التنظيمية والإدارية والاعتقالية عن ملاحقة أو تطوير التراجع، وأدركت مصلحة السجون العامة أنها أمام واقع جديد يمكنها من استعادة ما انتزع منها خلال السنوات الماضية (103).

في هذه المرحلة كان الوضع خلال هذه السنوات صعباً وقاسياً على المعتقلين - من الناحية النفسية - إلا أنهم بتجربتهم الطويلة الغنية كانوا يحاولون امتصاص التطورات السلبية والتعامل مع المعطيات الجديدة وفق رؤية وطنية لا تسمح للاحتلال بكسر التجربة فجاء موقف المعتقلات الفلسطينيات اللواتي رفضن بعد اتفاقية طابا تجزئة قضيتهن عندما حاول الإسرائيليون استثناء خمس أسيرات (104)، وشهدت هذه المرحلة ثلاثة إضرابات سياسية الأولى في 21/6/1994م وجاء على خلفية توقيع القاهرة، وكان إضراباً قصيراً استمر ثلاثة أيام، والثاني في 18/6/1995م تحت شعار إطلاق سراح جميع الأسرى والأسيرات دون استثناء واستمر 18 يوم، فيما أعلن الأسرى إضرابهم الثالث في 5/2/1998م واستمر عشرة أيام (105).

في هذه المرحلة حاولت إدارة السجون الإسرائيلية النيل من الحركة الأسيرة فقامت بعزل عدد من الأسرى والقيادات في سجن هداريم، وضيقت عليهم في الزيارات وإدخال الأطفال وقضايا أخرى، فتم التنسيق لإضراب مطلبى مفتوح عن الطعام في عام 1/5/2000م، واستمر

(101) عبد الحق شحادة: مرجع سابق، ص 59.

(102) نفس المصدر، ص 59.

(103) زياد أبو زياد: مرجع سابق، ص 90.

(104) حسن عبد الله: مرجع سابق، ص 41.

(105) نفس المصدر، ص 42.

هذا الإضراب شهر كامل(106)، وقد تبين فيما بعد أن المفاوضات في هذا الإضراب جرت ولأول مرة مع الشبابك الإسرائيلي(107)، وتم تحقيق إخراج المعزولين الفوري، ووقف التفتيش العاري وتم الوعد بحل مشكلة الهواتف العمومية والتعليم مقابل التزام الأسرى بعدم مزاوله أنشطة خارجية من داخل السجون ولكن الشبابك وإدارة مصلحة السجون اتصلوا من الاتفاق بسبب انفجار الانتفاضة الثانية (108)، مع التأكيد أن مستوى الحياة أو ظروف الأسرى كانت سهلة نسبياً في هذه المرحلة حيث سادت معاملة هادئة نسبياً من جانب السجانين مع الأسرى(109).

#### • المرحلة الثالثة من 2001 - 2006م مرحلة الاستيعاب ومحاولات الاستنهاض:

في أعقاب الانتفاضة الفلسطينية في العام 2000م، بدأ الأسرى من جديد بالتدفق إلى السجون، ليرتفع عددهم وفق تقرير 2008م لوزارة الأسرى إلى أكثر من (11550) أسير(110) في أعقاب الاجتياح الكبير للضفة الغربية في التاسع والعشرين من آذار 2002م، ما استوجب إعادة افتتاح أقسام كان يقطنها أسرى جنائيون، وسجون أخرى كانت مغلقة (111)، ومع الوقت جرى إنشاء أقسام جديدة وسجون ومعتقلات جديدة (112)، ومع ازدياد العدد الضخم من الأسرى في السجون، وصعود اريئيل شارون لسدة الحكم، واستلام المتطرف « تساحيا هنقبي » لوزارة الأمن الداخلي المسؤولة عن إدارة السجون، وتعيين « يعقوب غانونت » مديراً لمصلحة السجون(113)، عاش المعتقلون ظروفاً قاسية جداً ولا تطاق، في هذه الفترة ظهرت وحدات خاصة (114) للتضييق على الأسرى، فدخلت الأقسام مقنعة ومسلحة، ومارست الإرهاب والصراخ، والقيود والضرب، ومصادرة الممتلكات الخاصة، وقامت بإطلاق النار على المعتقلين وقتلت الأسرى بالرصاص الحي، وأجرت التفتيشات والافتحاحات الليلية المفاجئة، وبررت حكومة الاحتلال هذه الانتهاكات بالادعاء أن الأسرى يواصلون القيام بعمليات فدائية، وتحريض، وتنظيم عمليات استشهادية من داخل السجون، وكان أحد عناوين هذه الهجمة أجهزة الهواتف الخلوية المهربة (115) إلى داخل السجون.

وبالتالي وقف الجميع « قدامى وجدد » على أعتاب مرحلة جديدة حملت معها من تبقى من الأسرى القدامى من مرحلة أوسلو، إلى الانتفاضة الثانية بلا تهيئة ولا تمهيد، واصطدم القدامى بسيل هادر من الأسرى الجدد، في هذه المرحلة أصبح من الصعب صياغة البرامج التي تلائم احتياجات هذا الكم الهائل من الأسرى، الأمر الذي دفع المؤسسة الاعتقالية

(106) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص 83.

(107) أحمد أبو السعود: مرجع سابق، ص 79.

(108) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص 84.

(109) أحمد أبو السعود: مرجع سابق، ص 79.

(110) الدائرة الإعلامية لوزارة شؤون الأسرى: تقرير شامل، غزة، فلسطين، مكتبة الجامعة الإسلامية، 2008، ص 2.

(111) أحمد أبو السعود: مرجع سابق، ص 77.

(112) منها (سجن إيشل وأوهليكيدار « داخل سجن السبع »، وهداريم قسمي 4 و 8 وريونيم، وسجن جلبوع، والرملة قسمي 3 و 4، وسجن نفحة الجديد 10 و

11 و 12، وسجن رمون، وأعاد الاحتلال افتتاح معتقل النقب، وعدداً من مراكز الاعتقال كعوفر وعتسيون وقدميم) .

(113) محمد صبيح، فؤاد الخفش: إضراب الكرامة، فلسطين، مركز أحرار لدراسات الأسرى وحقوق الإنسان، 2012، ص 66.

(114) « كوعدة المتسادة والناحشون ودرور وكيتر وغيرها ».

(115) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص 87.

للعمل على إعادة استنهاض نفسها لاستيعاب التطورات الجديدة بطريقة تعيد إلى الأذهان إلى الآليات التي استخدمتها المؤسسة في استقبال أسرى الانتفاضة الأولى عام 1987م<sup>(116)</sup>.

• المرحلة الرابعة من 2007 - 2015م مرحلة الانقسام السياسي والنضال الجماعي والفردى:

أسفرت الانتخابات التشريعية التي جرت بتاريخ 25/1/2006م عن ولادة مجلس تشريعي جديد حظيت فيه حركة حماس بعد دخول الانتخابات التشريعية بالأغلبية وتم تشكيل الحكومة الفلسطينية العاشرة برئاسة إسماعيل هنية، وارتفعت وتيرة الصدام بين مؤسسة الرئاسة التي تقودها حركة فتح برئاسة محمود عباس وبين حركة حماس، وكانت أحداث هذه المرحلة مقدمة للأحداث الدامية التي شهدتها الأراضي الفلسطينية، والتي دفعت قيادة الحركة الأسيرة في السجون لإطلاق مبادراتهم التي عرفت باسم « وثيقة الأسرى » (117)، والتي سميت بوثيقة الوفاق الوطني في 27/6/2007م كوثيقة نهائية بعد إجراء بعض التعديلات عليها من القوى الفلسطينية، وبعد ثمانية أشهر من الحوارات والمفاوضات، والاعتقال، وهدر الدم، توصل الطرفان « فتح وحماس » في مكة حول تشكيل حكومة وحدة وطنية مستندة لوثيقة الوفاق الوطني والتي سرعان ما فشلت بسبب عدم الانسجام وتباعد الرؤى وعدم تنفيذ ما تم الاتفاق عليه بين الطرفين، وقد كانت النتيجة الانقسام السياسي والجغرافي بين قطاع غزة والضفة الغربية في 14/6/2007م الذي نقل الحالة الفلسطينية إلى مرحلة مختلفة تماماً عما سبقها(118).

يشار إلى أن أبرز ملامح هذه المرحلة هو الاستقرار النسبي للأوضاع في السجون بشكل عام، بعد أن خبا أوار الانتفاضة، وتوقفت تقريباً سيول الاعتقالات وتمازجت التجارب بين الأسرى القدامى والجدد على ضوء التنقلات الكثيرة، فكان لا بد في ظل هجمة إدارة مصلحة السجون من إحياء الأوضاع التنظيمية (119) مقابل هجمة شرسة غير مسبوقه من قبل إدارة السجون بالتعاون مع أجهزة الأمن الاسرائيلية عليهم مستغلة حالة الانقسام الفلسطيني في خارج السجون، وقامت بفرض واقع مشابه داخله، وقامت بفصل الأسرى وصنفتهم تنظيمياً وخاصة أسرى حركتي فتح وحماس.

وقامت في هذه المرحلة الأداة التنفيذية المتمثلة بإدارة مصلحة السجون بهجمة غير مسبوقه على الأسرى في كل السجون.

في نهاية المبحث يرى الباحث أن الحالة الإبداعية للأسرى في هذه الظروف القاسية والمعاملة غير الإنسانية هي قدرتهم على التكيف والصبر والصمود وعدم الانكسار أو الإحباط، والقدرة على تغيير ذلك الواقع الاعتقالي للنقيض عنوة بالخطوات النضالية التكتيكية والاستراتيجية،

(116) زياد أبو زياد: مرجع سابق، ص96.

(117) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص148.

(118) المصدر نفسه: ص165.

(119) أحمد أبو السعود: مرجع سابق، ص184.

والانتقال من مرحلة إلى أخرى، واستطاع الأسرى الانتقال من مرحلة إلى أفضل منها في أعقاب تجميع قواهم واتخاذ مواقف نضالية جماعية ناجحة ومؤثرة لتحقيق الحقوق الأساسية، والوصول للحياة الكريمة ضمن معادلة توازن الرعب مع إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية.

ويعتقد أن أفضل حالات الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في السجون الإسرائيلية كانت في المرحلة ما بين ( 1986 - 1994م) فتميزت الحركة الأسيرة في هذه الفترة بقوتها ووحدتها وتناسق خطواتها أمام إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية، والالتفاف الكبير حول قضيتهم في أوساط القوى الوطنية والإسلامية والشارع الفلسطيني، والروح النضالية والثورية التي كان يتسلح بها الشعب الفلسطيني والأسرى في السجون في أعقاب الانتفاضة، وبسبب قوة التنظيمات في المعتقلات رغم كبر العدد نتيجة الاعتقالات التي لم تشهد الحالة الفلسطينية لها مثيل منذ الاحتلال الإسرائيلي، وقوة المؤسسة الاعتقالية في السجون، والتزام الأسرى، وعدم انشغال أذهانهم بأي متغير فلسطيني داخلي كقضية الانقسام السياسي أو انشغال الأسرى بالإفراجات كما حصل في أعقاب أوسلو أو الانقسام الفلسطيني الداخلي على حساب بناء الذات وقوة التنظيمات في السجون أمام إدارة مصلحة السجون.

وفيما يتعلق بتراجع الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة فكانت مع بدء نشأتها في العام 1967م أمام إرهاب الإسرائيليين في أعقاب هزيمة حزيران، وتلاها الفترتان (2006-2000م) بسبب الاعتقالات الكبيرة، والفترة التي سبقتها من انشغال الأسرى بالإفراجات السياسية في أعقاب اتفاقية أوسلو.

وفيما يخص الفترات الأخرى فكانت متذبذبة أو استنهاضية أو صاعدة كالفترة ما بين (1972-1987م) و(2006-2015م) اللتان شهدتا حالة من الاستعفاء والخطوات النضالية الجماعية والفردية، وكانت بمثابة عملية ترميم وبناء ومواجهة لإدارة مصلحة السجون، وتخلل تلك المسيرة النضالية حالة من التذبذب والتطور، وأحياناً التراجع كالفترة ما بين (1994 - 2000م) وفق متغيرات سياسية، أو في أعقاب إفراجات سياسية، أو حالات تبادل، أو خطوات نضالية تكتيكية واستراتيجية.

والواضح في تعقب وتحليل مراحل الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة أنها متأثرة بلا ما لا يدع المجال للشك بالواقع، والمتغيرات السياسية، والأوضاع الداخلية للمجتمع الفلسطيني، ولا مجال لانفصال الواقع الفلسطيني والسياسي وتأثيره على الحركة الأسيرة في السجون.



# المبحث الثاني

## مظاهر تضيق السجان الاسرائيلي على الأسرى الفلسطينيين

يعتبر الشعب الفلسطيني من أكثر الشعوب معاناة بسبب الاحتلال الإسرائيلي وممارسته القمعية التي طالت جميع نواحي الحياة في فلسطين، حيث أقامت إسرائيل دولتها العنصرية على ثلثي أراضي فلسطين منذ عام (1948م)، ولم تكتف إسرائيل بذلك فقامت باحتلال ما تبقى من الأراضي الفلسطينية عام (1967م)، وقامت باستخدام الاعتقال على نطاق واسع منذ احتلالها للضفة الغربية وقطاع غزة في العام (1967م)، حيث كان الاعتقال والتعذيب أبرز أدوات القمع التي مارسها الاحتلال الإسرائيلي في مواجهة المقاومة الفلسطينية، حيث زجت سلطات الاحتلال بمئات الآلاف من الفلسطينيين داخل المعتقلات والسجون التي تفتقر إلى أدنى مقومات الحياة الإنسانية<sup>(120)</sup>.

استخدمت إسرائيل قانونها الداخلي وقضائها العسكري وغير العسكري لتبرير اعتقال الفلسطينيين، فلقد أصدرت السلطات الإسرائيلية المئات من الأوامر العسكرية، وقامت بعمليات الاعتقال استناداً إلى الأمر العسكري رقم (378) الذي يجيز للاحتلال اعتقال وتوقيف الفلسطينيين دون إنذار أو حتى تقديم مبررات مقنعة، ولقد جرت عادة إسرائيل على إحالة جميع القضايا المتعلقة بمعتقلين أو موقوفين من الفلسطينيين إلى محاكم عسكرية، وأن يتم اعتقال واحتجاز الفلسطينيين في سجون ومعتقلات داخل إسرائيل وليس داخل الأراضي المحتلة<sup>(121)</sup>.

وانتهج المحققون سياسة تحقيق وتعذيب بطرق محرمة وممنوعة دولياً، وأصبح التعذيب قانوناً مشروعاً من قبل حكومة إسرائيل<sup>(122)</sup>، رغم المكانة الشرعية والقانونية، وحق الأسرى المشروع بمقاومة الاحتلال وفق اتفاقيات جنيف الثالثة والرابعة وقرارات الأمم المتحدة<sup>(123)</sup>.

في هذا المبحث سيتناول الباحث تعامل دولة الاحتلال مع الأسرى من الناحية القانونية، وعدم التزامها بالاتفاقيات والمواثيق الدولية، وحرمانهم من حقوقهم الأساسية والإنسانية بدءاً من الاعتقال والمكانة القانونية، وأساليب التحقيق والتعذيب، والمحاكم العسكرية الردعية، والتضييق عليهم في كل مناحي الحياة اليومية والمعيشية.

(120) محمود عساف، سميرة خليفة: دور الجامعات الفلسطينية محافظات غزة في تعزيز قضية الأسرى في سجون الاحتلال وسبل تفعيله، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص2.

(121) نداء البرغوثي: مرجع سابق، ص264.

(122) رياض العيلة، عبير ثابت: الرؤية المستقبلية لحل قضية الأسرى الفلسطينيين، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص5.

(123) وزارة شؤون الأسرى والمحررين، أوقفوا زمن السجن الأسود، رام الله، فلسطين، الدائرة الاعلامية لوزارة الأسرى، 2010، ص5.

## أولاً- الوضع القانوني للأسرى في السجون الإسرائيلية:

أيدت المواثيق والمعاهدات الدولية حق كل شعب في العمل على تحرير أرضه المحتلة بكافة الوسائل المشروعة، وذلك استناداً إلى حق الدفاع الشرعي عن النفس، وحق تقرير المصير الذي نص عليه ميثاق الأمم المتحدة وكذلك الاتفاقيتان الدوليتان الخاصتان بالحقوق المدنية والسياسية وبالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية واللتان أقرتهما الجمعية العامة للأمم المتحدة، وكذلك صدور توصية عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، تقضي بوجود تضمين جميع المواثيق الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان المعدة من قبل المنظمة مادة تنص على حق الشعوب في تقرير مصيرها وأن تعمل الدول على احترام وتأمين ممارسة هذا الحق<sup>(124)</sup>.

ففي العام 2003م، ومن على منبر الكنيست الإسرائيلي اعترف رئيس الوزراء الإسرائيلي «أرائيل شارون» بالاحتلال، ورغم ذلك لم تنصع إسرائيل للاتفاقيات الدولية في التعامل مع الأسرى الفلسطينيين، ولا للقواعد أو القوانين الشرعية الدولية، حيث أن حروب التحرير والتي نصت عليها قرارات الأمم المتحدة 1514 لعام 1960م تقضي بضرورة استقلال الأقاليم المستعمرة، وإنهاء كافة أشكال الاحتلال، وقرار الأمم المتحدة لعام 1968م يقضي بمعاملة أسرى حروب التحرير الوطنية كأسرى حرب طبقاً لاتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949م وقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 3103 لعام 1973م يؤكد أن النضال المسلح الذي تخوضه الشعوب ضد الاستعمار من قبيل المنازعات الدولية طبقاً لاتفاقيات جنيف الأربعة لعام 1949م<sup>(125)</sup>.

فإسرائيل كدولة احتلال اعتمدت سياسة التكييف القانوني لمصالحها السياسية والأمنية وقامت بسن الأوامر العسكرية لفرض السيطرة على حياة السكان الفلسطينيين الواقعين تحت الاحتلال بدون الالتزام بقواعد القانون الدولي الإنساني، التي كان من المفروض أن تشكل الإطار القانوني الأساسي لترتيب تعامل دولة الاحتلال مع السكان الفلسطينيين وواقع حياتهم تحت الاحتلال<sup>(126)</sup>.

وعلى إثر ذلك صدر الأمر العسكري بنقل جميع الصلاحيات للسلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية للحاكم العسكري، ومنذ أيلول (سبتمبر) 1967م فرضت المحاكم العسكرية الإسرائيلية سطوتها على كافة جوانب الحياة للفلسطينيين.

وبدأت تخضع إجراءات الاعتقال في المناطق المحتلة، وطريقة معاملتهم، لسلسلة من الأوامر العسكرية التي تصدر عن القادة العسكريين في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة وترفض المحاكم العسكرية الإسرائيلية تطبيق تعليمات القانون الدولي<sup>(127)</sup>، بالرغم من مصادقة إسرائيل على اتفاقيات جنيف الأربعة وعلى العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، وعلى

(124) وليد مزهر: الاعتقال في السياسة الإسرائيلية في منظور القوانين، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص 89.

(125) موقع الأسرى للدراسات: <http://alasila.ps/ar/index.php?act=post&id=26939>

(126) سحر فرنسيس: موقع الأسرى الفلسطينيين في القانون الدولي الإنساني، مجلة الدراسات الفلسطينية عدد 98، 2014، ص 106.

(127) زكريا العنّامة: أثر حرب حزيران (يونيو) 1967م على المعتقلين الفلسطينيين، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص 4.



اتفاقية مناهضة التعذيب 1984م<sup>(128)</sup>، فلم تعترف بالأسرى الفلسطينيين كأسرى حرب سواء قبل توقيع اتفاقيات أوسلو أو بعد ذلك، وظلت معاملتها لهم تنطلق على أساس اعتبارهم « مجرمين وارهابين أو مقاتلين غير قانونيين »<sup>(129)</sup>.

ومن الطبيعي في ظل القرارات الدولية، وانتهاكات دولة الاحتلال لمبادئها وموادها، أن تثار التساؤلات عن المكانة القانونية للمعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، ولقد تزايدت هذه التساؤلات في الآونة الأخيرة، بعد حصول فلسطين على وضع الدولة المراقب - غير العضو في الامم المتحدة<sup>(130)</sup>.

اختلف آراء فقهاء القانون الدولي وغيرهم من الكتاب وتباينت مذاهبهم بشأن تكييف وضع المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، ويمكن التمييز، في هذا الصدد، بين اتجاهات ثلاثة، أحدها يذهب إلى إعطائهم وضع المقاتلين من أجل الحرية، ومن ثم أسرى الحرب، وثانيهما يتجه إلى إجراء تمييز داخل المعتقلين أو تقسيمهم إلى طائفتين، الأولى تضم المقاتلين القانونيين، والذين يحق لهم التمتع بوضع أسرى الحرب، والثانية تضم المعتقلين المدنيين، والاتجاه الثالث، ويرى القائلون به أن المعتقلين الفلسطينيين هم رهائن أو مختطفون لدى سلطة الاحتلال الإسرائيلي<sup>(131)</sup>.

وأياً كانت الآراء والاجتهادات من قبل فقهاء القانون فيما يتعلق بالمكانة والتسمية القانونية " كأسرى أو معتقلين أو سجناء سياسيين أو رهائن أو محتجزين أو مختطفين"، فهم أسرى حرية لهم حقوق أساسية وإنسانية، ومن المنطقي أن يكون اصطلاح (الأسرى) هو الأكثر ذيوياً وانتشاراً في الأوساط الفلسطينية، حيث يعبر عن عدالة القضية الفلسطينية، وسمو ونبل الهدف الذي يحتجز الأشخاص من أجله في سجون الاحتلال، وفي المقابل فإن سلطات الاحتلال تستخدم مصطلح السجناء كمرتكبي أفعال يعاقب عليها القانون، ولعل هذا ما يفسر في الواقع إصرار إسرائيل على استعمال هذا التعبير في اتفاقات أوسلو<sup>(132)</sup>.

## ثانياً - الحقوق الأساسية للأسرى والمعتقلين وفق الاتفاقيات الدولية:

هناك إجماع قانوني وقيمي وأخلاقي وإنساني يتفق عليه الجميع في معاملة (الأسرى والمعتقلين في السجون) والتأكيد على حقوقهم الإنسانية والأدمية، وفقاً للمادة الثالثة المشتركة في اتفاقيات جنيف الأربع والتي تطالب بمعاملة إنسانية لجميع الأشخاص (الأسرى والمعتقلين) سواء، وعدم تعريضهم للآذى، وتحرم على الدولة الآسرة الإيذاء أو القتل، والتشويه، والتعذيب، والمعاملة

(128) أنظر ملحق اتفاقية مناهضة التعذيب: ص 278.

(129) المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان: <http://www.pchrgaza.org/arabic/studies/aseer2007.pdf>

(130) نداء البرغوثي: مرجع سابق، ص 185.

(131) المصدر نفسه: ص 209.

(132) المصدر نفسه: ص 203.

القاسية، واللإنسانية، والمهينة، واحتجاز الرهائن، والمحكمة غير العادلة<sup>(133)</sup>.

وأكدت اتفاقيات جنيف الأربع على الحقوق الإنسانية والأساسية للأسرى في مكان الاعتقال وشروطه، في الغذاء والملبس، والشروط الصحية والرعاية الطبية، والدين والأنشطة الفكرية والبدنية، والملكية الشخصية والموارد المالية، والإدارة والنظام، والعلاقات مع الخارج، والعقوبات الجنائية، ونقل المعتقلين، والوفاة، والإفراج وإعادة إلى الوطن<sup>(134)</sup>.

وهناك حقوق إنسانية تضمنتها البروتوكولات والأخلاقيات المتمثلة في: المبادئ الأساسية المتعلقة بحقوق الأسرى، والمتمثلة بتوفير الطعام والشراب والكساء، توفير السكن المناسب لهم، وعدم تكليفهم بما لا يطيقون، وعدم إكراههم على تغيير معتقداتهم، وتوفير العناية الصحية والعلاجية اللازمة لهم، ومواساة أهل الأسير، وتوفير الاتصال الخارجي للأسير والمراسلات والزيارات بينه وبين أهله، وعدم قتل الأسرى مع الحفاظ على حياتهم، وعدم تعذيبهم بديناً أو معنوياً، وحقهم في المعاملة الإنسانية، وفي احترام أشخاصهم وشرفهم في جميع الأحوال، وفي ممارسة الشعائر الدينية<sup>(135)</sup>، كما يحق للأسرى الحرب ممارسة نشاطهم الفكري والثقافي والرياضي، ويسمح لهم بإرسال الرسائل والبطاقات واستلامها<sup>(136)</sup> ولقد اعتبرت اتفاقية جنيف لعام 1949م أسرى الحرب وديعة لدى الدولة الحائزة وليسوا رهائن أو مجرمين<sup>(137)</sup>.

ومن المفترض أن يتمتع الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية كطلاب حرية بكافة الامتيازات المعطاة لهم بموجب المواثيق الدولية، إلا أن سلطات الاحتلال تسعى جاهدة إلى حرمانهم من أبسط حقوقهم الإنسانية، من خلال سياسة الاعتقال الإسرائيلية التي تبرر موقفها بأسباب واهية<sup>(138)</sup>.

وفي ظل هذا التنكر القانوني عاملت إسرائيل الأسرى الفلسطينيين بعدائية غير مسبوقة، الأمر الذي بات لا يخفى على أحد، وبناءً عليه شدد البيان الختامي لمؤتمر الأمم المتحدة في فيينا حول الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية في السابع والثامن من آذار / مارس 2011م على عدم قبول الحجة الأمنية التي تسوقها إسرائيل، السلطة القائمة بالاحتلال كمبرر لانتهاكات حقوق الإنسان في سجونها<sup>(139)</sup>.

## ثالثاً - أشكال الاعتقال:

في ظل تنكر سلطات الاحتلال للمكانة القانونية للأسرى الفلسطينيين في سجونها، قامت أجهزة الأمن بكل الانتهاكات والممارسات الجسدية والمعنوية والعقابية للأسرى والأسيرات، من خلال سوء المعاملة<sup>(140)</sup>، بدءاً بلحظة الاعتقال، مروراً بالتعذيب والتحقيق وانتزاع الاعترافات

(133) كمال الأسطل: القانون الدولي الإنساني وقضية الأسرى الفلسطينيين، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص.11.

(134) كمال الأسطل: مرجع سابق، ص.15.

(135) محمود عساف، سميرة خليفة: مرجع سابق، ص.8.

(136) ناصر عبد الجواد: مرجع سابق، ص.29.

(137) مصطلح عبد العزيز: حقوق الأسير، بغداد، دار البداية ناشرون وموزعون، 2012، ص.115.

(138) وليد مزهر: الاعتقال في السياسة الإسرائيلية في منظور القوانين، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص.2.

(139) مجلة مركز التخطيط الفلسطيني - العدد 29: البيان الختامي لمؤتمر الأمم المتحدة حول الأسرى في فيينا، مركز التخطيط، 2011، ص.203.

(140) فتيحي كلوب: مرجع سابق، ص.1.

عنوة تحت الضغط النفسي والجسدي، مروراً بالمحاكم العسكرية والأحكام الرديئة، وانتهاءً بالتضييقات المعيشية خلال الاعتقال وللتفصيل أكثر:

## 1. ظروف الاعتقال:

من الصعب تقدير عدد الاعتقالات التي تتم خلال السنوات بشكل دقيق، لأن السلطات الإسرائيلية لا تزود المعنيتين بالمعلومات الكاملة حول تلك الاعتقالات التي انخفضت في أعقاب اتفاقية أوسلو<sup>(141)</sup> حتى انتفاضة 2000م، ويعتبر الاعتقال من أهم أشكال العنف السياسي المباشر الذي يمارس ضد الشعب الفلسطيني منذ بدء الاحتلال، ويبدأ العدوان على المعتقل منذ اللحظة الأولى لاعتقاله، خاصة وأن عملية الاعتقال تتم بطريقة عنيفة ومرعبة بدءاً من الشتائم والألفاظ المسيئة للمعتقل إلى العنف الجسدي والسلوك العدائي والمهين في إجبار المعتقل على التعري، فطريقة الاعتقال تتم بطريقة وحشية لإرباك المعتقل وتخويفه، بالإضافة إلى إلحاق الأذى الجسدي، وتفريغ الحالة العدوانية في جسد الضحية التي غالباً ما تكون مكبلية الأيدي ومعصوبة العينين<sup>(142)</sup>.

فكل من دخل السجون الإسرائيلية، مورس بحقه أشكالاً متعددة من التعذيب النفسي والجسدي، ويبدأ التعذيب منذ لحظة الاعتقال وما يصاحبه من إدخال الخوف والرعب في قلوب الأهالي؛ حيث يتعمد الاحتلال إبراز القسوة والإجرام تجاه الأسير نفسه وأمام أبنائه وأهله، كما يتعمد الاحتلال بتقديم الإهانات واللكمات (الضرب) للأسير وذويه قبل اختطافه من بيته، واستخدام المربط البلاستيكي لليدين، واستخدام القوة المبالغ فيها والبدء بالتحقيق والقمع من لحظة الاعتقال الأولى<sup>(143)</sup>.

## 2. إعدام الأسرى بعد اعتقالهم:

تصاعدت سياسة إعدام الأسرى بعد الاعتقال بشكل ملحوظ خلال انتفاضة الأقصى 2000م وأخذت غطاءً من محكمة العدل العليا الاسرائيلية التي أقرت في عام 2002م سياسة التصفيات التي يقوم بها الجيش الإسرائيلي ضد من تسميهم بالنشطاء الفلسطينيين وقامت سلطات الاحتلال بإعدام الأسرى بدم بارد بوسائل متعددة منها:

1. إطلاق النار بشكل مباشر على المعتقل عند إلقاء القبض عليه.
2. التنكيل بالمعتقل والاعتداء عليه بالضرب القاسي والشديد مما يؤدي إلى استشهاده.
3. عدم السماح بتقديم الإسعافات الطبية للأسير الجريح بعد إلقاء القبض عليه وتركه ينزف حتى الموت، كما تقوم سلطات الاحتلال بعمليات اختطاف للجرحى من سيارات

(141) Oslo: Before and After The Status Human Rights in the Occupied, B\*TSELEM, Jerusalem, July, 1996, PP.15

(142) عايد محمد الحموز: الصلابة النفسية وعلاقتها ببعض أساليب التعذيب الإسرائيلية ضد الأسرى الفلسطينيين في محافظة الخليل، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص.3.

(143) تحسين الأسطل: معالجة الكاركتاير في الصحف الفلسطينية لقضية الأسرى في السجون الإسرائيلية، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص.2.

الإسعاف والمستشفيات وتعذيبهم وتركهم ينزفون حتى الموت.

4. إطلاق النار على المطلوب للاعتقال، وقتله في حين أنه يمكن إلقاء القبض عليه واعتقاله حياً.

5. إطلاق النار على المطلوب الاعتقال وقتله على الرغم من علم جيش الاحتلال ووحداته الخاصة أنه غير مسلح ولم يُبد أي مقاومة ولا يشكل خطراً على الجنود ويمكن إلقاء القبض عليه حياً<sup>(144)</sup>، الأمر الذي اتضح في انتفاضة القدس نهاية 2015م.

### رابعاً - وسائل التعذيب:

يقصد «بالتعذيب» وفق اتفاقية مناهضة التعذيب «أي عمل ينتج عنه ألم أو عذاب شديد، جسدياً كان أم عقلياً، يلحق عمداً بشخص ما بقصد الحصول من هذا الشخص، أو من شخص ثالث، على معلومات أو على اعتراف، أو معاقبته على عمل ارتكبه أو يشتبه في أنه ارتكبه، هو أو شخص ثالث أو تخويله أو إرغامه هو أو أي شخص ثالث - أو عندما يلحق مثل هذا الألم أو العذاب لأي سبب يقوم على التمييز أيًا كان نوعه، أو يحرص عليه أو يوافق عليه أو يسكت عنه موظف رسمي أو أي شخص يتصرف بصفته الرسمية، ولا يتضمن ذلك الألم أو العذاب الناشئ فقط عن عقوبات قانونية أو الملائم لهذه العقوبات أو الذي يكون نتيجة عرضية لها»<sup>(145)</sup>.

ويتضح من خلال هذا التعريف أن هنالك أربعة شروط أساسية وتراكمية تجعل من أي عمل بمثابة تعذيب:

- يتم عن قصد.
- بسبب الألم أو المعاناة الشديدة.
- يتم لغرض تحقيق أحد الأهداف المشمولة في الميثاق، وبضمنها تخلص المعلومات.
- يتم من قبل موظف رسمي أو بموافقة<sup>(146)</sup>.

ويرى الباحث - بلا شك- أن تلك الشروط معززة بما تقوم به دولة الاحتلال مع الأسرى الفلسطينيين، التي تستهدف الأسير الفلسطيني وترتكب جرم مقصود للنيل منه، وانتزاع اعتراف وتخلص معلومات ولو غير حقيقية تحت الضغط والتعذيب لتحقيق الأهداف المشمولة في الميثاق، وعلى الرغم من أن إسرائيل قد وقعت وصادقت على اتفاقية مناهضة التعذيب لعام 1984م، فإنها تعتبر «الدولة» الوحيدة في العالم التي أجازت التعذيب وشرعته

(144) جمعية الأسرى والمحربين: الانتهاكات الاسرائيلية لحقوق الانسان، غزة، فلسطين، دائرة الاعلام والتوثيق، 2005، ص19.

(145) موقع الأمم المتحدة - حقوق الانسان: <http://www.ohchr.org/AR/ProfessionalInterest/Pages/CAT.aspx>

(146) بتسليم مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة: <http://www.btselem.org/arabic/torture/international-law>

بقرار من المحكمة العليا الإسرائيلية، لتعطي بذلك رخصة للمحققين الإسرائيليين وأجهزة الأمن المختلفة في مواصلة تعذيب الأسرى والمعتقلين بأشكال وأساليب متنوعة<sup>(147)</sup>، فالأسرى في سجون الاحتلال ليسوا مجرد عدد كبير، بل هم مشهد تتجسد في كل جناباته أصناف العنصرية والإهانة والتنكيل والتعذيب والإنسانية التي يمارسها الاحتلال بحقهم<sup>(148)</sup>، وإسرائيل لم تمنع التعذيب، بل على العكس فهي من الدول الاستثنائية التي شرعته ووفرت للمعذب الحماية القانونية بموجب أحكام قانونية صريحة وواضحة<sup>(149)</sup>.

وبموجب هذه التغطية تعرض المعتقلون الفلسطينيون والعرب لمختلف أشكال التعذيب والإهانة والإذلال والتحقير والمس بالكرامة الإنسانية والوطنية، وتفتقت العقلية الصهيونية عن عشرات الوسائل والأساليب في التحقيق، وطورتها سنة بعد أخرى، وتفنن المحققون في تعذيب الأسرى وإهانتهم وإحراق الأذى بهم على مدار السنين<sup>(150)</sup>.

ولقد تحولت السجون الإسرائيلية إلى مراكز لشن العنف ضد الشعب الفلسطيني وقواه المناضلة ذاك العنف الذي يستهدف الإبادة، ولكن عبر وسيلة أخرى غير حبل المشنقة أو حد المقصلة، وسيلة للتصفية التدريجية للإنسان جسدياً ومعنوياً، لقد أريد للمناضلين الفلسطينيين أن يتحولوا في السجن إلى حطام كائنات لا تمت للبشرية بأية صلة، كائنات مفرغة من كل محتوى إنساني وتشكل عبئاً على نفسها وشعبها<sup>(151)</sup>.

ولقد أقدم الاحتلال على بناء المعتقلات بهدف استكمال ذبح الإنسان الفلسطيني بأشكال أخرى محاولاً قتل قيمه النضالية وتدمير إرادة التحدي فيه والمواجهة في شخصيته وجعله نادماً ومحبطاً على فعله النضالي، ولم يدخل أحد إلى السجون الإسرائيلية إلا وتعرض لصف أو أكثر من أصناف التعذيب «الجسدي أو النفسي» ومورس بحقه أشنع أساليب التعذيب المحرمة دولياً<sup>(152)</sup>، فكل من دخل تجربة الاعتقال ومورس بحقه التحقيق والضغط والتعذيب يرى أن هناك مناوبة على «الأسير الضحية» ويكون الحال أشبه بمسرحية متكاملة الأدوار، لكل محقق وجه معين، وهم أشبه بالمثلين، محقق متخصص في التهديد والوعيد، ومحقق للشتيمة والاستهزاء والسخرية، ومحقق يمثل دور الطيب الحنون الذي يواسي ويستدرج بالكلام، وآخر ينهال بالضرب والألفاظ البذيئة القذرة<sup>(153)</sup>، وهناك نوعان من التعذيب.

## أ - التعذيب الجسدي:

تعددت وسائل وأساليب التعذيب الجسدي في زنازين الاحتلال، بدءاً بتغطية الرأس بكيس ملوث، وعدم النوم، وعدم العلاج، واستخدام الجروح في التحقيق، ووضع المعتقل في ثلاجة،

(147) فتحي كلوب: مرجع سابق، ص5.

(148) فراس هلال: معاناة الأسير الفلسطيني، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، لبنان، 2009، ص1.

(149) ربيعى قطامش، نمر شعبان: تعذيب السجناء السياسيين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، رام الله، فلسطين، الضمير لرعاية الأسير وحقوق الانسان، 2003، ص101.

(150) زاهى وهبى: مروان البرغوثى ألف يوم في زنزانة العزل الانفرادى، رام الله، فلسطين، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2011، ص233.

(151) د. إيداد شناعة: أوضاع ومعاناة الأسيرات والأطفال الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية « 1967م - 2012م»، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص2.

(152) ربيعى حمدونة، منير شقورة: «توثيق تجربة الاعتقال الفلسطينية في السجون الإسرائيلية بين الضرورة والتنفيذ وتاريخها»، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص3.

(153) الأسيرة المحررة روضة إبراهيم حبيب: مقابلة أجراها الباحث، 3/2/2015، غزة.

والوقوف لفترات طويلة، وأسلوب العصفير وما ينتج عنه من تداعيات نفسية، واستخدام المربط البلاستيكي لليدين، رش الماء البارد والساخن على الرأس، وتعرية الأسرى، واستخدام الضرب المبرح، وربطهم من الخلف إما على كرسي صغير الحجم، أو على بلاطة متحركة بهدف إرهاق العمود الفقري للأسير وإعيائه، واستخدام القوة المبالغ فيها أثناء التحقيق والقمع، والشبح لساعات طويلة بل لأيام، إلى جانب استخدامها أساليب الهز العنيف للرأس الذي يؤدي إلى إصابة الأسير بالشلل أو إصابته بعاهة مستديمة وقد يؤدي للوفاة<sup>(154)</sup>، و(الشبح) أنواع<sup>(155)</sup> سواء ما تمثل في (الإجبار على الوقوف فترات طويلة)، أو (الوقوف رافعاً اليدين)، أو (ربط الأيدي بالأرجل من الخلف)<sup>(156)</sup>.

### ب - التعذيب النفسي:

أجازت لجنة التحقيق لضابط الشرطة استخدام الضغط النفسي غير العنيف من خلال التحقيق الشامل والشديد باستخدام الحيل وما فيها من أعمال الخداع، والإهانة، والتحقير، والتفتيش العاري والحرمان من النوم، والزج في زنازين معتمة رطبة، إضافة إلى الإهانات المعنوية، والتهديد بالقتل، أو النفي، أو هدم البيت، والتهديد بالقضايا الأخلاقية، أو اعتقال الزوج أو الزوجة<sup>(157)</sup>، واسماع المعتقل أصوات مسجلة لاستغااثات واطلاق نار، ونباح كلاب بوليسية<sup>(158)</sup>، واستخدام الموسيقى الصاخبة، والحرمان من العبادات، وغير ذلك من ممارسات، والمحقق في الزنازين لا يتوانى من استخدام الوسائل النفسية والجسدية بحق الأطفال والنساء لخصوصيتهن على العكس فهناك شهادات تثبت استغلال المحقق لخصوصية وضعهما السيكولوجي والفسيولوجي وللتفصيل أكثر.

### ج - تعذيب الأطفال:

أفاد محامو هيئة شؤون الأسرى والمحررين بأن السلطات الإسرائيلية وجنودها وإدارة مصلحة سجونها، مارست واحداً أو أكثر من أساليب التعذيب أو التنكيل النفسي والجسدي بحق 99% من الأطفال القاصرين الذين يتم اعتقالهم واستجوابهم في مراكز التحقيق<sup>(159)</sup>، وأن أطفالاً صغاراً وطلاب مدارس ابتدائية يتم اعتقالهم وضربهم وزجهم في ظروف اعتقالية وحشية وبعضهم من المصابين بالغاز أو الرصاص، ويتم التحقيق معهم لساعات طويلة وهم مشبوحون على كرسي ومقيدو اليدين والقدمين، وينهالون على القاصرين دون سن الثامنة عشر عدد من المحققين بالضرب المبرح طالبين منهم الاعتراف وأن الجميع تم ضربهم على بطونهم ووجوههم مسبب لهم آلام شديدة، وتعرض الأطفال لكل ما يتعرض له البالغين من الشبح والضرب والهز العنيف وكل أشكال التعذيب الجسدي والنفسي كالتفتيش العاري والتهديد والترهيب والضغط النفسي<sup>(160)</sup>.

(154) كيبال الأسطل: مرجع سابق، ص3.

(155) أنظر ملحق أشكال التعذيب: ص282.

(156) -عايد محمد الحموز: مرجع سابق، ص22.

(157) جيفرى ديلمان، موسى البكري، استخدام إسرائيل للتعذيب بالصدمة الكهربائية، ط1، القدس، مركز المعلومات الفلسطيني لحقوق الإنسان، 1991، ص25.

(158) منية سمارة، محمد الظاهر: سيناريو المعتقلات الصهيونية، عمان، دار المنارات، 1985، ص77.

(159) وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية: <http://www.wafa.ps/arabic/index.php?action=detail&id=205736>

(160) وكالة معا الإخبارية: 788510?id=788510&Content.aspx

## د - تعذيب الأسيرات:

لم تسلم الأسيرات رغم خصوصيتهن من كافة أشكال التعذيب الجسدي والنفسي<sup>(161)</sup> الذي يتعرض له الرجال، إضافة إلى تعرض الأسيرات الفلسطينيات للتحرش اللفظي من قبل جنود الاحتلال، وانعدام الفحوصات المخبرية والرعاية الصحية للحوامل، والضرب القاسي المهدد للاجهاض في حال الحمل، وغياب الطواقم الطبية المختصة بالأمراض النسائية، والتهديدات الأخلاقية، بالإضافة للضغوط النفسية باعتقال الأبناء والزوج أو الوالد وهدم البيت<sup>(162)</sup>.

## خامساً - أشكال التحقيق:

### 1. مشاركة الأطباء في التعذيب:

المكان لربما الوحيد في العالم من يشرك الطواقم الطبية العاملة لديه لتعذيب الأسرى والأسيرات بشكل متعمد، إذ أن كثيراً ما انتحل المحقق صفة الطبيب، والكثير من الأطباء ما يتحولون إلى أدوات في يد الأجهزة الأمنية، ينفذون ما يطلب منهم، أو يصمتون أمام تعذيب المخابرات الإسرائيلية للمعتقلين أمامهم، متخلين بذلك عن أخلاقيات المهنة<sup>(163)</sup>.

### 2. جهاز كشف الكذب:

ادعت دولة الاحتلال أن ما يسمى كشف جهاز الكذب بمقدوره اكتشاف كذب الأسير على المحقق برصد بعض التغيرات التي تطرأ على جسمه « كنبضات القلب وإفرازات العرق الناجمة عن توترات عصبية، فتقوم دولة الاحتلال بعرض ذلك الأسير أو الأسيرة على خبير مختص يقوم بوضع الأسلاك على الأسير من أذنه وبطنه وأطراف أصابعه والأسلاك، ويقوم المحقق بتوجيه الأسئلة إلى المعتقل مطالبه بالإجابة عليها بسرعة فعندما يحصل تغيير ترتفع

(161) الأسيرة المحررة فيروز عرفة وثقت التجربة الاعتقالية بالقول « حينما لم تكتب الأسيرة اعترافاً عن انشطتها للمخابرات في التحقيق « بدأت معي رحلة الشتم والبطش، والاهانة، والكفر، وبعد فشلهم في كسر ارادتي بدأوا بممارسة « الاهیال » وهو أسلوب يتبعه المحققون لتحطيم معنويات المعتقل الفلسطيني، وتبدأ الهواجس والأفكار تهاجمه وتؤثر على نفسيته، معتقداً أنهم نسوه، فكانوا يتركوني أيام بدون جولات تحقيق، وهنا أقر كانت تراودني أفكار سيئة ومزعجة أوجه عشرات الأسئلة لنفسی، لماذا يفعلوا ذلك ؟ ماذا يريدون ؟ ما هي خطواتهم التالية ) ؟

رواية أخرى تجمد دولة الاحتلال بسبب انتهاكاتهما للمبادئ الإنسانية التي نصلحها ملحق قائمة القواعد العرفية في القانون الدولي الانسانى الذى أكد في القاعدة 127 على تلبية الاحتياجات الخاصة بالنساء المتأثرات بنزاع مسلح في الحماية والصحة والمساعدة ( ) .»

شهادة الاسيرة المحررة فاطمة الرزق في وصف التعذيب، قالت: «عذبوني نفسياً وجسدياً وحاولوا إجهافي لأكثر من مرة، وقدموا لى دواء غير معروف، وأصابنى نزيف حاد كدت أفقد بسببه جنينى، وتعرضت للضرب بالكدمات في وجهي من قبل ضابط المخابرات الإسرائيلي، وأخذوني في منتصف الليل سحبا بالسلاسل والقيدود، وتم نقلى من زنزانية إلى أخرى بهدف إرهائى وتعاملوا معى بوحشية وقسوة دون مراعاة لخصوصيتى كمرأة أو كحامل، وحاولوا إجهاضى من خلال الدواء والعلاج غير معروف وفي كل مرة كانوا يطلبون منى فحصالجنين ليس للمساعدة طبعاً، وكنت أرفض إجراء الفحصالذي يهدف لقتل جنينى، وحينما بدأت محاولاتهم العديدة بالفشل رفضوا أثناء ولادى وجود أهلى بقربى ولكن الله كان معى دائماً، حيث تمت ولادى بعد معاناة كبيرة مع الطيبية العنصرية، وكان الإحتلال قد قيدنى خلال الولادة بالسلاسل من القدمين واليدين لثلاثة أيام متواصلة وبعد معاناة فكوا قيودى وكنت في مستشفى « مائير بكفار سابا » حيث كنت أشعر بأنى في ساحة حرب وكانت الطيبية الإسرائيلية العنصرية تصرخ في وجهى بأنى إرهابية وسأند إرهابى.

(162) رشاد المدني: واقع الأسيرات الفلسطينيات ومعاناتهم داخل السجون الصهيونية، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص.2.  
(163) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص.211.



الذبذبات فينتبه المحقق إلى موقع الكذب<sup>(164)</sup>، علماً بأن هذا الجهاز لا يشكل إثباتاً أمام المحكمة وكذلك ممنوع في العرف الدولي، ولا يجوز استخدامه ضد المعتقلين<sup>(165)</sup>.

### 3. استخدام العملاء « غف العار »:

غرف العار تعتبر وسيلة كيدية للمعتقل الفلسطيني على يد بعض المتساقطين أمنياً ممن تعاونوا مع الاحتلال هدفهم إثبات الولاء بوسيلة الحصول على الاعتراف من المعتقلين عن طريق الخداع وتمثيلهم لأدوار وطنية، وكل ما يحدث بإيعاز وإشراف رجال المخابرات الإسرائيلية، فيمثلون دور الشرف والنضال بهدف استدراج المعتقل للحديث عن العمليات أو النشاطات التي قام بها أو ممارسة الإرهاب وإتمام عملية التمثيل فإنهم يضربون المعتقل ويهددونه بإحداث جروح في جسده بأدوات حادة<sup>(166)</sup>.

### سادساً- المحاكم العسكرية والأحكام الردعية:

وقع عدد كبير من أفراد قوات منظمات المقاومة الفلسطينية في قبضة قوات الاحتلال الإسرائيلية، التي رفضت اعتبارهم أسرى حرب، واعتبرتهم سجناء وأحالتهم للمحاكمة بالمخالفة لقواعد القانون الدولي الإنساني، ولقد أصدرت بحقهم أحكاماً مختلفة<sup>(167)</sup>، طبقاً لقوانين الطوارئ وتعديلاتها، ووفقاً للأوامر العسكرية التي أصدرتها الحكومة العسكرية للاحتلال، وغالباً ما يكون الدليل الوحيد ضد المعتقل هو اعترافه أو اعتراف معتقلين آخرين عليه في حين لا يشكل استخدام التعذيب ضده سبباً كافياً لبطلان اعترافه، وإذا كان كل من مثلوا أمام المحاكم العسكرية قد أدينوا فإن ذلك يرجع إلى عدم تمكن أي هيئة دفاع من دحض أي اتهام أمام أي محكمة عسكرية، وما ذلك إلا لأنها جميعاً تتبنى موقفاً مسبقاً من المتهمين وتتلقى أوامرها من الجهات الأمنية والسياسية العليا، وتتعامل مع المعتقلين على قاعدة أن كل فلسطيني يمثل أمام المحاكم العسكرية هو مدان حتى يثبت عكس ذلك<sup>(168)</sup>.

وفي جميع الحالات التي يتراجع فيها المعتقل عن أقواله التي انتزعت منه تحت الضغط ترفض المحكمة الأخذ بأقوال المعتقل في أثناء محاكمته وتعلن عنه النيابة العسكرية شاهداً معادياً وتستند المحكمة إلى ما تقدمه المخابرات من إفادات واعترافات كان المعتقل قد

(164) تقول الأسيرة المحررة روضة حبيب أنهم نقلون إلى ما يسمى بجهاز الكذب وأبلغني المحقق أنهم دفعوا آلاف الدولارات لتأمينه لفحص الصدق أو الكذب، تعرضت لهذا الأسلوب ثلاث مرات، وكل مرة كنت أمكث 15 ساعة للعملية الواحدة، كنت أشعر بعملية تحقيق قاسية، أي حركة للرأس أو الجسم يعيد الاختبار من جديد كنت أشعر بالتنحيط، كنت أذهب للخبير من الساعة التاسعة والنصف صباحاً حتى نهاية الليل، كنت أشعر بالشلل وأنا مليئة بالأسلاك في كل مكان على جسمي وقلبي، وفي النهاية قال لي أنت إنسانة كذابة وخسرنا الكثير من المال دون فائدة، وعقبت كل القضية مسرحية شعرت أن الكرسي نفسه كذاب بالإضافة للمحققين.

(165) وليد مزهر: الاعتقال في السياسة الإسرائيلية في منظور القوانين، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص 98.

(166) محمد لطفى ياسين: مرجع سابق، ص 32.

(167) نداء البرغوثي: مرجع سابق، ص 250.

(168) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص 245.



قدمها في أثناء التحقيق، والتي انتزعت منه بالقوة والتعذيب والتحايل، ولا تقبل المحكمة تراجع المعتقل عن أقواله<sup>(169)</sup>.

يخلص الباحث أن أجهزة الأمن الإسرائيلية في تعاطيها مع الشعب الفلسطيني من منظور أممي وعدائي بحت، ترتكب جرائم حرب في إعدامها للمعتقلين أثناء اعتقالهم، وفي مراكز التوقيف والتحقيق وممارسة التعذيب النفسي والجسدي بغطاء من المحاكم الإسرائيلية بمغلفات ومبررات أمنية واهية، أباحت للمحقق والسجان والقاضي العسكري كل ما من شأنه تعنيف وإرهاب المعتقلين والانتقام منهم بشتى الوسائل<sup>(170)</sup>.

ويرى أن الحالة الإبداعية للأسرى والمعتقلين في ظل تلك التجربة المريرة من الاعتقال والتحقيق والسجن هي قدرتهم على التحمل وتميزهم بالقدرات والإمكانات الشخصية وتكيفهم مع تلك الظروف، وأنهم امتلكوا من القدرات المعرفية والانفعالية، ما يؤهلهم للتصدي للمواقف الضاغطة والتخلص منها، أو ما يعطيهم القدرة على تجنب أثارها السلبية، أو التقليل منها بهدف المحافظة قدر الإمكان على التوازن الانفعالي<sup>(171)</sup>، واستخدامهم للعديد من استراتيجيات التكيف النفسي والاجتماعي، وتمتعهم حتى ما بعد التحرر» بالقدرة على إعادة التقييم والتي تحتل المرتبة الأولى في الاستخدام في مواجهة الآثار النفسية، يليها التخطيط لحل المشاكل، ثم التحكم بالنفس، يليها الانتماء، تأتي في المرتبة الخامسة استراتيجية تحمل المسؤولية، يليها التفكير بالتمني والتجنب، وجاءت إستراتيجية الارتباك والهروب في المرتبة السابعة والأخيرة في الاستخدام من قبل الأسرى المحررين<sup>(172)</sup>.

(169) زاهي وهبي: مرجع سابق، ص 76.

(170) كالتعذيب والترهيب والاستهداف الأمني والأخلاقي والحرمان من الحقوق الانسانية والأساسية، والتعامل بمنطق العداوة والكراهية والقولية الأمنية والسياسية السلبية والتعريض الاعلامي، والأحكام الردعية المستندة للمزاج العسكري، إذ لا منطق ولا عقل ممكن أن يستوعب حكم أسير بستة آلاف وسبعمئة عام (67 مؤيد مدى الحياة)، أو مكوث اسرى في السجون الاسرائيلية لمدة 34 عام متواصلة، أو حكم طفل دون سن الثامنة عشر لأكثر من عشرين عام، أو أسيرة بالمؤبد مدى الحياة.

(171) -عايد محمد الحموز: مرجع سابق، ص 5.

(172) زاهي وهبي: مرجع سابق، ص 19.

# المبحث الثالث

## الوسائل النضالية للأسرى كحالة إبداع في مواجهة الاحتلال

استطاعت الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة - رغم قلة إمكانياتها المادية وعبء نضالات مستمرة توجت بعدد كبير من الشهداء وعبء خطوات نضالية حكيمة ومنسجمة مع الواقع والمتطلبات « تارة بالخطوات التكتيكية وأخرى بالاستراتيجية، وبالوسائل السلمية والحرب النفسية والعنيفة، وبالحوارات والإضرابات والمواجهة وترجيح الوجبات، والحرب النفسية، والتواصل بين القلاع الأخرى للسجون والمعتقلات، ومع المؤسسات الفلسطينية والعربية والدولية في الخارج ومع الجماهير» أن تحقق إنجازات كبيرة.

وبالكثير من التضحيات انتقلت الحركة الأسيرة من ضعف التجربة إلى الخبرة والقيادة، ومن العجز إلى الإعداد والريادة، ومن الاستهداف إلى الحماية والأمن، ومن غياب الكادر إلى إعداد القادة، وتم الانتقال من مرحلة إلى أفضل، من العفوية وفقدان الاتزان، إلى مرحلة بناء الذات والتجربة والخطأ، إلى مرحلة التكوين التنظيمي ومأسسة البنى التنظيمية، إلى مرحلة البناء وسيادة السلطة التنظيمية، إلى مرحلة النضال الشامل والنضج والمخاض والانتصار والعزة والكرامة وتحقيق معادلة الرعب مع طواقم إدارة مصلحة السجون، ومن ثم الوصول إلى حالة حقيقية من الإبداع على كل المستويات التنظيمية والإدارية والثقافية والمالية والأمنية والخارجية، والعلاقات الفصائلية والتأثير الإيجابي خارج السجون.

في هذا المبحث سيتطرق الباحث إلى الوسائل النضالية التي استخدمها الأسرى للنهوض بواقعهم، وفي مجابهة السياسات الإسرائيلية بالوسائل النضالية التكتيكية كالمراسلات والحوارات ومقاطعة رجالات الإدارة والعيادة والاستراتيجية كالإضرابات المفتوحة عن الطعام والإضراب عن التدخين والزيارات والنزعة والحلاقة والعمل، وبالوسائل السلمية والعنيفة.

### الوسائل النضالية:

أولاً: وسائل سلمية: وتنقسم إلى قسمين تكتيكية واستراتيجية.

1. وسائل سلمية تكتيكية:

أ - المراسلات والحوارات:

في أعقاب اعتراف إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية بالتمثيل الاعترافي، والتعاطي مع ممثلي الفصائل، واللجنة الوطنية العامة التي تناقش أوضاع الأسرى وتبلور القرارات بالتراضي أو

بالأغلبية وفق سياسة متعارف عليها في كل معتقل، ومع لجنة الحوار التي تجتمع بإدارة السجن لمناقشة مطالب الأسرى والأوضاع بشكل عام، ومع كبار رجالات إدارة مصلحة السجون التي تأتي من خارج السجن، أصبحت وسيلة النضال الأولى للتفاهم هي تقديم الطلبات والمراسلات، والحوار المباشر عن طريق ممثل المعتقل كحلقة وصل بين الأسرى الذين يمثلهم، أو عبر مندوبي الفصائل وموجه القسم في القضايا الميدانية الداخلية، وهذه الوسيلة تقطع الحجة لدى إدارة مصلحة السجون قبل الدخول بأي خطوة نضالية.

### ب - إرجاع الوجبات:

في حال تجاهل مطالب الأسرى في أي قضية ملحة، أو التسويف والمماطلة في الردود عليها، تبدأ اللجنة الوطنية العامة ببلورة خطوات نضالية تكتيكية بإرجاع بعض وجبات الطعام قد تصل ليوم كامل، وهذه الخطوة بمثابة رسالة احتجاجية وتحذيرية في نفس الوقت بإمكانية تصعيد الأوضاع وترشيحها للانفجار فيما لو لم تتحقق مطالب الأسرى.

### ج - مقاطعة رجالات الإدارة:

كثيراً ما يمارس بعض السجناء بحق الأسرى ممارسات عنيفة بقصد الإهانة وقت التفتيشات، أو انتقامية وقت المواجهات والقمعات، أو غير مقبولة مع الأهالي وقت الزيارات، مما يضطر الأسرى بتبليغ إدارة السجون بمقاطعة ذلك السجن، ويطالبونها بعدم دخوله للأقسام، مبلغين بعدم المسؤولية عن أي خطر يهدده، ” وغالباً ما كان هذا الأسلوب مجدياً وفاعلاً يؤدي إلى تأديب أولئك السجناء الذين كانوا يتعرضون لضغوط نفسية شديدة أثناء فترة مقاطعتهم، وكثيراً ما جاء بعض هؤلاء إلى المعتقلين راجياً فك المقاطعة الاجتماعية عنهم<sup>(173)</sup>، تخوفاً من تطور المقاطعة لتصل للإيذاء الجسدي وتهديد الحياة بحقهم.

### د - مقاطعة العيادة:

عشرات الشهداء في السجون كانوا ضحية الإهمال الطبي، وتأجيل العمليات الجراحية الضرورية، وعدم القيام بالفحوصات المخبرية، وتجريب الأدوية على السجون، وعدم توفير العلاجات المناسبة والاكتماء بحبة الأكامول السحرية، ونتيجة لهذا الواقع أضرب الأسرى وخاصة المرضى منهم عن تسلم الأدوية من الممرض، أو النزول للعيادة، أو مراجعة ما يسمى بمشفى سجن مراج - الرملة، ” وكثيراً ما أجدى هذا اللون من الإضرابات لسببين<sup>(174)</sup>، الأول، أن مقاطعة ذوي الأمراض المزمنة للعيادة قد يؤدي بحياتهم، وهذا مرتبط بالسبب الثاني وهو تخوفات دولة الاحتلال من عواقب المقاطعة وتداعياتها التي قد تؤدي بحياة الأسرى والتي تحرك الرأي العام والمؤسسات القومية بالدولة لمعرفة ما يحدث من إجراءات تعسفية في السجون الإسرائيلية إعلامياً وقانونياً لو حصل مكروه لأي أسير نتيجة هذه الخطوة.

(173) حلمي عنقاوي: مرجع سابق، ص 67.

(174) حلمي عنقاوي: مرجع سابق، ص 64.

## 2. وسائل سلمية استراتيجية:

قام الأسرى بالعديد من الخطوات النضالية السلمية رداً على انتهاكات إدارة مصلحة السجون، وكانت تلك الخطوات متفاوتة التأثير، وتميزت بالقوة والضعف، وللقليل من التفصيل:

### أ - الاضرابات المفتوحة عن الطعام

يعتبر هذا الأسلوب من أفضل الأساليب التي يلجأ إليها المعتقلون داخل السجون، وهو سلاح استراتيجي فتاك، وقد أثبت هذا السلاح فاعليته خلال المسيرة الاعتقالية<sup>(175)</sup>، منذ سنواتها الأولى وحتى يومنا هذا.

فالإضراب المفتوح عن الطعام ليس هدفاً بحد ذاته، بل هو الخيار الأخير، غير المفضل لدى الأسرى، وتلجأ إليه الحركة الأسيرة بعد استنفاد كافة الخطوات النضالية التكتيكية<sup>(176)</sup>، وهناك أهداف ومسميات للإضرابات المفتوحة عن الطعام منها: "الإضرابات الاحتجاجية، والتضامنية، والمطلبية، والسياسية، ومنها الجماعية والفردية، ومنها على الماء والملح فقط، وأخرى مع تناول المدعمات من المحاليل والفيتامينات»، فالإضرابات تشكل أوسع حالة ضغط على الاحتلال نتيجة تحرك الجماهير الفلسطينية والعربية والدولية، وتدخل المؤسسات الحقوقية والدولية، والتخوف من استشهاد الأسرى الذي يوسع من ظاهرة الغضب العارمة التي تحدث بعد كل إضراب مفتوح عن الطعام.

### ب - الإضراب عن الزيارات:

إضراب الأسرى عن زيارات الأهل هو شكل من أشكال النضال لإجبار إدارة السجون على توفير متطلباتهم الضرورية، أو لانتزاع حقوقهم الأساسية المسلوقة، واستخدمت الحركة الأسيرة هذه الوسيلة النضالية لأول مرة في معتقل نابلس في العام 1968م، وقام الأسرى بإضراب شامل عن الزيارات في العام 1973م استمر ثمانية شهور<sup>(177)</sup>، وأهم أهداف خطوات الإضراب عن الزيارات هو الاحتجاج على ما يتعرض له الأسرى من انتهاكات، وهي خطوة تحريضية للضغط على الاحتلال لمنح الأسرى حقوقهم من خلال المظاهرات والاعتصامات التي يقوم بها أهالي الأسرى والمتضامنين، والتي تحرك الرأي العام باتجاه قضاياهم.

### ج - الإضراب عن الحلاقة:

لجأ الأسرى والمعتقلون إلى هذا الشكل من الإضرابات عندما كانوا في بداية صنع التجربة الاعتقالية ظناً منهم أن مثل هذا الأسلوب قد يشكل عامل ضغط على سلطات السجون، ولجأت الأخيرة إلى قمع الأسرى بالقوة فكانت تحلق لهم ذقونهم بالزرنيخ الذي كان يترك

(175) حلمى عنقاوى: مرجع سابق، 65.

(176) ولقد لجأوا إليه لأول مرة في معتقل نابلس عام 1968 م (، ثم معتقل عسقلان في العام 1970 م، حيث استشهاد الأسير عبد القادر أبو الفهم الذي يعتبر أول شهيداء الحركة الوطنية الأسيرة.

(177) المصدر نفسه: ص76.

رائحة كريهة تلازم كل معتقل فضلاً عما يسببه ذلك من آلام وتشويهاات جلدية، وأحياناً كانت تلجأ إلى استخدام شفرات الحلاقة، وكانت تتصبب الدماء من وجوه الأسرى نتيجة الجروح، التي كان السجانون يحدثونها في وجوههم بشكل متعمد<sup>(178)</sup>، وتتعامل إدارة السجون مع الخطوة بالكثير من الحساسية من الناحية الأمنية، كونها تصعب من تشخيص الأسرى على العدد الأمني نتيجة تشابه الحالة والمظهر لدى الأسرى كلما طال الإضراب.

#### د- الإضراب عن النزهة:

مرات عدة استخدم الأسرى هذه الوسيلة في خطواتهم النضالية، وكان أول الإضرابات على هذه الطريقة في العام 1968م بسجن بيت ليد « كفاريونا » عندها امتنع الأسرى عن الخروج إلى ساحة التجوال طوال شهري تشرين الأول وتشرين الثاني من ذلك العام، احتجاجاً على ظروف الحياة المعيشية في المعتقل<sup>(179)</sup>، وتخشي إدارة السجون من الخطوة بسبب مراكمة الضغط النفسي لدى الأسرى لطول بقائهم في الغرف، والذي قد يتطور لانفجار فجائي يهدد حياة السجانين.

#### هـ- الإضراب عن العمل:

كانت قضية إلزام المعتقل على العمل داخل السجن أو في ورش قريبة من السجن أكثر أوجه التعامل القاسي مع المعتقلين، فقد كان العمل في ورش تتبع شركات خاصة في إسرائيل، وصل لإجبار الأسرى على العمل في صناعة شبك للدبابات، وتم إيقاف هذا الأمر لرفض الأسرى العمل به بفضل دم الشهداء، واستخدم الأسرى هذه الوسيلة كونها تثقل كاهل ميزانية إدارة السجون لو قامت بها في الكثير من المرافق الحيوية في المطابخ والمغاسل وقسم البناء وغيرها.

#### و - تجنيد السجانين:

في مقابل محاولات إدارة السجون في تجنيد العملاء لصالحها، استطاع الأسرى تجنيد بعض السجانين للقيام بمهام تخدمهم، في عمليات تهريب الهواتف النقالة، والمناشير لعمليات الهروب، وإيصال الرسائل والقيام بالتواصل بين الأسرى ومع الأهالي في الخارج للقيام ببعض المهمات الضرورية للأسرى<sup>(180)</sup>، والتي تشكل خطورة أمنية على إدارة مصلحة السجون

(178) حلمى عنقاوى: مرجع سابق، ص 62.

المصدر نفسه: 65.

(179) حسن عبد الله: مرجع سابق، ص 30.

(180) على سبيل المثال لا الحصر دون الأسير العربي المحرر الشهيد سمير القطار في مذكراته بعنوان « قصتي » كيف استدرج أحد السجانين لتهريب هاتف نقال له، فقال: قمت ببناء فقة مع السجان من خلال عدة محادثات عن وضعه المال وأدركت حاجته للمال، وبعد الكثير من المحادثات وبناء الثقة، ناديت الشرطى ليأني إلى زاوية مطمئنة في المرص، همست له: أريدك أن تمرر لي هاتفاً، فراجع مصدوماً من الطلب، فترددت في البداية، وفكر في المبلغ المغري ثم وافق.

واتفقت معه أن أعطيه: 2500 دولار عندما يتسلم الهاتف، و 2500 دولار بعد أن يسلمني إياه، وبعثت لرفيقي لى خارج السجن رقم هاتف الشرطى كى يتم التنسيق بينهما على مكان تسليم الهاتف وزمانه، وبالفعل تم ذلك، ووصلنى الهاتف عن طريق الشرطى فى 11/1/2005.

قصة أخرى في تجنيد إحدى السجانين دونتها الأسيرة الفلسطينية دلال أبو قمر، وهي من أقدم الأسيرات اللواتي اعتقلن عقب نكسة عام 1967م، تصف ما حدث

### 3. الحرب النفسية: تتبع الوسائل السلمية وفي غالب الأحيان تتطور لتكون عنيفة مثل:

#### أ. التهديد بحل التنظيم:

حل التنظيم يعني نهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة، إنهاء لمرحلة الحوار والانضباط، والاستقرار من قبل الأسرى ضمن معادلة تم الاتفاق عليها ضمناً بين الأسرى وإدارة السجون، للدخول في مرحلة اللاحوار والفوضى والتصرفات الفردية غير المسؤول عنها التنظيم، والتي تعطي الحق لأي أسير أن يجتهد بطريقة ووسيلته للدفاع عن ذاته والأسرى، فحل التنظيم يعني التصعيد مع إدارة السجون، وبداية عصيان منظم، يبدأ بإدخال عمال المرافق (ككتين، محلقة، مكتبة، مغسلة، عمال المردون)، بالإضافة لدخول المفوض بالحديث مع الإدارة داخل القسم، وتصل الأمور بقطع الحديث مع إدارة السجن<sup>(181)</sup>.

استخدمت الهيئة القيادية العليا لأسرى حركة الجهاد الإسلامي هذه الوسيلة في سجن ريمون في فبراير 2015م، في أعقاب نقل ممثلهم بشكل تعسفي وبلا مبرر، وفي أعقاب حل التنظيم قام أحد الأسرى<sup>(182)</sup> بتنفيذ عملية طعن لضابط داخل سجن ريمون مما أوجد حالة إرباك وخوف وعدم استقرار لدى السجناء على حياتهم.

#### ب. تهديد رجال الإدارة:

يلجأ الأسرى في بعض الأحيان لتهديد سجان، بسبب انتهاك غير بسيط بحق الأسرى أو الاعتداء على أحد الأسرى وقت تفتيش معين، وغالباً ما تأخذ إدارة مصلحة السجون بمثل هذه التهديدات ويتراجع السجناء عن تصرفاتهم، لعملمهم بجدية تلك التهديدات التي يعقبها اعتداءات، ويتعامل الأسرى بهذه الطريقة على قاعدة " أن لا راحة للسجان ما دمت تعباً، لأن جل هم السجن هو لحظة العودة إلى البيت ولقاء أبناءه، فلماذا يعود الى أسرته آمناً مطمئناً بينما الأسرى يعانون(183)".

معها بعد أن أشبعها ضباط التحقيق ضرباً وشجباً وإجباراً على الوقوف لساعات طويلة بأوضاع صعبة ومنعاً من النوم، ولكنها رفضت الاعتراف بما يطلبون، وقد تم تجريدها من ملابسها تماماً، وجاءوا بأحد الأسرى الفلسطينيين وطلبوا منه اغتصابها لكنه أغمض عينيه، وقال لدلال بصوت يسمعه الجميع « اصمدي يا دلال فأنا والله لا أرى منك شيئاً»، وتضيف دلال أنها تعرضت لشتى صنوف التعذيب، ومنها الإحراق بالنار، وأعقاب السجائر التي لازالت آثارها بادية على جسدها، ومن الحكايات المدهشة و النادرة التي كشفت عنها دلال أنها نجحت في تجنيد إحدى حارسات السجن في العمل لصالح التنظيم، حيث تقول: «رأيت المجندة في المرة الأولى أثناء التحقيق معي حيث كنت أتعرض للتعذيب والإذلال، ومورست ضدي سياسة التعرية، وكانت المجندة على مقربة مني وعيناها تفيضان بالدموع، وبقيت الفتاة في ذاكرتي، وعلمت بعد انتهاء التحقيق وانتقالي للمعتقل أنها يهودية هندية، فطلبت منها أن ترسل رسالة إلى إحدى الأسيرات في زنازنة أخرى، فقبلت، ثم توالت الرسائل التي تصل من خلالها إلى أن تم تجنيداً رسمياً لصالحنا، ونجحنا فيما بعد في تجنيد عدد آخر من حارسات السجن، إلا أن الأمر لم يستمر بهذه السهولة، وقد علمنا فيما بعد أن المجندة الهندية اكتشفت أمرها، وألقي القبض عليها، ثم حوكت محاكمة عسكرية».

(181) موقع بصائر: <http://www.basaer-online.com/>

(182) الأسير حمزة سلامة سليمان أبو صواوين من سكان مدينة دير البلح وسط قطاع غزة.

(183) زياد أبو زياد: مرجع سابق، ص148.

## ثانياً- وسائل عنيفة:

وتنقسم قسمين عنيفة تكتيكية وعنيفة استراتيجية:

### 1. وسائل عنيفة تكتيكية:

#### أ - التكبير والطرق على الأبواب:

تعتبر وسيلة مكررة وشائعة، ففي كثير من الأحيان يصل الحد من جانب إدارة السجون للتجاهل المقصود للأسرى في حالات مصيرية قد تؤدي بحياة أحد الأسرى المرضى التي تستدعي حالته النقل إلى العيادة أو المستشفى، حينها يبدأ الأسرى بالتكبير والطرق على الأبواب والإعلان عن حالة استنفار حتى يجبروا الإدارة على الحضور ونقل الأسير المريض لتلقي العلاج، وقد تكون تلك الوسيلة ممنهجة من جانب الأسرى كحالة نضالية ضمن مشروع طويل متفق عليه بين الفصائل<sup>(184)</sup>، وهذه الخطوة تخلق الذعر في أوساط السجناء، وقد تصل لحد التمرد الذي يكلف السجناء حياتهم.

#### ب - القضاء على مظاهر الاستفزاز:

تتبع إدارة مصلحة السجون في كثير من الأحيان سياسة استفزازية للأسرى من خلال بعض الرموز كوضع صور لقادة دولة الاحتلال، أو وضع العلم الإسرائيلي في الأقسام، الأمر الذي يقرأه الأسرى بأبعاد نفسية ورسائل ضمنية مبطنة، فلجأوا إلى القضاء على تلك المظاهر بالقوة<sup>(185)</sup>، وهذه خطوة معنوية تعبر عن رفض الأسرى لدولة الاحتلال ورموزه ومؤسساته، والبقاء على أفكارهم الوطنية رغم كل ممارسات القمع الإسرائيلية بحقهم.

#### ج- رفض الوقوف على العدد:

الوقوف على العدد، وعدد مراته في اليوم مر بالكثير من المراحل والأشكال منذ بدء الحركة الأسيرة، كان أسوأها بدايات الاعتقال، بالصحو من النوم، وترتيب مقتنيات الأسرى من بطانيات وصحون، وشكل الجلسة، وعدد مرات العدد، وطول مدة الانتظار وانتهاءها، وشكل الرد على العدد، وأفضله كان في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات الذي انحصر بثلاث مرات يومياً، والوقوف على عدد الظهيرة والمساء فقط مع تحريك اليد صباحاً، واستخدم الأسرى هذه الوسيلة مرات عديدة احتجاجاً على الانتهاكات بحقهم، الأمر الذي تنظر إليه إدارة

(184) من الأمثلة على ذلك أحداث سجن عسقلان في 11/9/1985 بالطرق على الأبواب، مستخدمين في ذلك كل ما وقع في ايديهم من قطع الصابون والصحون وقطع القماش المنتهبة، وبكل متعلكات الأسرى وما تواجد في الغرف لأدوات المطبخ، وقد كان صدى الصوت الصادر عن طرق الأبواب يشبه مراهض المدفعية عند اهتزازها من جراء قذف القنابل والحجم، وقامت بعض الغرف في أعقابها بإشعال النيران في الفرشات والملابس مما أدى إلى تصاعد الدخان من الغرف بشكل كثيف أدى إلى حالات اختناق وإلى حالة عجز من فعل شيء من جانب إدارة مصلحة السجون حتى استدعت قوات من الخارج للسيطرة على السجن، الأمر الذي تكرر عشرات المرات في كل السجون والمعتقلات الإسرائيلية.

(185) على سبيل المثال قالت المحررة فيروز عرفة: في الخامس عشر من أيار / مايو 1971 قامت مجنونة صهيونية تدعى « بعل » و« كنا نناديها « نعل» برفع علم اسرائيل أمام غرفتنا بهدف استفزازنا، فقررنا أن نمزقه أثناء خروجنا للفضوة، وألقيناه في القمامة، مما استدعى الإدارة للتحقيق معنا، وتفتيش الغرف، ومصادرة ما فيها، وتم ضربنا ورسنا بالغاز المسيل للدموع ( )، الأمر الذي تكرر في سجن نفحة في 26/5/2015، على يد الأسير أيمن الشرباتي الذي أنزل العلم الإسرائيلي المتواجد في القسم، وقام بحرقه مما أدى إلى حالة استنفار في القسم، وتم عزل الأسير لفترة طويلة.



مصلحة السجون كأحد أنواع حالات التمرد على القوانين، وغالباً ما تتوتر الأوضاع في أعقاب هذه الخطوة وتصل للمواجهة بين الطرفين.

#### د- رفض العودة للغرف:

عدم الرجوع للغرف أثناء الخروج للفورات « ساحة النزهة » استخدمها الأسرى كوسيلة نضال محدودة، ولفترة بسيطة، قد تكون لعشر دقائق أو ما يزيد قليلاً، تجنباً للصدام والمواجهة مع إدارة مصلحة السجون، كرسالة تحذير، وقد يصل الأمر للتوتر والاستنفار بين الطرفين إلى حد المواجهة بعد هذه الخطوة في بعض الأحيان.

#### هـ - رفض التفتيشات العارية والافتحاحات الليلية:

تعمدت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية باتباع سياسة الإذلال والإهانة للأسرى تحت ذرائع أمنية، ومن تلك السياسات التي سببت الكثير من المواجهات والصدمات العنيفة من جانب الأسرى وحالات الاحتجاج الجماعية هو التفتيش العاري عند دخول أي سجن أو الخروج منه، أو اقتحامات غرف الأسرى ليلاً من فرق خاصة، وإخراج الأسرى في البرد الشديد بعد تقيدهم لساعات طويلة، وخلط ممتلكاتهم وملابسهم، والاطلاع على خصوصياتهم كألبوم الصور العائلي ورسائلهم الخاصة، وقلب كل الغرفة وتخريب كل ما فيها بحجة الأمن، ولقد رفض الأسرى هذا النوع من التفتيشات والافتحاحات، وتعرضوا نتيجة هذا الموقف للضرب الشديد والعزل الانفرادي والغرامات المالية والعقوبات المختلفة، لرفضهم هذه الأسلوب غير الإنساني الممكن استعاذته بوسائل تكنولوجية بديلة، ويخشى السجانون غضب الأسرى بعد كل حالة تفتيش تمارس بالقوة تجنباً لصدام يؤذيهم.

#### و - الاحتكاكات والمشادات اللفظية:

في بدايات الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة تعمد السجانون بإطلاق الكثير من الألفاظ والشتائم والإهانة لعدم بلورة أشكال تنظيمية، أو خطوات نضالية، أو وحدة موقف اعتقالي، وبعد بلورة تلك الشروط وقوة الحركة الأسيرة، لم يجرؤ السجان على المس بالأسرى ولو لفظياً، واستطاع الأسرى وضع حد لتلك الإهانات، ولو وصل الأمر للعزل أو المواجهة.

ز- استخدام الحرائق، ولقد استهدف الأسرى أكثر من مكان للتعبير عن غضبهم كوسيلة احتجاج منها:

#### • حرق المنجرة في سجن بئر السبع:

في أعقاب إجبار إدارة مصلحة السجون الأسرى على فك إضرابهم الأول بالقوة والهروات والدروع في سجن بئر السبع في العام 1970م، اتفق الأسرى على خطوة انتقامية كرد فعل على ذلك، وفي 20/7/1970م قام الأسرى بحرق أكبر مرفق إنتاجي في المعتقل، والتهمت النيران

خمسة عشر ألفاً من الصناديق الخشبية التي كانت معدة للتصدير، وعجزت حينها إدارة السجن والإطفائية التي تم استدعاؤها من الخارج لإخماد الحريق، تلك المبادرة التي أثبتت عدم القدرة على النيل من الأسرى دون ردود<sup>(186)</sup>.

## 1. حرق الغرف:

لجأ الأسرى مرات عديدة لتلك الوسيلة، بشكل جماعي في السجن، أو بشكل فردي في أقسام العزل، وعلى سبيل المثال لا الحصر في 27/7/2015م أعلن الأسرى حالة التمرد والعصيان في وجه إدارة مصلحة السجن ووحداتها القمعية في سجن نفحة، وقاموا بحرق عدد من الغرف، كنوع من الاحتجاج على تصرفات الإدارة تجاههم، وذلك في أعقاب اقتحام قوات القمع الإسرائيلية للأقسام، مما أدى إلى حالات اختناق وإصابة اثنين من الأسرى وستة سجانين بحروق<sup>(187)</sup>، وهذه الوسيلة كما هي مؤذية للأسرى أيضاً مؤذية للسجانين الذين يصابون بالاختناق.

## 2. وسائل عنيفة استراتجية:

حاولت إدارة مصلحة السجن الإسرائيلية ممارسة سياسة الإذلال والإهانة بحق الأسرى الفلسطينيين منذ بدء الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، التي كان يشجع فيها السجان رغبة كراهيته وعنصريته بالاعتداء على الأسير متى شاء وكيفما شاء، ولم يكن يدرك بأن تلك المعادلة لن تستمر طويلاً، حتى بدأت حالة التملل في العام 1968م، وبلغت الأمور ذروتها بتاريخ 18/2/1969 م، عندما قام أحد السجانين بشتم أحد الأسرى في محاولة لإذلاله وإهانته، فرد عليه الأسير الصاع صاعين، وهنا أقدم السجان على ضرب الأسير، فما كان من الأسير إلا أن ضرب الشرطي، فأعلنت حالة الاستنفار داخل المعتقل (188).

هذه الوسيلة النضالية اتبعتها الأسرى بشكل فردي، أو بتغطية وبقرار تنظيمي جماعي يهدف لخلق معادلة رعب مع إدارة السجن، التي لن تسلم من الرد حال أي اعتداء على أي أسير.

شهد الباحث حادثتين مماثلتين في عزل الرملة نيتسان خلال عزله تحت الأرض لعامين متتاليين من " 1990 - 1992 " في ظروف لربما الأسوأ على مدار الحركة الأسيرة بشروط حياة غير مسبقة، مما أدى ذلك الوضع لحالة انفجار، فقام الأسير أحمد شكرى المحكوم بمدى الحياة بتشفير شرطي وحاول طعن ضابط القسم، "فقامت الإدارة باقتحام الغرف، واعتدت على الأسرى، وحدثت مواجهة بين الجانبين وقع فيها جرحى من الشرطة الاسرائيلية، ومن ضمنها جرح ضابط الأمن وأخذ خمس غرز في رأسه (،) وتم عزل الأسير شكرى بعد الاعتداء عليه بظروف قاسية جداً.

(186) حلمي عنقاوي: مرجع سابق، ص204.

(187) وكالة سما الاخبارية: 243324=post&id=243324 http://samanews.com/ar/index.php?fact=

(188) حلمي عنقاوي: مرجع سابق، ص62.

ويروى الباحث تجربة أخرى عايشها في سجن نفحة في أعقاب انتفاضة 2000، بعد تفتيش غير مقبول لزوجته أسير في يوم الزيارات، يومها عمت حالة الغضب الجماعية، ونزل تعميم داخلي بضرورة الرد، وحضر مدير السجن للأسرى واعتذر عما حدث وتعهد بعدم تكراره، إلا أن الأسير هاني جابر من سكان الخليل لم يقف على العدد، ليتم انزاله للمحاكمة في غرفة المدير أو نائبه بوجود عدد من طاقم الإدارة، واستطاع أن يخبئ سكين قام باعدادها بنفسه من قطعة معدنية، وقام بطعن المدير وضابط وشرطي رداً على الحادثة، ومثل هذه الحوادث تكررت عشرات المرات، ودفع الأسرى ثمنها الدماء وسنوات من العزل الطويلة والغرامات والمنع من الزيارات والتضحيات الجسام، إلا أنها حافظت على الأسرى وكرامتهم، وعززت أمام السجناء عدالة قضيتهم، وأوجدت حالة من الأرياء والقلق لدى إدارة مصلحة السجون، وقوت عزائم وإرادة الأسرى، وتضاعفت ثقتهم بإمكانياتهم وقدراتهم وأساحتهم النضالية التي أوصلتهم لمعادلة توازن الرعب مع جلاديهم رغم قلة الامكان.

في نهاية المبحث يرى الباحث أن الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين يحق لهم التمتع بوضع أسرى الحرب، أو المعتقلين المدنيين المشمولين بحماية اتفاقية جنيف الرابعة والمواثيق الدولية ذات الصلة بكل من الوضعين<sup>(189)</sup>، وفي كلا الحالتين هناك حقوق إنسانية وأساسية يجب توفيرها وتطبيقها لحفظ كرامتهم كأسرى، وتمنحهم حق الاحتجاج والخصوصية في اختيار الوسيلة النضالية السلمية لتحسين ظروف احتجازهم المأساوية لو أخلت الدولة الآسرة بالاتفاقيات الدولية.

وأبدع الأسرى الفلسطينيون في استخدام وسائل احتجاج سلمية وعنيفة متنوعة لتحصيل حقوقهم، فالوسائل العنيفة أوجدت معادلة رعب في المعتقلات بين الأسرى وإدارة مصلحة السجون وطواقمها، وردعت السجناء من خلال استهداف حياته في حال الاستمرار في إذلال الأسرى والاعتداء عليهم، في حين أن الوسائل السلمية حركت الجماهير الفلسطينية والعربية والمؤسسات الحقوقية والدولية للضغط على الاحتلال لتطبيق مواد وبنود الاتفاقيات الدولية التي أكدت على حقوق الأسرى.

ويعتقد الباحث أن المظاهر الإبداعية للأسرى والمعتقلين في مواجهة السجناء هو تسليحهم بعدالة قضيتهم، واحتكامهم للقانون الدولي والإنساني في عملية الرفض، والاحتراف في المواجهة من خلال مناقشة جماعية مستفيضة عبر مؤسسات اعتقالية للظروف العامة والسياسية المحيطة، واستخدام كل الوسائل والتفكير بجميع البدائل، والانتقال من مرحلة تكتيكية إلى أخرى استراتيجية، ومن وسيلة سلمية بسيطة إلى وسيلة عنيفة معقدة، وانتقاء الفرصة المواتية لبدء المعركة، وشكلها، وأدواتها المتفرعة والموزعة في الجانب الحقوقي والإعلامي والجماهيري، وتهيأة المتضامنين الفلسطينيين والعرب والأحرار من العالم لمساندتهم ودعمهم في خطواتهم التي يعلنون عنها ويجهزون لها عبر الاتصالات المسبقة مع الشخصيات والقيادات والفصائل والمؤسسات الداخلية والخارجية، المحلية منها والدولية.

(189) نداء البرغوثي، أسرى الحرب في القانون الدولي، القاهرة، دار النهضة العربية، 2015، ص.72.

# المبحث الرابع

## عوائق سلطات الاحتلال لطمس الجوانب الإبداعية للحركة الأسيرة

تتعامل دولة الاحتلال الإسرائيلي مع الأسرى الفلسطينيين كإرهابيين، لا مناضلين طلاب حرية، وأسرى حرب أو معتقلين مدنيين محتجزين على إثر قضية سياسية، واستعلت على الاتفاقيات والمواثيق الدولية في حقوقهم الإنسانية والأساسية، في هذا المبحث سيتطرق الباحث إلى أبرز السياسات والعوائق التي انتهجتها سلطات الاحتلال المتمثلة بإدارة مصلحة السجون الإسرائيلية للنيل من الأسرى، والحد من تطوير قدراتهم وإمكاناتهم على شتى الصعد والمستويات والجوانب، بهدف طمس الجوانب الإبداعية لديهم، ومنها عوائق على المستوى القانوني، وعوائق معيشية واعتقالية، وعلى صعيد السلامة النفسية البيئية، وعوائق فنية وذهنية ورياضية ومالية وتنظيمية.

### أولاً- عوائق على المستوى القانوني:

لم تتعامل دولة الاحتلال الإسرائيلي مع الأسرى على خلفية سياسية تنطبق عليهم الاتفاقيات والمواثيق الدولية كأسرى حرب، أو مدنيين تم احتجازهم من مناطق محتلة، بل عاملتهم وفق قوانين وأنظمة إسرائيلية فقط<sup>(190)</sup>، ولم يستمر وضع الأسرى من الناحية الإسرائيلية عند هذا الحد، بل بدأت المنظومة الإسرائيلية بكاملها « حكومات متعاقبة ووزراء وأعضاء كنيست ومحاكم وصحفيين ودبلوماسيين بالتحريض عليهم داخلياً وخارجياً، واتبعوا معهم سياسة عدائية متطرفة، برز هذا الأمر بصورة جلية في الأعوام الأخيرة لحكومات نتنياهو المتطرفة والمتعاقبة، عبر تصريحات وتحريضات عدد كبير من الوزراء وأعضاء الكنيست<sup>(191)</sup>، وسن القوانين من قبل القضاة والمحاكم الإسرائيلية التي شرعت الكثير من الإجراءات كالتعذيب في التحقيق، والأحكام والقوانين الردعية بحق الأسرى، وعقوبات غير منطقية مخالفة للقانون الدولي الإنساني والاتفاقيات الدولية، وصوت الكنيست الإسرائيلي في جلساته لصالح قانون التغذية القسرية بالقراءة الثانية والثالثة، لصالح قانون شاليط الذي حرم الأسرى من معظم حقوقهم الإنسانية، فمنعت أجهزة الأمن بمقتضاه الزيارات وخاصة أسرى قطاع غزة في أعقاب أسر الجندي جلعاد شاليط بعملية فدائية تتوجت بعملية تبادل للأسرى في العام 2011م رعاية مصرية، بين إسرائيل وحركة حماس في 18 أكتوبر 2011م، وفي مقابله أطلقت إسرائيل

(190) مركز الميزان لحقوق الانسان: صرخات من وراء القضبان، أم الفحم، فلسطين، الرسالة للنشر والاعلام، 2009، ص.5.

(191) ومن المخرضين على الأسرى (أفير جنلدمان الناطق باسم الحكومة الإسرائيلية والذي نعت الأسرى بالإرهابيين وغير الأبطال كما يدعى الشعب الفلسطيني، وتبنى مكتب الوزراء الإسرائيلي سياسة تحريضية منتهجة عليهم في معظم لقاءاته ومؤتمراته الصحفية، وطالب سلفان شالوم الذي شغل نائب رئيس الوزراء ووزيراً للداخلية باعدام الأسرى، ودعا نفتالي بينت «عن البيت اليهودي» الذي شغل وزيراً للتربية والتعليم ويهود الشتات إلى قتل الأسرى محاكياً دعوة أفيقدور ليرمان الذي شغل وزير الخارجية الإسرائيلية، ووصفت ميري رغيف التي شغلت وزيرة الثقافة والرياضة الأسرى بالحيوانات البشرية، واقترح داني دانون وزير العلوم والقضاء الخارجي وعمل مندوب إسرائيل في الأمم المتحدة قانون شاليط الذي ينص على مضاعفة معاناة الأسرى والتضييق عليهم، وحرمانهم من الحقوق الأساسية).

سراح (1027) محتجزاً فلسطينياً في سجونها منهم 994 أسيراً و 33 أسيرة ولقد تمت الصفقة على مرحلتين، الأولى إطلاق سراح 450 أسير و 27 أسيرة، أما المرحلة الثانية فانفردت إسرائيل باختيار الأسماء، حيث أفرجت إسرائيل عن 544 أسيراً و 6 أسيرات بعد شهرين<sup>(192)</sup>.

ونص هذا القانون على المزيد من التضييق بحق الأسرى، وبمقتضاه منعت إدارة السجون الثانوية العامة، وحذفت القنوات الفضائية العربية الإخبارية، وقامت بالمزيد من التضييق في جوانب عديدة كالطعام، والعلاج، والتفتيشات والافتحاحات الليلية، والعزل الانفرادي، والعقوبات والغرامات والتشديد على الأسرى في كل مناحي حياتهم، وتلاه قانون منع الأسرى من التعليم الجامعي حتى من الجامعة المفتوحة في إسرائيل في أعقاب مقترح قانون قدمه عضو الكنيست "شارون غال"، والتي سمحت بالانتساب لها في أعقاب إضراب 1992م، و قانون منع الأسرى من استخدام الهواتف الذي قدمه وزير الأمن الداخلي جلعاد أردان وعشرات المقترحات والقوانين.

## ثانياً - عوائق معيشية واعتقالية:

شهدت السجون منذ نشأتها الكثير من مظاهر التضييق التي لا تعد ولا تحصى بحق الأسرى في كل تفاصيل حياتهم على مدار الساعة، وبشكل ممنهج ومدروس سعت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية بمحاولات إعادة أوضاع الأسرى للمربعات الأولى من تجربة الاعتقال في بداية الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، محاولة بذلك تجاوز كل تاريخهم النضالي الاعتقالي، فقامت بحملات التنقل الواسعة في أوساطهم بهدف إعاقة استقرارهم، وإرباك الأهالي في موضوع الزيارات، وحاولت زرع الفتق والاضطرابات بينهم، وانتشرت الفئران والجرذان والحشرات السامة في عدد من السجون وخاصة الموجودة في معتقلات محاطة بالشبك في صحراء النقب وغيرها، وتواجدت في مناطق الانتظار والغرف ومخازن الأسرى، حتى في بعض خيامهم أو غرفهم دون اهتمام من جانب إدارة السجون لوضع حد لهذه الظاهرة، وقامت بعزل الأسرى في غياهب السجون بظروف صعبة لا تطاق مسلوبين أدنى معايير حقوقهم الإنسانية والمعيشية، وتعرض الأسرى للاعتداءات والضرب والإذلال، ومنهم من تم عزله اجتماعياً عن سائر زملائهم في الأقسام وعن العالم الخارجي، وعانوا من سوء أوضاع سيارات النقل «البوسطة» وسوء ظروف أماكن الانتظار، ومن انتشار أجهزة التفتيش والتشويش ووجود الكاميرات في كل زوايا الأقسام، والانتظار في الغرف، وانعدام التهوية، وعدم جمع شمل الأخوة والأقارب، ومن العقوبات الجماعية والفردية، وسوء الطعام كمأ ونوعاً، والتفتيشات العارية، والغرامات، والبرودة والرطوبة في الشتاء ومن حرارة الصيف، والحرمان من زيارة المحامين وإدخال الرسائل والمس بالشعائر الدينية وعدم توفير أماكن للعبادة، وعدم التعاطي مع مطالب الأسرى في مراسم رمضان والأعياد والمناسبات الدينية، ومنعت التعليم الجامعي وتقديم الثانوية العامة، وإدخال الكتب منافية في ذلك المادة 94 من من اتفاقية جنيف الرابعة التي أكدت على تشجيع الأنشطة الذهنية والتعليمية والترفيهية والرياضية للمعتقلين<sup>(193)</sup>.

(192) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص367.

(193) اللجنة الدولية للصليب الأحمر الدولي: اتفاقيات جنيف، القاهرة، المركز الإقليمي الاعلامي، 2010، ص222.

وأتبعت سياسة الاستهتار الطبي وخاصة لذوي الأمراض المزمنة، ولمن يحتاجون لعمليات، وضيق على أهالي الأسرى بالتفتيشات والتأخير على الحواجز والمنع من إدخال احتياجات الأسرى من الملابس والأحذية والأغطية، وقلصت الأوقات المسموح فيها للأسير بالمشي في الهواء وتحت الشمس، « وصادرت حسابات الأسرى الخاصة (الكتينة) واستولت عليها بدون علم أو موافقة الأسير بحجة الغرامات التي تفرضها عليهم بلا مبرر »<sup>(194)</sup>، وقامت بالاعتداء عليهم جسدياً أثناء القمعات والرش بالغاز المسيل للدموع والرصاص الحي والمطاطي والضرب بالهروات، وقامت باقتحام السجون والأقسام والغرف عبر الوحدات الخاصة لإجراء التفتيشات والافتحامات الليلية المفاجئة والسيطرة على السجون، وقامت تلك الوحدات بدخول الأقسام مقنعة ومسلحة ومارست الإرهاب والصراخ والضرب وتقييد الأسرى، وقامت بإدخال الكلاب المدربة وعبثت بممتلكات الأسرى وصادرتها، ” و قتلت فرقة متسادا بالرصاص الحي بين الأعوام (1988- 2015م) سبعة أسرى<sup>(195)</sup> وأصابت المئات<sup>(196)</sup>، هذا بالإضافة لشهداء التغذية القسرية المحرمة دولياً في الإضرابات المفتوحة عن الطعام والتي تسببت باستشهاد عدد من الأسرى<sup>(197)</sup>.

ووفق الإحصائيات الرسمية لوحدة الدراسات والتوثيق في هيئة شؤون الأسرى والمحررين رصدت قائمة شهداء الحركة الأسيرة حتى نهاية العام 2015م إلى (207) أسيراً ومعتقلاً منذ العام 1967م منهم (71) بسبب التعذيب، و(55) نتيجة الإهمال الطبي وسوء الرعاية الصحية، و(7) آخرين سقطوا جراء إصابتهم برصاصات قاتلة، إضافة إلى (74) أسيراً استشهدوا جراء قتلهم عمداً وتصفيتهم جسدياً بعد اعتقالهم<sup>(198)</sup>، كل تلك الانتهاكات مخالفة للقانون الدولي الإنساني التي تستوجب المسؤولية الجنائية للذين اقترفوها سواء بالفعل أو بالتقاعس عن الفعل اللازم وفق الاتفاقيات الدولية<sup>(199)</sup>.

### ثالثاً- عوائق على صعيد السلامة النفسية والبيئية:

يروى الباحث خلال مسيرته الاعتقالية أن إدارة السجون استهدفت نفسية الأسير الفلسطيني منذ لحظة اعتقاله، بممارسة التعذيب النفسي، وتحت الضغط و بالتهديد والوعيد، وحاكمته بشكل جنوني لعشرات المؤبدات « الحكم مدى الحياة لمرات عديدة » فجعلته دائم التفكير بمصير الإفراج عنه، ويبين الباحث قضية لها آثارها الكبيرة على حياة الأسرى من الناحية النفسية والجسدية كالخطر البيئي والبيولوجي للغبار الذري المنبعث من مفاعل ديمونا والذي يطال ما يقارب من نصف الأسرى في معتقل النقب، وسجن نفحة، وريمون، وايشل، ” وأجمع الخبراء والعلماء الإسرائيليون والغربيون في مجال الذرة إلى مرحلة الخطر الاستراتيجي لمفاعل ديمونا بسبب انتهاء عمره الافتراضي، والمهدد بكارثة إنسانية وفق التقارير العلمية وصور الأقمار

(194) أحمد حماد، زهير عابد: دور العلاقات العامة في التوعية بقضية الأسرى في سجون الاحتلال، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص.9.  
(195) الشهداء الذين قتلوا بالرصاص الحي داخل السجون والمعتقلات هم: ( أسعد الشوا، ويسام السمودي ونضال ديب، وعبد الله أبو محروقة، وصبرى عبد ربه، وموسى عبد الرحمن، ومحمد الأشقر)، أما عن شهداء التغذية القسرية في الإضرابات المفتوحة عن الطعام فهم ( الأسير الشهيد عبد القادر أبو الفخم في العام 1970، والأسرى الثلاثة « راسم حلاوة وعلى الجعفرى واسحق مراغة في اضراب 1980 »، ومحمود فريتح في العام 1984، وحسين عبيدات في العام 1992.  
(196) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص.228.  
(197) المصدر نفسه، ص.228.

(198) موقع مركز الأسرى للدراسات: <http://alasila.ps/ar/index.php?act=post&id=27043>

(199) اللجنة الدولية للصليب الأحمر الدولي: مختارات من المجلة الدولية، برنت رايت للدعاية والاعلان، القاهرة، 2007، ص.25.



الصناعية المنشورة، والتي استندت في معلوماتها إلى صور التقطتها الأقمار الصناعية التجارية الفرنسية والروسية للمفاعل الذي يعاني من أضرار جسيمة بسبب الإشعاع النيوتروني والذي يشكل عامل طرد للسكان اليهود في ذلك المحيط» الموجود به، وإصابة عدد من الأسرى بالسرطانات<sup>(200)</sup>.

### **رابعاً- عوائق في الجانب التنظيمي:**

حاربت السلطات الإسرائيلية العمل التنظيمي الجماعي في المعتقلات منذ بدء الحركة الأسيرة، فلم تسمح للأسرى في السجون حتى بالحديث الجماعي في بداية الاعتقال، والعلاقة كانت تقوم على أساس بلدي أو عشائري أو بين مجموعات الخلايا، ومع بروز الأشكال التنظيمية في العام 1969م بدأت ملامح العمل التنظيمي معتمدة على الشخصية القيادية بناءً على الثقة والكفاءة والقدرة والتجربة ولم يخضع هذا الاختيار لأسس ولوائح واضحة، وقامت إدارة السجون باستهداف تلك الشخصيات والاعتداء عليها وعزلها ونقلها من سجن إلى سجن، وضرب أي روح جماعية عبر زرع الفتن والمحاور والشلل والنزعات الفردية والانفلاشية والتدخلات والعمل على خلق الانقسامات و التناقضات والخلافات بين المعتقلين عبر العملاء والمهندسين، وحاولت سحق أي تشكيل تنظيمي بالإجراءات القمعية القاسية، وحتى بعد إرساء القواعد والمؤسسات التنظيمية في السجون استغلّت إدارة السجون حالة الانقسام الفلسطيني وصنفت الأسرى في أماكن الاعتقال وفي الأقسام وفق الانتماءات السياسية، وحاولت الالتفاف على وحدتهم الاعتقالية من خلال التمييز في المعاملة ما بين مؤيد سياسي ومعارض، وعملت على تغليب الانتماء الجغرافي في العلاقات من خلال وضع الأسرى وفق أماكن سكنهم لاستعلاء الجانب القبلي وتعزيزه على حساب الانتماء التنظيمي.

### **خامساً - عوائق فنية وذهنية ورياضية:**

نصت اتفاقية جنيف الرابعة في المادة 94 على تشجيع الأنشطة الذهنية والتعليمية والترفيهية والرياضية للمعتقلين، إلا أن إدارة مصلحة السجون قامت بمحاربة ومحاصرة تلك الأنشطة ووضعت العوائق والعراقيل لمنع الأسرى من مزاولتها، فلم توفر قاعات أو صالات رياضية، مما اضطر الأسرى للممارسة الرياضة داخل الغرف أو ساحة النزهة التي تعيق حركة الأسرى الآخرين المتواجدين في المكان، ومنعت بعض الألعاب وعاقبت من يحاول ممارستها بالغرامات والعزل كألعاب القوى والكراتيه، وصادرت زجاجات المياه التي يستخدمها الأسرى لرياضة رفع الأثقال، ولم تسمح بالجلسات والدروس التعليمية وفرضت العقوبات بسببها، وأعاقت اقتناء الأدوات الترفيهية والرياضية والأدوات والمواد اللازمة للأشغال اليدوية التي يصنعها الأسرى كالتحف والصخرات والرسومات والنحوت وغيرها.



## سادساً- عوائق وعقوبات مالية:

سرت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية أموال الأسرى بأكثر من وسيلة « بالغررامات المالية التي تفرضها المحاكم العسكرية التي تصل إلى 80.000 شيقل أي ما يعادل 20 ألف دولار، بالإضافة إلى الأحكام التنفيذية الأخرى بالسجن الفعلي على الأسير، بالإضافة للغررامات المالية التي تفرضها إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية على أي حجة أو ذريعة تعتبرها مخالفة للقوانين داخل السجون والتي تتراوح ما بين (200 - 5000 شيقل) أي ما بين 50 دولار إلى 1400 دولار أمريكي<sup>(201)</sup>.

ونظراً للنقص الحاد في كمية ونوعية الطعام المقدم للأسرى وكذلك في مواد التنظيف وغيرها، اضطر الأسرى إلى شراء احتياجاتهم من الطعام من مقصف السجن « الكنتين » من أموالهم الخاصة، إذ تبلغ نفقات الأسرى داخل السجون الإسرائيلية ما يعادل 90 % من حسابهم الخاص<sup>(202)</sup>.

وأحد المظاهر للتنغيص على حياة الأسرى في السجون هو الجانب المالي وقامت إدارة مصلحة السجون بعدة إجراءات على هذا الصعيد مثل:

- إغلاق حسابات الكنتين (مقصف السجن) الخاصة ببعض الأسرى لفترة طويلة، تصل إلى سنة كاملة، وخاصة للأسرى المعزولين، الأمر الذي جعلهم يتخذون إجراءات لترشيد الإنفاق إلى أبعد الحدود.
- تقليص المبلغ المسموح به للأسير في السجون إلى 1300 شيقل أي ما يعادل 350 دولار شهرياً، ومن ثم تقليصه في أعقاب قانون شاليط وسياسة التضييق على الأسرى إلى (400 شيقل) أي ما يعادل 100 دولار فقط في ظل منع كل احتياجات الأسرى من دخولها عبر الأهالي في الزيارات، واقتناءها من كنتين السجن بمبالغ تفوق ضعفي ثمنها في الخارج. كحالة استغلال للأسرى في السجون.
- منعت إدارة السجون إدخال الكنتين من الأقسام الأخرى إلى أسرى العزل.
- ارتفاع أسعار المواد في الكنتين المرهقة لميزانية الأسرى، الأمر الذي جعل الأسرى يتخذون إجراءات احتجاجية مثل إرجاع وجبات الطعام ومقاطعة الكنتين لمعالجة الموضوع.
- منعت إدارة السجون إدخال أي نوع من الأطعمة والخضراوات وزيت الزيتون وغيرها، عن طريق زيارة الأهل الأمر الذي يضطر الأسير إلى شراء كل احتياجاته من الكنتين بأسعارها المرتفعة<sup>(203)</sup>، ولمواجهة العقوبات المالية<sup>(204)</sup>، أنشأ الأسرى الصندوق الاعتقالي

(201) شبكة أمين الإعلامية: <http://blog.amin.org/yafa1948/2015/04/19>

(202) جمعية الأسرى والمحررين: التقرير السنوي 2004، دائرة الاعلام والتوثيق، فلسطين، 2005، ص.11.

(203) موقع أحرار لدراسات الأسرى وحقوق الإنسان: <http://ahrar.ps/?p=1013>

(204) بين الأسير زهير سكا في المسؤول عن إدارة الكنتينة في سجن إيشل نسبة الأرباح لشركة المبيعات في السجون والتي وصلت في أعلى معدلاتها إلى (500%) ولا تقل عن (200%) وأضاف: بأن أرباح مصلحة السجون تبلغ (7%) من إجمالي الأرباح، وتساوي سنوياً (3.600.000 شيقل) أي ما يعادل المليون دولار أمريكي سنوياً من حسابات الأسرى على أقل تقدير، ومع أن اتفاقيات جنيف لعام 1949 القسم الثاني / الفصل الثاني / المادة 28 نصت على (استخدام الأرباح التي تحققها مقاصف المعسكرات لصالح الأسرى وينشأ صندوق حاصلها الغرض ويكون لممثل الأسرى الحق في الاشتراك في إدارة هذا الصندوق، الأمر الذي لا تلتزم به إدارة السجون الإسرائيلية، كما أن الأسير جمال الهور نفى وجود هذا الصندوق قائلاً: " نسمع عن صندوق يسمى (صندوق رفاية الأسير) ولكن لا علاقة لنا بإدارته،

العام، واللجنة المالية العامة للمعتقل، واللجنة المالية الخاصة بكل فصيل، التي رشدت الصرف الاعتقالي، وحددت الأصناف الضرورية، ووفرت للأسرى احتياجاتهم الممنوع دخولها من الأهالي عبر الزيارات، ووفرت احتياجات المطبخ العامة، ووزعت المشتريات بالتساوي قدر الإمكان على المعتقلين، ومع تكاتف الجهود وصلت بعض المعتقلات في سنوات إلى وضع اتفقت فيه كافة الفصائل أو بعضها على الأقل على إقامة صندوق اعتقالي عام يدار من قبل لجنة مشتركة تشرف على عملية شراء الحاجيات وتوزيعها، ولجنة الصندوق يتم تعيينها من قبل لجنة التنسيق العامة (205).

## سابعاً - عزل الأسرى عن محيطهم الخارجي:

حاولت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية عزل الأسرى عن محيطهم الخارجي، باتباع سياسة العزل الانفرادي، وعدم تواصله مع محيطه عبر منع الزيارات وصلت في بعض المرات لما يزيد عن الخمس سنوات، وعملت على عرقلة زيارات المحامين وعدم انتظامها، ومنع المذيع والتلفاز والصحف العربية في بدايات الاعتقال، وإسماع المعتقلين ساعتين يومياً على مكبرات الصوت لإذاعة صوت إسرائيل باللغة العربية صباحاً للأخبار وفق رؤيتها ومسماً لسماع مقطوعة لأم كلثوم، والسماح بإدخال جريدة الأنباء الناطقة باسم الاحتلال الإسرائيلي، وبعد إضرابات مفتوحة عن الطعام تم السماح بالمذيع والتلفاز، ولكنها عملت على عزل الأسرى عن محيطهم العربي ولم تسمح إلا ببعض الفضائيات القليلة.

ووضعت الصعوبات والتعقيدات في إرسال وتلقي رسائل البريد، فمنعت بعض الأسرى من حق التواصل مع ذويهم عبر البريد، وغالباً ما يتم تأخير الرسائل على الجميع لدى إدارة السجن لأسابيع أو شهور « الصادر أو الوارد »، وضياع الرسائل وعدم إلحاقها بالسجين عند نقله لسجن آخر، ومنع الرسائل بين السجون، حتى الرسائل بين الأقارب إلا بعد تعقيدات مشددة، ومنعت الأسرى من استلام أي طرود بريدية « كتب أو علاج أو صحف أو غذاء... الخ » (206).

وهنالك الكثير من الانتهاكات والعوائق التي وضعتها دولة الاحتلال لإعاقة الإبداع داخل السجون وأهمها:

1. منع التواصل مع العالم الخارجي « خارج السجن، مما يؤخر من معرفة الأسرى بكثير من المستجدات والمعطيات والحقائق بشكل عام.
2. عزل بعض الأسرى المؤثرين وأصحاب التجارب والإبداعات.
3. الحرب النفسية بحق الأسير تجعل نفسيته في حالة عدم توازن واستقرار بشكل كبير نسبياً.

ولا تملك أي معرفة حجم الواردات أو المخرجات منه وإليه، ونعتقد أن الجزء الأكبر من الصرف يذهب لصالح الأسرى الجنائين على الحفلات الموسيقية والقضايا الترفهية والظلم عن المخدرات، أما نحن أسرى المقاومة فحقتنا مهضوم وضائع.

(205) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص 237.

(206) مركز الميزان لحقوق الإنسان: مرجع سابق، ص 14.

4. الأعمال اليدوية مثلاً؛ كانت جزء مهم من إبداعات الأسرى الفنية وتمنع منذ سنوات إدارة السجون الأسرى من إدخال المواد التي يستخدمها الأسرى في إبداعاتهم اليدوية.
5. حالات قليلة تستخدم إدارة السجون بعض جواسيسها لتعكير صفو الجو العام لدى الأسرى مما يربك الواقع الثقافي؛ وقد تم اكتشاف حالات كانت مهمتها تخريب الواقع الثقافي من خلال إشغال الأسرى بمشكلات معينة يقوم هؤلاء المندسين بإحداثها بشكل مباشر أو غير مباشر<sup>(207)</sup>.

### ويرى الباحث أن الأسرى تميزو بمقومات وسمات الإبداع في حياتهم والتي كان أهمها:

1. الصورة الكاملة : بينما يقف معظم الناس بتفكيرهم، عند الحوادث الصغار التي لا أهمية لها يركز المبدعين تفكيرهم على الصورة الكاملة ، كما الفارق بين الجندي والقائد في المعركة. بينما يركز معظم الناس على ما بأيديهم، فان المبدعين يركزون على نجاح كل العمليات والجزئيات الأخرى ، والأسير المبدع هو الأسير القائد الذي يتحلى بسعة الأفق والرؤية الشاملة للأحداث .
2. المشاعرهم الجياشة : الأشخاص المبدعين جياشى العواطف بشكل كبير، ويتميز المبدع بقدرته الخلاقة والفريدة على تحويل المشاعر والخبرات السلبية الى "مادة"، وصهرها في شكل عمل ابداعي ، وهذا ما يحدث الأسرى المبدعين اللذين تحلوا بتلك الصفة التي كانت انطلاقة عملهم الوطنى والانسانى .
3. يتصفون بالمرونة ، المبدع شخص يعرف ويدرك ان العالم ليس هو الخريطة ، بمعنى ان الأمور لا تسير وفقا للخطة الموضوعة دوما لذا يجب الإتجال والخروج عن النص ، الشخص العادى لن يتعب فكره اذ هو ملتزم بوسيلة لا يجيد غيرها ولا يعرف سواها، بينما المبدع لا يقيّد نفسه بالوسائل مادامت عيناه على الهدف النهائى ، فالمرونة صفة لازمة لهم، المبدع شخص اذا وجد باب الدخول مغلقا، دخل من باب الخروج ، والأسرى المبعون تحلوا بتلك الصفة كونهم قفزوا عن حيز التفكير في الغرفة وانطلقوا نحو الفضاء خارج المعتقلات والعمل لما بعد التحرر .
4. يسكنهم الشغف : المبدع شخص شغوف جدا بما يفعله، مهما كانت المهمة التي يعالجها تجد ابداعه يظهر عليها ، و يحب المبدعون دوما ان يتركوا بصمتهم الخاصة على كل عمل قاموا به ، ولا توجد لديهم مهام اعتيادية، فكل مرة يقومون فيها بالعمل تفتح لهم أفق رحبة للإبداع بشكل مختلف ، وقد تطور العمل الإبداعي للأسرى بتغير الظروف واستثمروا صغائرها لايجاد أعمال كبرى أفادوا أنفسهم وغيرهم بها .
5. متمردون : المبدع تائر ومتمرد طوال الوقت، الإستقرار الوحيد الذى يجيده هو التغيير مرة تلو الأخرى ، انهم يخلقون دوما خارج السرب، ويخرجون عن نطاق المؤلف ، وغير قابلين للترويض بأى شكل من الأشكال، هوانهم حريتهم كي يبدعوا، لا شئ يثيرهم

(207) الأسير المحرر راند خالد غباين: مقابلة أجراها الباحث، 19/8/2015، غزة.

ويحفزهم قدر الخروج على القواعد، وصنع قواعد أخرى جديدة ، والأسرى تمردوا على الاحتلال وضحوا من أجل حريتهم وكرامتهم ، وأوجدوا المعادلات مع ادارة السجون التي تؤهلهم لاستغلال الوقت ، وعدم القبول بالتحنيط وسياسية الموت والاذلال التي تمارسها إدارة مصلحة السجون عليهم .

6. يبحثوا عن اجابات : بقدر ما يميل الشخص العادى الى الإجابات المحفوظة والمعلبة، الجاهزة التي لا تتعبه وتضطره للتفكير، بقدر ما لا يرضى بهذا المبدع، انهم فضوليين بطبعهم ولا يقبلون بشئ على علاته ، لذا يسأل ويسأل ليحصل على اجابات ترضى فضوله، يتأمل الموضوع من زوايا عدة ليرى ما فات الآخرين رؤيته ، والأسرى المبدعون تميزوا بالبحث عن الاجابات على شتى الصعد ، ووضعوا البدائل والخيارات رفضاً للاستكانة ورتقوا بأنفسهم وواقعهم رغم قلة الامكان<sup>208</sup> .

وتشير كافة التقارير والدراسات والإفادات إلى أن « أوضاع الأسرى والأسيرات المعتقلين في سجون الاحتلال الإسرائيلي وزنازين التحقيق تزداد سوءاً نتيجة لما يعانون من انتهاكات لحقوقهم المكفولة لهم بموجب القانون الدولي والاتفاقيات الدولية والإنسانية، ولأسباب تغاضي المجتمع الدولي للانتهاكات الإسرائيلية لحقوقهم ؛ الأمر الذي يجبر ويلزم الأسرة الدولية على التحرك الفوري والجاد للضغط على الحكومة الإسرائيلية للتوقف عن الإمعان بانتهاك إدارات سجونها وأجهزتها الأمنية إزاء الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين والعرب وتشكيل لجان تحقيق دولية للوقوف على حقيقة الانتهاكات والجرائم التي ترتكب بحقهم »<sup>(209)</sup>.

في نهاية المبحث يرى الباحث أن الأسرى أبدعوا في مواجهة مخططات إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية، وتغلبوا على معظم العوائق التي أوجدها السجن من خلال الخطوات النضالية عبر مشاورات جماعية في داخل المؤسسات الاعتقالية التي أوجدها، فلم يصمتوا ويستكينوا أمام تلك التجاوزات، بل تسلحوا بإيمانهم بقضيتهم، وقراءتهم المعمقة لمخططات عدوهم، وتفاؤلهم وأملهم بالحرية.

واستطاع الأسرى أن يحققوا الكثير من الحقوق من خلال استخدامهم للكثير من الوسائل النضالية، فهزّبوا الهوائف النقالة لداخل السجون لكسر منع الزيارات والتواصل مع الخارج، ونقلوا معاناتهم للجهات والمؤسسات ووسائل الإعلام المشاهدة والمقروءة والمسموعة، وتم السماح بالفضائيات العربية والإخبارية، ولازالت المعركة قائمة بين التثبيت والمصادرة فيها، وأغلقت أقسام العزل الانفرادي كعزل نيتسان الرملة في أعقاب إضراب 27/9/1993م، وقبل السماح بإدخال المذيع استطاع الأسرى تهريبه في العام 1975م في سجن بئر السبع، وأصبحوا يواكبون الأخبار المحلية والعربية والعالمية، بعدما فرض عليهم سماعها من صوت إسرائيل باللغة العربية وبالرواية الإسرائيلية<sup>(210)</sup>.

(208) موقع اراجيك. الكاتب: حازم سويلم في: ريادة أعمال، مصدر سمات المبدع. <http://www.rageek.com/2014/06/27/creative-people-characteristics.htm-27/6/2014>

(209) فتحي كلوب: مرجع سابق، ص 1.  
(210) مفيد عرقوب: مرجع سابق، ص 21.

في نهاية الفصل يعتقد الباحث أن المعاملة القاسية التي تمارسها سلطات الاحتلال الإسرائيلي بحق المعتقلين الفلسطينيين في سجونها فاقت بكثير أي شكل لمعاملة أي نظام أو حكومة أو احتلال في أي مكان من العالم، وأن الترويج لمفاهيم الديمقراطية، وحقوق الإنسان، وامتداد القيم الغربية والحريات واحترام القانون الدولي ما هي إلا أكذوبة صهيونية باتت لا تنطلي على أحد في ظل الانتهاكات الممنهجة التي تتبعها بحق الشعب الفلسطيني عامة والأسرى خاصة، والتي كانت محل شجب وإدانة في الكثير من المؤسسات الحقوقية ومجموعات الضغط الدولية وعلى رأسها مجلس حقوق الإنسان، بل وهنالك عدد من المفكرين والكتاب الإسرائيليين من أدانوا التعامل بقانون الطوارئ المتوارث من الانتداب البريطاني من العام 1945م، والذي بموجبه تتم معظم الانتهاكات والتجاوزات، معتقدين أنه مخالف للديمقراطية والدولة المدنية، وهناك من الطواقم الأكاديمية الإسرائيلية من أطلقت البيانات ضد سياسات إدارة مصلحة السجون وأجهزة الأمن حينما تم منع انتساب المعتقلين للجامعة المفتوحة في إسرائيل، ورفضت نقابة الأطباء الإسرائيلية العمل بالتغذية القسرية بحق الأسرى المضربين عن الطعام في أعقاب إقرار القانون في الكنيست الإسرائيلي، ووزعت نقابة المحامين الإسرائيليين في العام 2006م تقريراً ذكرت فيه تقصيراً كبيراً ومخالفات في 18 بنداً رئيسياً من الحقوق الأساسية للأسرى<sup>(211)</sup>.

فاستخدام العنف والقوة المفرطة والاعتداءات الجسدية، واستخدام أسلحة وأساليب محظورة وصلت لحد القتل في بعض الأحيان، جميعها سياسات إسرائيلية ممنهجة هدفها النيل من الأسرى الفلسطينيين على كل المستويات، خاصة أن سلطات الاحتلال تحظر على وسائل الإعلام العربية والدولية ولجان التحقيق والمؤسسات الحقوقية من دخول السجون وإعداد التقارير والتحقيق في الأحداث، كونهم يمتلكون القدرة والوقت والإمكانيات لإخفاء آثار الجرائم والانتهاكات التي ترتكب بحق الأسرى<sup>(212)</sup>.

وأمام تلك الانتهاكات التي اتبعتها دولة الاحتلال لم يقف الأسرى مكتوفي الأيدي عاجزين مستكينين، بل استخدموا الكثير من الوسائل النضالية التي ستكون محل دراسة الباحث في الفصل الثاني الذي سيزم أربعة مباحث تتناول: (كيفية استغلال الوقت و بناء الذات الثورية في السجون، وتصلب جبهة الأسرى الداخلية، وتقوية علاقاتهم الفصائلية، وبناء المؤسسة التنظيمية والاعتقالية، وتشجيع النقد الذاتي، واحتراف المواجهة مع السجناء، وشكل البنى التنظيمية والمؤسسات واللجان الاعتقالية، وآليات تطوير منظومة الجوانب الإبداعية لدى الأسرى، انعكاس المتغيرات السياسية على واقع الأسرى وإنجازاتهم).

(211) مركز الميزان لحقوق الإنسان: مرجع سابق، ص.6.

(212) المصدر نفسه: ص46 - 48.





## الفصل الثاني

### عوامل الإبداع "الظروف وامتخيرات"



## الفصل الثاني

### عوامل الإبداع "الظروف والمتغيرات"

سعت دولة الاحتلال الإسرائيلي منذ بداية الاعتقال إلى تفرغ الأسرى الفلسطينيين من محتوَاهم النضالي، وذلك بالعمل على كسر إرادتهم الوطنية، وتحطيم روحهم المعنوية، وجعلهم يعيدوا التفكير بما فعلوا وفيما اعتقدوا، ونقلهم من الموقع الوطني النضالي الفاعل إلى موقع اليأس والضياع والخنوع، بيد أنه اصطدم بواقع أزعجه<sup>(213)</sup>، حينما تفاجأ بأسرى يمتلكون من أدوات النضال ما لا يخطر على بشر، ويتعدون وسائل للدفاع عن ذاتهم وأفكارهم وطموحهم بما لا يدع مجال للشك عن عملية إبداعية حقيقية جديدة بالاهتمام والتوثيق والفخر.

ومن خلال انتقال تجربة الاعتقال من محطة إلى أخرى، ومن مرحلة لها ظروفها ومتغيراتها إلى مرحلة تليها، اتضح أن هنالك الكثير من العوامل الذاتية والموضوعية، الفردية والجماعية، التي استخدمت في إدارة الصراع في السجون، ما بين أسرى استطاعت إدارة السجون حبس أجسادهم ولكنها عجزت أن تحبس أنفاس طموحهم وأفكارهم وحريرتهم وإرادتهم التي بقيت حرة طليقة محلقة، وما بين سجان عاكس حركة التاريخ، وقبض على أعناق حرية الآخرين عنوة بقوة لا بوجه حق، سجان ظن أنه قادر على وقف ساعة الزمن، فالتطم بفدائيين استطاعوا تحويل محتهم إلى منحة، وجعل زنازين الموت كمقابر للأحياء إلى أماكن لصناعة الرجال والمزيد من الجهد والتحدي والإبداع.

تجربة قال فيها الدكتور نبيل العربي أمين عام جامعة الدول العربية « إن الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين والعرب في معتقلات الاحتلال الإسرائيلي ضربوا مثلاً رائعاً في إصرار الإنسان في الدفاع عن عدالة حقوقه والحفاظ على كرامته الإنسانية في وجه الاحتلال الإسرائيلي وتعصبه وعنصريته دون أن تضعف أو تكسر لهم إرادة، رغم وحشية وتنوع أساليب التعذيب التي لم ير العالم لها مثيلاً حتى في أعتى معتقلاته العنصرية والفاشية من إذلال وقهر وتعذيب وتجويع وحرمان<sup>(214)</sup> »

في هذا الفصل سنستعرض أهم العوامل التي ساهمت في تنمية الإبداع لدى الحركة الأسيرة، والبنى التنظيمية والمؤسسات الاعتقالية في مواجهة إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية، ودور الحركة الأسيرة في تعزيز الجوانب الإبداعية لدى الأسرى، وانعكاس المتغيرات السياسية على واقعهم وإنجازاتهم.

(213) عدنان جابر: «ملحمة الفيد والحربة»، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1979، ص 169.

(214) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: إبداعات انتصرت على القيد، تجربة الاضرابات المفتوحة، جامعة القدس - أبو ديس، فلسطين - القدس، (2012)، ص 21.

# المبحث الأول

## العوامل التي ساهمت في تنمية الإبداع لدى الحركة الأسيرة

اتضح للحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة منذ نشأتها أن هنالك عملية تصفية لقدراتهم البدنية والنفسية والنضالية من قبل إدارة مصلحة السجون، وأدركوا أن الحياة الكريمة لن تقدم لهم هدية على مائدة من ذهب، وأبحسن نوايا من الاحتلال، على العكس فقد أعدت الأخيرة لهم الهياكل والنظم والخبراء ومراكز الأبحاث للتفنن في القضاء على كل إمكانياتهم، وكان لابد من التعبئة الفردية وتقوية الجبهة الداخلية كشرط رئيسي للحفاظ على الذات، ومن ثم ابتداء الوسائل كأدوات مواجهة، وبالفعل تمكنت الحركة الفلسطينية الأسيرة عبر الكثير من التضحيات من تجميع قواها والانتصاب أمام عوامل الإحباط والتئيس.

إن إنجازات الحركة الوطنية الأسيرة في أوائلها عبّدت الطريق أمام مئات آلاف المناضلين الذين خاضوا تجربة الاعتقال للاستفادة منها، وأتاحت للبقية المتبقية في السجون من أن يراكموا المزيد عليها، ومثلت رصيذاً نضالياً لا يمكن القفز عنه حتى عند قيام احتجاجات أو خطوات نضالية أخرى، وأصبح وعي الحركة الأسيرة يدرك أن المطالبة بالجديد أو بالإصلاح والتغيير، لا يعني العودة إلى البداية وإنما الاستمرار من النقطة التي تم الوصول إليها<sup>(215)</sup>.

في هذا المبحث سيتناول الباحث أهم الأدوات التي تسلح بها الأسرى كعوامل ساهمت في تنمية الإبداع في السجون، كبناء الجبهة الداخلية، والوحدة الفصائلية، والعمل الجماعي، والشعور بالانتماء لقضية عادلة تستحق التضحية، وتحدي السجن ومخططاته، والمنافسة بين الأسرى، والاطلاع على العالم الخارجي، والبحث عن التخصص في المطالعة الفردية، والانتساب للجامعات سعياً للحصول على الشهادات الأكاديمية، والقراءة المعمقة والمطالعة الفردية، ودور الأسرى القدامى من ذوي الخبرة والتجربة واستغلال الوقت وغير ذلك من العوامل.

(215) زياد أبو زياد: مرجع سابق، ص82.

## أولاً - بناء الجبهة الداخلية:

### 1. بناء الذات الثورية:

درس الأسرى الكثير من التخصصات في شتى المجالات « في علم الاجتماع وعلم النفس، والعلوم الإنسانية، والعلوم الإدارية، والسياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والدينية »، واستغلوا ما تعلموه في معركتهم المستمرة والشرسة ليل نهار مع إدارة مصلحة السجون، واستفادوا من علماء الاجتماع الذين أولوا تماسك الجبهة الداخلية أهمية كبرى لنجاح أي معركة، وبدأوا بالنوأة الأولى في المجتمع الاعتقالي المتمثل بالعنصر التنظيمي، وبالفرد الأسير، الذي يجب أن يدرك ظروفه، والتحديات التي تواجهه، والأعباء الملقاة على عاتقه، وطبيعة العدو وقسوته وعدم إنسانيته، والوسائل غير الإنسانية التي ممكن أن يستخدمها في معاركه.

فشحذت قيادة الحركة الأسيرة الهمم وتعزيز الصمود والإرادة في وجه السجناء عبر الجلسات الثقافية، والتعاميم الاعتقالية الموجهة للقاعدة التنظيمية، واعتبر الأسرى في توجيهاتهم أن إدارة مصلحة السجون تسعى لتفسيخ الوحدة الداخلية من أجل تسهيل تمرير مخططاتها التصفية، ونجاح أي خطوة اعتقالية مرهون بالإرادة الصلبة المعبئة بالنضال، الذي يتطلب الوحدة والتلاحم، وتطوير العلاقات الأخوية والفضائلية، وتلمس الوسائل النضالية المدروسة لإفشال مخططاتها، والتأكيد على الإرادة كسلاح فتاك في المواجهة، وكأساس للنجاح، وتقوية العزائم لدى الأسير<sup>(216)</sup>.

ولتنظيم حياة الأسرى وضبطها أوجدوا اللوائح الداخلية التي تفصل ما هو مسموح به للفرد عن ما هو ممنوع عليه، كما تم عقد الكثير من الجلسات التربوية التي تعزز قيم الطاعة والانضباط الحزبي، وتعزز الضوابط التي عوملت كقياس لأخلاقيات الفرد، وُنبي عليها الكثير من التقييمات التي تتعلق بالفرد وتطوره داخل التنظيم<sup>(217)</sup>.

وكانت الوسيلة المتبعة في السجن للإرشاد والانضباط والتوجيه ما أطلقوا عليه « التعميم الاعتقالي » الذي يخدم عدة أهداف منها « التعميم السياسي، وهو التعميم الإخباري الذي يتضمن الأحداث التي تحدث في المعتقل، والتعميم الذي يعالج المشاكل المسلكية ويسعى إلى تحقيق أهداف تربوية من خلال تعميم المشاكل التي تحصل بين الأفراد وكيفية حلها والعقوبات المفروضة على أطرافها لكي تخدم أهداف التربية المسلكية، وهناك تعاميم كانت تسعى إلى محاربة الظواهر السلبية والتأكيد وتعزيز المسلكية الإيجابية في مجتمع المعتقل

» (218)

(216) عبد الحق شحادة: أوراق من خلف جدران الأسر، غزة، فلسطين، بدون دار نشر، 2010، ص 11.

(217) إياد الرياحي: الواقع التنظيمي للحركة الفلسطينية الأسيرة، رام الله، فلسطين، مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 2006، ص 18.

(218) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: إبداعات انتصرت على القيد - المؤتمر السنوي الثالث، جامعة القدس، القدس، 2013، ص 53.

## 2. بناء المؤسسة التنظيمية:

لقد تحمل الأسرى الكثير من العذابات في السجون الإسرائيلية، وسقط منهم عشرات الشهداء من أجل بلورة أشكال وهياكل تنظيمية، وسعوا للحفاظ على الذات التنظيمية وتطويرها، وكانوا على يقين أن تماسكهم وتنظيمهم يمنحهم قوة في مواجهة إدارة السجون<sup>(219)</sup>.

وبالرغم من الاضطهاد والمضايقات التي تعرضوا لها، استطاعوا أن يشكلوا هياكل وأطر تنظيمية، ومن صياغة لوائح تنظم حركة وحياة المعتقلين وعلاقاتهم الداخلية والخارجية، والفصائلية، وعلاقاتهم مع إدارة المعتقلات، ونجحت الفصائل في تقديم نموذج في تنظيم شؤونها بأكثر دقة وتنظيماً من بعض تجارب حركات المقاومة خارج السجون<sup>(220)</sup>.

استطاع الأسرى بناء جبهة داخلية بطريقة فريدة ورائعة، شهد لها العدو قبل الصديق، وأبرزوا قيادات منتخبة خاصة بكل فصيل من الفصائل، وتعاونت هذه القيادات مع نظرائها في نفس السجن ومع باقي القيادات في السجون الأخرى، وأداروا شؤونهم الثقافية والنضالية والمالية والأمنية والرياضية بكل كفاءة<sup>(221)</sup>.

اختصر الموقع العبري "حقى" الحياة النضالية للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية بالقول «استطاعت التنظيمات الفلسطينية داخل السجون في أعقاب الكثير من الخطوات الاحتجاجية للضغط على مصلحة السجون بطرق ووسائل متعددة كالإضرابات المفتوحة عن الطعام والتمردات ورفض الخروج للفورات وغيرها على تحسين شروط حياتها لتحقيق أهدافها<sup>(222)</sup>».

## 3. تقوية العلاقات الفصائلية:

لم يهتم الأسرى الفلسطينيون في بداية الحياة الاعتقالية بالانتماء الفصائلي، لأنهم لم يكونوا على معرفة وافية بالتنظيمات من حيث بنائها الإداري وهيكلها التنظيمي، وكذلك كانوا يعتبرون أنفسهم أبناء حركة وطنية فلسطينية واحدة ومتميزين عن السجناء الجنائين<sup>(223)</sup>.

في المقابل لم تكن إدارة السجون تفرق بين انتماءاتهم السياسية، لذلك لم يكن أمام المعتقلين الفلسطينيين إلا أن يشكلوا جبهة واحدة في مواجهة إدارة السجون التي كانت تعاملهم بقسوة وعنفاً وتتكيل، حيث أنهم أدركوا وحدة المصير بين جدران السجون، وكان لابد من العمل لإيجاد الأطر التنظيمية القادرة على تنظيم حياتهم بعيداً عن الفوضى والعشوائية، ومع مرور الأيام وازدياد عدد المعتقلين اكتسبوا الخبرة والوعي بالممارسة، ووضعوا التفاهات والأسس لإرساء دعائم الوضع التنظيمي في السجون، ومن ثم الارتقاء بالهياكل الإدارية التي

(219) محمد أبو شريعة : مرجع سابق، ص 52 .

(220) فتحي كلوب: مرجع سابق، ص 24.

(221) ناصر عبد الجواد: مرجع سابق، ص 31.

(222) זכריות: זכריות אסיירים ביטחוניים، <http://www.myrights.co.il>

(223) زهير المصري، نجود أحمد: مرجع سابق، ص 7.

ظهرت بشكل بدائي، ثم تطورت حتى وصلت إلى شكل راق ومستقر (224) يشهد في تنظيمه وترتيبه وقوته وتفاهمه القاصي والداني.

#### 4. تشكيل المؤسسات الاعتقالية:

لقد تمكنت الحركة الاعتقالية خلال تجربتها الطويلة من تشكيل مؤسساتها وهيئاتها الاعتقالية الوطنية، والتي اعتبرت الإطار القيادي للمعتقلات، وبدأ الإعداد للميثاق أو الدستور الاعتقالي الذي ينظم الحياة الاعتقالية في العام 1976م، ووجدت التفاهمات النظرية والمراسلات المكتوبة والشفوية لتنسيق المواقف وتنظيم العلاقة بين الأطر، وتشكيل الهياكل والمؤسسات والمسئيات والضوابط للأفراد والتنظيمات في السجون، وأشكال اتخاذ القرارات ومرجعياتها، وكانت على رأس تلك المؤسسات « اللجنة الوطنية أو النضالية العامة » التي تشرف على اللجان العامة في السجون<sup>224</sup> كاللجنة الثقافية، والأمنية، والرياضية، والصندوق المالي الاعتقالي العام.

#### 5. تعزيز مفهوم النقد الذاتي:

أكدت الحركة الأسيرة في السجون على مبدأ النقد للسلوك والظواهر الخاطئة لتقويمها، وعلى الخطوات النضالية التي تتبناها اللجنة الوطنية العامة وتقييمها، لتراكم النجاحات والإنجازات، واستثمار نقاط القوة وتجاوز مواطن الضعف وأسباب التراجع، وعززت القوى والفصائل تلك العملية في أدبياتها التي اعتبرت أن أي نجاح لأي عمل تنظيمي يكمن في كيفية ممارسة مفهوم النقد، ومعرفة أهمية هذه الممارسة في بناء وتصلب الذات والإطار التنظيمي القائم على مرتكزات مبدئية سليمة.

واعتبرت الحركة الأسيرة عبر تثقيفها للأسرى أن النقد البناء ومراجعة الذات هما مسألتان مهمتان وضروريتان في سبيل تخطي الأخطاء، وكذلك الاستفادة من عملية النقد الموجهة في سبيل بناء الذات وتقويم المسلكية والرقعي إلى واقع أفضل<sup>(225)</sup>.

### ثانياً - الجهود الذاتية للأسرى:

في أعقاب بناء الجبهة الداخلية للأسرى الفلسطينيين والتي أخذت طابعاً جماعياً لحماية الأسرى من الداخل، بدأ الأسرى جماعات وفرادى ببناء الذات الثورية، وتعزيز مكانتها الكفاحية، عبر مجموعة من الحوافز والمنطلقات النظرية والأنشطة والجهود العملية على كل الصعد مثل:

#### 1. استغلال الوقت:

الإبداع في هذا الجانب هو محاولة نقل الوقت من نطاق سيطرة السجناء إلى نطاق سيطرة

(224) زهير المصري، نجود أحمد: مرجع سابق، ص.6.

(225) عبد الحق شحادة: مرجع سابق، ص.30.

الأسير<sup>(226)</sup>، فلقد كان أخطر ما واجه الأسير الفلسطيني مشكلة ملء الفراغ الناجم عن واقع الأسر، هذا الفراغ الذي بلغ علماء الهندسة البشرية الصهاينة منذ بداية الاحتلال كل ما في وسعهم لتحويله بالكامل لصالحهم، وملئه بالثقافة كونهما مرتبطان<sup>(227)</sup>، فعنصر الوقت يعطى فرصة ديناميكية العملية الثقافية<sup>(228)</sup>، ولإشباعه بمفاهيم ورؤى تخدم واقع الاحتلال وأهدافه في إفراغ الإنسان الفلسطيني من محتواه الوطني، وقتل روح التمرد والتحدي فيه، ولقد استدرك مبدعو الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة أبعاد هذا الأمر وعملوا على تفويت الفرصة على دوائر القمع الصهيونية، وكان هذا الوعي بداية للمبدعين الأسرى للبدء في حملة ثورية للاستفادة من الفراغ الطويل وتحويله من عامل سلبي يولد الملل ويضعف التوتر ويخلق الأزمات، إلى عامل إيجابي يوفر الإمكانيات لبناء الذات، وإعادة إصلاح وصياغة الوعي وبناء منطلقات ثقافية وتربوية تنبثق عنها إعادة الصياغة الفكرية والنفسية الاجتماعية على أسس ثورية<sup>(229)</sup>، وبذلك سعى الأسرى إلى الفائدة، والتفكير والمبادرة، والمعرفة، والقدرة على التحكم في الظرف والبيئة، والتخطيط والتنظيم والتقويم، والاندفاع نحو الثقافة والتعليم، وبذلك أصبح الفراغ الذي تمت إسرائيل منه أن يقتل الأسير الفلسطيني ويدمره من عامل سلبي يولد الملل والرتابة، ويخلق التوتر والإرهاق، إلى عامل إيجابي يولد الإبداع ويعمل على بناء الذات، وتركيم الوعي الوطني الذي يعتمد على قوة الحق، مقابل غطرسة القوة لدى العدو الظالم<sup>(230)</sup>.

## 2. الانضباط والرقابة:

حاربت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية منذ بداية الاعتقال قضية الانضباط والتنظيم، بل على العكس هي غذت "عدم الانضباط" أو ما أطلق عليه الأسرى بمصطلح "الانفلاش" الذي عرفه الأسرى بتنصل الأسير من التزاماته اتجاه المجموع، وتحلله من أصول الحياة الجماعية، وعدم التقيد بالأنظمة التي وضعوها، وعدم حضور اجتماعاتهم، وعدم تنفيذ القرارات الناجمة عنها<sup>(231)</sup>.

ومن ظواهر الإبداع في السجون التعبئة والإقناع للأسرى للالتزام بالحياة الجماعية المنظمة، والرقابة على سلوكياتهم، ولفظ لمجرد التفكير أي حالة اختارت الحياة المزاجية غير التنظيمية، وألزمت كل المعتقلين باختيار فصيل للعيش في إطاره وضمن قوانينه، وأوجدت الحركة الأسيرة الضوابط التي تحكم الأسير بإطاره التنظيمي وبتحديد حقوقه وواجباته، والتي تحكم الأسير بالكل الاعتقالي، والتي حددت شكل العلاقات، والتعريف بما هو مسموح وما هو ممنوع منها .

(226) سامي الأخرس، كامل مسعود: رحيق الوطن، غزة، فلسطين، مكتبة الأندلس، 2015، ص.69.  
(227) غادة موسى: أثر الاحتلال على ثقافة المقاومة دراسة حالة للثقافة السياسية للمرأة الفلسطينية، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة، 2006، ص.14.  
(228) Bernardi, Bernardo, The concept and dynamics of culture, (1977), World Anthropology, The Hague: Mouton, , pp.83 (228).  
(229) سلمان جاد الله: أدب المواجهة، مرجع سابق، ص.51.  
(230) مفيد عرقوب: مرجع سابق، ص.23.  
(231) المصدر نفسه، ص.37.

وأوجدت الحركة الأسيرة اللوائح والمواثيق التي تحكم عمل المؤسسات الاعتقالية، وجرمت الأعمال الفردية غير المنظمة وغير المغطاة ولو ضمناً من الأطر التنظيمية والمؤسسات الاعتقالية، وأكدت على الالتزام بالقرارات التي تصدرها القيادة لكل فصيل، والالتزام بالقرارات الصادرة عن المؤسسات الاعتقالية في كل معتقل، والالتزام بالنظم والقرارات الإدارية والثقافية والأمنية والمالية، وتحمل المسؤولية الكاملة عن كل ممارسة، وأوجدت نظام المكافئة للمتميزين، والعقوبات للمتسيبين والخارجين عن القانون الاعتقالي، وتشكيل اللجان لدراسة المخالفات وإقرار العقوبة التي تتراوح ما بين التأنيب والمراجعة اللفظية إلى أن تصل للإعدام في حال الخيانة الوطنية، مروراً بعقوبات أخرى كالحرمان من التدخين، أو الجلد، أو غسل أواني الطعام لأيام أو وجبات، وعقوبات أخرى ” وفق قوانين تعارف عليها الأسرى اعتقالياً، ومثبتة في اللوائح التنظيمية الداخلية لكل فصيل «.

### 3. تعزيز الانتماء وروح التحدي:

من إبداعات الأسرى التي صلبت مواقفهم، ورسخت إراداتهم، وقوت عزائمهم أمام سياسات إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية وطواقمها الحاقدة، إيمانهم العميق بعدالة قضيتهم والعمل على حريتهم التي كفلتها كل الشرائع السماوية والاتفاقيات والمواثيق الدولية، فحملوا تلك القناعة، وضحو بالغالي والنفيس لتحقيق أهدافهم الوطنية والقومية، وواجباتهم الدينية.

هذه الروح النضالية تجذرت بعد تراكم الوعي والقناعة والتجربة النضالية وخاصة بعد الممارسات غير الإنسانية التي مروا بها في أقبية التحقيق ووسائل التعذيب التي زادتهم إيماناً بقضيتهم، وتحدياً لجلادهم.

لم يقتصر الموضوع عند هذا الحد بل عملت التنظيمات في السجون على مضاعفة الانتماء وروح التحدي عند الأسرى بالبرامج التوعوية، والجلسات الثقافية، وممارسة الخطوات النضالية، ورفعت المستوى السياسي والأمني والثقافي للمعتقلين، وعملت على تجذير انتمائهم لثورتهم وأهدافهم التي حملوها، فتأسست في السجون المدارس الثورية، لتخريج الكوادر السياسية والوطنية، وحولت المعتقلات إلى قلاع صامدة ونابهة بالحيوية والنشاط والفعل الثوري والوطني<sup>(232)</sup>، ورفعت جاهزيتهم النضالية ومعنوياتهم ونفوسهم وهمهم استعداداً لأي مواجهة تفرض عليهم بتحدي وعناد، فواجه الأسير سجانه بعقيدة، وصبر وصدور، جميعها كانت ركائز المعركة مع السجون والانتصار عليه، فالعناد على الحق هنا هو الإرادة القوية التي تلد النصر، والنصر حليف الإرادة المجبولة بالإيمان والقوة على الاحتمال، والاحتمال ميزة يتصف بها المؤمنون بقضاياهم<sup>(233)</sup>.

ويلاحظ أن الوضع داخل السجون لم يستقر يوماً، فهو في حالة مواجهة دائمة ومتواصلة، ولذلك فالحركة الأسيرة لم تلق سلاح المواجهة والتعبئة والاستنفار النفسي في أي لحظة لأن

(232) حلمي عنقاوي: مرجع سابق، ص 29.

(233) جميل السلحوت: أدب السجون، القدس، دار الجندی للنشر والتوزيع، 2012، ص 13.



أمامها عدوًا لا يريد لها سوى أن تدفن في الظلمة، والانصياع لقوانينه العسكرية الظالمة<sup>(234)</sup>.

#### 4. الثقافة والتعليم والمنافسة فيهما:

منذ بدء الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة فرضت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية على الأسرى حصاراً ثقافياً محكماً، ولكن الأسرى أدركوا خطورة هذا الظرف وكانوا على استعداد للتضحية من أجل كسره، الأمر الذي تجسد في إضراب عسقلان 1970/5/7م.

ومع إدخال الكتاب كإنجاز، تعددت الجلسات الثقافية داخل الغرفة الواحدة، وتبادلت الغرف المعلومات فيما بينها، وتوسع الحوار السياسي بين السجناء، وازداد نطاق تبادل المعلومات بين الغرف بسبب تخفيف القيود المفروضة على حركة الأسرى، فأصبح هناك مجال لإعداد مجلات تنظيمية شهرية، وهكذا تحولت غرف السجون إلى صفوف دراسية وثقافية، فاهتم الأسرى بتحصيلهم الدراسي، وإغناء ثقافتهم عبر النشرات والبيانات التي كانت تقرأ عليهم، وشيئاً فشيئاً تحولت هذه الجلسات اليومية إلى تقليد ما زال متبعاً حتى يومنا هذا<sup>(235)</sup>.

أما عن الجانب التعليمي فقد انتزعت الحركة الأسيرة حق التعليم «تقديم الثانوية العامة»، والانتساب للجامعة المفتوحة في إسرائيل بعد إضراب 27/9/1993م التي أبت فيه إدارة السجون الانتساب للجامعات العربية والفلسطينية والدولية، وفي أعقاب منعها في العام 2012م تطبيقاً لسياسة التضييق، استطاع الأسرى الانتساب للجامعات خفية، في عملية معقدة ولكنها مبدعة، مليئة بحالة المنافسة، وتوسع الأسرى في الثقافة العامة، والتخصص في المجالات المختلفة، وفي تعلم اللغات، وحفظ القرآن الكريم، والتفسير، والكتابة والإنتاج الأدبي في كافة المجالات الثقافية والتعليمية على حد سواء.

#### 5. الاستفادة من خبرة الكادر القادر:

الحياة داخل المعتقلات تقوم على التنظيم والتكاملية، التنظيم في كل شؤون الحياة الاعتقالية للأسير والفصائل ومع إدارة السجون، وتقوم على التكاملية والتعاون في العلم والتعلم «الثقافي والتعليمي والتنظيمي» على حد سواء، وتنتقل التجارب والثقافات والعلوم المختلفة بين الأسرى باللقاءات والجلسات الجماعية الفردية والتنظيمية، وللأسرى القدامى الكثير من التأثير على الأسرى الجدد بما اكتسبوه من علوم ولغات وتجارب نضالية واعتقالية، لذا يقوم الكثير من الأسرى القدامى من ذوي الخبرات وحملة الشهادات وما امتلكوه من ثقافات عبر مطالعة عشرات بل مئات الكتب على مدار فترة سجنهم الطويلة التي تتراوح ما بين 10 سنوات إلى ما يزيد عن 25 عام وبعضهم وصل إلى أكثر من ثلاثين عاماً متواصلة.

فتلك الشخصيات القيادية عملت في السجون على بث الروح الجماعية بين المعتقلين والعمل على تحجيم الولاءات البلدية والشلية والشخصية وغيرها، كما عملت على ترسيخ التربية

(234) عيسى قراقع: مرجع سابق، ص 28.

(235) مفيد عرقوب: مرجع سابق، ص 21.

التنظيمية الهادفة إلى الالتزام والانضباط، و نشر التوعية الأمنية والعمل على إحباط ومواجهة مؤامرات العملاء، وتقوية روح الانتماء الفصائلي، ومواجهة إدارة المعتقل، وتهيئة المعتقلين لمراحل نضالية ضد إدارة مصلحة السجون<sup>(236)</sup>.

ويرى الباحث أن الأسرى القدامى بإمكانياتهم الثقافية والنضالية، وإرشاداتهم الأمنية، وتجاربهم الاعتقالية، وضعوا الأسرى الجدد على السكة الصحيحة للوصول إلى بر الأمان، وحماية الذات، ونقل الخبرات والتجارب، لبناء كوادر واعية قادرة على نقل التجربة، والإفادة والاستفادة منها في آن واحد.

## 6. التفاؤل بالحرية والعمل لما بعدها:

”السجن لا يُبنى على أحد « هذه هي المقولة التي عبر بها الأسرى دوماً عن تفاؤلهم بالحرية والعودة للحياة مستندين إلى تجارب زملائهم الماضية ممن حوكموا بالمؤبدات لمدى الحياة وتم الإفراج عنهم في عمليات تبادل للأسرى، من هذا المنطلق المحب للحياة والمتطلع للأمل، استعد الأسرى لما بعد الحرية، حتى أن عشرات منهم من بنوا بيوتاً، وتقدموا بالخطبة واقتروا بعرائس أثناء الاعتقال رغم أنهم محكومون لمدى الحياة، وخرجوا من السجون وتزوجوا من اختاروا بعد سنوات، هذه الروح المؤمنة بقضاء الله وقدره، وبالعقيدة الثورية والنضالية، والمؤمنة بأهدافها وعدالة قضيتها، والمتسلحة بالإرادة والقوة والثبات، والتفاؤل جعلت الأسرى يستثمرون أوقاتهم، ويناضلون لانتزاع الموافقة من السجن على تعليمهم الأكاديمي، ويحرون في ثقافتهم، وإنتاجهم الأدبي، وأبدعوا على كل الصعد، وجهزوا أنفسهم لما بعد التحرر.

يخلص الباحث في نهاية المبحث إلى أن الأسرى أبدعوا بمقاومتهم لمخططات إدارة مصلحة السجون، وعبر سلسلة طويلة ومترامية من التفكير والتخطيط تحقق الإنجاز تلو الإنجاز، في أعقاب سلسلة طويلة من النضالات التكتيكية والاستراتيجية التي جبلت بالألم والمعاناة، بدءاً بوحدة الحركة الأسيرة، مروراً بانتظام العمل الاعتقالي والمأسسة بكافة أشكالها، وعبر تقوية الجبهة الداخلية والالتزام بكل القوانين والقرارات التنظيمية، وتنفيذ المهام التي تلقى على عاتقه، والمساهمة في النضال ضد إدارة السجن، والعمل على توفير المناخ الملائم لحياة اجتماعية خالية من المشاكل والتعقيدات عمادها المحبة<sup>(237)</sup>، وتغليب المصلحة العامة على الشخصية، والحرص على الوحدة الوطنية.

واتضح عملية الإبداع من خلال وضع نظريات للمقاومة والعمل بمقتضاها، كنظريتي (المواجهة والاحتراف، وأدب المواجهة)، ووفق النظرية الأولى دعت الحركة الأسيرة جموع المعتقلين للانصهار المطلق في قضيته الوطنية التي يعايشها، والوصول للجهازية الدائمة لإفناء

(236) + المصري، نجود أحمد: مرجع سابق، ص3.

(237) زهير المصري، نجود أحمد: العلاقات التنظيمية بين الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص6.

ذاته في سبيل الأهداف التي يؤمن بها أمام الخطر الداهم عليه وعلى الحركة الأسيرة برمتها والقائمة على ثلاث محاور هي: ”التأقلم مع الخطر، وتراكم الوعي، وإعادة الصياغة التربوية الأخلاقية“<sup>(238)</sup>.

والنظرية الثانية: تقوم على أربعة فروض، الأول: المواجهة الواعية تناسب طردياً مع سلامة الانضباط التنظيمي، والعكس صحيح، والثاني: تحت ظروف معيشية مشتركة يؤدي الالتزام بالانضباط التنظيمي دوراً هاماً في تسريع عملية إصلاح وتركيم الوعي، والثالث: الظروف المعيشية المشتركة في حقل معادٍ تسوده عوامل ضغط ومواجهة يلعب التوجيه الأيدلوجي الثوري عاملاً مؤثراً لإعادة صياغة سيكولوجيا أكثر ثورية للوسط الاجتماعي، والرابعة، في ظل الاستنفار وإمكانية الانفجار هنالك ضرورة لضبط وتوجيه التوازن الانفعالي تبعاً لمتغيرات اللحظة المحتملة<sup>(239)</sup>.

---

(238) سلمان جاد الله: مرجع سابق، ص 4.

(239) المصدر نفسه، ص 39.

## المبحث الثاني

# الهياكل والمؤسسات التي أبعدها الأسرى طواجة السجن الاسرائيلى

مجتمع السجن عبارة عن مؤسسة ديناميكية تقوم على التفاعل، والاندماج والنشاط والحيوية، وعملت الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة جاهدة على انخراط الأسرى الجدد ودمجهم في المجتمع الاعتقالي من خلال انتمائهم إلى الفصائل داخل السجن، حتى يتكيفوا مع الواقع الجديد بعد تجربة التحقيق القاسية<sup>(240)</sup>، ولعل ما ساعد هذا الاندماج طبيعة الإنسان المتميزة بكونها اجتماعية<sup>(241)</sup>، وأن الذات الفردية لا يمكن أن تتكامل أو تعيش بمفردها، وأنها تتميز بقدرتها على التفاعل في مواقف الجماعة التي تنتمي إليها<sup>(242)</sup>.

ولذلك ممكن تفسير الظواهر والعلاقات الاجتماعية في السجن، الصادرة عن أنماط وسلوك الأفراد بداخله، على قاعدة أن المعايير هي التي تعطي للبناء الاجتماعي خاصية الثبات والتنظيم<sup>(243)</sup>، تلك المعايير التي وضعتها الحركة الأسيرة في صيغة مواد مكتوبة، أو اتفاقيات شفوية تم التعارف عليها، أو دساتير ومواثيق ولوائح داخلية عامة وفصائية، كأساس في تنظيم الحياة الاجتماعية الاعتقالية داخل السجن.

والحركة الأسيرة بدورها عملت على تشكيل البنى الاجتماعية، التي تعمل على ربط أعضاء الجماعة بعضهم ببعض، وكذلك بتحديد مجموعة القيم المعيارية المنتظمة التي تتحكم بسلوك الشخص داخل الجماعة والمجتمع الاعتقالي<sup>(244)</sup>.

ويعتقد الباحث أن أهم إنجاز حققه الأسرى في السجن هو بلورة الهياكل التنظيمية، التي هيئت كل الظروف والأجواء لانطلاق كافة أشكال الإبداع للحركة الأسيرة، والتي حكمت جميع العلاقات وضبطتها بلوائح وقوانين، وحددت لكل منها المهام والأهداف، ومن هنا سيفصل الباحث في هذا المبحث تلك العملية المعقدة التي تتم عن قدرة فائقة للأسرى في ترسيخ أسس المواجهة والاحتراف مع إدارة مصلحة السجن التي سعت جاهدة لتقويض تلك المحاولة دون جدوى.

### أولاً- مراحل تطور العمل التنظيمي:

يؤكد الباحث من توثيق الباحثين للفترات الأولى للاعتقال التي لم يشهدها، ومن خلال انخراطه في العمل التنظيمي فترة اعتقاله، بأن العملية التنظيمية في السجن شملت ثلاثة

(240) سلمان جاد الله: مرجع سابق، ص 51.

cooley, c: Human Nature and the Social Order New York, Schockan,1964,PP14 (241)

.Mead ,G: Mind, Self and Society from Stand Point of A Social Behaviorist ,Chicago Univ ,Press 1962 , PP17 (242)

.Radeliff,Brown: Method in Social Anthropology,the universityof Chicago,1918,PP13 (243)

(244) محمد أبو شريعة: المصدر السابق، ص 52.

مستويات «عملية التنظيم الخاص للفصيل الواحد في السجن الواحد، والذي ينظم علاقات الأسرى فيما بينهم، والتنظيم العام لمؤسسات السجن الذي ينظم عمل الفصائل فيما بينها، والتنظيم الأعم الذي يشمل كافة السجون، وهناك ثلاث مراحل في تطور العمل التنظيمي هي:

1. مرحلة العلاقات التنظيمية التي اعتمدت على الشخصية القيادية و التي اعتمد التنظيم فيها على الأشخاص الذين برزت قدراتهم القيادية، وهي مرحلة لم يكن للقاعدة أي دور في إفراز قيادتها المركزية، ولكنها كانت تنصاع لهذه القيادة بحكم شعورها بتميز هؤلاء الأشخاص الذين تصدروا العمل التنظيمي، هنا عملية فرز القيادة لم تخضع لأسس و معايير واضحة أو لوائح تسهل ذلك.

2. في عام 1975م تقريباً، مر التنظيم بمرحلة (قيادة النخبة)، حيث أخذ يتبلور في تلك المرحلة الزمنية التفكير بوجود قيادة جماعية، و هذا التوجه ظهر في معتقل عسقلان حيث كان يضم عدداً من الشخصيات ذات التجربة العميقة و القدرة على القيادة، في هذه المرحلة تبلورت هياكل تنظيمية في معتقل بيت ليد، إلا أن العمل التنظيمي رغم تميزه بوجود هيكل إداري وإطار تنظيمي واضح، فإن شغل المراكز التنظيمية كان يتم بالتعيين من قبل مجموعة من النشطاء الذين اعتبروا أنفسهم قادرين على وضع الرجل المناسب في المكان المناسب وفق تقديرهم للمصلحة التنظيمية، وهذا يعني أن اختيار القيادة كان محصوراً في إطار ضيق، و لا تشارك فيه كل القاعدة التنظيمية.

3. المرحلة الثالثة هي مرحلة النضج، وفيها سادت الأنظمة واللوائح التنظيمية، حيث استكملت فيها البنى التنظيمية، وخضع لها جميع المعتقلين، وأبرز ما ميز هذه المرحلة هو انتخاب الشخصيات القيادية المركزية، وفق لوائح داخلية تعتبر دستوراً يتوجب احترامه لضمان عملية التغيير القيادي بشكل سلمي(245)، وجدير بالذكر أن مرحلة النضج تكونت فيها اللوائح الداخلية والداستاتير الاعتقالية المكتوبة والشفوية، في داخل التنظيم الواحد وبين الفصائل، وبدأ الأسرى بالانتخابات الديمقراطية في فرز ممثليهم وقادتهم، وتم القضاء على كل مظاهر التسيب والفوضى والفردية، واستطاع المعتقلون توحيد كلمتهم، وبناء علاقات فصائلية قوامها التعاون والاحترام المتبادل، مما مكّنهم من فرض وجودهم واعتراف الإدارة بهم وإجبارها على التعامل معهم على أساس جماعي وليس فردي، ولعل إضراب عسقلان التاريخي الذي استمر 45 يوم متتالية في 11/12/1976م، وحقق الكثير من الإنجازات والحقوق شكل أهم ملامح المؤسسة الاعتقالية، واتضح الأمر أكثر في أعقاب إضراب سجن جنيد المفتوح عن الطعام في 23/9/1984م الذي لم يتوقف إلا بعد مفاوضات جرت بين وزير الشرطة في حينه حاييم برليف وممثلي الأسرى، وكان ذلك لأول مرة، الأمر الذي شكل اعترافاً بشرعية المؤسسات الاعتقالية

(245) زهير المصري، نجود أحمد: مرجع سابق، ص4.

ولجانها النضالية وممثليها (246)، حينها فشلت إدارة السجون رغم كل السياسات التي اتبعتها والعوائق والعقبات التي وضعتها لضرب الوحدة الاعتقالية والأطر التنظيمية.

وأكد الباحثون أن العام 2007م تميز بتطور عمل الأسرى على صعيد العمل التنظيمي بشكل داخلي، فقد اتسعت فيه رقعة التنسيق المشترك لتصل لكافة السجون، واستطاع الأسرى أن يخطوا خطوات متقدمة إلى الأمام، فأنشأت التنظيمات الهيئات القيادية العليا للأسرى في السجون، والقيادة الموحدة للأطر الأخرى، ليشمل مجلسها الأعلى بالانتخابات العامة لكل عناصر التنظيم في السجون أعضاء متواجدين في عدد من قلاع الأسرى، تلك القيادة والهيئات تقوم برسم السياسات العامة لأسرى فصيلها في القضايا المشتركة على مستوى السجون، والتي تحسم الخلافات وتتخذ القرارات الكبرى من خلالها (247).

وتعتبر هذه الخطوة متقدمة، فبعد أن حاربت إدارة السجون اجتماع أسيرين في غرفة أو ساحة زهنة تخوفاً من التنسيق المشترك بينهما، أجبرت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية على الاعتراف بممثلي الأسرى وعكفت على نقلهم في بعض الأوقات والخطوات العامة لحل الأزمات، واحترمت إفراس قيادتهم بعد العمليات الانتخابية التي تابعتها بشكل مستمر، واجتمعت مع ممثلي الهيئات العليا والقيادات العام للتنظيمات في الخطوات النضالية، والهيئات القيادية الموسعة تعتبر خطوة متقدمة و متميزة في العمل التنظيمي في تاريخ الحركة الأسيرة كإنجاز مميز، ومثابة حلم طالما داعب مخيلة الأسرى، ومشروع طالما سعوا لإنجازه (248).

## ثانياً - كيفية تشكيل الهيئات التنظيمية:

يؤكد الباحث أن عملية تشكيل الهيئات التنظيمية في السجون تكونت على قاعدة اللوائح والأنظمة الداخلية، وعبر الانتخابات التي تتميز عادةً بالشفافية والنزاهة، بلا انقلابات على النتائج أيًا كانت، أو دكتاتوريات تعتمد على القبليّة والشللية أو منطق القوة الذي قضت عليه الحركة الأسيرة نهائياً منذ بداية السبعينيات، بل تشكلت الهيئات بعملية منتظمة وبتبادل للسلطة وبرقابة ومحاسبة للعاملين.

وأما عن الهياكل ومسمياتها لدى الفصائل في السجون، فالفائد العام للتنظيم في حركة فتح يسمى بالموجه العام، وعند التنظيمات اليسارية خاصة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين يسمى بمسئول المنظمة الحزبية، أما عند الحركات الإسلامية حماس والجهاد الإسلامي فيسمونه الأمير العام، واللجنة المركزية هي التي تنتخب القائد العام للتنظيم، وهي التي تشرف على رأس اللجان العاملة في القلعة (مثل اللجنة الخارجية والإدارية والثقافية والأمنية والمالية)، أما ما يوازيها عند التنظيمات الإسلامية فهي اللجنة التنفيذية، وعند اليسار لجنة الرابطة، ويتم انتخاب اللجنة المركزية من قبل المجلس الثوري عند فتح، و من مجلس الشورى عند التنظيمات الإسلامية، ومن مؤتمر الرابطة عند اليسار.

(246) عيسى قراقح: مرجع سابق، ص30.

(247) ناصر عبد الجواد: مرجع سابق، ص130.

(248) الأمير محمد صبح: التجربة الديمقراطية والمؤسسية حركة حماس في السجون، غزة، فلسطين، مكتب اعلام الأسرى، 2015، ص16.



وجميعها تتم بانتخابات نزيهة تبدأ بتشكيل اللجان الانتخابية من إخوة ثقات أكفاء مشهود لهم، وعادة ما توجه اللوائح إلى اختيار أعضاء لجان من الإخوة الذين لا يحق لهم الترشح -إن وجد- زيادة في الشفافية، لكن لا يشترط ذلك، وهذه اللجان الانتخابية توثق مراحل عملها وتفصيلها أولاً بأول، وترفع التفاصيل من اللجان الفرعية إلى اللجنة المركزية، مع احتفاظ كل لجنة بنسخة من التفاصيل، ثم ترفع هذه التفاصيل إلى قيادة التنظيم الذي يشرف على أداء اللجان الانتخابية دون أي تدخل في تفاصيلها.

وبالتالي يمكن القول أن العلاقة بين الأسرى الفلسطينيين داخل السجون الإسرائيلية بنيت على أسس تنظيمية ولوائح تنظم هذه العلاقة ويشار إليها باللوائح الداخلية، تكفل لكل أسير ماله وما عليه من التزام، وأي خرق لهذا النظام له عقاب<sup>(249)</sup>.

### ثالثاً- الهيكلية التنظيمية العامة لكل معتقل:

لقد تمكنت الحركة الاعتقالية خلال تجربتها الطويلة من تشكيل مؤسساتها وهيئاتها الاعتقالية والوطنية، ووضعت لذاتها نظاماً داخلياً ضبط شؤون الأسرى بينهم وبين أنفسهم من جانب، وبينهم وبين إدارة مصلحة السجون من الجانب الآخر، هذا النظام كان دقيقاً جداً لم يسمح لأحد التحدث باسم الأسرى إلا لمن ينتخب من قبل الأسرى أنفسهم، وشمل هذا النظام كل مناحي حياة الأسرى الأمنية والثقافية والخارجية والإدارية والمالية ووضع الضوابط لكل تفاصيل حياة الأسرى لحمايتهم وتطورهم على كل المستويات، هذا النظام حول السجن إلى مدينة فاضلة، بلا مصالح ولا شخصانية، بل غلب الكل الاعتقالي فيه المصلحة الوطنية والاعتقالية على كل اعتبار<sup>(250)</sup>.

#### 1. اللجنة الوطنية العامة:

وتسمى باللجنة الوطنية العامة أو اللجنة النضالية العامة أو اللجنة الاعتقالية العامة، على اختلاف التسمية بين سجن وآخر مع تساوي في الدور والمضمون، وهي لجنة تعمل وفق لائحة متفق عليها بين الفصائل الموجودة في المعتقل، وتشرف على الاحتفالات العامة، وعلى الاتصال في مواقع الأسرى الأخرى في الشؤون الاعتقالية العامة، وعلى إصدار البيانات الجماهيرية، والبيانات الاعتقالية الجماعية، ويقع ضمن مهماتها البت في الإضرابات والخطوات النضالية الأخرى، كما تشرف على الصندوق المالي عبر لجنة خاصة تابعة لها، وكذلك تنشئ لجنة ثقافية عامة في بعض الأحيان، ولجنة نضالية لتنسيق النشاطات الرياضية الجماعية للمعتقلين، بالإضافة لإشرافها على عمل لجنة الحوار مع إدارة المعتقل<sup>(251)</sup>.

(249) الأسير محمد صبيحة: مرجع سابق، ص16.

(250) الأسير المحرر شكرى سلمة، نائب رئيس هيئة شؤون الأسرى والمحررين، مقابلة أجراها الباحث، 23/4/2015، رام الله.

(251) خالد الهندي: مرجع سابق، ص141.



ورأى الأسرى في اللجنة الوطنية العامة تجربة أكثر نضوجاً من تجربة فصائلهم في الخارج في الديمقراطية وكيفية اتخاذ القرارات الجماعية بالتراضي أو بالأغلبية وفق النظام المتبع، فهذه اللجنة الاعتقالية صاحبة القرار الأول والأخير، كما جاء في الوثيقة الاعتقالية فهي السلطة العليا في السجن، التي من حقها التقرير في كل ما يخص المعتقلين<sup>(252)</sup>.

## 2. لجنة الحوار:

تتولى لجنة الحوار عملية المفاوضات مع إدارة السجن وإدارة مصلحة السجون الإسرائيلية بالشكل العام عند زيارة الوفود والطواقم من خارج السجن، وتتابع أوضاع المعتقل ومطالب الأسرى في الاجتماعات الدورية، ومرجعيتها اللجنة الاعتقالية العامة، وأعضاء لجنة الحوار هم من الأسرى الأكفاء والقيادات الذين يتم ترشيحهم من قبل أطرهم التنظيمية، ويتمثل في هذه اللجنة الكل الاعتقالي، ويتميز أعضاؤها بإتقان اللغة العبرية « قراءة وكتابة وتعبير وإمكانية حوار » بالإضافة لممثل المعتقل.

## 3. الموجه العام:

هو الأسير الذي يتوافق عليه الكل الاعتقالي وغالباً ما يكون من الفصيل الأكثر عدداً في السجن، ليمثل الجميع أمام إدارة مصلحة السجون، ويفترض أن تتوفر في هذا الممثل خبرات خاصة منها أن يكون صاحب سمعة أمنية وأخلاقية عالية وأن يكون ذا قدرة على المناورة والمفاوضات وعلى قدر كبير من الوعي والثقافة والمعرفة، ويتحلى بقوة الشخصية ويجيد اللغة العبرية، للحديث مع طواقم إدارة السجون في مطالب الأسرى<sup>(253)</sup>.

الموجه العام يتسلح في حواراته مع إدارة السجون بموقف بقوة وإرادة وغضب ألف أسير في بعض السجون الكبيرة، وتتعامل إدارة مصلحة السجون معه بهذا الوزن وهذا الثقل، في المقابل يكون محكوم ومراقب من منهم جميعاً وموجه بسياسات المؤسسات الاعتقالية، ويتم تثبيته ودعمه ومساندته في حال نجاح في تسويق قضايا الأسرى وتحقيق الإنجازات والحقوق لهم، ويتم إرشاده وتصحيح أخطائه في حال الإخفاق، وقد يتم اقالته من مكانته والاتفاق على بديل له في حال لم يعبر عن مطالب الأسرى، ولم يستطع تطبيق السياسة العامة التي يتم الاتفاق عليها من قبل الفصائل في إطار مؤسساتها الوطنية العامة<sup>(254)</sup>.

## رابعاً - توحيد قرار المنظمات الاعتقالية:

استشعرت الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة حالة الاستهداف، واستطاعت أن تبلور قيادة موحدة لمنظماتها على مستوى السجون غير مختصرة على سجن واحد لكل منظمة، فبرزت القيادة الموحدة أو اللجنة المركزية الفرعية للجبهة الشعبية على مستوى السجون ككل، والهيئة القيادية العليا لحركتي حماس والجهاد الإسلامي على مستوى كل قلاع الأسر، وتوحدت

(252) اياد الرياحي: مرجع سابق، ص36.

(253) جمعية الأسرى والمحررين: مرجع سابق، ص12.

(254) الأسير المحرر عبد الهادي غنيم، مقابلة أجراها الباحث، 23/4/2015، قطاع غزة.

القرارات العامة للأسرى، وتم قدر الإمكان ترميم هياكل المنظمات وصياغة اللوائح الاعتقالية لضبط تحركها وعملها وتحديد صلاحياتها ومهامها.

## خامساً- الهيكلية التنظيمية للأطر التنظيمية:

صاغت الفصائل لنفسها لوائح داخلية تحكم العلاقات والنشاطات داخل التنظيم الواحد، وقد تطورت هذه اللوائح وجرت عليها التعديلات حتى وصلت إلى صورة أفضل، فتضمنت تحديداً لأكثر القضايا، وعالجت معظم جوانب النشاط التنظيمي، وشملت كل مناحي الحياة الاعتقالية « كالأسس والمفاهيم التي تقوم عليها اللائحة التنظيمية، ومبادئ الحركة وأفكارها ومرتكزاتها وأهدافها وأساليبها النضالية، وواجبات وحقوق الأعضاء، وهيكلة البناء التنظيمي داخل المعتقل، وواجبات وحقوق وصلاحيات الهيئات التنظيمية، ومراتبها المختلفة، ومهام وصلاحيات وآليات تشكيل الأجهزة المختلفة داخل الحركة، والمحظورات والعقوبات وآليات التعديل على مواد اللائحة، وصلاحيات ومهام اللجان داخل الأطر التنظيمية، والمتشابهة بعمومها لدى كل الفصائل الفلسطينية في السجون وأهمها<sup>(255)</sup>:

### 1. اللجنة الخارجية:

يرأسها أحد أعضاء اللجنة التنفيذية (المركزية) بمعية أعضاء آخرين وفق الحاجة في السجن والأقسام، وتُعنى بالشؤون الخارجية للحركة سواء في السجن الواحد مع الفصائل الأخرى، أو بالسجون الأخرى، أو مع التنظيم والمؤسسات خارج السجن، ومهمتها التنسيق مع الفصائل الأخرى لبلورة المواقف النضالية الاعتقالية العامة، ومراسلة السجون وإطلاعها على أوضاع التنظيم العامة، وتحفظ اللجنة الخارجية بأرشفة المراسلات مع السجون الأخرى، وتنسيق الخطوات النضالية والاعتقالية الشاملة، وتتابع أوضاع الأسرى في الخارج من الناحية المالية، ومخصصات الكنتينة والأهل، وزيارة المحامين<sup>(256)</sup>، وإبقاء الأسرى على اتصال دائم بالعالم الخارجي من خلال مراسلاتهم المتواصلة مع مراكز صنع القرار الوطني في الساحة الفلسطينية<sup>(257)</sup>.

### 2. اللجنة الإدارية:

يتكون الجهاز الإداري من المفوض الإداري العام، واللجنة الإدارية العامة، لهذا الفصيل أو ذلك، ويقف على رأس الجهاز الإداري الموجه الإداري العام، وهو أحد أعضاء اللجنة التنفيذية (المركزية)، بالإضافة إلى موجهي الأقسام ولجانه الإدارية، وموجهي الغرف الإداريين، ويتم تنسيب أعضاء الجهاز الإداري من قبل المستويات القيادية العليا داخل الفصيل الواحد، لتولى هذه المهام بعد ملاحظة قدراتهم ومهاراتهم الإدارية والشخصية والثقافية والأمنية والاجتماعية<sup>(258)</sup>.

(255) خالد الهندي: مرجع سابق، ص76.

(256) اللائحة الداخلية لحركة الجهاد الإسلامي في السجون - مادة مهربية غير مطبوعة، ص19.

(257) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة - جامعة القدس، موسوعة تجارب الأسرى الفلسطينيين والعرب، مرجع سابق، ص55.

(258) المصدر نفسه : ص47.

تقوم اللجنة الإدارية بضبط الأوضاع الداخلية ومتابعة الإشكاليات ومعالجتها، وتشرف اللجنة الإدارية على النشاط الإداري العام من خلال إشرافها على نشاط الموجهين في الغرف والأقسام، وهي التي تضع الخطط الإدارية لضمان حياة منظمة ومن جهة أخرى تحدد اللوائح المراتب التنظيمية الإدارية، ولعل أهمها موجه كل غرفة كمسؤول مباشر عن عناصر التنظيم في الغرف لكل الأقسام في السجن الواحد، والذي يقدم تقارير دورية للجنة، ويشرف على كل شؤون الحياة<sup>(259)</sup>، كتحديد أماكن السكن لكل عنصر والإشراف على النظام والنظافة، وإطفاء النور، وضبط التلفاز، والخروج للرياضة، والنزهة للأسرى وتطبيق القرارات الإدارية التنظيمية على أرض الواقع، ومن صلاحيتها أيضاً حل المشاكل ومعاينة المخالفين.

### 3. اللجنة الثقافية:

يقف على رأس اللجنة الثقافية قيادي منتخب في اللجنة التنفيذية - المركزية، ويكون مسؤول أمام التنظيم عن كل المهام الثقافية في المعتقل<sup>(260)</sup>، واختيار أعضاء اللجنة برفقته، والموجهين الثقافيين في الأقسام والغرف.

ومهمة اللجنة الثقافية الإشراف على رفع المستوى الثقافي للأسرى من خلال وضع الخطط الثقافية المناسبة لهم، والسهر على تنفيذها، ولجنة القسم الثقافية تشرف على تنفيذ الخطة الثقافية العامة لفصيلها السياسي في قسمها بالتنسيق مع اللجنة الثقافية العامة، وتحديد مستويات الأسرى الثقافية، وتوزيعهم على خلايا متدرجة تنازلياً والإشراف على الجلسات الثقافية في مجالات مختلفة وفق الخطة التنظيمية وحاجة الأسرى، وتقوم بتعميم النشرات والتحليل السياسية، والتعاميم الواردة من اللجنة العامة للقسم، ثم أرشفة هذه المواد وحفظها في مكتبة القسم، والإشراف على المكتبة والكراسات التنظيمية وتحديثها وفهرستها، وعلى دورات محو الأمية وتعلم اللغات، وتطوير مهارات الكتابة والخط العربي، وتقوم اللجنة الثقافية للقسم باستقبال تقارير موجهي الغرف والخلايا الأسبوعية، وإعداد التقارير نصف الشهرية حول مسيرة القسم ورفعها إلى اللجنة الثقافية العامة، وتشرف على عقد وتنظيم الجلسات التنظيمية في مواعيدها، كما وتقوم بكتابة المواضيع الثقافية والفكرية، وتنظيم أرشيف الصحف العربية والعبرية والانجليزية والمجلات، وحفظها، ويعد منسق اللجنة الفرعية حلقة الوصل مع اللجنة العامة، ومسئول أمامها عن أوضاع القسم الثقافية<sup>(261)</sup>.

### 4. اللجنة الأمنية:

يرى الباحث أن اللجنة الأمنية هي أشد اللجان حساسية، لما لها من آثار نفسية ومصيرية على حياة العناصر التنظيمية، وعلى دقة المعركة وشراستها الصامتة مع أجهزة الأمن الإسرائيلية، وتأخذ التنظيمات في عين الاعتبار كل المحاذير في اختيار أعضاء اللجنة التي

(259) قدري أبو بكر: من الفمغ إلى السلطة الثورية، دار الجليل للنشر، عمان، 1989، ص 164.

(260) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص 41.

(261) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة - جامعة القدس، موسوعة تجارب الأسرى الفلسطينيين والعرب، فلسطين، القدس، 2014م، ص 48.

يرأسها أحد المسئولين والأعضاء المشهود لهم بالوطنية العالية، والذكاء والتحليل والإمكانيات، والتجربة الأمنية العميقة ومخافة الله في مصير الأسرى وذويهم، وتجربة الباحث تؤكد أن تخطىء اللجنة الأمنية في براءة 100 عميل أفضل من أن تتسرع فتخطىء في إدانة أسير واحد بريء، لذا عمل هذه اللجنة يحتاج للكثير من التقوى والصبر، والخبرة العميقة، والذكاء والتأني، والسرية الكاملة والشعور بالمسئولية الوطنية.

وممكن حصر عمل هذه اللجنة بصياغة ورسم السياسة الأمنية للتنظيم وفق السياسة المعتمدة، ورسم السياسة الدائمة للعمل الأمني والعمل على حماية الصف الداخلي من الاختراق، وإيجاد قناة إتصال مع الفصائل الأخرى، ومع دائرة العمل الأمني في الخارج لتبادل المعلومات وتوحيد القرار، وإيجاد قناة اتصال مع كافة اللجان الأمنية في كافة المواقع لتبادل المعلومات وتنسيق الخطوات والآراء، والعمل على إيجاد كادر أمني بالتنسيق مع الهيئات المحلية وذلك من خلال منهج تدريب وإعداد مناسب، وإيجاد لجنة دراسة وبحوث أمنية ومتابعة كل التطورات وكل ما هو جديد، واتخاذ قرار الإخضاع الأمني على قاعدة « آخر الدواء الكي » في حق أي عضو وفق ما يتم تقريره من نظم وضوابط بعد فشل المعالجات في تصحيح مسار المتورطين وبحق من أثبت أنهم تورطوا في عمليات تصفية للمناضلين، وتم إدانتهم بالخيانة العظمى للوطن والقضية<sup>(262)</sup>.

هذا بالإضافة لمحاربة كل الظواهر التخريبية والمسلكية، ومعالجة ومتابعة كل إشاعة أو تحريض أو تشويه بحق أي أسير، ومحاربة سياسة المحاور ومراكز القوى والبلدية والشللية والاتجاهات الفكرية المنحرفة<sup>(263)</sup>.

## 5. اللجنة المالية:

هي إحدى اللجان العاملة ويرأسها أحد أعضاء اللجنة التنفيذية (المركزية) بمعية أسرى آخرين وفق الحاجة في السجن والأقسام، و تختص بالشؤون المالية للحركة والصندوق وكافة المعاملات المالية، ومهامها القيام بإعداد الخطة المالية وعرضها على القيادة العامة للحركة لإقرارها ثم الإشراف على تطبيقها، وتقوم بتحديد الميزانيات و المخصصات الشهرية للأعضاء، والمخصصات الشهرية للجان العاملة، والمشتريات العامة، والمخصصات الشهرية للعمال، وتقوم بتغطية المصروفات التنظيمية الخاصة، ومتابعة الأرصدة، وإجراءات التحويلات المالية داخل السجن وخارجه، وتقديم تقرير شهري للمسؤولين حول الوضع والأداء المالي للتنظيم، وتتابع المديونين للتنظيم وتضع الإجراءات الخاصة بهم، وتوفر المصروفات المالية للاحتفالات والمناسبات والهدايا والجوائز ضمن الإمكانيات المتاحة<sup>(264)</sup>.

(262) الأسير محمد صبيحة: مرجع سابق، ص156.

(263) اللائحة الداخلية لحركة فتح - مادة مهربة من السجنون وغير مطبوعة، ص30.

(264) اللائحة الداخلية لحركة الجهاد الإسلامي في السجنون - مادة مهربة غير مطبوعة، ص19.

## 6. اللجنة القضائية:

هي لجنة يشرف عليها مسؤول من اللجنة التنفيذية (المركزية)، وإما أن تكون دائمة أو مؤقتة الانعقاد حسب الحاجة، ومهامها تنفيذ السياسة القضائية المعتمدة من لجنة الإعداد في القضايا المطروحة، ورفع قراراتها في القضايا محل البحث للجنة التنفيذية - المركزية، وأما عن آلية عملها فيتم العمل على محاولة الإصلاح بين الأطراف ابتداءً، وبالبحث وبتعريف أطراف القضية بعواقب الأمور وما يمكن أن يترتب على البحث من إجراءات، وبالالتزام بأداب القضاء العادل بالسماع لكافة الأطراف والشهود وتمحيص الأمر والحياد في الحكم، وعن قرارات اللجنة فتؤخذ بالأغلبية، ومن أهم شروط عملها المحافظة على سرية المداومات حتى الانتهاء من القضية كاملاً ورفع قرارها، مع الالتزام بالنظام (القضائي) المعتمد وعدم الخروج عنه، والالتزام بشروط التكليف المقدمة من المكتب التنفيذي، ويمكن الاستئناف على قرار اللجنة بتقديم طلب للجنة التنفيذية، ومن حق طرف أو أطراف القضية الاعتراض على اللجنة القضائية أو أحد أعضائها والمطالبة بتغييره مع ضرورة إبداء الأسباب المتعلقة بذلك<sup>(265)</sup>.

في نهاية المبحث يرى الباحث أن إحدى صور الإبداع في السجون تجسدت في تحويل واقع السجن إلى مجتمع له أعرافه وتقاليد، ينفي أي معنى للضعيف والقوى، كل الأسرى سواسية في واجباتهم وحقوقهم، وحق العضوية والترشيح والانتخاب لاختيار قيادته، فالمؤسسات الاعتقالية حافظت على الأسير منذ لحظة اعتقاله وعملت على تطويره بوضع القوانين والضوابط والحوافز في القراءة والرياضة ومشاهدة التلفاز حتى نظافة الأوعية والأدوات بعد الطعام ونظافة الغرفة وملاء الفراغ والثقافة، وبفضل تلك المؤسسات واللجان تم تهيئة الأجواء والظروف لتطوير إبداعات الأسرى، وحولت السجون إلى مدارس وجامعات وحلقات ذكر وعلم وثقافة، ولعل من أبرز تلك المؤسسات الاعتقالية اللجنة الوطنية العامة<sup>(266)</sup>.

ومن واقع التجربة الاعتقالية للباحث، أن تلك اللجان والنظم والقوانين واللوائح، عملت على تحويل السجون لمجتمعات وسلطات صغيرة متكاملة، أقرب إلى المثالية والحياة الجماعية، التي تغلب المصالح الوطنية العليا على الأنا والذاتية والشخصانية، ومن غير شك أن إشكاليات عدة تبرز بين الحين والآخر في داخل هذا المجتمع، ولكنها تبقى استثنائية ومتباعدة ومنبوذة وسط أناس باعوا شبابهم وزهرات شبابهم في سبيل معتقداتهم ومبادئهم وأخلاقهم، ومن أجل الحرية والدفاع عن وطنهم، ومن أجل تحقيق حريتهم وسيادتهم واستقلالهم كباقي شعوب العالم.

(265) الأسير محمد صحبة: مرجع سابق، ص141.

(266) الأسير المحرر كفاح العارضة، مقابلة أجراها الباحث، 23/4/2015، قطاع غزة.

## المبحث الثالث

# دور الحركة الأسيرة في تعزيز الجوانب الإبداعية لدى الأسرى

لم يستسلم الأسرى الفلسطينيون لسياسة إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية، التي سعت جاهدة لتحطيم إمكانات الأسرى وقتل روح الإبداع في داخلهم، وتحويلهم إلى مجموعات يائسة وبائسة ومحبطة ونامدة، فمن مرحلة الحرمان من الورقة والقلم استطاع الأسرى بتحديهم وإصرارهم إلى تهريب الأقلام، وطوردت هذه الأنابيب كما تطارد العبوات الناسفة، وعوقب من ضبط بحوزته أنبوباً بالزنزانة لما يقرب من الأسبوعين، أما بالنسبة للورق، فقد استخدم المعتقلون ورق لف البرتقال وورق علب اللبن، وقطع المرجرين بعد تجفيفها، وكانت الورقة تجزأ إلى أقسام مختلفة، وتوزع على مختلف أنواع المحاضرات وعلى مختلف الفئات، وكانت تستوعب الكثير من المعلومات للكتابة عليها بخط صغير جداً يكاد يرى بصعوبة<sup>(267)</sup>.

ومن مرحلة نضالية إلى أخرى تعمدت بالكثير من الشهداء والإضرابات المفتوحة عن الطعام والخطوات النضالية، استطاع الأسرى تحقيق الكثير من الإنجازات التي أجبرت إدارة مصلحة السجون للاعتراف بالكثير من حقوقهم التي راودتهم عليها، واستغلت الظروف والمتغيرات السياسية الخارجية للNIL منهم.

ولقد أدرك الأسرى حجم المعركة وأهميتها، فعملت القيادات التي تقف على رأس المؤسسات الاعتقالية، واللجان العاملة في الأطر التنظيمية لتنمية الإبداع للأسرى من خلال عمليات التشجيع والتحفيز لهم، واكتشاف قدراتهم وتطويرها، وإيجاد بيئة اعتقالية ملائمة، ووضع القوانين والضوابط لحمايتها، ولتوفير وسائل الإبداع، وصياغة البرامج لتخريج الكوادر والكفاءات المبدعة، وحث الأسرى على الرياضة البدنية كونها تغذي الرياضة الفكرية والثقافية من خلال العقول السليمة في الأجسام السليمة التي تسعى طواقم إدارة السجون لتقويضها وجعلها فريسة المرض والوهن والعجز، والعمل على طباعة إنتاجات الأسرى الأدبية والثقافية من خلال التواصل مع المؤسسات التعليمية والقوى الفلسطينية ودور النشر خارج السجون والمعتقلات بتهرب الهواتف النقالة وعبّر الزيارات والمحامين، في هذا المبحث سيتناول الباحث دور الحركة الأسيرة في تعزيز الجوانب الإبداعية لدى الأسرى في السجون الإسرائيلية من خلال:

### 1. التشجيع والتحفيز:

قامت الأطر التنظيمية واللجان الثقافية بالعناية بالمعتقلين الجدد، وفتح دورات فكرية وثقافية خاصة بأدبيات تنظيماتهم، وأنشطة أخرى مصممة لرفع القدرة التحليلية لدى الأسرى الجدد،

(267) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص 168.



وتعريفهم بالأوضاع الاعتقالية القائمة، والبرامج المتوفرة لخلق حياة اعتقالية فاعلة، ويطلب من الجدد بعد إتمام الدورة، الاطلاع على بعض الكتب والأعمال الثقافية، وذلك لزيادة سعة اطلاعهم ليسمح لهم بعدها بدراسة اللغات، والقيام بأي نشاط أكاديمي متاح يرغبون به، الأمر الذي يؤهلهم للمشاركة بأعمال الثقافة كالندوات والمحاضرات والكتابة في المجلات، والمساهمة في المهمات الثقافية المطلوبة من الجهات المسؤولة، هذا وتشمل السياسة الثقافية العامة عملية التطوير الفردي، فيتم تشجيع الأسرى على المشاركة في النقاشات التي تدور في الجلسات أو خارج إطارها، وتحفزهم للبحث بآراءهم وتصوراتهم، ويكلف الفرد أحياناً بكتابة ملخص عن المواضيع التي تطرح أثناء الجلسات، وكتابة مواضيع تعنى بالشؤون السياسية المختلفة، ويتاح للفرد أيضاً القيام بإلقاء محاضرات من شأنها تنمية قدراته على صعيد السياسة والخطابة والإلقاء الجيد<sup>(268)</sup>.

وجد الباحثون علاقة بين الحالة النضالية وإدخال المواد التعليمية والثقافية للسجون وبين نشوء حالة الإبداع للأسرى، واعتبروا أن التشجيع على الكتابة وإنشاء المجلات الأدبية التي أشرف عليها أساتذة في اللغة العربية والنقد الأدبي، تعتبر وسائل محفزة للأسرى الجدد على التطور<sup>(269)</sup>.

## 2. اكتشاف قدرات الأسرى وتطويرها:

مجتمع المعتقلات مطالب وبصورة ملحة برفع مستوى المشاركة الثقافية الفاعلة، والفرصة مهيأة أمام الجميع، إلا أنه ليس من الملاحظ أن الجميع يندمجون بشكل جدي في عنفوان النشاط الثقافي، صحيح أن الناس تختلف في مدى استيعابها أو رغبتها في العمل والمشاركة، إلا أنه من المفروض خلق ظروف مواتية وبصورة أفضل لتحسيس الجميع على العطاء والبذل، وهنا يأتي دور اللجان المختصة بالعمل على كشف قيادات وكفاءات في مختلف المجالات، وإتاحة الفرص لها وتدريبها وتعميق تجربتها في مجال العمل السياسي والإداري<sup>(270)</sup>.

ويرى الباحث أن عملية التصنيف مهمة داخل المعتقلات، وتأخذ الكثير من النقاش والتدريب والتوجيه والإرشاد والتحفيز في هذا الجانب، ومع مرور الوقت تتم عمليات التقييم للأسرى الجدد، ويتم تحديد الميول والرغبات والطموحات لدى الأسرى، ويتم توزيعهم على دورات وجلسات عامة وخاصة، شبيهة بنظام الجامعات، في الثقافة العامة والدينية والوطنية والقضايا الاعتقالية والحزبية، وفي مجال الأمن أو الإدارة أو اللغة أو الأدب أو التعليم الأكاديمي وتخصصات في شتى المجالات.

ويتميز مجتمع الأسرى في داخل السجون الإسرائيلية عن غيره من المجتمعات المغلقة رغم المعاناة اليومية في عدة قضايا من أهمها الجانب الإبداعي، وهناك الكثير من تلك الجوانب

(268) محمد لطفى ياسين: مرجع سابق، ص110.

(269) الأسير المحرر عبد الحق رمضان شحادة: مقابلة أجراها الباحث، 15/2/2014، غزة.

(270) أحمد أبو غوش وأخرون: مرجع سابق، ص149.



التي تخص الأسرى في كثير من المجالات الفكرية والأدبية المختلفة كالشعر وكتابة القصة والرواية، وأيضاً الأعمال الفنية كالتمثيل والرسم وعمل المطرقات وكذلك الجانب الرياضي، وهناك عملية اكتشاف لتلك المواهب عبر اللجنة الثقافية المختصة، وبعد ذلك يتم فرز المواهب إلى اللجان لتنمية القدرات وصقل المواهب في إطار محدد، وبعد ذلك تتم عملية التقييم والمتابعة من أجل بلوغ الأسير إلى مراتب متقدمة في تخصص معين<sup>(271)</sup>.

وهناك دور بارز للأطر التنظيمية في عملية التوعية داخل السجون من خلال إعداد غرف خاصة لمحو الأمية، وأخرى لإعداد كادر من خلال برنامج ثقافي متقدم، وتتبنى اللجنة الثقافية تطوير بعض النخب المبدعة والمتميزة من الأسرى لتأهيلها للعمل التنظيمي في مجالات متعددة، ولوحظت قدرة الأسرى المحررين في أعقاب إنهاء الكثير من الدورات خلال اعتقالهم، وذلك في ورش العمل والكلمات خلال الاستقبال أو في الاعتصامات مع الأسرى المضربين في خيام التضامن والمسيرات بعد تحررهم<sup>(272)</sup>.

ويؤكد الباحث أن هنالك الكثير من الظواهر التقليدية خلال النقاشات، أو القاء المحاضرات، أو السؤال في قضايا متنوعة يشار إليها بالبنان لبعض الشخصيات كمرجعيات متخصصة في السجون<sup>(273)</sup>، وبرزت في المعتقلات المرجعيات المتخصصة من الأسرى في العلوم المختلفة عند الحاجة لسؤال، أو الحسم لقضية عند خلاف أو جدل أو نقاش.

### 3. إيجاد بيئة اعتقالية ووسائل إبداعية ملائمة:

أدرك الأسرى منذ السنوات الأولى للاعتقال أنه من المستحيل أن يتحقق الإبداع والتطوير لكفاءات الأسرى واستغلال سنوات الاعتقال بالنافع والمفيد إلا من خلال إيجاد بيئة اعتقالية ملائمة، بيئة مضبوطة بالأخلاق والقوانين، وموفرة للوسائل الإبداعية، في ظل محاولة الاحتلال الحيلولة بين الفلسطيني وبين التنمية الفكرية والثقافية، وكان على الفلسطيني أن يدفع ضريبة كل خطوة يخطوها إلى الأمام في هذا المجال، كما هو الحال في كل ما أنجزه الفلسطيني في معتقله، كان عليه أن يتصور جوعاً، بل ويستشهد من أجل أن يحصل على قلم أو كتاب وأن يرتقي في مستواه الثقافي<sup>(274)</sup>.

واستطاع الأسرى الفلسطينيون بعد العديد من الإضرابات بانتزاع حقهم في إتمام مرحلة التعليم الثانوي «التوجيهي» وفقاً للنظام التعليمي خارج السجن، فنجح الآلاف منهم وحصلوا على شهادة الثانوية العامة، وانتزعوا في أيلول سبتمبر 1992م الحق في التعليم الجامعي بالانتساب عبر المراسلة للجامعة المفتوحة في إسرائيل باللغة العبرية ضمن شروط صعبة ورسوم مادية عالية كانت تتحمل نفقاتها وزارة الأسرى<sup>(275)</sup>.

(271) يحيى محمود يحيى: مقابلة أجراها الباحث، 2/10/2015، جباليا.

(272) موفق عبد الرحمن حميد: مقابلة أجراها الباحث، 25/10/2015، غزة.

(273) هنالك أسرى تخصصوا في مجالات محددة كالقرآن والتفسير والسيرة النبوية، وغيره في التاريخ القديم والمعاصر، وتاريخ الثورات العالمية، والمستجدات السياسية والدولية، والثورات والمفكرات العربية، وفي الفلسفة والأدب الفلسطيني والعربي والدولي.

(274) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص165.

(275) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص304.

وامتلك الأسرى القدرة على التفكير والإبداع بما لا يتصوره عقل، حتى أن السجنان كان يتفاجأ من ابتكاراتهم في جميع الميادين والمستويات، فرغم قلة الإمكان إلا أن الحاجة تبقى أم الإختراع والإبداع، فأبدع الأسرى على المستوى الفكري والثقافي والإداري والتنظيمي، بالإضافة إلى الإبداعات التي تتعلق بنمط الحياة اليومية، فأصبح الأسير يعيش في واقع منظم تحكمه قوانين ولوائح تنظم حياته الإدارية والثقافية والاجتماعية، وأهم إبداعات الأسرى على المستوى الاعتقالي هو إيجاد تفاهات ما بين الفصائل الوطنية والإسلامية داخل سجون الاحتلال وقواعد متعارف عليها ينطلقون من خلالها في مواجهة السجنان، واستخدام الإضرابات المفتوحة عن الطعام والخطوات التكتيكية لتحقيق وسائل الإبداع من إدخال الكتب، وتقنين التفتيشات وعدم مصادرة الإنتاجات الأدبية، والتعليم الجامعي، والاستمرار في البناء الفكري والثقافي وتخريج المفكر والكاتب والروائي والشاعر والقائد من السجون، واستطاع الأسرى أن يبدعوا على مستوى الحياة اليومية سواء في مجال الفن أو اختراع أدوات ووسائل بسيطة يستطيعون العيش أو التعايش بها، فعلى مستوى التلفاز استطاع الأسرى تحويل جهاز الراديو إلى بث ذبذبات التلفاز ليلتقطها الأسرى من خلال أجهزة المذياع أو السماعات دون أن يتم التشويش على باقي الأسرى في الغرفة، ومن إبداعاتهم إخفاء أجهزة الهواتف المهربة في غرفهم رغم ضيق المكان ومحدوديته، والذي أصبح من أهم الأدوات في مقارعة السجنان من خلال الاتصال بباقي السجون وتنسيق المواقف والتواصل مع أهالي الأسرى، كما أبدع الأسرى في التواصل ما بين السجون للتواصل والتنسيق للخطوات النضالية من خلال كبسولات صغيرة ممكن تهريبها بطرق معقدة ببلعها عند النقل للأسرى أو الحرية وتكون مكتوبة بحجم صغير، هذه المواقف الجماعية للحركة الأسيرة كانت تفاجئ السجنان في كيفية التواصل والترتيب والتنسيق للخطوات الجماعية علي الرغم من بعد السجون عن بعضها البعض، جميع هذه الإبداعات وغيرها بنيت على الإرادة الصلبة، والعزيمة القوية التي تحطهم عليها مؤامرات إدارة مصلحة السجون، من أجل أن يحيوا بعزة وكرامة داخل سجون الاحتلال<sup>(276)</sup>.

وركز الأسرى على تعزيز الجوانب الإبداعية للأسرى وإيجاد مناخ تطويري لقدراتهم بوسائل متعددة مثل:

1. إضراب الأسرى لفترات طويلة من أجل الدفاع عن حقوقهم وتحقيق إنجازاتهم، وقد ارتقى العديد من الأسرى شهداء لكي يحققوا الإنجازات لباقي الأسرى.
2. كتابة الكراسات التنظيمية والأمنية لكل فصيل وتثقيف وتوعية الأسرى الجدد على الثقافة الوطنية وثقافة الوعي الأمني من خلال الجلسات التنظيمية، بحيث تحولت السجون إلى جامعات تمد الشارع الفلسطيني بجيل جديد يتميز بالوعي ومعرفة تاريخه وتاريخ قضيته.
3. تنظيم دوارت أحكام تجويد وحفظ القرآن الكريم كاملاً من قبل العديد من الأسرى.

(276) فؤاد قاسم الرازم: مقابلة أجراها الباحث، 3/11/2015، غزة.

4. عقد دورات لتعليم اللغات وخاصة اللغة العربية امتثالاً لقوله صل الله عليه وسلم «من تعلم لغة قوم أمن مكرهم»
5. إكمال الأسرى لتحصيلهم العلمي سواء الثانوية العامة أو البكالوريوس أو الماجستير ومنهم من حصل على شهادة الدكتوراه.
6. تميز الأسرى بكتابة الشعر والروايات وأدب السجون والرسم ورفد المجتمع بهذا الشعر والروايات.
7. تشكيل الأسرى لممثلين لهم للمحافظة على حقوقهم والصمود في وجه السجن وعدم النيل من كرامة الأسرى.
8. إدخال الكتب إلى السجون والتي كان لها الأثر الأكبر في إثراء الوعي عند الأسرى.
9. محاولة التغلب على مصاعب السجن عبر ابتكار أدوات كان الاحتلال يمنع دخولها للأسرى مثل الإبر التي كانت تستخدم في الخياطة والتي كان يصنعها الأسرى من الأسلاك الشائكة الموجودة حول السجن، وكذلك عمل غلايات الشاي أو المقالي من المعلبات أو علب المرابي التي كان يحضرها الأسرى عن طريق المطبخ، والسكاكين من أغذية المعلبات بثنيها وحدها كالشفرة.
10. أعمال التطريز والنحت على الأحجار وعمل المجسمات من الأغراض المتوفرة والبسيطة داخل السجن.
11. المحافظة على اللياقة البدنية وممارسة الألعاب الرياضية.
12. تنظيم احتفالات تنظيمية وتأيين للشهداء وإقامة صلاة الجمعة في ساحات السجن.
13. عمليات الهروب التي كان يقوم بها الأسرى من السجون.
14. شكل الأسرى قيادة للانتفاضات الموالية التي مر بها شعبنا وكان الأسرى أهم رافد لهذه الانتفاضات.
15. تهريب وسائل الاتصال مثل الهواتف والتواصل مع الخارج علماً بأن الاحتلال يحظر على الأسرى الاتصال بالخارج<sup>(277)</sup>.

(277) فهمي محمد كنعان: مقابلة أجراها الباحث، 3/11/2015، قطاع غزة.

#### 4. القوانين والضوابط لحماية بيئة الإبداع:

تؤكد الحركة الأسيرة قبل أي اعتبار على الأخلاق، فالأخلاق في المجتمع الاعتقالي تشمل كل ميادين النشاط والعلاقات المتبادلة بين الأعضاء، ومفهوم الثقافة الوطنية تأتي الأخلاق نتيجة اكتساب التربية الأخلاقية ومعرفة العادات والتقاليد الثورية، لذلك فالمجتمع الاعتقالي منظم يطالب العضو بمطالب أخلاقية معينة<sup>(278)</sup>، والمرحلة الثانية حماية بيئة الإبداع بالقوانين والضوابط، فالأعراف الاعتقالية العامة ضمن الميثاق الضمني الشفهي أو المكتوب بين الأسرى يجرم الأفعال المخلة بالنظام العام للمجتمع الاعتقالي، وحددت الحقوق والواجبات للأسير والضوابط التي تحكم تصرفاته والحدود والخطوط التي ينبغي عدم تخطيها، كما أن كل لائحة اعتقالية للأطر التنظيمية شملت بنود نصت على العقوبات وأنواعها وتدرجها للفوضويين، والمؤثرين سلباً على البيئة الإبداعية للحركة الأسيرة.

والنشاط الإداري يلعب دوراً مهماً في هذا الجانب كونه يكفل تنظيم الحياة حسب قوانين الدستور التنظيمي، حيث تعالج من خلاله كل المخالفات اللامسئولة ويوقع العقاب على مخالفيها، ولكن جوهر الحياة التنظيمية ليس العقاب، ولا فرض السلطة بل التوجيه والعمل بكافة الطرق على خلق القناعة الذاتية بالقيم التي عمادها المساواة، والأخوة النضالية، واحترام الآخرين وطاعة القوانين والمراتب العليا، التي عليها أن تحترم أيضاً عناصر التنظيم وتعاملهم على أساس الأخوة التنظيمية، لا فرض السلطة، فلا فرض بلا قناعة وإيمان وجهد مشترك، ومن أهم القوانين السلوكية التي يجب عدم مخالفتها الالتزام بنظام الغرف كالهدهوء، فعلى الجميع التقيد بأوقات تحددها الغرفة<sup>(279)</sup>، والجلسات التنظيمية في موعدها، والحديث بصوت منخفض لإتاحة المجال للمطالعة والتفكير والحفظ والتعلم، وسماع المذيع أو التلفاز عبر السماعات الخاصة ضمن شبكة كهربائية أعدها الأسرى بطريقة مهنية وعبقريّة رائعة، جعلت الغرفة في حال من الهدوء وتهيئة الظروف الملائمة للدراسة على مدار الساعة.

لذلك فالنشاط الإداري والقوانين واللوائح تكرر النظام في المجتمع الاعتقالي، وبهذا تنعدم الفوضى لأن عناصر التنظيم يعرفون ما لهم وما عليهم، ولا يتدخل أحدهم إطلافاً في شؤون غيره، ففي الغرفة الموجه هو المسؤول المباشر ويتخذ إجراءاته المقبولة من الجميع دون تدخل ولا يتصرف أحد دون مشاورته وموافقته، لذلك تسير الحياة بنظام وهدوء<sup>(280)</sup>.

#### 5. صياغة البرامج لتخريج الكوادر والكفاءات المبدعة:

حقيقة لا يوجد في المعتقل جهاز ثقافي وإنما أجهزة حيث يمتلك كل فصيل، خاصة الفصائل الكبيرة، جهازه الخاص، وعلى الرغم من تعدد الأجهزة إلا أنها تتوافق في الترتيب والوظيفة<sup>(281)</sup>، وهنالك خطوط عريضة لتلك الأجهزة تتمثل بالاهتمام أولاً بمحو الأمية والأمية السياسية،

(278) أحمد أبو غوش وآخرون: مرجع سابق، ص152.

(279) قدرى أبو بكر: مرجع سابق، ص166.

(280) قدرى أبو بكر: مرجع سابق، ص166.

(281) محمد لطفى ياسين: مرجع سابق، ص108.

والتركيز بشكل أولي ومبدئي على الطموحات التنظيمية ورؤية التنظيم للواقع، وعلى التجارب الثورية العالمية، ويعمل التنظيم على أن تكون الدراسة جماعية ومنظمة، هذا بالإضافة إلى الدراسة الذاتية، والاهتمام ببناء عناصر التنظيم على أساس الرؤية الوطنية، لذلك تتمحور الحركة الفكرية في ثلاثة محاور « معرفة الذات التي تشمل الواقع القطري كجزء من الواقع القومي وتطوره التاريخي، مركزين على البعد الوطني لهذا التطور ومعرفة العدو التي تشمل الحركة الصهيونية وتطورها وفكرها والكيان الصهيوني بكل جوانب الحياة فيه، والمعرفة الإنسانية وهي تشمل الأفكار العالمية، مركزين على الجانب الإنساني والثوري والأدبي فيه، بشكل لا يتناقض مع الثورة الوطنية وأسسها، بمعنى حق القراءة والمعرفة وعدم التعارض مع البرنامج الوطني المطروح، وتشجيع البحث والدراسة والنقاش، بشرط الالتزام بقواعد الديمقراطية - والدراسات الخاصة الأخرى<sup>(282)</sup>، كدراسة اللغات وأهمها العبرية والانجليزية<sup>(283)</sup>.

## 6. الرياضة البدنية:

يمكن ملاحظة النشاط الرياضي بوضوح في المعتقلات المركزية، حيث ساحات كبيرة وفيها ملاعب كرة طائرة وسلة، فمثلما يهتم المجتمع الاعتقالي بالبناء العقلي للثوار، يهتم بنفس الدرجة بالبناء الجسدي، فالمقاتل النموذجي هو المسلح بوعي سياسي وقدرة جسدية ممكنة من تنفيذ المهام الصعبة بكفاءة عالية، ومن جهة أخرى الجلوس لفترات طويلة والانحسار داخل الغرف يضعف الجسد ويسبب العديد من الأمراض<sup>(284)</sup>.

لم يستسلم الأسرى لتلك الظروف بل ناضلوا حتى ينالوا موافقة السجناء لممارسة ساعة رياضية صباحية ليقوموا بالعدو «الجري» لنصف ساعة، وما تبقى للتمارين الأخرى «تمارين سويدي»، وشكل الأسرى لجاناً رياضية تنظم الفرق والمباريات في ساحات السجن ومارسوا بعض الألعاب ككرة التنس واليد والسلة ونط الحبل، خاصة في ذكري انطلاقات الفصائل والمناسبات الوطنية، في حين عاقبت إدارة السجن ألعاب القوى « الكراتيه وكمال الأجسام والمصارعة » وصادرت الأثقال التي صنعوها من زجاجات المياه والملح المرصوة، ومنعوا كرة القدم.

فضلاً عن ذلك لا يغفل العديد من المعتقلين عن ممارسة نشاط رياضي داخل غرفة الاعتقال على الرغم من أن الغرف ضيقة بالنسبة لعددهم، ولذلك لم يسمح إلا لرياضة في حدود ممكنة ومعقولة<sup>(285)</sup>، واهتم الأسرى بشكل كبير بلعبة الشطرنج التي تنمي الفكر

(282) أحمد أبو غوش وآخرون: مرجع سابق، ص142.

(283) تحدث الأسير المحرر محمد أبو جلاله الذي أمضى 21 عاماً متواصلة في السجن عن عملية تأهيل وتخريج الكوادر والقيادات قائلاً ( يقوم الأسير الجديد بتوجيه من اللجان الثقافية بدراسة متطلبات الكادر التنظيمي، بدءاً باللغة العربية كتابة وقراءة ونحوه وبلغة، وتصل لحد تعلم فن الإلقاء والخطابة ولغة الجسم، والإجازة في العلوم الدينية والدينيوية، ومن ثم يبدأ بتعلم اللغة العربية لأهميتها، وتلحق معها في مرحلة متقدمة اللغة الإنجليزية، ودراسة التاريخ، خاصة تاريخ القضية الفلسطينية، والصراع العربي الإسرائيلي، والقضايا الفكرية والحركية، ومنطلقات الفصائل الوطنية والإسلامية مع نبذة عن قياداتها وفوائدها وأهدافها، والتدريب على العمل الإداري، وعملية التدرج في الهيكل التنظيمي، وممارسة العمل الحركي، بعد عملية البناء الروحي والجسدي والإيمان والوعي والثورة.

(284) قدرى أبو بكر: مرجع سابق، ص176.

(285) محمد لطفى ياسين: مرجع سابق، ص113.

وتعمل العقل، وأنقنوها وعلموها لبعضهم، وجرت المنافسات فيها في داخل الغرف، وساحة المعتقل وبين الفصائل، وأقاموا فيها المباريات في المناسبات الوطنية العامة.

## 7. التواصل مع الخارج:

بدد الأسرى في السجون مخططات أجهزة الأمن الإسرائيلية بعزلهم عن محيطهم الخارجي، وتجميد الزمن عند لحظة اعتقالهم، ففي البدايات كانت أداة التواصل بين الأسرى في السجون، ومع ذويهم، والمؤسسات الإعلامية والقوى التعليمية عبر زيارات الأهالي غير المنتظمة بفعل انتهاكات الاحتلال والعقوبات المستمرة، وعبر المحامين المراقبة والمحصورة زياراتهم بعدد قليل جداً وعلى فترات متباعدة والذين يتعرضون للمنع في مناسبات وظروف كثيرة، وعبر الكبسولة التي تنتقل مع المنقولين والمحررين والتي لاحقت الشرطة حاملها، وعاملتهم بالقوة وبأساليب عنيفة.

ونتيجة لتطور التقنيات ووسائل الاتصال، أصبحت رسائل المعتقلين تصل لدائرة أوسع بكثير من دائرة الأهل والأصدقاء، عن طريق تعميم الرسائل جماهيرياً، بحيث يتم استثمار وسائل إعلامية متطورة، بغية إيصال مضامين الرسائل إلى مجتمع بأسره، وربما إلى مجتمعات، فقد استفاد المعتقلون في الانتفاضة الأولى من «إذاعة الأسرى» التي تبث من غزة، لكي تذاع رسائلهم ويستمع إليها أكبر عدد ممكن من الناس لتحقيق جملة من الأهداف، أهمها:

1. كسر الحصار المفروض على المعتقلين.
2. تعميم التجربة والتعبير عن مواقف وتوجهات، وبذلك تكون الرسالة فرصة مناسبة، لترويج طروحات ومفاهيم الأسرى.
3. حملت الرسائل المذاعة الكثير من المعلومات والحقائق عن واقع المعتقلين الفلسطينيين والعرب.
4. قدم المعتقلون من خلال الإذاعة « هدايا معنوية » للأهل والأصدقاء في المناسبات.
5. أظهرت بعض الرسائل المذاعة جمالية أدبية ومستوى متطور لدى الأسرى، الأمر الذي أعطى للمستمع الفلسطيني والعربي المتابع « لإذاعة القدس » فكرة عننتاجات المعتقلين الأدبية والثقافية والسياسية<sup>(286)</sup>.

(286) حسن عبد الله: أثر الرسالة في حياة المعتقل الفلسطيني، رام الله، مركز المشرق للدراسات، 2004، ص 127-126.

وفي منتصف التسعينات هربّ الأسرى بعض أجهزة الهواتف النقالة لكسر عزلتهم عن العالم الخارجي، وقد أبدع الأسرى وخاصة الجدد منهم في تهريب هذه الأجهزة لدرجة وصلت أعدادها إلى المئات، ولربما في مرحلة لاحقة إلى الآلاف<sup>(287)</sup>.

وربطت الهواتف النقالة الأسرى بذويهم زمن الانتفاضة، عندما كانوا محرومين من الزيارات جراء المنع الإسرائيلي، وأحدث ذلك اتصالاً إنسانياً واجتماعياً لأسرى أمضوا سنوات طويلة، وما كان ممكناً الحديث معهم دون توافر هذه الأجهزة، وأقاموا الصلات مع أسرهم وأقاربهم ومع أسرهم ومع تنظيماتهم أيضاً، فأحدث الهاتف مشاركة اجتماعية، فكثيراً ما شارك الأسير في حل إشكالات العائلة، أو ساعد على حلها، لاسيما تعليم الأبناء، أو تقديم العزاء أو التهاني في المناسبات، حتى في إصدار البيانات السياسية والجماهيرية في مناسبات عديدة والوصول إلى الإعلام لشرح الكثير عن أحوال الأسرى وما كان يحدث عندهم أولاً بأول<sup>(288)</sup>.

ولم يتوقف الأمر عند حد الراديو والتلفزيون والهاتف، بل إن بعض المعتقلين دخلوا على خط الإنترنت، من خلال مواقع أنشئت لهم قبل انتقالهم وخلاله، وصاروا يكتبون الرسائل، ويطلبون من الأهل نشرها عبر مواقعهم لتصل إلى الأصدقاء ويردون عليها، لينقل الأهل إلى ابنهم المعتقل مرةً أخرى، الردود على الرسائل وهكذا، وحاول بعض المعتقلين استثمار الإنترنت للوصول إلى أصدقاء ومعارف وربما جمعيات ومؤسسات في الخارج، حقوقية وإنسانية، وذلك لشرح ظروف المعتقلين المأساوية، واختراق الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة لاتفاقية جنيف بخصوص الأسرى، والحقيقة أن اختراق الحصار عن طريق الإنترنت، ولو بواسطة الأهل، هو إبداع بحد ذاته، وتأكيد على أن المعتقلين لا يعدمون الوسيلة لإيصال أفكارهم وتوجهاتهم إلى الناس<sup>(289)</sup>.

في نهاية المبحث يعتقد الباحث أن الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة سعت منذ بلورتها إلى تكوين وتطوير الجوانب الإبداعية للأسرى، فعقدت الجلسات الثقافية ذات الأبعاد المختلفة، منها ما يختص بالتوعية الأمنية وأخرى تتعلق بالجانب الإداري السلوكي داخل المعتقل أو السجن، وثالثة لها علاقة بالجانب التنظيمي والوطني، هذا بالإضافة إلى الجوانب الثقافية<sup>(290)</sup>.

وشجعت الحركة الأسيرة المعتقلين من خلال التدرج في المراتب التنظيمية، ومنح الهدايا الرمزية، وتكريم المتفوقين منهم في حفل تكريمي على مستوى غرفة أو خلية أو أي مستوى تقره الجهات المسؤولة وفق حالة الإبداع والتطور، ومنح الشهادات التقديرية، والإشادات بالمتميزين من خلال البيانات الاعترافية<sup>(291)</sup>.

(287) زاهي وهبي: مرجع سابق، ص 149-150.

(288) أحمد أبو السعود: مرجع سابق، ص 82.

(289) حسن عبد الله: أثر الرسالة في حياة المعتقل الفلسطيني، مرجع سابق، ص 127-128..

(290) الأسير المحرر رامي جمال عزارة: مقابلة أجراها الباحث، 3/11/2015، غزة.

(291) فهد أبو الحاج: مرجع سابق، ص 140.



ويرى الباحث أن أهم ما حققه الأسرى، كتحدي لإدارة مصلحة السجون الإسرائيلية في القضايا التعليمية في أعقاب منع الثانوية العامة والجامعة المفتوحة في إسرائيل، هو الحصول على الموافقات على إنشاء فروع جامعات في السجون من الجامعات الفلسطينية، وتشكيل طواقم مشرفين ومدرسين وموجهين وإداريين والتواصل مع الجامعات في نقل الدرجات، وكتابة الامتحانات ورفع العلامات، والاعتراف بالشهادات من المؤسسات التعليمية والتربية والتعليم العالي الفلسطيني، وكذلك نقل معاناتهم التي وصلت في كثير من الأحيان لنقل معاناتهم بالصوت والصورة وبشكل ميداني لحظة اقتحام الأقسام، وبذلك كشفوا زيف ادعاء إسرائيل للعالم بالالتزام بحقوق الإنسان، واستطاعوا أيضاً التأثير على القوى الفلسطينية والمؤسسات العاملة في مجال الثقافة والأسرى بالتوصية لطباعة عشرات إنتاجات الأسرى المهمة ضمن قوائم نشر أدب السجون والكتب التوثيقية الأخرى في مجالات متعددة، كل ذلك عبر وسائل اتصال أبدعوا في استخدامها من أجل التقدم والتطور والبناء على مستوى الأفراد والجماعات.

## المبحث الرابع

# انعكاس المتغيرات السياسية على واقع الأسرى وإنجازاتهم

المتغير السياسي، هو الذي أدخل العديد من المفاهيم في المجتمع الفلسطيني بشكل عام، وعلى الحزب السياسي بشكل خاص، وكان له انعكاسه في الحركة الأسيرة وأثره على الأداء التنظيمي للمعتقلين، فالحركة الأسيرة منذ بداية نشأتها تعيش في حالة من الاستنفار المتواصل، وتشعر باستمرار المعركة المحتمدة، وانتقلت من حالة إلى حالة همد وجزر وفق المتغير السياسي ومدى قوة جبهة النضال الفلسطيني والعربي الخارجي في معركتها النضالية مع الاحتلال الإسرائيلي، فتأثير هزيمة حزيران عام 1967م، تختلف عن مرحلة انتصار أكتوبر 1973م على المستوى العربي، في الأولى حاول السجان إهانة الأسرى في كل تفاصيل حياتهم، وفي الثانية استطاع الأسرى الصمود بكل قوة وجبروت أمام إدارة السجون وسياساتها القمعية، وكانت بداية إرساء دعائم التنظيمات والعمل الجماعي والخطوات النضالية في السجون، كما أن انعكاس انتفاضة 1987م يختلف عن اتفاقية أوسلو في العام 1993م، ففي الأولى استطاع الأسرى تحقيق ما لم يحققه الأسرى طوال وجودهم في الاعتقال، وكانت ذروة الانتصار، في حين تعلق الأسرى بالحرية في أعقاب اتفاقية أوسلو مما كان له الأثر السلبي على واقعهم الثقافي والإداري، ويختلف تأثير انتفاضة 2000م، عن الانقسام الفلسطيني في العام 2007م، ففي الأولى دخل الأسرى للسجون موحدين في أعقاب عمليات بطولية فرضت هيبة الأسرى على السجان، في حين استغلت إدارة السجون واقع الفرقة الفلسطينية في الخارج، وقسمت الأسرى وفق الانتماء السياسي، مما أدى إلى تراجع الموقف الاعتقالي التاريخي الموحد أمام السجان وتراجعت قوة الحركة الأسيرة وفق ذلك المتغير السياسي.

وهو يجب الحدود الزمنية للدراسة فسيترك الباحث في هذا المبحث للمتغيرات السياسية المركزية التي أثرت على واقع الحركة الفلسطينية الأسيرة، ودورهم فيها في الأعوام ما بين 1985 حتى 2015م.

### أولاً- صراع من أجل الحفاظ على التراث الاعتقالي:

في عشرين أيار/ مايو 1985م، أجرت إسرائيل عملية تبادل مع الجبهة الشعبية (القيادة العامة) سميت بـ (عملية الجليل)، أطلقت إسرائيل بموجبها سراح (1155) أسيراً، كانوا محتجزين في سجونها المختلفة، منهم (883) أسيراً من سجون فلسطين المحتلة، و(118) آخرين كانت إسرائيل قد اختطفتهم من معتقل أنصار في الجنوب اللبناني أثناء تبادل العام (1983) مع حركة فتح و (154) معتقلاً كانوا قد نقلوا من معتقل أنصار إلى معتقل عتليت أثناء الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان، ومقابل ذلك أطلق الفلسطينيون ثلاثة جنود إسرائيلييين<sup>(292)</sup>.

(292) عبد الناصر فروانة، مرجع سابق، ص 364.

انعكس هذا الحدث بشكل كبير على السجون وأوضاعها للإفراج عن الكوادر والقيادات من ذوي الخبرة التاريخية الاعتقالية والنضالية الواسعة، وقد تطلب الأمر حينها إعادة تشكيل كافة الهياكل التنظيمية لكل التنظيمات الفلسطينية، وفي الغالبية العظمى من السجون، وأبرزت هذه المرة قيادات اختلف تفكيرها تجاه أغلب القضايا عن القيادات السابقة، وكذا على الجانب الإسرائيلي، فقد أعادت إسرائيل تقييم سياستها تجاه المعتقلين وقامت بتغيير في قيادة مصلحة السجون، وكذلك في بعض مدراء السجون وعلى رأسها سجن عسقلان.

أما على صعيد المعتقلين فقد اتسمت القيادات الجديدة بالتطرف أكثر في تعاملها مع الإدارة، كون هذه القيادات من محدودوي الخبرة، وكذا كانت التغييرات الجديدة في مصلحة السجون تعبر عن نقل مدراء أكثر تطرفاً للسجون التي حصل فيها المعتقلون في الأعوام الأخيرة على امتيازات كثيرة كعسقلان وجنيد، وهذا ما وفر الأجواء المناسبة لحصول الكثير من الصدمات بين المعتقلين والشرطة، ويعد النصف الثاني من عام 1985م وبداية 1986م أكثر فترة على الإطلاق تسجل فيها حوادث الصدمات بين الطرفين<sup>(293)</sup>.

لاشك أن عملية تبادل الأسرى عملت على تفريغ المعتقلات من مئات الكوادر المجربة، لذا فإن الكوادر التي لم تشملها العملية، لعبت دوراً كبيراً في ملء الفراغ، وبذلت جهوداً استثنائية في قيادة المعتقلين الجدد، وتثريتهم مفاهيم وأسس التجربة، والانطلاق بهم من حيث وصلت، وما ساعد هؤلاء القياديين في مهمتهم أن المعتقلين الأوائل وبعد سنوات من النضال تمكنوا من توثيق التجربة وكتابتها بأدق تفاصيلها، فعندما تحرر القسم الأكبر من كوادر معتقل نفحة في العام 1985م، خلفوا ورائهم أرشيفاً تنظيمياً وفكرياً وثقافياً وابداعياً، وهذا انسحب بالطبع على المعتقلات الأخرى، أي أن التجربة التي أصبحت مكتوبة ومؤرشفة لم تتعرض لفتزات من القطع، وإنما ظلت متواصلة، يضاف إليها من عام إلى آخر<sup>(294)</sup>.

في هذه الفترة الحساسة بلع الأسرى الألم لكي لا يشمت فيهم أعدائهم، ففي سجن نفحة لم يتبق إلا سبعة عشر أسيراً من قسمين، كانا يضمنان ما يقارب من مئة أسير، لحظتها لم يكن أمام الأسرى سوى الصمود للبقاء على نفس القدر من القوة وعدم الاستغلال، فازدادوا صلابة وقوة وإرادة، خوفاً من العودة للسنوات الأولى للاعتقال، وكثفوا من الجلسات التعبوية لتصليب الإرادة وبث الروح التفاؤلية بإفراجات قادمة وبدأوا بالخطوات النضالية التي تزامنت بخطوات إسنادية في الخارج، وبدأوا ببرنامج ثقافي للأسرى الجدد وصل فيه عدد الجلسات إلى ثلاثة يومياً، في تلك الأيام كانت تدرك أجهزة الأمن الإسرائيلية أن المعتقلين على جاهزية لقتل أي سجان ويتحملوا مسؤولية ذلك على أن لا يعودوا للمربعات الأولى للاعتقال كما ترغب الإدارة لتحقيق ذلك، حينها استطاعوا حماية نضالهم ودماء شهداءهم وتراكم تضحياتهم<sup>(295)</sup>.

(293) جهاد البطش: مرجع سابق، ص198.

(294) حسن عبد الله: الصحافة العربية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص36.

(295) سليم حسين الزبيعي: مقابلة أجراها الباحث، 10/1/2015، غزة.

## ثانياً: تحدي يواجه الحركة الأسيرة:

شكلت انتفاضة 1987م نقطة تحول كبيرة ونوعية في جهاد الشعب الفلسطيني لنيل حقوقه، حيث أنها بكل ما حملته من عنفوان وقوة، كانت أكبر تحدي يواجه الاحتلال الإسرائيلي الذي وجد نفسه أمام تيار جارف وعظيم من شتى الشرائح والمستويات<sup>(296)</sup>.

ومن التنظيمات الفلسطينية من اعتبر أن الشرارة الأولى للانتفاضة كانت في السادس من أكتوبر 1987م، في أعقاب اشتباك في منطقة الشجاعية مع جيش الاحتلال ما بين أربعة مجاهدين تابعين لحركة الجهاد الإسلامي، منهم أسيران وهم « سامي الشيخ خليل ومحمد الجمل » استطاعوا بشكلٍ إبداعيٍ بمعية أسرى آخرين أن يهربوا من سجن غزة المركزي وسط القطاع في السابع عشر من رمضان من نفس العام في ظل احتياطات أمنية إسرائيلية معقدة، وكان الاشتباك بعد شهور من الملاحقة والمطاردة لهم.

ولكون الانتفاضة انطلقت بعد عامين من صفقة 1985م، فعدد كبير من المحللين والأسرى المحررين من ربط بين الانتفاضة وقيادة أولئك المحررين لها، وأكد على الدور البارز لهم في سيرورتها.

فالغالبية ممن تحرروا من السجون في العام 1985م كانوا قادة سياسيين وعسكريين ولديهم خبرة تنظيمية وأمنية عميقة اكتسبوها من السجون وتحلوا معها بالثقافة الواسعة، وقد تحدث بنيامين نتياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي في كتابه «مكان بين الأمم» على أن الأسرى الذين أطلق سراحهم في صفقة 1985م، هم الذين قادوا الانتفاضة الأولى<sup>(297)</sup>.

فتجربة الأسرى المحررين في صفقة 1985م أعطت زخماً كبيراً في سير الانتفاضة الفلسطينية في العام 1987م، وكانت قيادة الانتفاضة بالتعاون ما بين قيادة الخارج، والقيادة الوطنية من الفصائل الفلسطينية في الداخل، وعلى رأسها خيرة المحررين من سجون الاحتلال<sup>(298)</sup>.

تميز محرروا 1985م بالوعي السياسي، والصلابة النضالية والقناعة الراسخة بقضية الوطن، مضيفاً أن الغالبية العظمى منهم قد عادوا فوراً لممارسة نشاطهم النضالي، فساهموا بتعزيز ثقافة الثورة والتمرد على الاحتلال والتضحية من أجل الحرية، فكانوا النواة الأولى التي قادت انتفاضة 1987م<sup>(299)</sup>.

واعتبرت هذه المرحلة من أكثر المراحل حساسية في تاريخ الحركة الوطنية الأسيرة، ما قبل اتفاقية أوسلو 1993م، حيث لعبت عوامل عديدة محلية ودولية دوراً في التأثير على مسيرة الحركة الأسيرة داخل السجون، حيث المواجهات والاعتقالات، وإقامة المعسكرات العسكرية لاستيعاب الأعداد الجمة من المعتقلين، حيث أن سلطات الاحتلال الإسرائيلي خلال سنوات

(296) أحمد زايد: التوافق النفسي وعلاقته بمفهوم الذات لأبناء شهداء وأسرى الانتفاضة، القاهرة، رسالة دكتوراة في كلية التربية، برنامج الدراسات المشترك بين جامعتي الأقصى وعين شمس، 2002، ص4.

(297) الكاتب في صحيفة الأيام أكرم عطا الله: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 23/10/2015.

(298) الأمير المحرر المبعود عبد المنعم حسان أبو عطايا: مقابلة أجراها الباحث، 5/11/2015، أسبانيا.

(299) الأمير المحرر محمود سليمان الرق: مقابلة أجراها الباحث، 6/11/2015، غزة.

الانتفاضة الأولى ما بين (1987 - 1994م) اعتقلت قرابة (200 ألف) مواطن أي بمعدل ثلاثين ألف حالة اعتقال في العام الواحد<sup>(300)</sup>، إضافة إلى عامل آخر وهو العدوان الثلاثي على العراق، وما أحدثه من متغيرات دولية عكست نفسها على القضية الفلسطينية وحركتها الوطنية التي تعتبر الحركة الأسيرة جزءاً منها<sup>(301)</sup>.

هذه العوامل لعبت دوراً في التأثير على المسيرة الاعتقالية في السجون، إذ أن عمليات الاعتقال والبطش التي مارسها جيش الاحتلال ضد الشعب الفلسطيني في الانتفاضة، وفرض سياسة القبضة الحديدية، قد طالت الأسرى ومنجزاتهم وحقوقهم، وكان واضحاً أن هناك مخططاً لضرب الحركة الأسيرة وتقويض منجزاتها، وذلك بتنصل إدارة السجون من وعودها التي قطعتها على نفسها، في تحسين ظروف الحياة داخل السجون، وتصعيد إجراءاتها التعسفية اتجاه حقوق الأسرى<sup>(302)</sup>.

انتفاضة العام 1987م كان حدثاً مهماً بالنسبة للمعتقلين، كما هو الحال بالنسبة للشعب الفلسطيني عامة، حيث سجلت حضوراً مكثفاً في حياتهم، فأصدروا المجلات والنشرات والبيانات، التي تناولت الانتفاضة، تشخيصاً وتحليلاً، وتبنوا الشهداء وأحيوا في احتفالات خاصة مناسبة دخول الانتفاضة كل شهر جديد من عمرها النضالي.

ولم يعدم المعتقلون الوسيلة للنهوض بأوضاعهم وتجاوز صدمة شهور الاعتقال الأولى والتحول إلى الهجوم من خلال عدد من الإضرابات والخطوات الاحتجاجية الأخرى، وهذا ليس مستغرباً، فعدد كبير من الكوادر والأعضاء الذين خاضوا تجارب اعتقالية سابقة قد أعيد اعتقالهم، فحاولوا توظيف تجاربهم في بناء واقع اعتقالي جديد ومنظم، ووجد المعتقلون في العام 1992م وفي مواقع الاعتقال كافة، ضرورة ملحة لخوض إضراب مفتوح عن الطعام، بعد أن شددت إدارة السجون ضغوطها عليهم في المعتقلات التقليدية، جنباً إلى جنب مع تشديد الجيش إجراءاته على المعتقلين في معسكرات الاعتقال التي يشرف عليها، فكان الإضراب رسالة موجهة للإسرائيليين مفادها أن أسلوب القمع والإذلال وامتهان إنسانية الإنسان لا يمكن أن يمر مرور الكرام<sup>(303)</sup>.

### ثالثاً- النضال السياسي من أجل الحرية:

بانطلاق عملية السلام في الشرق الأوسط في أوائل التسعينات من القرن الماضي، وتأسيس السلطة الوطنية الفلسطينية بناء على اتفاق في أوسلو العاصمة النرويجية بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل في 13 سبتمبر 1993م<sup>(304)</sup>، والتي أدخلت الحركة الأسيرة في مشروع الدفاع عن وجودها السياسي والوطني والمطالبة أن تكون جزءاً من أي اتفاق سياسي وبشكل عادل لا يمس كرامتها الوطنية ولا يؤدي إلى استغلالها لأهداف سياسية<sup>(305)</sup>.

(300) موقع فلسطين خلف القضبان: <http://www.palestinebehindbars.org/ferwana7d2008.htm>

(301) عيسى قراقع: مرجع سابق، ص31.

(302) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص33.

(303) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص38.

(304) The Palestinian Academic Society for the Study of International affairs (Passia), 2000, P: 359

(305) منتهى عودة: المؤسسات الفلسطينية العاملة على خدمة الأسرى الفلسطينيين المحررين، نابلس، مقدمة للحصول على درجة الماجستير بكلية الدراسات العليا جامعة النجاح، 2013، ص27.

وبعد عدد من المحطات التفاوضية والتوقيعات المحلية<sup>(306)</sup> أفرجت إسرائيل عن آلاف الأسرى بشرط التوقيع على وثيقة تعهد تقضي بعدم العودة للعمل العسكري ضد إسرائيل، وأدرجت هذه الإفراجات في إطار سياسة حسن النوايا، وانخفض عدد الأسرى - بعد عناء وضغوط نفسية وحالة سخط وإحباط، وبعد ثلاثة إضرابات سياسية<sup>(307)</sup>.

” وبعد حالات احتجاج شعبية - تم الإفراج عن (11250) أسير وأسيرة من أصل (12500) كانوا محكومين بأحكام متفاوتة، أي ما نسبته 90% من المعتقلين<sup>(308)</sup> ”، باستثناء ما يقارب من (1250) أسيراً معظمهم ممن قاموا بعمليات قتلوا أو أصابوا إسرائيليين، أو من سكان القدس وفلسطيني 1948م، ومن فصائل المعارضة الفلسطينية، وبقيت هذه القضية « أسرى ما قبل اتفاقية أوسلو » عالقة حتى تاريخ هذه الدراسة، رغم أن الولايات المتحدة الأمريكية توصلت بداية 2014م إلى اتفاق بين الفلسطينيين والإسرائيليين، يقضي بأن تطلق إسرائيل سراح المعتقلين الفلسطينيين المحتجزين قبل أوسلو، على 4 دفعات، مقابل أن تمتنع السلطة الفلسطينية عن التوجه للانضمام إلى المنظمات الدولية بعد أن تم الاعتراف بفلسطين دولة غير كاملة العضوية، وأطلقت إسرائيل سراح 78 أسيراً منهم على 3 دفعات، ورفضت الإفراج عن الدفعة الرابعة التي من المفترض أن يطلق سراحها بتاريخ 29 مارس 2014م، والتي تضم 32 أسيراً، عدد منهم من فلسطيني ال 48 والقدس، الأمر الذي أدى إلى تفجر الأوضاع بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي من جديد<sup>(309)</sup>، ورداً على التعنت الإسرائيلي في هذا الملف، وقع الرئيس الفلسطيني محمود عباس في 1/4/2014م على وثيقة للانضمام إلى 15 معاهدة دولية، بعد موافقة القيادة الفلسطينية بالإجماع على التوجه إلى مؤسسات الأمم المتحدة، منها التوقيع على انضمام فلسطين للجنايات الدولية بهدف تقديم شهادات مشفوعة بالقسم لمحاكمة شخصيات إسرائيلية ارتكبت جرائم حرب بحق الشعب الفلسطيني، ورداً على تعنت حكومات نتنياهو المتعاقبة التي تنصلت من الاتفاقيات السابقة، واعتبرت توقيع حكومة رابين على الحكم الذاتي بصيغته الموقعة سيفضي إلى دولة، وهذا نموذج مزييف يجب رفضه وعدم تطبيقه<sup>(310)</sup>.

لم يدرك الإسرائيليون أنه لا يجب أن لا تكون موضع تفاوض وتستخدم كورقة مساومة من قبل الجانب الإسرائيلي وخاصة إذا ما كان إطلاق سراح الأسرى والمعتقلين ذا فوائد عديدة وإيجابية بالنسبة لعملية السلام، لأن قضية الأسرى مرتبطة بكل بيت فلسطيني، ومن أكثر القضايا حساسية في الشارع الفلسطيني<sup>(311)</sup>.

على العكس قام الجانب الإسرائيلي باستغلال هذه الورقة استغلالاً جيداً، واستخدمها للمساومة ولابتزاز المفاوض الفلسطيني، فالمفروض في أي تسوية سليمة أن يتم الإفراج عن

(306) في مدريد 10/30/1991، وواشنطن من 1991 حتى 1993، وأوسلو 13/9/1993، والقاهرة 4/5/1994، وطابا 28/9/1995، وواي ريفر 23/10/1998، وشم الشيخ 4/9/1999.

(307) في 1994/6/21، وفي 1995/6/18، وفي 1998/12/5 م.

(308) عبد الناصر فروانة؛ مرجع سابق، ص 369.

(309) موقع sky news بالعربية: <http://www.skynewsarabia.com/web/article/612513>

(310) بنيامين نتيناهو؛ مكان تحت الشمس، ط 2، ترجمة محمد الدوري، عمان، دار الجليل للنشر، 1996، ص 414.

(311) دياب اللوح؛ أوراق متناثرة، غزة، فلسطين، مطبعة الرنتيسي، 2002، ص 285.



هؤلاء الأبطال من الاعتقال، ليسهموا في رسم خطوط المرحلة الجديدة<sup>(312)</sup>، ولكن إسرائيل سوقت إعلامياً مصطلحات غريبة "كأصحاب الأيدي المملوطة بالدماء « من الأسرى<sup>(313)</sup>، وعملت على تصنيف الأسرى على أساس جغرافي<sup>(314)</sup>، أو على أساس التهمة، كأن لا يفرج عن من تسببوا بقتل أو جرح يهود<sup>(315)</sup>، كما جعل الإسرائيليون هذا الملف عنصراً للمزيدات الداخلية، لإرضاء الشارع اليميني في إسرائيل، وعنصراً للصراع الانتخابي بكل ما يعنيه ذلك من تجاهل للآثار السلبية التي يحدثها على مدى قناعة وتأييد المجتمع الفلسطيني للسلام<sup>(316)</sup>.

لقد كان المعظم من الأسرى من يعتقد أنه قد لا تتم مصالحة تاريخية، هذه المصالحة لها استحقاقات كثيرة، وعلى رأسها وفي مقدمتها، إطلاق سراح جميع الأسرى، بمعنى أن الأسرى أخضعوا الاتفاق لمعايير منطقية، تقاطعت مع جوانب عاطفية تمثلت في رغبة الأسرى بالتحريرو والخروج من خلف القضبان، وكان الاعتقاد السائد أن موضوع المعتقلين احتل أولوية وهامشاً واسعاً في الاتفاق، وانتظرت الحركة الأسيرة النص الحرفي للاتفاق ليتم التأكد من موقع قصتها في إطاره<sup>(317)</sup>.

ولقد عمت خيبة أمل واسعة بين صفوف الحركة الأسيرة، لأن الاتفاقية لم تتطرق إلى قضية الأسرى في بنودها ونصوصها، وخلت من أي نص واضح وصريح يلزم إسرائيل بالإفراج عن جميع الأسرى، أو جزء منهم ضمن جدول زمني واضح، ومرتبطة بتنفيذ الخطوات والالتزامات الأخرى من الاتفاق، وإنما تركت قضية الإفراج عنهم لحكومة الاحتلال، والتعامل معها من منطلق ما يسمى بمبادرات حسن النية<sup>(318)</sup>.

أصيب الأسرى وذووهم بخيبة أمل، وخرجت من السجون عشرات الرسائل والبيانات الموجهة إلى القيادة الفلسطينية ومؤسسات حقوق الإنسان تظهر مدى ما أصابهم من إحباط معبرين فيها عن عدم رضاهم عن أداء المفاوضات الفلسطينية، وطالبوا في هذه الرسائل الجماهير الفلسطينية التحرك والعمل لإثارة قضيتهم وإطلاق سراحهم<sup>(319)</sup>.

مرت ظروف نفسية عصيبة على الأسرى في تلك المرحلة، إلا أنهم بتجربتهم الطويلة والغنية، كانوا يحاولون امتصاص التطورات السلبية والتعامل مع المعطيات الجديدة، وفق رؤية وطنية، لا تسمح للاحتلال بكسر التجربة<sup>(320)</sup>.

بلا شك أن فترة أوصلو والمفاوضات السياسية عكست نفسها على حياة الأسرى، فلقد انقسم

(312) أحمد صدقي الدجاني: لا للحل العنصري في فلسطين، القاهرة، دار المستقبل العربي، 1994، ص 273.

(313) وليد الهودلي: الشعاع القادم من الجنوب، ط 3، رام الله، دار البشير للنشر والتوزيع، 2004، ص 217.

(314) (أسرى الدوريات، أسرى ال 48، القدس، الضفة وغزة)، أو على أساس انتمائهم السياسي (الحركات الإسلامية، فصائل مؤيدة لاتفاق أوصلو وأخرى معارضة له).

(315) الدراسات الفلسطينية: حوار أسرى في سجن عسقلان، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، القدس، 2003، العدد 54، ص 48.

(316) عيسى قراقع: مرجع سابق، ص 78.

(317) وزارة الإعلام: هموم الحركة الأسيرة في ظل السلام، رام الله، قسم الدراسات والورشات الإعلامية، 1995، ص 4.

(318) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص 62.

(319) عيسى قراقع: المصدر السابق، ص 48.

(320) حسن عبد الله: الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص 41.



المعتقلون على خلفية الانتماء السياسي بين مؤيد ومعارض للمفاوضات، خلافات لم تصل لمرحلة الانقسام والتشطي، بل اتفق الجميع على أن يبقى خلافاً سياسياً لا يؤثر على استقرار ووحدة الحركة الوطنية الأسيرة، لتفويت الفرصة على الأجهزة الأمنية الإسرائيلية التي أرادت أن تستثمر الخلافات السياسية لشق صفوف الحركة الأسيرة، مما يسهل عليها فرض سيطرتها لتفريغ الحياة الأسيرة من محتواها النضالي<sup>(321)</sup>.

وبناءً على التجربة الخاصة يعارض الباحث عدد ممن كتبوا فقط عن حالة التراجع والترهل التي أصابت الحركة الأسيرة في هذه الفترة بلا تطرق للنقاط المضبوطة والإيجابية خلالها، فمنهم من بالغ في الأمر لدرجة الإساءة لتاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، ويضيف الباحث أن من وصف الواقع في هذه الفترة بالطريقة السلبية واكتفى فقد ظلم الأسرى وخاصة من أبدعوا منهم واهتموا بأوقاتهم وعملوا لما بعد تحررهم، فحكموا على التجربة بعين واحدة، وعمموا بلا استثناءات، ويضيف الباحث: تعلق الأسرى بالإفراجات السياسية ولكنهم لم يسمحوا لإدارة مصلحة السجون للانقضاء على واقعهم ومنجزاتهم، على العكس فدخل الأسرى ثلاثة إضرابات مفتوحة عن الطعام في وقت محدود حتى لو كانت سياسية دليل كبير على الروح النضالية العالية التي لم تغيرها اتفاقية أوسلو، والإرادة والعزيمة والإمكانيات الكبيرة التي لم تتقوض في نفوسهم، ولم تستسلم ولم تسقط الراية بنكوصهم، بل إن مرحلة جديدة من النضال بدأت في المعتقلات الإسرائيلية، اتخذت الشكل النضالي السياسي بهدف التحرر من السجون على قاعدة « أنه لا يجوز إبقاء احتجاز أسرى في ظل عملية سلام<sup>(322)</sup> ».

ومن الخطوات التي قام بها الأسرى في تلك الفترة إعلانهم التمرد في 8/4/1995م على قوانين إدارة السجون الإسرائيلية، وقوانين وزارة الشرطة بعدم الانصياع لها، وأوضحوا أن هذه الخطوة تأتي لإفهام الجميع بأن السلام الذي لم يصلهم ويشملهم يبقى سلباً ناقصاً وأن تأخيرهم في السجون ليس العلاج الشافي لمزاعم إسرائيل الأمنية<sup>(323)</sup>.

وقام الأسرى بعشرات الخطوات النضالية من أجل الحفاظ على منجزات ما قبل اتفاقية أوسلو، والتي حققت بأرطال من اللحم في الإضرابات المفتوحة عن الطعام، وبدم الشهداء، فمستوى الحياة وظروف الأسرى لم تتأثر ولم تتصادر بفعل الترهل، ومعاملة إدارة السجون ناعمة ومرنة وهادئة نسبياً من جانب السجانين مع الأسرى، ووفرت لهم الكثير من التسهيلات بسبب حالة الغضب التي عاشها الأسرى في ظل فقدان الحرية وبمساندة الجانب السياسي والجماهيري، ومن تلك التسهيلات « حركة السجناء داخل السجن، سواء بين الغرف أو بين الأقسام، وزيادة مدة النزهة، والزيادة في زمن الزيارة لمن لديه مناسبة، والزيارات الخاصة، والاتصالات التلفونية، وإدخال أشرطة الفيديو للمناسبات وتسهيل زيارة المحامين، والتقاء ممثلي السلطة الفلسطينية دورياً بالمعتقلين، وعشرات الأشياء الصغيرة التي لم تعد تنقص الأسرى، واقتناء الممتلكات الخاصة كالهوايات واللمبات الكهربائية والأتاري، والمسجلات

(321) الأسير المحرر شاكر شيات: مقابلة أجراها الباحث، 20/8/2015، غزة.

(322) عمسي قراقع: مرجع سابق، ص 87.

(323) نفس المصدر، ص 60.

والراديو والديسكمان وغيرها، ومشتريات متنوعة من الكنتينا، وإدخال الملابس والأغطية والأحذية وأغراض صناعة التحف من الخرز والحريير وغير ذلك عبر الأهل<sup>(324)</sup>، والسماح بشراء الغراء اللاصق والكرتون، وكان رد الإدارة على المزيد من مطالب الأسرى بأن السجنون سوف تغلق، وميزانيات مديرية السجنون تم تجميدها<sup>(325)</sup>.

ويرى الباحث من وحي التجربة أن أجهزة الأمن الإسرائيلية لم تتعامل يوماً بحسن النوايا باتجاه الأسرى، على العكس فهي تستغل كل مواطن الضعف لدى الأسرى ولا تتوانى لحظة للانتقام منهم، وذلك بإعادتهم للمربعات الأولى من ظروف الاعتقال الأولى، الأمر الذي يدل على عمق تجربة المعتقلين، الذين كانوا بغالبيتهم ممن كانوا محكومين بالمؤبدات لمدى الحياة، ومن لهم سنوات طويلة في الاعتقال، ومن اكتسبوا التجارب النضالية، والحنكة الحوارية مع طواقم إدارة مصلحة السجنون الإسرائيلية.

ورغم الخيبة التي تلقاها الأسرى جراء اتفاقية أوسلو إلا أنهم لم يفقدوا عزيمتهم وقوتهم رغم تأثر الحركة الأسيرة بالمتغيرات السياسية، وبرز في هذه الفترة عدد كبير من المبدعين الذين نظموا حياتهم، وقضوا أوقاتهم بالانتساب للجامعة، والمطالعة الذاتية، وتعلم اللغات، والالتزام بالجلسات، وممارسة الرياضة، والتفاعل والتزاور والاهتمامات العالية والمفيدة<sup>(326)</sup>.

ويضيف الباحث - الذي تعلم اللغة العبرية في هذه الفترة، وأنهى تعليمه من الجامعة المفتوحة خلال الاعتقال في أعقاب اتفاقية أوسلو، والذي أمضى فترة محكوميته بالكامل بسبب رفض الاحتلال للإفراج عنه تحت ذرائع أمنية وما ابتدعوه من تسمية «على يديه دم» برفقة العشرات - في هذه الفترة لم تتوقف عجلة التعليم والتطوير والثقافة والرياضة والجلسات ولو بشكل فردي وجهود ذاتية، بالإضافة للجلسات الإلزامية لدى بعض الفصائل والتنظيمات الإسلامية، ويضيف: لولا تجربة أولئك المعتقلين واهتمامهم بوقتهم وثقافتهم وتطورهم على صعد عدة، لما استطاعوا بعد انتفاضة 2000م أن يستوعبوا آلاف المعتقلين الجدد، ولما تمكنوا من إكسابهم التجربة النضالية، ودمجهم في الحياة الاعتقالية، وإرشادهم والإشراف عليهم، وتوجيههم في كافة المجالات التنظيمية «الادارية والأمنية والتنظيمية».

في هذه الحقبة «ما بعد أوسلو» خاضت الأسيرات معركة تسجل بمداد من ذهب تحت شعار «لا سلام دون إطلاق سراح جميع الأسرى والأسيرات»، وشاركن في الخطوات النضالية إلى جانب بقية الأسرى في السجنون كافة في سبيل تحقيق أهدافهن بالحرية والإفراج<sup>(327)</sup>.

مع أن وثيقة المبادئ تطرقت بالعموم إلى إطلاق سراح الأسرى الموقوفين والسجناء وفق المادة

(324) أحمد أبو السعود: مرجع سابق، ص 79.

(325) وزارة الاعلام: هموم الحركة الأسيرة في ظل السلام، رام الله، قسم الدراسات والورشات الاعلامية، 1995، ص 9.

(326) زياد سليم سلمي: مقابلة أجراها الباحث، 20/4/2015، غزة.

(327) غادة بدر: مرجع سابق، ص 85.

السادسة عشر من الاتفاقية، وبينت بعض المراحل في قضية إطلاق سراح الأسرى، وخاصة فيما يتعلق بتحرير المعتقلات والسجينات الإناث في المرحلة الأولى<sup>(328)</sup>.

إلا أن إسرائيل امتنعت عن إطلاق سراح الأسيرات اللواتي شملهن نص الاتفاق، متذرعة برفض رئيس دولة الاحتلال «عيزر وايزمن» المصادقة على ذلك، بسبب قيامهن بقتل إسرائيليين - على حد ادعائه! وعلى ضوء ذلك اتخذت الأسيرات الإحدى والثلاثين قراراً برفض الخروج الفردي من السجن<sup>(329)</sup>، عندما حاول الإسرائيليون استثناء خمس أسيرات<sup>(330)</sup>، وبقي موقفهن متمسكاً قوياً إلى أن تسنى لهن في النهاية انتزاع تحررهن الجماعي الشامل دون استثناء واحدة منهن، وذلك في 11/2/1997 م بعد ستة عشر شهراً من الصمود<sup>(331)</sup>.

ولما فشلت المفاوضات، في ظل غياب الاستعداد للتوصل إلى تسوية من قبل الجانب الإسرائيلي، ومدى المضايقات والإهانات لشعبنا وقياديه، وضياح أوهام التسوية، انفجرت الانتفاضة التي كشفت عن عدو مجرم لم يزدد إلا شراسة وقتلاً ودماراً<sup>(332)</sup>، واستطلاعات الرأي الإسرائيلية أوزعت عامل الانتفاضة الأساسي إلى فشل محادثات كامب ديفيد (1999\_2000م)، وإلى فشل الاتصالات التي جرت بعده، فولدت الإحباط والغضب في الشارع الفلسطيني<sup>(333)</sup>.

## رابعاً - السجون تزدحم والصراع يحنتم:

أدرك الفلسطينيون مطاطة إسرائيل للوصول لحل سياسي، ومع بدء انتفاضة الأقصى في الثامن والعشرين من أيلول / سبتمبر عام 2000م وحتى منتصف نيسان / إبريل من عام 2015م، سجلت أكثر من 85 ألف حالة اعتقال، ذكوراً وإناثاً، منهم أكثر من عشرة آلاف طفل تقل أعمارهم عن الثامنة عشر، ونحو 1200 امرأة وفتاة، إضافة إلى المئات من السياسيين والأكاديميين والمهنيين، وأكثر من 65 نائباً في المجلس التشريعي الفلسطيني المنتخب، وعدد من الوزراء السابقين، ومئات من الأكاديميين والإعلاميين والصحفيين والرياضيين وعشرات آخرين من الصيادين، الذين اعتقلوا في عرض البحر قبالة شواطئ غزة استناداً لما ورد في تقرير لهيئة شؤون الأسرى والمحررين الفلسطينية<sup>(334)</sup>.

وبلغت الاعتقالات ذروتها في الاجتياح الكبير الذي سماه الاحتلال الإسرائيلي بعملية « السور الواقى»، ففي التاسع والعشرين من آذار 2002م اقتحمت قوات الاحتلال الإسرائيلي معظم المدن الفلسطينية، ورافق ذلك قتل وتدمير وعمليات اعتقال واسعة لم تستوعب أعدادها المعتقلات التقليدية<sup>(335)</sup>.

(328) مركز القدس للاعلام والاتصال: الاتفاقية الاسرائيلية الفلسطينية المرحلية، القدس، مطابع الشركة الوطنية، 1996، ص384.

(329) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص373.

(330) الأسيرات الخمسة هن « عبير الوحدي، مى الغصين، زهرة قرعوش، عطاق عليان، ورولا أبو دو ».

(331) حسن عبد الله: الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين: مرجع سابق، ص41.

(332) أحمد أبو السعود: مرجع سابق، ص176.

(333) رفيق دروكر: إيهود براك - الاخفاق الأكبر ( ترجمة هاشم حمدان )، رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الاسرائيلية - مدار، 2004، ص266.

(334) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص133.

(335) حسن عبد الله: الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص43.

ومنذ بدء الانتفاضة أعادت سلطات الاحتلال الإسرائيلي افتتاح العديد من السجون والمعتقلات<sup>(336)</sup>، وقد عاش المعتقلون ظروفاً قاسية ولا إنسانية، حيث تفتقر جميع هذه السجون والمعتقلات لأبسط حقوق الإنسان، فقد شرعت إسرائيل بممارسة أقصى أنواع التعذيب، والتكيل بحقهم في محاولة لإذلالهم، وكسر إرادتهم وذويهم، والشعب الفلسطيني عموماً، بصفتهم يمثلون طليعة هذا الشعب، مخالفة بذلك القوانين، والأعراف الدولية كافة<sup>(337)</sup>.

تمثلت أولويات الحركة الأسيرة في هذه المرحلة باستيعاب الأسرى الجدد ودمجهم وتوعيدهم سلوكيات الأسر والسجن، وكان هاجسها تجنب أي صدام مع الإدارة قبل السيطرة على الموقع، وفي أي لحظة يمكن أن يتحمس هذا أو ذاك من الأسرى الجدد ويسبب اشكالية، ربما تؤدي إلى صدام ومواجهة ينضم إليها آخرون، قد تعطي ذريعة لإدارة السجون للانقضاض عليهم في ظروف غير مؤهلة للمواجهة، ورغم انشغالهم عن السجون بقمع الانتفاضة، مستغلين الضجة وتركيز الإعلام على ما يجري في الخارج<sup>(338)</sup>.

أما فيما يخص شكل المواجهة وأدواتها، فالأسرى الجدد يعتبرون أن أداة الصراع هي القوة، وأن وسيلة الانتصار، هي الهجوم على الإدارة بأي وسيلة، من أجل تحصيل الحقوق، في حين يعتبر الأسرى القدامى أن أهم سلاح في هذه المرحلة هو الصبر والقدرة على التحمل في المواجهة، ومن هنا أطلق على معتقلي الانتفاضة الثانية بأنهم صداميون<sup>(339)</sup>.

في هذه المرحلة لم يصمت الأسرى والأسيرات على ظروف اعتقالهم السيئة وسحب منجزاتهم والتضييق عليهم، وخاضوا نضالات يومية وخطوات، فدخلت الأسيرات بتاريخ 26 حزيران / يونيو 2001م إضراباً مفتوحاً عن الطعام في سجن نفى تريستا- الرملة في 26/6/2001م لمدة ثمانية أيام متواصلة احتجاجاً على أوضاعهم السيئة، مطالبات بتحسين شروط حياتهن، وتعرضن لمعاملة سيئة خلاله، وخاض الأسرى خطوات نضالية كالامتناع عن الزيارات في العام 2003م بسبب منع البعض عنها لفترة طويلة مثل أسرى نابلس، ومواجهات متواصلة مع فرق التفيتيش وصلت للعراك المباشر، وساءت الأوضاع في هذه المرحلة مما اضطر الأسرى للدخول في إضراب استراتيجي مفتوح عن الطعام بهدف تحسين الظروف المعيشية في 17/8/2004م استمر 19 يوماً، ورغم أنه لم يحقق أهدافه وكان له آثاره على الحركة الأسيرة، إلا أنه حقق انتصاراً للإرادة، لأن من يصمد تسعة عشر يوماً بهذه الظروف السيئة (تحت الضغط

(336) الكلقب « أنصار 3 »، وعوفر، وتشبيد سجون جديدة، وبظروف قاسية كسجن جلبوع بسجون شطة في الشمال، وسجن رهون المجاور لسجن نفحة في صحراء النقب، بالإضافة إلى توسيع بعض السجون، وافتتاح العديد من الأقسام الجديدة فيها، بهدف استيعاب الأعداد الكبيرة من المعتقلين الجدد، كما أنشئت قوات الاحتلال عدداً من مراكز الاعتقال، وأبرزها: عوفر، وعتسيون، وقدميم.

(337) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص 86.

(338) حسان الزين: سمير القنطار - « قصتي »، بيروت، دار الساقي، 2010، ص 356.

(339) المصدر نفسه: ص 110.

الجسدي والعصبي والنفسي ويتحمل آلام الجوع والتنغيص من قبل إدارة مصلحة السجون)، يبقى منتصراً باكتشاف طاقته وقوته، وعلى الأقل حقق الإضراب إيقافاً للهجمة الموجودة ولو مؤقتاً<sup>(340)</sup>.

وبعد أسر الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط في 25/6/2006م في عملية « أطلق عليها الوهم المتبدد » في معبر « كرم أبو سالم » على حدود قطاع غزة، والتي كانت سبب في عملية تبادل 18/10/2011م برعاية مصرية بين حركتي حماس ودولة الاحتلال، تم بموجبها الإفراج عن 1027 أسيراً فلسطينياً من السجون الإسرائيلية على مرحلتين، أطلقت عليها حماس اسم « صفقة وفاء الأحرار»، حينها في بعد عملية الأسر صادرت مصلحة السجون الإسرائيلية الكثير من الإنجازات التي حققوها بإضراباتهم، وانتزعوها بالرغم عن سلطات الاحتلال، وقد صعدت إسرائيل حملتها ضد المعتقلين، وحاولت الضغط عليهم بكثير من الوسائل، وقد شكل إيهود أولمرت رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق، لجنة خاصة، من شأنها أن تبحث كل السبل لتضييق الخناق على الأسرى في السجون<sup>(341)</sup>، وسبقه بنفس السياسة رئيس الوزراء أريئيل شارون، و« تساحيا هنقبى » وزير الأمن الداخلي المسؤول عن إدارة مصلحة السجون، و« يعقوب غانوت » المدير العام لها.

### خامساً- إجراءات للانقضاء على المنجزات:

لربما الأكثر سوءاً في انعكاس المتغيرات السياسية على الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة هو الانقسام الفلسطيني في حزيران/ يونيو 2007م خارج السجون، والذي ألقى بظلاله على الأسرى، وجعل إدارة مصلحة السجون تقوم بفصل حركتي فتح وحماس كبرى الحركات السياسية الفلسطينية، الأمر الذي أضعف الحركة الأسيرة<sup>(342)</sup>.

في هذه الظروف العصبية لم يستسلم الأسرى لمخططات سجانهم، ولم يقطعوا أنفسهم عن التجربة النضالية والاعتقالية لمن سبقوهم، ولم يركنوا لحسن النوايا الإسرائيلية للتعامل مع مطالبهم، فحاض أسرى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وبعض المعزولين بتاريخ 27/9/2011م إضراباً مفتوحاً عن الطعام استمر 22 يوماً، للمطالبة بوقف سياسة العزل الانفرادي، وتم إيقاف الإضراب الذي تزامن مع صفقة شاليط، ومن مزايا هذا الإضراب أنه بث روح المقاومة في نفس الأسير، والمواجهة مع السجان من جديد، وأسس لموجة لاحقة من الإضرابات الفردية والجماعية<sup>(343)</sup>.

واستطاعت الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة أيضاً خوض إضراب مفتوح عن الطعام في السابع عشر من نيسان / أبريل 2012م تحت شعار « معركة النصر أو الموت » احتجاجاً على

(340) أحمد أبو السعود: مرجع سابق، ص 107.

(341) محمد صبيحة، فؤاد الخفش : مرجع سابق، ص 71.

(342) المصدر نفسه، ص 71.

(343) الجزيرة نت: <http://www.aljazeera.net>

أوضاعهم المعيشية والمطالبة بإعادة أوضاع السجون لما كانت عليه قبل انتفاضة الأقصى في العام 2000م، وبعد 28 يوم من الإضراب الذي كاد أن يفجر انتفاضة ثالثة في خارج السجون وبرعاية مصرية أوقف الأسرى إضرابهم بعد موافقة إسرائيل على إنهاء العزل، واستئناف برامج الزيارات للأسرى وخاصة في قطاع غزة الممنوعين من الزيارات منذ حزيران 2007م، وتحسين الظروف المعيشية والحد من الاعتقالات الإدارية<sup>(344)</sup> التي فجرت انتفاضة للأسرى الإداريين بشكل جماعي وفردى، والتي فجرها الشيخ المجاهد خضر عدنان وذلك بإضراب مفتوح عن الطعام استمر 66 يوماً حتى انتصر، وتم الإفراج عنه في 21/2/2012م، وتلاه عشرات الإضرابات الفردية والمجموعاتية والجماعية احتجاجاً على الاعتقال الإداري، وكان أبرز الإضرابات الجماعية في هذه المرحلة في 24 /4/ 2014م والذي استمر 63 يوماً متتالية، طالب به الإداريون بالحرية، وانتهى باتفاق نص على « تحديد فترة التمديد لفترة أقصاها سنة، على أن يكون التمديد لأكثر من ذلك فقط مرهون بقضية وليس إداري ضمن ملف سري»، بالإضافة لإضراب أسرى حركة الجهاد الإسلامي في 9/12/2014م والذي استمر عشرة أيام لإنهاء سياسة العزل الانفرادي وخاصة بحق الأسير المعزول نهار السعدي الذي كان في يومه العشرين من الإضراب المفتوح، وأنهى المضربون إضرابهم مقابل إنهاء ملف عزل الأسير المعزول نهار السعدي، وعودة المعزولين أثناء الإضراب إلى أماكنهم في السجون، وإنهاء ملف المعزولين العشرة على خلفية محاولة هروب نفق سجن شطة، وزيادة المخصصات لكل الأسرى المضربين وغير المضربين، والاهتمام بالمرضى وعلى رأسهم الأسير المريض معتصم رداد، وكذلك إضراب أسرى الجبهة الشعبية والجهاد الإسلامي في سجن نفحة في آب أغسطس 2015م والذي استمر 6 أيام بعد استجابة إدارة السجن لمطالبهم التي تمحورت بإرجاع 30 أسيراً من الجهاد الإسلامي إلى سجن ريمون، وفك منع زيارة الأهل عن الأمين العام للجبهة الشعبية أحمد سعدات.

وتميزت هذه المرحلة بالإضرابات الجماعية والفردية التي أعادت الاعتبار للحركة الأسيرة، وشكلت نقلة نوعية هامة في تاريخ الأسرى<sup>(345)</sup>، وأثبتت أنها قادرة على زمام المبادرة، وأنها غير قابلة للانكسار أو الهزيمة أمام استهدافات إدارة مصلحة السجون والحكومة الإسرائيلية، التي أخرجت أمام العالم لاستخدامها قوانين الطوارئ بلا حدود في ظل ادعائها للديمقراطية، وحفاظها على حقوق الإنسان.

في فترة الانقسام الفلسطيني أقدم الاحتلال الإسرائيلي على شن ثلاثة حروب على قطاع غزة، كانت أولها حرب 2008 - 2009م وأطلقت عليها إسرائيل اسم عملية « الرصاص المصبوب » في حين أطلقت عليها حركة حماس حرب « الفرقان » والتي بدأت في 27 ديسمبر 2008م واستمرت حتى 18 يناير (ودامت 22 يوماً)، والثانية حرب 2012م وأطلق عليها الاحتلال اسم عملية « عامود السحاب » في حين أطلقت عليها حركة حماس حرب « حجارة السجيل».

(344) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص 186.

(345) المصدر نفسه، ص 187.



والجهاد الإسلامي اسم « السماء الزرقاء » والتي بدأت في 14 نوفمبر وانتهت في 22 نوفمبر (ودامت 8 أيام)، والثالثة كانت حرب 2014م وأطلقت عليها إسرائيل اسم عملية «الجرف الصامد» في حين أطلقت عليها حركة حماس حرب «العصف المأكول»، والجهاد الإسلامي اسم « البنيان المرصوص »، والتي بدأت في 8 يوليو وانتهت في 26 أغسطس (ودامت 50 يوماً)، في هذه الحروب اتخذت إسرائيل كافة التدابير الأمنية لسكان إسرائيل بالتحصين في الملاجئ، وتم نقل عدد كبير من الأسرى الجنائين اليهود المعرضة حياتهم للخطر بسبب وجودهم في محيط صواريخ المقاومة الفلسطينية البدائية وغير موجهة بدقة، فيما تجاهلت الخطر المحقق بالأسرى الفلسطينيين وأبقتهم في سجون قريبة تعرضت أماكنها للاستهداف في مدينة عسقلان والسبع والرملة ووسط فلسطين، وسعت إدارة مصلحة السجون جاهدة لعزل الأسرى خلال الحروب الثلاثة عن العالم الخارجي من خلال منع مشاهدة الفضائيات الإخبارية العربية، والسماح فقط بمشاهدة الرواية الإسرائيلية، نقلاً عن القنوات العبرية كالقناة الأولى والثانية والعاشرة، وإدخال الصحف العبرية الثلاث فقط إلى المعتقلات « هآرتس ومعاريف ويديعوت أحرونوت »، واجتهد الأسرى بالتقاط موجات « الأ ف أم - FM » الفلسطينية عبر أسلاك تم مدها للخارج من فوهة الغرفة الصغيرة، وتجاوزاً لأجهزة التشويش التي وضعت لمنع التقاط الإذاعات المحلية، والتشويش على أجهزة الهاتف التي تم تهيئها لتبديد قلق الأسرى على ذويهم، والذين تفاجئوا مراراً وتكراراً بهدم بيوت ذويهم أو استشهاد أقاربهم أو إصابتهم أو تهجيرهم من بيوتهم المحاذية للشريط الحدودي والتي تم مسحها عن الأرض في الحرب الأخيرة.

ويسجل الباحث في دراسته موقفاً تاريخياً لصالح الإذاعات الفلسطينية المحلية التي تخدم الأسرى ببرامجها، وعلى رأسها إذاعة صوت الأسرى من غزة المتخصصة بقضيتهم، والتي خصصت برنامجاً يومياً لأهالي الأسرى لطمئنة أبناءهم عن أحوالهم في السجون، ولبث مطالب الأسرى في نقل الأخبار، وقامت بإجراء المقابلات مع الأهالي في أحلك الظروف، وكانت حلقة وصل بين الأسرى وذويهم على مدار الساعة أثناء الحرب وبدونها.

### سادساً - الكبار يموتون والصغار يتجدرون:

في الأول من أكتوبر / تشرين أول 2015م، أسقط الشباب الفلسطيني المقولة الإسرائيلية « الكبار يموتون والصغار ينسون»، وكانت الشرارة الأولى لانتفاضة القدس بمقتل المستوطنين الإسرائيليين «نحميا ليفي وأهرون بينت» في البلدة القديمة في القدس على يد الشهيد المجاهد مهند الحلبي رداً على اعتداءات المستوطنين على المسجد الأقصى والمرابطين والمرابطات على أبوابه، حينها اندلعت المواجهات بالحجارة وعمليات الطعن بالسكاكين وعمليات الدهس على يد جيل من الشباب الفلسطيني ممن ولدوا في أعقاب اتفاق أوسلو من العام 1993م.

وسبق اندلاع الشرارة عدد من العوامل المتراكمة أهمها المواجهات التي انطلقت من المسجد الأقصى، كرد فعل على تكرار وتصاعد وتيرة اجتياح المستوطنين له، ومنع جنود الاحتلال المصلين الفلسطينيين في سياق مسعى لتقسيم الحرم زمنياً ومكانياً بين المسلمين



واليهود، بالإضافة إلى الطريق المسدود الذي وصلت إليه العملية السياسية، وإصرار الحكومات الإسرائيلية، منذ التوقيع على اتفاقيات أوسلو، على إدارة الصراع، واللعب قدر ما أمكن على عامل الوقت لفرض وقائع ديمغرافية، من خلال تكثيف وتوسيع الاستيطان، وصدار الفصل العنصري، والاعتقالات ومصادرة الأراضي والانتهاكات اليومية من الجيش والمستوطنين بحق الفلسطينيين<sup>(346)</sup>.

وأفاد تقرير صادر عن هيئة شؤون الأسرى والمحررين مع نهاية الشهر الأول للانتفاضة» أكتوبر 2015م «أن سلطات الاحتلال اعتقلت 1500 حالة اعتقال منها عدد من المصابين، بالإضافة إلى الإعدامات التي وصلت إلى 66 حالة إعدام وفق تقرير لمركز «أحرار» للأسرى وحقوق الإنسان، وارتفع عدد الأسرى في السجون إلى ما يزيد عن 7000 أسير وأسيرة، وتضاعف عدد الأسيرات لـ 40 لمشاركتهن الفاعلة في المواجهات، وارتفاع كبير في نسبة الاعتقالات الإدارية التي وصلت لـ 500 حالة.

وساءت حالة الأسرى في السجون، بهدف التضييق عليهم على مدار الساعة، فقامت بحملات التنقل الواسعة في أوساطهم، بغية إعاقة استقرارهم وصعوبة استيعاب المعتقلين الجدد من قبل القدامى والقيادات، وإرباك الأهالي في الزيارات لعدم معرفة مكان اعتقال أبناءهم في السجون والمعتقلات، وتعرض الأسرى للاعتداءات والاعدامات والضرب والإذلال والإرهاب، والاحتفاظ في الغرف بشكل لا يقبله العقل والمنطق، مع عدم توفير الاحتياجات الخاصة لهم في فصل الشتاء ومواد التنظيف وكميات الطعام التي لم تقيت الأسرى، وعرقلة زيارة المحامين، والاستهتار الطبي وخاصة بحق المصابين والجريحات الأسيرات في المستشفيات ومع ذوى الأمراض المزمنة، ولمن يحتاجون لعمليات عاجلة.

وقامت إدارة السجون بفتح المزيد من المعتقلات كـ«جيعفون» المقام في مجمع سجون الرملة للأطفال، والذي حمل صفة «الأسوأ» بين السجون الإسرائيلية، بسبب افتقاره للخدمات وسوء ظروف الاعتقال في الغرف والأقسام.

وتبديداً للتخوفات في استيعاب الأسرى والأسيرات وفق عملية منظمة للجدد من الأسرى والأسيرات فنجحت الحركة الأسيرة بدمج الجدد عبر برامج إدارية وتوعوية وجلسات تنظيمية، لإكسابهم التجربة الاعتقالية والنضالية والضوابط والحدود في حياة السجن، وعادة يتم استقبالهم من قبل لجنة تسمى لجنة الاستقبال مكونة من كل الفصائل، ويتم تحويلهم لغرفة الفصيل وفق انتماء المعتقلين، ومن ثم يبدأوا ببرامج تثقيفي خاص بالإضافة للبرامج التنظيمية العامة<sup>(347)</sup>.

فالروح النضالية والوحدوية التي تميز بها أسرى انتفاضة القدس، لربما سيكون لها انعكاسها الإيجابي على واقع الحركة الأسيرة من خلال إعادة الوحدة الوطنية والروح الثورية التي تأثرت بالانقسام<sup>(348)</sup>.

(346) موقع التيار الوطني الحر: <http://www.tayyar.org/News/Mena/32660>

(347) الأسيرة المحررة أحلام التميمي، مقابلة أجراها الباحث، 1/11/2015، الأردن.

(348) الأسير المحرر المجدد محمود مصطفى مرداوي، مقابلة أجراها الباحث، 4/11/2015، غزة.

في نهاية المبحث يؤكد الباحث أن قضية الأسرى هي نتاج لقضية وصراع سياسي، فقد كانوا من أكثر الفئات تأثراً بكل جديد على الساحة السياسية<sup>(349)</sup>، ومن وخلال كل مستجد على الساحة الفلسطينية مع الاحتلال أثبتت الحركة الأسيرة أنها طليعة النضال الوطني الفلسطيني ضد الاحتلال، وأنها بفعل واقعها الموضوعي تتبوأ الصدارة في قلب الصراع اليومي معه<sup>(350)</sup>.

ويرى الباحث أن حالة الإبداع رغم المتغيرات السياسية وتقلباتها تكمن في الحفاظ على التراث الاعتقالي وما يحمل من تجارب، وفي قدرة الأسرى القدامى في استيعاب فيضان الأسرى الجدد، ودمجهم اعتقالياً وثقافياً، وتعبئتهم نضالياً، وتحصينهم أمنياً، وتجهيزهم لكل مواجهة.

وفي الانتفاضات الفلسطينية كثف الأسرى مراسلاتهم مع فصائلهم، محاولين الإسهام من وحي تجاربهم النضالية، بالاقتراح والتصور، لعل ذلك يغني ويفيد التجربة، وتفاعل المعتقلون وجدانياً وإبداعياً مع كل انتفاضة، فأبدعوا من وحيها اللوحات الفنية والقصائد الشعرية، والقصص القصيرة، والنصوص المسرحية<sup>(351)</sup>.

ورغم الانقسام الفلسطيني في الخارج، وانشغال الشارع والقيادة الفلسطينية ووسائل الإعلام، وهموم المواطن، وممارسات الاحتلال والحصار، كلها عوامل أتاحت لإدارة السجون النقاط الفرصة للانقضاض على عشرات الإنجازات في السجون، وتوسيع جرائمها، ومنحها القدرة على اتخاذ قرارات خطيرة هدفت إلى تشريع وتقنين الكثير من الانتهاكات والإجراءات، التي كان من الصعب عليها تشريعها في ظروف سابقة<sup>(352)</sup>.

ومع كل هذا لعب الأسرى دوراً مهماً في إنهاء هذه الحالة وساهموا في تقريب وجهات النظر لإعادة الوحدة الفلسطينية عبر المناشآت والبيانات والتحذيرات وبلورة المقترحات كوثيقة الأسرى.

في نهاية الفصل يعتقد الباحث أنه وبالرغم من حالة التراجع التي تصيب جسم الحركة الأسيرة وواقعهم، نتيجة المتغيرات السياسية المتقلبة والديناميكية، إلا أنها تستطيع المحافظة على وجودها من حيث الفرز التنظيمي، والصراع مع إدارة السجون، وتنظيم حياة المعتقلين<sup>(353)</sup>، والتجربة أثبتت أن الحركة الأسيرة تمكنت من الحفاظ على هياكلها وتجربتها عبر كل الفترات والمتغيرات، قد تمر الحركة الأسيرة بمحطات من المد والجزر، والقوة والضعف، وحالات من التقدم والتراجع، ولكنها لم تفقد لحظة الجاهزية النضالية والعزيمة القوية، والإرادة الصلبة التي سرعان ما تستفيق بعد غفوة، أو تترجل بعد كبوة، واستطاعت بقلّة الإمكانيات أن تحافظ على إرثها النضالي وتجربتها الاعتقالية، وهيبته أمام إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية، ومكانتها الرمزية أمام الجماهير الفلسطينية وأحرار وشرفاء العالم.

واستطاع الأسرى عبر تجربة مبدعة وغنية أن تخرج أجيالاً من القادة، وشكلوا بعد خروجهم من السجون والمعتقلات رافداً للمجتمع بشكل عام، ولحركاتهم وأحزابهم بشكل خاص،

(350) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: إبداعات انتصرت على القيد، المؤتمر الثالث، مرجع سابق ص 134.

(350) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: إبداعات انتصرت على القيد، المؤتمر الثالث، مرجع سابق ص 134.

(351) حسن عبد الله: الصحافة العربية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص 37.

(352) عبد الناصر فروانة، مرجع سابق، ص 298.

(353) إياد الرياحي، مرجع سابق، ص 17.

وأثروها بخبرات وكفاءات وطنية ونضالية متقدمة، لذلك استطاع الأسرى أن يتغلغلوا في صفوف أحزابهم وتنظيماتهم، وأن يتقلدوا أعلى المناصب التنظيمية، كما أنهم أصبحوا مشاركين أساسيين في عملية صناعة واتخاذ القرار السياسي والتنظيمي داخل أحزابهم وحركاتهم السياسية<sup>(354)</sup>.

في الفصل القادم سيتناول الباحث فصلاً سيتناول الحالة الثقافية والتعليمية في السجون، والذي سيتضمن أساليب ووسائل إدارة مصلحة السجون لعرقلة المسيرة التعليمية، والأهداف من وراء تلك السياسة، وكيف واجه الأسرى تلك المخططات التدميرية، وكيف كانت البدايات التعليمية والخطوات النضالية، وتعريف لأدب السجون وأجناسه وكتابه ومميزاته وأصنافه، والمسيرة التعليمية، بدءاً بمحو الأمية ومروراً بالثانوية العامة والجامعات الفلسطينية والعربية والدولية التي انتسب إليها الأسرى.

---

(354) إسماعيل الداعور: مرجع سابق، ص 94.



## الفصل الثالث الحالة الثقافية والتعليمية في السجون

## الفصل الثالث الحالة الثقافية والتعليمية في السجون

تؤكد المواثيق والاتفاقيات الدولية، وخاصة اتفاقية جنيف الرابعة، بشأن حماية المدنيين وقت الحرب، على حق المعتقلين بممارسة أنشطتهم الثقافية والتعليمية والدينية والذهنية والبدنية والترفيهية والرياضية، وتوفير الأماكن والإمكانيات اللازمة لضمان ذلك، الأمر الذي لم تلتزم به دولة الاحتلال، فبدلاً من توفير أجواء الثقافة والدراسة والمكتبة والانتساب للجامعات وتطوير المهارات والكفاءات، أعدت لهم العدة لتحطيمهم أمنياً وأخلاقياً، وثقافياً وتعليمياً، " فلم تقدم لهم التسهيلات الممكنة لمواصلة دراستهم التعليمية والانتظام بالمدراس والجامعات، سواء داخل أماكن الاعتقال أو خارجها، ولم تمنحهم الحق في تنظيم اجتماعاتهم الثقافية واقتناء الكتب العلمية والثقافية بحرية كاملة، أو التعلم الذاتي وتبادل الخبرات وتدوير المعارف والمعلومات فيما بينهم دون مضايقات<sup>(355)</sup>.

ويؤكد الباحث على رفض الأسرى لتلك السياسات التجهيلية، وبصرهم وصمودهم وإمكانياتهم البسيطة، استطاعوا أن يحولوا زنازينهم لصفوف دراسية، وحلقات تعليمية، ودورات ثقافية، ومحاضرات جامعية، وفي الوحشة والظلمة كتبت القصائد الشعرية، والروايات الأدبية، والكتب الفكرية، والتجارب الأمنية، والتوجهات التنظيمية والاطلاع على الثقافات والمعارف والحضارات من خلال المطالعة وتعلم اللغات والانتساب للجامعات.

في هذا الفصل سيتناول الباحث أربعة مباحث، الأول: مخططات إدارة السجون لتخريب واقع المعتقلات، ومحاولة تفرغ الأسير من محتواه النضالي والثقافي، والثاني: المسيرة الثقافية للحركة الأسيرة، بداياتها وتطورها، والثالث: أدب السجون وتعريفه ومميزاته وأصنافه، والرابع: المسيرة التعليمية، بدءاً بمحو الأمية ومروراً بالثانوية العامة والجامعات حتى الدراسات العليا، وأبرز مظاهر الإبداع للأسرى في مناهضة السياسات الإسرائيلية، واستثمار الوقت، وعقد الجلسات، والبرامج، واللجان التي عملت لتقويض مخططات إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية.

(355) عبد الناصر فروانة، مرجع سابق، ص302.

# المبحث الأول وسائل الاحتلال لتفريغ الأسير من محتواه النضالي والثقافي

حاول الاحتلال الإسرائيلي منذ بدء الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة تطبيق مقولة رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إسحق رابين «سنجعل من المعتقل وسيلة لتخريب هؤلاء الفلسطينيين»<sup>(356)</sup>، وأعدت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية الطواقم ذات النظم والهيكل المعقدة والمتخصصة والمدرّبة لتحقيق تلك المقولة، بهدف تحطيم الروح المعنوية للمناضلين، وتفريغهم من محتوَاهم الثقافي<sup>(357)</sup>.

لذلك سعت إدارة الاحتلال إلى جعل السجون مقابر للأسرى، وظيفتها قتل الروح النضالية لدى الأسير وتثبيته من جدوى ما يقوم به، ودفعه للندم على انتمائه وفي النهاية «توبته» وخلق إنسان مختلف تماماً، إنسان خانع مستسلم للواقع وللقوة والسيطرة الصهيونية، مقتنع بعبثية النضال الوطني، لكن الحقيقة أن رواداً أوائل أدركوا هذا الهدف، وعملوا وناضلوا ودفعوا حياتهم كلها أو جزءاً منها، كي تكون للمعتقلات وظيفة أخرى غير التي أراد العدو، وهي أن تعدو المعتقلات محطة يستثمر فيها المعتقلون وقتهم الذي يتوافر خارج المعتقل لتعميق وعيهم، وانتماءهم الوطني وتزويدهم بالمعارف التي لم يتح لهم المجال لتعلمها قبل دخولهم المعتقل سواء أكانت أكاديمية أو ثقافية عامة<sup>(358)</sup>.

في هذا المبحث سيتناول الباحث عدداً من السياسات والمخططات التي استخدمتها إدارة مصلحة السجون لتحقيق أهدافها في تقويض الجانب النضالي لدى الأسرى « كمحاولات الإسقاط الأمني والأخلاقي، وضرب الأطر التنظيمية، وافتعال الأحداث وإثارة الفوضى، ونشر الإشاعات، واستخدام وسائل رديئة وغير إنسانية، وعلى الجانب الثقافي كممارسة « الحصار بعدم إدخال الكتب والعزل عن العالم الخارجي، والرقابة الشديدة، والتفتيشات ومصادرة إنتاجات الأسرى وممتلكاتهم الثقافية، واتباع عمليات التشويش الفكري، ومحاربة الظواهر الثورية، وإحياء المناسبات الوطنية... ».

(356) إدريس جرادات: دور الجلسات التعبوية في سجون الاحتلال الإسرائيلية، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص7.  
(357) المحتوى الثقافي الذي تشرب من خلاله الأسرى حب الله ورسوله والوطن، وتعزيز روح التضحية والفداء، ودفع الغال والنفيس من أجل حريتهم وشعبهم، وسعى الاحتلال لتقويض روح والنضال في نفوسهم التي أيقنت أن المقاومة ومناهضة الاحتلال بكل الوسائل الممكنة والمتاحة والمشروعة هي أقصر الطرق لتحقيق الحرية والسيادة والاستقلال.

(358) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: إبداعات انتصرت على القيد - المؤتمر السنوي الأول، مرجع سابق، ص81.

## أولاً- وسائل الاحتلال لتفريغ الأسير من محتواه النضالي:

### 1. محاولات الإسقاط الأمني والأخلاقي:

من البديهي القول أن أي عملية إسقاط تقوم بها سلطات السجون والمخابرات الصهيونية لأي معتقل كانت تعتبر إنجازاً عظيماً لها، وخسارة كبرى للشعب الفلسطيني وقضيته العادلة، ولهذا فإن المخابرات الصهيونية وسلطات السجون تحرص كل الحرص على القيام بهذا الدور، فهي لا تتوانى من إسقاط أي معتقل كان، وتعمل بشتى السبل الترغيبية والترهيبية، واللاأخلاقية واللاإنسانية لإسقاط أي فرد من الشعب الفلسطيني، فلا شك أنهم أكثر الناس استهدافاً وأكثرهم مطاردة.

لقد كان العملاء داخل المعتقلات وما زالوا يشكلون خطراً شديداً على المعتقلين، لأنهم عيون ورسل سلطات السجون غير معروفة في واقع الأسرى، ولهذا فإن سلاح العملاء كان وما زال من أمضى الأسلحة التي استخدمتها سلطات السجون في حربها الضروس ضد المعتقلين، هذا فضلاً عن الدور التخريبي والخلخلة الداخلية التي يقومون بها في صفوف المعتقلين الداخلية<sup>(359)</sup>.

وعلى الجانب الاخلاقي، شن المعتقلون ومنذ السنوات الأولى لاعتقالهم حرباً شعواء ضد الشذوذ الجنسي ” اللواط ” واعتبروا كل من يقدم على مثل هذه الممارسات كمن سقط في شرك المخابرات، وقد حرصت سلطات السجون والأجهزة المتفرعة عنها على محاربة المعتقلين بها، فأوعزت إلى عملائها بإسقاط كل من يمكن إسقاطه جنسياً من المعتقلين<sup>(360)</sup>.

### 2. سياسة العزل الانفرادي والتصفية الجسدية:

يعتبر عزل المعتقل عقاباً من أقسى أنواع العقاب الذي تلجأ إليه سلطات الاحتلال الإسرائيلية ضد المعتقلين الفلسطينيين، فتضعهم في زنازين معتمة وضيقة، ولفترات طويلة من الزمن، ويحرم المعزول من أبسط الحقوق<sup>(361)</sup>، قد تلجأ مصالح السجون في أي مكان لعزل بعض الأسرى في ظروف وشروط حياة محدودة « على سبيل المثال إذا لجأ الأسير للتعامل بعنف مع السجنان، أو هدهد بالقتل، أو مارس ممارسة قد تتسبب بخطورة أمنية على الغي، سواء كان في السجن أو خارجه، أو لحماية سجين من القتل، أو لعدم التزامه بقوانين اعتقالية متعارف عليها ومتفق عليها بين الإدارة والمعتقلين، وقد تجد أي حكومة مبرر لعزل شخص تحت هذه الاعتبارات أمام المؤسسات الدولية والحقوقية، ولكن أن تعزل شخص ملتزم بالقوانين المتعارف عليها، وغير مهدد لغيره أو مهدد في شخصه ولم يشكل خطر على غيره في السجن وخارجه، كما يحدث في سجون الاحتلال بعزل الأسرى بشروط حياة مميتة ومؤذية نفسياً

(359) حلمي عنقاوي: مرجع سابق، ص 241.

(360) حلمي عنقاوي، مصدر سابق، ص 34.

(361) مركز الميزان لحقوق الانسان: صرخات من وراء القضبان، الرسالة للنشر والاعلام، أم الفحم، فلسطين، 2009، ص 7.



وجسدياً خارجة عن الشروط الإنسانية الدنيا، فهذا إجراء غير قانوني ومخالف للاتفاقيات الدولية، فممارسة إدارة السجون مع المعتقلين بزجهم في العزل بهذه القسوة ليس لها تفسير إلا العقاب والانتقام.

فالحرمان الاجتماعي المتمثل « بالعزل » عقوبة ذات أبعاد خطيرة على الصحة النفسية لا يجري اتخاذ قرار في تطبيقها إلا إذا كان الهدف منها تحطيم التركيبة الفسيفسائية للتكوين النفسي لعضو الجماعة المتخذة ضده، ثم إعادة صياغتها على النحو المطلوب، بحيث تكون هذه الإعادة ما هي إلا عملية ترويض ممنهجة، تهدف إلى إدخال تعديلات عميقة على المنابع الذاتية لوجدان ووعي العضو وخلق أرضيه لديه لدوافع ذاتية تتلاءم مع الهدف الذي من أجله اعتمدت هذه العقوبة، وإذا كان المنطق قد أجاز تطبيق الحرمان الاجتماعي الذي يعني إجبار العضو الشاذ اجتماعياً على وأد مناج سلوكية معينة لدية وتنمية سلوكيات أخرى يميزها العرف الاجتماعي، وتتناسب مع المسلك الاجتماعي العام، فإن المنطق نفسه لا يُقرّ على الإطلاق تطبيق هذا الحرمان بصورة معكوسة، أي تطبيقه على الأعضاء الذين يشكل سلوكهم نموذجاً في البيئة الاجتماعية التي يُصار فيها إلى إجراء الحرمان الاجتماعي، ودرجات الحرمان الاجتماعي متفاوتة، أشدها قساوة العزل الانفرادي الذي تُنفذه مصلحة قمع السجون الصهيونية، كسياسة قمع إرهابية تمارس ضد الوطنيين، بحيث يُزجون في بيئة عدائية خلف جدران، مغلقة لا يتسرب إليها أي بصيص من ضوء الشمس المباشر، ويحظر فيها الاتصال مع آخرين من بني البشر، باستثناء جنسين بشريين يصبان أيضاً في زيادة قساوة هذه البيئة، الأول: وقاحة في المعاملة وشدة غير مبررة في تنفيذ الأوامر اليومية، يُطبّقها حُرّاس ساديون، يتلذذون بتعذيب الأدميين، ويروي الباحث بالكثير من الأم تجربته الشخصية في معاملة إدارة السجون الاسرائيلية له فترة العزل لعامين متتاليين بالقول: " كانت أقسى اللحظات التي مررت بها خلال فترة التحقيق ومن ثم الاعتقال نقلي من زنازين سجن عسقلان المركزي إلى سجن الشرطة المسمى " لخيض " في غرفة عزل واستغربت عملية النقل إلى هذا المكان، أدخلوني زنزانة جانبية وإذا بالشرطة تفتح الفوهة الصغيرة العليا للزنزانة، وتم وضع خرطوم أنبوبة المطافئ الكبيرة المليئة بالبودرة الكيميائية وضخها داخل الزنزانة الصغيرة فقامت بتغطية رأسي تحت البطانية المتسخة بالزنزانة حتى هدأ تناثر وبعثرة المادة التي سببت الاختناق لي.

أخذت أنادى على الشرطة " وأكبر " ليخرجوني من عملية تعذيب وخنق وإرهاب مبرمجة، وتفاجأت بحضور الشرطة رداً على صراخي ظاناً أنهم آتون لإنقاذي، غير مدرك أن هذه هي إحدى مراحل التعذيب والانتقام في تلك الليلة القاسية وغير مسبوقه لربما على تجربة أسرى آخرين، وتم اقتيادي لمكان انتظار في بداية القسم له ثلاثة جدران وواجهة شبك وكان الوقت قرابة منتصف الليل، كنت أنتظر المزيد من المفاجئات في تلك الليلة الرهيبة وإذا بثلاثة من الشرطة بلباس مدني يتقدمهم شرطي بزّي سجان قام بفتح البوابة عليّ ودخل أحدهم ويديه إبريق "كمكم كهربائي" مليء بالماء المغلي"، واقترب مني ورشقه نحوي،

حركت وجهي قليلا وإذا بالماء يحرق جزءاً من رقبتى وصدري، وقاموا بنقلي لعيادة السجن الذي تعامل معي بكل قسوةٍ وألم، فقط بوضع القليل من دهون الحرق على جسми مع غطاء شاش خفيف.

مكثت على هذا الحال ما يقارب من الشهر ثم نقلوني إلى قسمٍ خاصبأسرى القدس في نفس المكان، وبعد أسبوع جاء نقلي إلى أبشع قسم عرفته الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في تاريخها وهو عزل ” نيسان ” في سجن الرملة ” قسم لأخطر الأسرى الفلسطينيين، مقام تحت الأرض ” بظروفٍ خيالية في القسوة وظروف الاعتقال وأشكال التضييق، فوجدت فيه عددًا قليلاً ممن قام بعمليات بطولية مميزة في الانتفاضة ونخبة قيادية من أبناء الشعب الفلسطيني لا تتعدى 36 معتقلاً مقطوعين عن العالم الخارجى بشكلٍ كامل.

كان القسم بلا حقوقٍ دنيا ” بدون زيارات منتظمة وبقمعٍ مستمر وأجواء مصادمة واستنفار على مدار الساعة، لم يكن بالقسم مراوح ولا تلفاز، والراديو مهرب والبيضة في الفطور لشخصين والدجاجة الواحدة لثمانية أشخاصمرة في الأسبوع، ولا وجود لبلاطة كهربائية لإعداد الطعام ولا إدخال لصحفيٍ عربية ولا سماح للتعليم الثانوي أو الجامعي ولا مجال لعمل كأسٍ من الشاي الساخن وبلا تلاجت حتى في القسم عامة، وحينما كنا ننشد أو نحوي مناسبةً جماعية للترفيه على الأبواب كانوا يضعنا لنا سماعات بأصوات عالية ومزعجة.

في هذا المكان أستذكر أربع قصصمن عشرات، ” الأولى ”: المكان كان مليئاً بالجرذان كون القسم هو البنية التحتية لكل السجن أعلاه ” بدروم ” وكانت الجرذان الكبيرة ظاهرة وكنت أنام في السرير العلوي الذي يطل على الشباك الذي كان بسطح الأرض من الخارج وخلال النوم صحت على شيءٍ يسير على وجهي المغطى بشرشف خفيف، وإذا به جرذان كبير، فزعت من نومى فسقط على الأرض، وبقي حتى الصباح، وخرج معنا وقت الفورة التي كنا نخرجها مكبلي الأيدي أثناء الخروج والعودة.

”القصة الثانية“: كنا نهرب مشبك رأسٍ معدني ” بكلة ” من أمهاتنا أيام الزيارات غير منتظمة والمتقطعة ونلصق بها شفرتين، ونعري الأسلاك الكهربائية في العلب العلوية بشكلٍ ممنوع حتى نمنع كوب شاي، ومرة تبخرت الماء ووصلت الأسلاك وأحدثت ماساً وكنت أفف على المغسلة الصغيرة، وإذا بالكهرباء تصل يدي وتنسكب على جسمي، وأصبحت في حيرة من أمري أتألم دون علاج لثلا أعاقب، أم أتعالج وأتحمل العقوبة، ورجحت الأولى فبقيت صامتاً حتى تشايفت برحمة الله.

”القصة الثالثة“: رفضت إدارة العزل ذات يوم نقل محتوياتنا بين الزنازين، وقررنا يومها تحدى السجنان وقررنا كسر أقفال فتحات الأبواب ” الأشناف ” وتوزيعها رغماً عنه، وما هي إلى ساعات حتى كانت جميعها مفتوحة بامكانياتنا البسيطة، وفي صباح اليوم الثاني حضرت قوات مدججة بالهروات والدروع والغاز، وبدأت باخراجنا بالقوة ووضعوا كل أسير منا في مكان انتظار، مقيد الأيدي والأرجل وسط عشرات السجنان الذين انهالوا علينا بالضرب

القاتل والمبرح، يومها تم كسر إحدى عظام صدرى بالبساتير، وكدت أختنق من صعوبة التنفس.

”القصة الرابعة“: التي تنم عن فشل إدارة السجون بعملية تقويضنا ثقافياً، وهي قدرتي على كتابة كتاب وأنا بعمر 22 عام برفقة زميلي الأسير المحرر محمد أبو جلاله باسم ”نجوم فوق الجبين“، والذي تناول مبادئ فكرية وتنظيمية، والعمليات البطولية وأسرى العزل، وتمت طباعته وتوزيعه في الخارج في العام 1992، وكان التهريب خارقاً بخفية المادة المكبسة تحت خصر البنطال ولفه ليصل للشبك الثاني أثناء الزيارة.

والثاني: فهو مهمات بشرية تتسرب إلي زنازين العزل، يتميز منها أصناف من الشتائم المسيئة والحديث الخارج عن الأخلاق يُطلقها السجناء الجنائيون (طالبى الحماية) كزبانية لمصلحة قمع السجون، ينفذون جزءاً من عملية خلق الجو العدائي في هذه البيئة الموحشة<sup>(362)</sup>.

كما أن دولة الاحتلال تقوم بالتصفية الجسدية داخل السجون، وتتجاوز كافة المواثيق والاتفاقيات الدولية التي أكدت في المادة الثالثة عشر من اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949م على « وجوب معاملة أسرى الحرب معاملة إنسانية في جميع الأوقات، وتحظر على الدولة الحائزة أن ترتكب أي فعل أو إهمال غير مشروع يسبب موت أسير في عهدها، ويعتبر انتهاكاً جسيماً لهذه الاتفاقية<sup>(363)</sup>.

إلا أن دولة الاحتلال الإسرائيلي لم تلتزم بتلك الاتفاقيات والمواثيق، وتتعامل مع ذاتها فوق القانون، على العكس فهي تعمل جاهدة للانتقام من الأسرى كونهم في قولبتها ”إرهابيين وقتلة ومخربين“ وتصفهم بأوصاف تحريضية وعنصرية، لذا تعمدت للنيل منهم جسدياً عبر القتل المباشر أو غير مباشر<sup>(364)</sup>، والأمثلة كثيرة في هذا الشأن على مدار الحركة الوطنية الأسيرة<sup>(365)</sup>، ولعل أقساها إجراء عمليات جراحية كاملة لأسير مقيد الأيدي والأرجل بدون تخدير<sup>(366)</sup>.

(362) الأسير المحرر سلمان جاد الله، مقابلة أجراها الباحث، 23/11/2015، قطاع غزة.

(363) نداء البرغوثي: مرجع سابق، ص 289.

(364) ومن القضايا غير متوقعة على المستوى الطبى ما كشفته ( داليا ايتسيك ) التي شغلت رئيسة لجنة العلوم البرلمانية الاسرائيلية سابقاً، ( وأمى ليفتات ) التي عملت كرئيسة شعبة الأدوية في وزارة الصحة الاسرائيلية بإجراء 1000 تجربة أدوية سنوياً على المعتقلين الفلسطينيين، موضحاً آنذاك ان هنالك عدد كبير من التصاريح التي تمنحها وزارة الصحة الاجراء المزيد من من تجارب الأدوية على المعتقلين.

(365) « قصة الأسير هيثم عزات صالحية من مدينة رام الله، الذي حوكم بالمؤبد لمرتين، وتعرض لمحاولة اغتيال داخل سجون الاحتلال، والذي وضع له السم في فنجان القهوة على يد احد العملاء في سجن «ايشل» ببيت السبع في عام 2011، ما أدى إلى إصابته بالإغماء مباشرة وتقيؤه الدم.

وحقق الأسير جعفر عوض على يد الطبيب السجناء بحقنة غامضة أطلق عليها والده « إبرة الموت البطة »، ونزل وزنه من 76 كيلو جرام إلى 45 كيلو جرام، بعد النهايات الزنة والغدة، وتهدك بأجهزة الجسم، ومشاكل بالجهاز العصبي والعضلي، وعدم القدرة على الحديث والحركة حتى استشهد في نيسان 2015 بعد ثلاثة شهور من الإفراج عنه استثنائياً حتى لا يستشهد في السجون.

هذا بالإضافة لسياسة الإستهتار الطبى اتجاه الأسرى المرضى، كتأجيل إجراء العمليات الجراحية، وعدم تقديم العلاجات المناسبة، وعدم السماح بإدخال الطواقم الطبية من خارج السجون، ورفض تسليم ملفاتهم لعرضها على مختصين، الأمر الذى أوقع المزيد من الشهداء سواء كانوا في السجون أو بعد التحرر متأثرين بأمراضهم التي توارثوها داخل المعتقلات والزنازين.

(366) الأمر الذى أكده الأسير أنس كامل شحادة من جنوب رام الله الذى اعتقل في العام 2002 والذي وصف عملية الزائدة الدودية التى أجريت له بالقول كانت عملية إجرامية، لقد أحكموا تربيطى، وسحبوا لسانى بقسوة بالغة وألصقوه في حلقي ووضعوا حديدية تحت لسانى، وضربنى الطبيب على أنفى، ووضع المشرط على بطنى، ففصر الدم بغزارة، وشعرت بصدمة عصبية تتناوبنى، وشعرت بتوقف القلب وذهول العقل، وكان الطبيب يسب ويلعن ويقول بالعبرية « مخرب « وفقدت الوعى أكثر من مرة، فجاءوا بصاق كهربائى وأفاقونى، وعدت إلى وعيى وهم يدخلون بربيشاً إلى المريء بكل قسوة وفظاظة وشعرت باختناق شديد دون أدنى وازع للرحمة في قلوبهم، ساعتان في هذه العملية كآلف ساعة مما نعد.

## 1. بث الإشاعات المغرضة وتشجيع ظاهرة المحاور:

من الطبيعي أن استشرى إشاعات والترويج لها ولاسيما الإشاعات الهدامة عامل أساسي من عوامل خراب ودمار أي أمة من الأمم، لأن ذلك يؤدي إلى نزع الثقة بين الناس، وأن أي مجتمع تنتزع الثقة من بين أفرادها لاشك أنه سيتلاشى وسيتحطم، هذا بشكل عام، أما المجتمعات المغلقة والمعزولة عن العالم كالمجتمعات الاعتقالية فإن للإشاعات الكاذبة آثار سلبية جمة عليها، هذا فضلاً عن كون تلك المجتمعات أكثر تأثراً بالإشاعات من غيرها من المجتمعات، خاصة إذا كانت المجتمعات الاعتقالية غير منظمة، ولا شك أن الأجهزة المختصة المشرفة على سلطات السجون تدرك تمام الإدراك لتأثير الإشاعات على المعتقلين ولهذا فقد مارست هذا الدور منذ اليوم الأول لافتتاح المعتقلات، وقد أحرزت بعض النجاحات في السنوات الأولى للاعتقال غير أنها لم تعد تخفى على المعتقلين بعد تنظيم المعتقلات، إذ أن الأطر التنظيمية والاعتقالية باتت تقاوم هذا الأسلوب بشتى السبل<sup>(367)</sup>.

وقد استخدمت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية كل الوسائل والأساليب التخريبية لضرب القناة النضالية لدى الأسرى، ولتفكيك الواقع الاعتقالي التنظيمي بكل السبل، ولتقويض الوحدة الوطنية الاعتقالية بين الفصائل داخل الحركة الأسيرة.

وعملت أجهزة الأمن الإسرائيلية في السجون على «بث الإشاعة المغرضة» كتنقل الأخبار الكاذبة ونشرها، والترويج لها داخل القاعدة التنظيمية، وذلك بهدف خلق البلبلة والإرباك والتشكيك بجدوى الوسائل النضالية، ومكانة القيادات الوطنية، وكثيراً ما يلجأ العدو إلى الإيعاز لعملائه للقيام بهذه المهمات القذرة، كتنقل الأخبار الكاذبة، والعمل على ترويجها وتضخيمها<sup>(368)</sup>، ومن أمثلة تلك الإشاعات «نقل عدد كبير من المعتقلين من سجن لآخر أثناء التحضير لخطوة نضالية، أو ترويج منح الأسرى بعض المطالب المهمة قبيل الدخول لإضراب مفتوح عن الطعام لخلق الانقسام بين الأسرى حول صحة الدخول على خطوة الإضراب في ظل الموافقة على مطالب الأسرى، أو استثناء بعض المعتقلين الفلسطينيين من عملية التبادل لخلق ردة فعل لديهم للكشف على تأكيدات الإفراج عنهم من فضائلهم المحاورة للاحتلال، وللتعرف على مزيد من المعلومات التي يمتلكها الأسرى من خلال تواصلهم مع الخارج، والترويج لأخبار الإفراجات السياسية وإغلاق السجون في أعقابها لزرع الفوضى والإرباك والترهل والتمرد على الالتزامات الاعتقالية والتنظيمية.

وكثيراً ما تلجأ إدارة السجون إلى حرق وتحطيم الأسرى خاصة النشطاء منهم تنظيمياً عبر استهدافهم أمنياً وأخلاقياً بإشاعات موجهة للحد من تأثيرهم ومعاقبتهم، وعادةً ما تكون في أعقاب مقابلات للمندسين مع المخابرات بعد ذهابهم لقيادة السجن، أو عودتهم من

(367) حلمي عنقاوي: مرجع سابق، ص 50.  
(368) عبد الحق شحادة: مرجع سابق، ص 65.

زيارات الأهل، أو عن طريق السفريات التي كان يخلقها أولئك تحت مبرر المحاكمات أو النقل للمستشفيات، وكثيرة هي الشواهد على تلك الإشاعات التي انكشفت خلال إخضاع بعض العملاء للعدالة الثورية<sup>(369)</sup>.

وعملت إدارة السجون الإسرائيلية منذ بداية الاعتقال على تشجيع التيارات والمحاور والشلل بواسطة العملاء والمدسوسين، وضرب أسس أي عمل جماعي، والإصرار على التعامل مع المعتقلين كأفراد<sup>(370)</sup>.

والتجربة الاعتقالية لدى كل الفصائل حملت الكثير من الشواهد في وجود ظواهر الشللية والمحاور التي تشكل عائقاً أمام الوحدة التنظيمية، وقوة المؤسسة الاعتقالية، وغالباً ما تنشأ تلك الظاهرة بإيعاز من أجهزة الأمن عن طريق عملائها لبناء سد منيع ومعيق لوحدة القرار الجماعي لمناهضة السياسات العنصرية التي تنتهجها إدارة السجون للنيل من الأسرى على كل الصعد.

ويؤكد الباحث أن قضية المحاور لم تنشأ إلا في ظل ظروف ومتغيرات كمرحلة نشأة الحركة الأسيرة في ظل غياب الحالة التنظيمية، أو في ظل حالات التراجع التنظيمي في أعقاب اتفاقية أوسلو 1993م، أو بداية انتفاضة 2000م، ولكن التنظيمات الفلسطينية كانت أقوى بكثير من تلك الظواهر العابرة والممقوتة والمكشوفة، وحاربتها الحركة الأسيرة وحاسبت من يقف خلفها، وعبئت القاعدة التنظيمية على رفضها، وحذرت من خطورتها وانعكاسها السلبي على الواقع الاعتقالي.

## 2. استخدام الأساليب الردعية والمعاملة غير الإنسانية وغير الأخلاقية:

استخدمت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية الكثير من الوسائل الردعية واللاإنسانية بهدف ترويع الأسرى والتأثير على قدراتهم المعنوية والنفسية، فاستخدم الجيش منذ بداية الاعتقال عمليات المداهمة الليلية بعشرات الجيئات العسكرية، واصطحب خلال الاعتقال الكلاب البوليسية لاقتحام البيوت، وقام بعمليات إطلاق النار والقنابل واستخدام الطائرات العمودية وحتى القصف الصاروخي في بعض الحالات، وحاولت أجهزة الأمن انتزاع الاعترافات من المعتقلين بالضرب المبرح وعشرات الوسائل المحرمة دولياً، وفي السجون اعتدت الفرق الخاصة على الأسرى، وأطلقت النار الحي باتجاههم، وقامت بتصفيتهم جسدياً وخاصة في معتقل النقب، بالإضافة إلى الأحكام الردعية وغير منطقية التي وصلت لعشرات المؤبدات «لمدى الحياة»، وبالاعتداء على الأسرى بالضرب ورش الغاز أو ما يطلق عليها في السجون «بالقمعات».

ويروى الباحث إحدى تلك القمعات في سجن نفحة بالقول: «دارت مواجهة عنيفة بيننا وبين إدارة السجون الاسرائيلية في العام 1997م أثناء محاولتها إخضاعنا بالقوة، كانت المواجهة

(369) المصدر نفسه، ص 65.

(370) حسن عبد الله: الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص 28.

غير متكافئة، بين سجان استدعى طاقم سجن نفحة بالكامل، وقوات خاصة استدعاها من خارج السجن بالعشرات بل والمئات، جميعها متسلحة بقنابل الغاز المسيلة للدموع، والهروات، والخوذ والدروع والسلاح، والكاميرات المنتشرة في كل زوايا الأقسام للمراقبة، كنت في غرفة 8 ب في الأقسام القديمة، لم يكن سلاحنا سوى ما سمح لنا في الغرفة، صحون، أكواب الشاي، ملاعق، قطع صابون، بعض المعلبات التي قمنا بشرائها من الكانتين، وبعض المقتنيات البسيطة، في بداية المعركة سيطرنا على السجن فألقينا ما لدينا على الشرطة التي سارعت بالخروج من الأقسام، كنا ندرك خطورة الخطوة القادمة، وكنا نعلم أننا في نظر إدارة السجن مجموعة من المجانين التي تتسلح بكل تلك المعنويات والإرادة على غير امكانيات، مقابل تسليح كامل ونظام حماية واحتياطات من السجناء المرتزقة بقلوب مهزومة ومهزوزة، ووضعنا الفرشات الإسفنجية المبللة بالماء على فوهات الباب الحديدي السميك، ثم تم قطع الماء والكهرباء عنا، وإذا بالقوة المدججة تلقى بقنبلة من الغاز من الشباك الخلفي للغرفة الصغيرة التي يقطنها ثمانية أسرى والمحاطة بالجنود، ومن ثم دخلت القوات للأقسام مرتدية الكمامات المضادة للغاز، وبدأت تطلق القنابل في الأقسام، التفتنا لما أصابنا في داخل الغرفة وإذا بقوة تفتح فوهة الباب ” اشناف الباب ” وتلقى بقنبلة ثانية في الجهة المقابلة من خلف الفرشات الإسفنجية، لم نر بعضنا من كثرة الدخان، غرفة تحولت بكاملها إلى دخان أبيض معبق بالسموم برائحة الموت، حينها لا مفر، وضعنا رؤوسنا تحت الأبراش، منا من ذهب في فوهة الحمام لالتقاط نفس واحد لم يجده، انتابتنا نوبات عصبية، أصابنا الصرع بحركات هستيرية أقرب للجنون واللاإرادة، عشقنا الموت وتمنيائه بلا منال ودون فائدة للوصول إليه لنتراح من عذاب ما بعده عذاب، أجسادنا أنهكت وهوت واستلقت على غير قوة كانت، الغاز بدأ يخف، بدأنا نتفقد أحوال بعضنا، كان القسم يعج بعشرات السجناء، كنت أتقن اللغة العربية وأعمل في لجنة الحوار في سجن نفحة، نهضنا بثقل وصعوبة، وعيوننا تقدح شرار من كثرة الغضب، وإذا بمدير السجن في القسم، قلت له: أنتم أناس نازيون، حينها شعرت ببعض الراحة المعنوية وأنا أنغص عليه نشوة الانتصار الميداني، لما تحمل هذه الكلمة من معاني وتأثير على كل يهودي، عدت وتوضأت، وفي الركوع من الصلاة تقيأت سواداً ساماً بطعم مر أراحني قذفه من معدتي ورتتاي، حدث تكرار مئات المرات ولربما بأكثر صعوبة على الأسرى منذ بدء الحركة الوطنية الأسيرة.

وتعاملت أجهزة الأمن الإسرائيلية مع الأسرى والأسيرات معاملة غير مسبوقة مع أي شعب ومحتل، كانت المخططات وأشكال الانتقام شيطانية، بعيدة كل البعد عن الحس الإنساني، غير أبهة بالخصوصيات والمحرمات والممنوعات التي أكدت عليها المواثيق والاتفاقيات والقانون الدولي الإنساني بحق المرضى والأطفال والأسيرات (371).

(371) على سبيل المثال لا الحصر عبر الأسير المحرر الدكتور طلال محمد خلف الذي اعتقل في العام 1971م، وأفرج عنه في العام 1989م، عن تجربته بالقول: « فور وصولي لسجن غزة المركزي بدأ التعذيب، حيث أمروني بالقوة بخلع جميع ملابسي الخارجية والداخلية، وأصبحت عار تماماً - حيث درجة الحرارة في هذا الوقت من العام تقرب من الصفر ليلاً - ثم قاموا بضربي على جميع أجسام جسدي وأنا دون ثياب، وبعد ساعتين من الضرب المتواصل تم وضعي تحت رشاش (دش الحمام) ماء بارد لمدة ساعتين إضافيتين ثم بدأوا بالضرب من جديد، وهكذا لمدة 12 ساعة متواصلة، دون طعام ولا شراب وعدم السماح لي بقضاء حاجتي (دخول الحمام للتبول أو التبرز)، حينما وجدوا مني صلابة وقوة تحمل نقلوني لسجن المجدل، حيث كان التعذيب يتنوع بين الضرب والشبح وأنا عار تماماً دون أية ملابس، وحوال أحد المحققين بالإعتداء جنسياً عليّ وأنا معلقاً من يدي حيث كان بيده عصا يضربها على المناطق الجنسية وعند محاولة الاعتداء الجنسي استعنت بالله وركلته بقدمي وأنا معلق، فهرب من أمامي مما دفعهم لنقلي للسجن الحربي في صرند وذلك فقط بعد أربعة أيام من إيداعي سجن المجدل.



ومرت الأسيرات الفلسطينيات بظروف اعتقال مأساوية دون مراعاة لأي خصوصية، قصص أقرب للخيال من الواقع (372)، في طريقة الاعتقال، والعزل، ومحاولات الإجهاض للحوامل منهن في التحقيق، والتعذيب النفسي والجسدي، وعزل الأسيرات الفلسطينيات مع الأسيرات الجنائيات اليهوديات بسجن نفي تريتسا بالرملة (373).

## ثانياً - وسائل الاحتلال لتفريغ الأسير من محتواه الثقافي:

### 1. الحصار الثقافي، والتهديد بالعودة لبدائيات الاعتقال الأولى:

تبنت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية اتجاه الأسرى استراتيجية تتلخص بتقويض قدراتهم وإخراجهم عبئاً على مجتمعاتهم، وتفننت هذه تلك الإدارة بالإشتراك مع المخابرات بابتكار أشبح الأساليب لتنفيذ هذه الخطة (374).

وبدأت بفرض الحصار الثقافي بحق المعتقلين الأوائل، وبدأت بمنع الدفتر والقلم والكتاب، واستتنت «إدارة السجون» من ممنوعاتها الكتب التي تنسجم وتتوافق مع توجهات التفريغ، واستفادت إدارة السجون في هذا المجال من الخبراء والمختصين في العلوم السياسية وعلم النفس والاجتماع، وأحضرتهم إلى بعض المعتقلات لإلقاء محاضرات وإدارة حوارات، الهدف منها التشكيك في كل ما يتعلق بالشعب الفلسطيني، من تقاليد وثقافة وانتماء (375).

وحاولت إدارة السجون عبر أكثر من وسيلة أن تجعل الثقافة الإسرائيلية نافذة الاطلاع الوحيدة للأسرى، كعملية تشويش وترويض وعي الأسرى، كتهيئة لاختراقه، ولتثبيت مفاهيم تحمل في طياتها إمكانية زرع الشك في منطلقات الثورة وزعزعة يقينية الفلسطيني في عقيدته، وبهدف المس بتماسك التكوين النفسي لديهم، ولكن الأسرى بما يمتلكون من قناعات وثقافات وما تسلحوا به من عوامل ذاتية ومكتسبة تتمثل في النزوع الفطري لرفض الثقافات القاهرة والمسمومة جعلتهم يتحصنون بالثقافة الوطنية عبر الجلسات التنظيمية والتثقيفية، وجعلتهم

(372) كفضة الأسيرة المحررة فاطمة الرق التي اعتقلت في العام 2007 وكشفت إصرار السجن الإسرائيلي على إجهاضها من خلال الدواء والعلاج غير معروف، والطلب بإجراء الفحص الذي رفضته خوفاً من مخطط لقتل جنينها وبناء محاولات لهم العديدة بالفشل، وهزمتهم إرادتها الفلسطينية، وأثناء الولادة رفضوا أن يكونوا أهلها بقرها، وكان الاحتلال قد قيدها خلال الولادة بالسلاسل من القدمين واليدين لثلاثة أيام متواصلة، وبعد معاناة فكوا قيودها وكانت في مستشفى «مانير يكفار سابا» حيث كانت تشعر بأنها في ساحة حرب، وكانت الطبيبة الإسرائيلية العنصرية تصرخ في وجهها «أنت إرهابية وستلدى إرهابياً» (373) الأسيرة المحررة وفاء البس في العام 2007 وصفت تجربتها بالقول: وضعوني في سجن الجنائيات الإسرائيليات، كن سمنيات بلا حياة، تعتمد الواحدة فيهن الخروج بهيئة أقرب للتعري بقصد إيذاء مشاعري، لو احتاجت إحداهن سيجارة تجدتها تحاول الانتحار بجرح وريدها، وما أكثر ما كن يسهرن حتى الفجر يرقصن على أغاني «الديسكو» الصاخبة، والقنوات الإباحية التي يشيب لقلوبها التي كنت أغمض عيني لأريحهما دون أن أغفو أبداً، فان فعلت فقد يغدرن بي ويقتلنني في أي لحظة، وقد سمعت اثنتين منهن يتفقن على قتلي بكابل التلفاز، ولولا أن قمت بشراصة واعديت على الأولى فارتدعت الأخرى لأصبحت وقتها في عداد الأموات، ولأجل ذلك تم نقلي لعزل انفرادي آخر () .

وتجربة اعتقال الأسيرة المحررة عطايا عيلان، فأثناء الاعتقال في العام 1993 عزلها السجناء مع الجنائيات في عزل الجملة الذي وصفته بالأخلاقى، حيث كن السجنيات اليهوديات «المومسات» يمررن أمامها وهي تصلى، وهن عرايا، عدا عن تعاطيهن المخدرات وهددنها بالقتل وتبين أن إحدى السجنيات التي تم وضعها معها في نفس الزنزانة مصابة بمرض «الايذز»، وجدران الزنزانة كانت مليئة برسومات وكلمات نابية لا تمت بقيم الانسانية بصلة، الأسيرة عيلان برفقة الأسيرة إيمان نافع في السنة الثالثة لسجنهما قامت بمحاولة جريئة لقتل إحدى السجنيات وأحكمن على خنقها حتى ظنن أنها فارقت الحياة، لكن تبين بعد مدهمة الزنزانة من قوات السجن أنها لا زالت على قيد الحياة فحكمت الأسيرة عيلان على هذه المحاولة لمدة عشر سنوات إضافية، ليبلغ حكمها 14 عام.

(374) المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية: مرجع سابق، ص9.

(375) حسن عبد الله: الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص27.



أكثر اعتزازاً بتراثهم ومنطلقاتهم الوطنية، ورفضهم لتلك السياسات والنفور منها<sup>(376)</sup>.

وعلى صعيد الأسيرات فقد عانت السجينات في سجن نفى تريتسا نهاية السبعينيات من قلة الكتب، ومنعت إدارة السجون الثقافية الوطنية، وقد عوقبت الأسيرة روضة بصير لأنها ضربت مثلاً في درس اللغة الانجليزية «أنا فلسطينية»، وتبرر إدارة السجون عدم إدخال الكتب للسجون بالإدعاء أنها «لا سامية»<sup>(377)</sup>، ولكن لم تخضع الأسيرات لمثل تلك الإجراءات وفي آذار/ مارس 1987م كافحن من أجل الفصل بينهن وبين السجينات الجنائيات «وتوج هذا الكفاح بنجاح»، ومن أجل تحسين الطعام، والحصول على الصحف والكتب بانتظام<sup>(378)</sup>.

وكان شعار الأسرى في سبيل اقتناء الكتاب منذ البدايات «سنكافح بشتى الوسائل المشروعة وحتى غير المشروعة من أجل الحصول على الكتاب الجيد، إننا مستعدون لأن نفقد ضحايا في سبيل الكتاب»<sup>(379)</sup>.

وهذا ما حصل، فلقد أقدم الأسرى في السجون على خوض شتى الخطوات النضالية حتى استطاعوا الحصول على الكتب من الصليب الأحمر الدولي، وعبر الزيارات من الأهالي، وكونوا المكتبات الخاصة والعامة في كل المجالات.

فأراد العدو أن يرى الندم والضياع والخنوع لدى الأسرى، ولكنه تفاجأ أن من وضعهم خلف القضبان قد أصبحوا أكثر وعياً وصلابة وتحدياً، مناضلون يعرفون ما هي قضيتهم، ولماذا يقاتلون، وكيف ينبغي عليهم مجابهة عدوهم، ولقد أصبحت القيادة السياسية العليا الإسرائيلية وجهاز المخابرات الإسرائيلي بخيبة أمل مريرة لأن برامجهم لم تثمر ولأنهم يرون أن أسرى المقاومة الفلسطينية هم أناس ذوو آفاق<sup>(380)</sup>.

وتستغل إدارة مصلحة السجون أي حالة من التوتر، أو الضعف، أو المتغير السياسي المناسب للانقضاض على منجزات الأسرى التي تحققت بدماء الشهداء، والخطوات النضالية الاستراتيجية والتكتيكية، السلمية منها والعنيفة، والتي تراكمت على مر الزمن طوبى بعد طوبى للحفاظ على كرامة الأسرى في السجون، وأهاليهم في الزيارات، وتوفير واقع اعتقالي منظم حوّل السجون إلى جامعات، وقوّض أهداف إدارة السجون بجعله مكاناً لليأس والإحباط وتحطيم المعنويات، فالمعتقلون حققوا الإنجازات بشكل تراكمي، خطوة بعد خطوة، ولو أخذنا «سيرير الأسير» كمثال ودققنا في المراحل التي مر بها إلى أن أصبح «سيريراً» لوجدنا أنه بدأ مسيرته المحزنة من البطانيات الرديئة العفنة الأربع، إضافة إلى حصيرة في العام 1997م، إلى دخول البساط المطاطي المضغوط بسمك نصف سم في العام 1970م، إلى الوسادة المصنوعة من ريش الدجاج في العام 1972م، إلى الفرشة المصنوعة من الإسفنج الرغوي بسمك 6 سم العام 1977م، إلى أن

(376) سلمان جاد الله: أدب المواجهة: مرجع سابق، ص 69.

(377) وليد الفاوم، فلسطينيات في سجن النساء الإسرائيلي، مرجع سابق، ص 32.

(378) فيلبتسيا لانغر: الغضب والأمل، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1993، ص 116.

(379) وليد الفاوم، لا بد للقيّد أن ينكسر، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1979، ص 147.

(380) عدنان جابر: مرجع سابق، ص 169.

تحول إلى سريير حديدي ذو طبقتين وملحقاته من فرشاة وبطانية ووسادة، المثل سالف الذكر، يمكن سحبه على كل شيء في تجربة المعتقلين من ثقافي واجتماعي وتمثيل اعتقالي، فما أنجز تم انتزاعه على مراحل، وفي إطار سياسة التكريم « الأخذ ثم المطالبة » ولم تحقق المسيرة قفزات في الهواء، فكل إنجاز مهما كان صغيراً احتاج إلى إضرابات وتضحيات<sup>(381)</sup>.

تسعى إدارة السجون جاهدة وباستمرار إلى إعادة الوضع الاعتقالي إلى الشكل الذي كان سائداً في بداية سنين الاعتقال الأولى<sup>(382)</sup>، من خلال نظرية اتبعها ولا زالت تعمل بها، ونجاحها وفشلها مرهون بمدى قوة الحركة الأسيرة والظروف العامة المحيطة بها، نظرية تقول: يجب إعادة السجنين إلى أول درجة في السلم، كلما وصل إلى نهايته، معركة محتدمة على مدار الساعة، وتعد دولة الاحتلال لهذه النظرية مقترحات القوانين في الكنيست الإسرائيلي من قبل وزراء وأعضاء، وجهاز قضائي مساند وغير محايد، ولجان تحقيق وقرارات، وفرق مواجهة، وجهاز إعلامي، وكلما تقدم الأسرى خطوات، بدأت الهجمة المسعورة بكل الطواقم كما حدث في بداية انتفاضة 2000م، وفي أعقاب أسر الجندي شاليط في العام 2007م، ومع انتفاضة القدس 2015م، للضغط على المعتقلين في معركة أوسع، لها أبعاد انتقامية وضغوطات تفاوضية في نفس الوقت.

## 2. التشويش الفكري وعرقلة إحياء المناسبات الوطنية:

استخدمت « إدارة السجون » العامل الثقافي والفكري مدخلاً للوصول إلى أهدافها، انطلاقاً من أن التشويه الثقافي والفكري يسهل ضرب الاعتقاد السياسي والبناء التنظيمي وأسس الحياة الاجتماعية<sup>(383)</sup>.

ومنذ البداية ضربت إدارة السجون حصاراً فكرياً محكماً على الأسرى، بمنع الصحف الفلسطينية والعربية، والسماح فقط بالصحف العبرية، وجعلتهم ينظرون من فوهة واحدة من خلال الإذاعات الإسرائيلية عبر مكبرات الصوت قبل امتلاك المذيع لجعل الرواية الصهيونية هي المصدر الرئيسي للمعلومة، وبعد تحقيق إنجاز التلفاز ثبتت القنوات العبرية، وتم النضال على القنوات العربية الإخبارية مرة كانت ترجح لصالح الأسرى، وأخرى لإدارة السجون.

لذا فأشد الأساليب خطورة على الأسرى هي سياسة الإفراغ الثقافي والفكري، من خلال ترويح كتب ثقافية فارغة المضمون داخل السجون، في محاولة لخلق ثقافة مشوهة بديلة تعمل على صياغة نفسية المعتقل وتطويعه وفق مضمونها، وخصص لتلك السياسة الخبراء والمختصين<sup>(384)</sup>.

إلا أن الأسرى استمروا في نضالاتهم من أجل ترسيخ وتثبيت ما تحقق، وانتزاع المزيد من

(381) حسن عبد الله: الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص 26.

(382) عبد الحق شحادة: مرجع سابق، ص 35.

(383) حسن عبد الله: الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص 27.

(384) عيسى قراقع: مرجع سابق، ص 19.

الحقوق، ونجحوا في التصدي لإجراءات إدارة السجون وتحسين أوضاعهم الثقافية وتوفير غالبية متطلبات العملية الثقافية، وأدخلوا مزيداً من الكتب، وأنشأوا مكتبات خاصة في كافة السجون، تحتوي على المئات من الكتب المطبوعة، والكراسات المتنوعة، التي دونها الأسرى أنفسهم، والتي كانت تشمل عناوين ومضامين متعددة، سياسية، دينية، ثقافية، تاريخية، أمنية، أدبية، وفنية، بالإضافة إلى تكوين المكتبات التنظيمية والعامّة<sup>(385)</sup>.

ولقد خرجت السجون الكثير من المناضلين الأشاوس والمقاومين الأشداء، الذين كانوا جنوداً للوطن ووقوداً للثورة، وعماداً أساسياً للثورة، كما خرجت القادة السياسيين الأفاضل<sup>(386)</sup>، الذين كانت لهم أدواراً كبيرة، ولافتة ومؤثرة، في قيادة الجماهير الفلسطينية، بالإضافة إلى مئات القادة من ذوي الخبرة والكفاءة، وبذا فقد شكلت السجون رافداً مهماً وأساسياً للثورة، وبناء الوطن والدولة، ولم يكن لكل هذا أن يتحقق لولا الإرادة والعزيمة، التي تحلى بها الأسرى، ولولا الخطوات النضالية التي خاضوها، والإضرابات عن الطعام، والتضحيات الجسام التي قدموها<sup>(387)</sup>.

وأكثر ما يثير غضب إدارة مصلحة السجون إحياء المناسبات الدينية والوطنية والفصائلية، وتعتقد في أعقاب تلك الاحتفالات أن كل ما قامت به لكسر إرادة الأسير، و تثيه عن أفكاره الثورية والوطنية والتراثية باء بالفشل، فرغم التعذيب والعزل والأحكام الردعية وسني الاعتقال التي وصلت عند البعض لأكثر من ثلاثين عاماً، والطواقم المختصة والأموال المخصصة لهذا الذراع الضارب للمعتقلين على الصعيد المادي والمعنوي، لم تفلح جميعها في ثني الأسرى عن معتقداتهم، وانتفاءاتهم وروحهم النضالية، فكانت تقوم بوضع السماعات العالية والتي تصدر أصوات مزعجة خلال بدء الاحتفالات في بعض الأقسام « كعزل الرملية »، وتقوم برش الغاز وضرب المعتقلين وقد يصل الأمر لإطلاق الرصاص الحي كما في المعتقلات، وتقوم بعزل القيادات، والعقاب بمصادرة الممتلكات والإنجازات في أعقاب الاحتفالات.

لم يصمت المعتقلون عن تلك الممارسات، ودارت مواجهات وصل الأمر للدخول في إضرابات مفتوحة عن الطعام، وغير ذلك من الأشكال النضالية من أجل حق المعتقلين بإحياء المناسبات الوطنية، وفي النهاية انتزع المعتقلون حقهم، وكانت الاحتفالات تتم رغم القمعات وأشكال الإضطهاد<sup>(388)</sup>.

### 3. الرقابة والتفتيشات ومصادرة الممتلكات:

استخدمت إدارة السجون الرقابة على الأسرى في كل تفاصيل حياتهم، بواسطة التكنولوجيا أو عبر السجان والمراقبين وفرق التفتيش، أو عبر العملاء الذين صنعتهم لهذه الغاية، بهدف السيطرة عليهم، ومصادرة إنتاجاتهم، وتطوير جهودهم، والحد من أنشطتهم، فقام الأسرى

(385) عبد الناصر فروانة؛ مرجع سابق، ص304 .

(386) أنظر ملحق نماذج سياسية تخرجت من السجون : ص291 .

(387) عبد الناصر فروانة؛ مرجع سابق، ص305 .

(388) عبد الله عواد؛ دولة مجدو، عمان، دار الجليل للنشر، 1992، ص68.

ضمن جهاز الرصد والأمن بمتابعة المهندسين الذين زرعتهم دولة الاحتلال لهذه المهمة وحاكمتهم، وعثروا مراراً على كاميرات للتجسس، وعدد من أجهزة التنصت في غرف الأسرى وفي الأقسام، للحصول على معلومات وأنشطة وتحركات، وحاربت إدارة السجون الأسرى بكل الأساليب والوسائل، بهدف عدم استقرارهم والتنغيص على حياتهم، وزيادة معاناتهم، والتسبب بإيذائهم جسدياً ونفسياً وتراكم تلك الآثار على عطايمهم وثقتهم بذواتهم، وعلى قدراتهم الرياضية والثقافية والذهنية حتى على شعورهم بالأمن، وفي مقدمة هذه الوسائل أجهزة التجسس والتنصت والتصوير والتشويش الضارة التي تسبب أضراراً واضحة على صحتهم « كالقلق، وقلّة النوم، والصداع وآلام الرأس وتسارع في ضربات القلب، إضافة إلى مشاكل في السمع، ووضعت لهم أجهزة للفحص بالإشعاع على بوابات السجون، والتي تصدر مستويات من الإشعاعات الأيونية الضارة المسببة للأمراض الخطيرة والخبيثة، والتي أثرت على صحتهم لكثرة تنقلهم من سجن إلى سجن وأثناء المحاكم والبوصطات.

وتقوم إدارة السجون بشكل مستمر بحملات التفتيش الواسعة ضد المعتقلين وخاصة الليلية منها، ويرى الأسرى أن حملات التفتيش المتكررة هدفها إذلال الأسرى وإثارة أجواء من الاستفزاز والإرهاب بين صفوفهم، ولم تقتصر سياسة التفتيشات على غرف المعتقلين، بل طبقت إدارة السجون سياسة التفتيش العاري للأسير داخل السجن وقد تم الاعتداء بالضرب على الأسرى الذين يرفضون خلع ملابسهم<sup>(389)</sup>.

ولقد كان للأسرى صولات وجولات، ومصادمات واشتباكات، ومشاجرات بالأيدي مع السجناء وفرق التفتيش بشكل فردي وجماعي لمواجهة تلك السياسة العنصرية، وتعرضوا نتيجة ذلك للضرب المبرح والعزل الانفرادي والعقوبة بالغرامات ومنع الزيارات والنقل من السجون<sup>(390)</sup>.

وفي أعقاب المواجهات والقمعات والأحداث في السجون، غالباً ما قامت إدارة السجون بمصادرة إبداعات الأسرى، فعبثت بممتلكاتهم الخاصة ورسائلهم من زوجاتهم وذويهم، وصورهم الخاصة، وبحثت عن القصصات والمذكرات وخواطر الأسرى، والكتب والمباحث الدراسية، وكتب اللغات وقواميس الترجمة، وكل ما يتعلق بالكتابة ومن إنتاجات وأدبيات، وصادرت أدوات الإبداع الفني والأدبي، حتى الأدوات التي وافقت مرغمة على دخولها للأسرى نتيجة الإضرابات المطالبية، كانت تعود وتصادرها في أول فرصة تسنح لها<sup>(391)</sup>.

في نهاية المبحث يعتقد الباحث أن هنالك عدد كبير من الوسائل والأساليب الأخرى، التي لا يمكن حصرها أو تناولها بالكامل، والتي مارستها إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية بهدف تفرغ الأسرى من محتوهم الثقافي والنضالي، بمشاركة أجهزة الأمن الإسرائيلية، ومراكز الدراسات والأبحاث، وخبراء الهندسة البشرية، وعدد من الحاقدين والمتطرفين من أعضاء الكنيست، ووزراء الحكومات المتعاقبة، والقضاة في المحاكم ممن رفضوا أي التماس ضد تلك الممارسات

(389) عيسى قراقح، المصدر السابق، ص164-163.

(390) أحمد أبو السعود: مرجع سابق، ص33.

(391) سامي الأخرس، كامل مسعود: مرجع سابق، ص66.

العنصرية، وغير قانونية، والمحرمة دولياً، والمخالفة لكل الإتفاقيات والمواثيق الدولية، وعلى رأسها اتفاقية جنيف الثالثة والرابعة، والقانون الدولي الإنساني.

ويرى أن الحالة الإبداعية في مواجهة السياسات الإسرائيلية ضدّهم هو سعة أفق الأسرى لمخططات أجهزة الأمن الإسرائيلي، وقناعتهم بمبادئهم الثورية وسلامة خطواتهم النضالية، ونقاء ثقافتهم الفكرية، والوحدة الوطنية التي تسلحوا بها، والعمل الجماعي والتخطيط السليم للخطوات النضالية بما يتلائم مع المتغير السياسي والمرحلة والظروف المحيطة محلياً وعربياً ودولياً، والمساندة والدعم الشعبي، والاستعداد للتضحية، جميعها عوامل قوة كانت لصالح الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة للوقوف أمام تلك المخططات لتفريغ الأسرى من إمكانياتهم ومصادر قوتهم.

## المبحث الثاني

# المسيرة الثقافية للحركة الأسيرة «البداية والتطور»

يعتقد الباحث أن القلم يمثل بندقية الأسير بعد الاعتقال، والورقة هي ساحة المعركة الاعتقالية على كل الجبهات، معركة إظهار المشاعر النبيلة مقابل ثقافة الحقد والكراهية وتحطيم القيمة الإنسانية، معركة العلم والمعرفة مقابل سياسة التجهيل والامية، معركة الأمل والتفاؤل مقابل سياسات التشاؤم والتئيس والإحباط، معركة الفرح والحرية مقابل واقع الحزن والقناتمة والقييد.

وكلما ضغط واقع الزمن على الأسير، وجد طريقته للهروب والتخلص مع ظبي الخيال، وللخيال قوة الهروب من حصار زمن الانتظار بزمن الانشغال، ولكن ليس كل تخيل هو ميكانيزم هروب من واقع بل أحياناً ما يكون التخيل ضرباً من الإبداع، أو أن يكون له طبيعة تخطيطية لما يمكن أن يؤدي إلى واقع، فيه صناعة للحدث اليومي على مستوى السجن والمستوى الاستراتيجي « كالدراسة والتثقف، والتعلم، وفي العمل التنظيمي، والتفاعل الوطني والاجتماعي مع السجناء، وممارسة الهواية من نحت في الصخر ورسم اللوحات الفنية، والنشاط الرياضي، وخوض معركة الإضراب المفتوح عن الطعام، كل ما سبق زمن لانشغال السجن، وإنشغال للوقت بعيداً عن الانتظار<sup>(392)</sup>.

وتعتبر الحياة الثقافية للأسرى الفلسطينيين داخل معتقلات الاحتلال من أهم معالم الحياة الاعتقالية، التي صاغتها الحركة الأسيرة منذ نشأتها، ولقد برزت حاجة الأسرى لبلورة جو ثقافي منذ بدايات تشكل نواة الحركة الأسيرة، من خلال ملء الفراغ الناجم عن اعتقالهم والاستفادة من الوقت، واهتمام الأسرى بنشر الوعي التنظيمي والتعبئة الفكرية بخاصة مع ارتفاع وتيرة النقاشات الفكرية والسياسية بين التيارات الفلسطينية المختلفة داخل السجن<sup>(393)</sup>.

في هذا المبحث سيتناول الباحث الأوضاع الثقافية، والأشكال والخطط والبرامج والوسائل، التي رسختها الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في مواجهة سياسة السجن التفرغية والتجهيلية.

(392) فايز أبو شمالة: السجن في الشعر الفلسطيني المعاصر، رام الله، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، 2003، ص242.  
(393) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: إبداعات انتصرت على القيد، المؤقر الأول، مرجع سابق، ص54.



## أولاً- طبيعة المعركة الثقافية في السجون:

الثقافة: هي المكونات الرمزية والمتعلمة مثل اللغة والدين والمعتقدات والعادات، وهي التي تميز الإنسان عن غيره من الكائنات الطبيعية<sup>(394)</sup>، وهي عملية إنسانية متعددة الأبعاد والممارسات ومكانها المجتمع، فهي تشق وجودها من تطوير معانٍ مشتركة ومن قدرة البشر على تفهم بعضهم البعض، وتعتبر اللغة هي أداة التعبير عنها<sup>(395)</sup>، والثقافة السياسية تمثل البيئة الثقافية للعمل السياسي<sup>(396)</sup>، والتي يكتسبها الإنسان من خلال عملية التنشئة الاجتماعية والسياسية التي تقوم بها الأسرة والمدرسة والجامعة والحزب والنقابة والمؤسسات الدينية<sup>(397)</sup>، وفي مبحثنا هذا سنجد أن الثقافة السياسية تجسدت بشكلها الواعي والواسع والمدرک والمخطط له لدى الأسرى أثناء الاعتقال وفي السجون، لوجود معركة ثقافية محتدمة في هذا الواقع بين طرفين، بين سجان يحبس كل ما يشير لأي معنى للحياة، ويسعى لقتل الإنسان الفلسطيني جسدياً ونفسياً ومعنوياً وثقافياً، وبين الأسرى الذين أدركوا مبكراً تلك المخططات فواجهوها بكل الوسائل الممكنة، فانصرفوا على جلاذيتهم بعد سجلات متواصلة، كان ضحية مسيرتها العشرات من الشهداء، ممن أرسوا دعائم الثبات والصمود، وحققوا العزة والكرامة لمن بعدهم من المعتقلين الذين انشغلوا بأوقاتهم وبناء ذواتهم لما بعد الحرية.

في هذه المعركة أدرك السجان الإسرائيلي قيمة ودور وأثر الإبداع في السجون، بوصفه مظهراً حضارياً وإنسانياً، ولأنه يرى الأسير الفلسطيني ويقدمه للعالم كإرهابي فارغ من الإنسانية والحضارة، وعدواً لهما، لذا لا يستطيع أن يسمح للأسير بالسلوك بما يخالف هذه الصورة التي أعدها له بدقة، وأينما أظهر الأسير سلوكاً أو تفكيراً أو إنتاجاً يخالف هذه الصورة، يبذل السجان قصارى جهده لإعادته قسراً لداخل إطار الصورة، صورة الإرهابي القاتل، كما أن السجان يعي أن الإبداع عامل قوة للأسير، وعامل تعزيز لصموده، وتعميق ثقته بنفسه، التي يسعى السجان ضمن برنامجه اليومي إلى تحطيمها<sup>(398)</sup>.

### في مقابل، صورتان للسجن لا تفارقان وجدان الأسرى:

1. ما يريده السجان وما يهدف إليه من إيقاع بالإنسان وتفريغها من محتواه ليمسي جثة بلا روح، تلك الصورة القائمة التي شكل أجزاءها الخوف والقلق واليأس والحزن والحرمان والاعتزاز، تلك الصورة الإحباطية المنفردة من الحياة، القائلة لهجتها.
2. ما يهدف إليه الإنسان في هذا المعركة، هو اجتياز هذا الامتحان الصعب الذي زج به مرغماً، ساعياً لاستثمار الوقت، وحشد طاقة الانتماء والوفاء ليحتمل مكونات الإحباط بل والخروج من الصورة القائمة إلى الصورة المشرقة باعثة الأمل والفخر والاعتزاز والثقة بالنفس، والإيمان بحتمية الانتصار وشروق شمس الحق مهما واجه من صعاب<sup>(399)</sup>.

.Mannheim,karl: Essayson the sociology of culture , london,routledge,1994,P: 14 (394)

Prus,Robert,Subcultural mosaic and intersubjective realities :An ethnographic research agenda pragmatizing social sciences , state university (395)  
of new York press , 1997 ,P 4

.Verba,Sidny,Gabriel Almond: the civic culture political attitudes and democracy in five nations , Princeton university press , 1963,P: 12 (396)

.Inglehart,Ronald: The silent revolution changing values and political styles among western publics , Princeton university press , 1977, p: 25 (397)

(398) سامي الأخرس، كامل مسعود: مرجع سابق، ص 68.

(399) فايز أبو شائلة: مرجع سابق، ص 137.



وفي أعقاب دراسة المفردات التي استخدمها الأسير الفلسطيني، مقابل المفردات التي استخدمها السجنان باتجاهه هنالك مفارقة حادة بينهما في معركة الثقافة والأخلاق، سجان لا يتحدث إلا بلغة عدوانية « يديك إلى أعلى، يديك إلى الخلف، لا تقاوم إلا قتلتك، سر أمامي، أدخل الزنزانة، أسكت، انت أسير، لا علاج، والكثير من المفردات الطافحة بالعدوانية واللاإنسانية »، مقابل لغة أسير « صباح الخير، كيف حالك، شكراً، من فضلك، وعشرات من هذه المفردات المتوهجة بالحياة العامرة بالإنسانية<sup>(400)</sup>.

## ثانياً- تطور الأوضاع الثقافية في السجون:

أدرك المعتقلون في وقت مبكر أن الاحتلال يستهدف ثقافتهم وتراثهم، فانكبوا على تعبئة أنفسهم ثقافياً وفكرياً، عن طريق القراءة الذاتية، والدورات التي كانت تشرف عليها الفصائل مجتمعة أو كل على حدة<sup>(401)</sup>، وتطورت الحالة الثقافية في السجون وممرت بأربع مراحل:

1. **مرحلة القمع الثقافي 1967 - 1972م:** كل شيء كان ممنوعاً في هذه المرحلة، الأوراق والأقلام والكتب كانت ممنوعة، ولم يكن للثقافة الفكرية مكان، وكل التفكير كان مركزاً على الدفاع عن النفس جسدياً ومعنوياً.
2. **مرحلة النضال والتمرد 1972 - 1980م:** في هذه المرحلة بدأ الأسرى يمسون بزمام المبادرة، بعد خطوات نضالية استراتيجية كالإضرابات الجماعية المفتوحة عن الطعام، كان أهم إنجاز فيها السماح بإدخال القرطاسيات والكتب بأنواعها، مما أحدث نمو ثقافي هائل.
3. **مرحلة الازدهار 1980 - 1992م:** مرحلة الانتصار وإقامة السلطة الثورية داخل المعتقلات، فكان الأسرى منظمين، ويمتلكون التجربة الطويلة، والحياة الثقافية والفكرية بلغت ذروتها، وانتصرت في هذه المرحلة إرادة الأسرى على إرادة القمع والحرمان والقتل.
4. **مرحلة التذبذب 1993 - 2015م:** بسبب اتفاقية أوسلو<sup>(402)</sup>، وما تلاها من اهتمامات للأسرى بالحرية، ودخول الانتفاضة والهجمة الشرسة على الأسرى في 2000م، واستغلال حالة الانقسام الفلسطيني في 2007م، ظهرت حالة من التذبذب على مستوى الحالة الثقافية.

(400) سلمان جاد الله: أدب المواجهة، مرجع سابق، ص64.

(401) المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية، مرجع سابق، ص21.

(402) المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية: مرجع سابق، ص17.

## ثالثاً- التحديات الثقافية وتنظيمها:

أدرك الأسرى أن (تحقيق الأهداف والقوة ولغة التقارب والتماسك) اقترنت بالمجتمع المثقف، لأن الثقافة والقوة مرتبطتان بشكل وثيق، فالثقافة هي التي تعطي القوة في الأفعال والسلوك<sup>(403)</sup>، وهي التي تساهم في تعبئة الأفراد نحو تحقيق الأهداف<sup>(404)</sup>، وهي التي توجد القواسم المشتركة التي تؤدي إلى قدرة البشر على تفهم بعضهم البعض ومن ثم تحقيق التفاهم والتقارب والتماسك<sup>(405)</sup>، ولقد أدرك المجتمع الاعتقالي ذلك الارتباط، فأولت التنظيمات الفلسطينية في السجون أهمية خاصة للنشاط الثقافي كأحد أهم التحديات التي يجب أن تكون منظمة أمام إدارة وطواقم ومؤسسات تستهدفهم على كل الصعد والاتجاهات، لذلك أجمعت كافة اللوائح الداخلية للتنظيمات الفلسطينية في السجون على أهداف المسيرة الثقافية<sup>(406)</sup>، على اعتبار أن هذا النشاط يشارك في دعم كافة النشاطات التنظيمية الأخرى للمعتقلين<sup>(407)</sup>.

## رابعاً- تطور المكتبة الاعتقالية وأنواعها:

كان الكتاب الثقافي أو السياسي أو الفكري، حلماً طالما راود تفكير وخيال المعتقلين الأوائل، وظل الكتاب كعنوان نضالي ملازماً لمراحل التجربة الاعتقالية، ولتعويض الكتب في التداول الثقافي، وفي كتابة التعاميم لجأ الأسرى في بدايات الاعتقال للكتابة على ورق الكرتون، وعلب السجائر وورق الصابون، ومحارم التواليت، وورق لَفُّ البرتقال، وورق علب اللَّبَن، وورق لَفُّ الزُّبْدَة بعد غسلها، وتجفيفها، واضطروا إلى الكتابة بخط صغير جداً، ومائل لتحتوي الورقة الصغيرة الكثير من المعلومات، التي كانوا يتبادلونها بين الغرف والأقسام<sup>(408)</sup>، ففي

.Johnston,Hank & Bert Klandermans , eds., social movement and culture , university of minneapolis , 1995, P: 31 (403)

.Ibid P:164 (404)

Prus,Robert,Subcultural mosaic and intersubjective realities :An ethnographic research agenda pragmatizing social sciences , state university (405) of new York press , 1997 ,P 4

(406) تمثلت أهداف البرامج الثقافية في السجون بالتالي: محو الأمية إذا وجدت، حيث يكلف كادر متعلم، أو أكثر بتدريس الأمي حتى يستطيع الاعتماد على نفسه، ومن الأسرى من دخل « أمي لا يعرف القراءة والكتابة » وخرج يحمل شهادات عليا أو على درجة عالية من الثقافة.

- محو الأمية السياسية، حيث يرتب لهذا الغرض البرامج الثقافية، آخذة بعين الاعتبار المستوى الثقافي للمعتقلين، وتتخصص في هذا المجال جلسات مصغرة للجدد، للتهوض بوعيهم السياسي عدا الجلسات العامة.
- تقوية الانتماء الوطني عبر الجلسات الخاصة بتاريخ القضية الفلسطينية، والحركة الصهيونية، وحركات التحرر العالمية، وجلسات لتقوية الانتماء الحزبي بما ينسجم مع أفكار كل فصيل.
- عقد جلسات التحليل السياسي في أعقاب متابعة آخر المستجدات على الساحة السياسية « الفلسطينية والعربية والدولية » وتخصيص جلسة أسبوعية لمناقشة أبرز القضايا، الأمر الذي يحفز المعتقلين على المواظبة اليومية على قراءة الصحف، والاستماع للشرائح الإخبارية، ولفس الغرض تعمم نشرات سياسية تصدرها اللجنة الثقافية.
- تشجيع الحلقات الدراسية بكافة أنواعها، والتركيز على التاريخ السياسي، والتاريخ الإسلامي، وشروط النهضة، وسنن الانتصارات، وظهور القوميات وتقلب الحضارات.
- تشجيع تعلم اللغات « كالعبرية، والانجليزية، والفرنسية، والألمانية، والأسبانية والروسية ».
- تشجيع إعداد البحوث والدراسات، وإعداد المسابقات، والمنافسة في أدب السجون بكافة أنواعه، وتدويره عبر المجلات التنظيمية العامة.
- عقد دورات التجويد والتلاوة، والتشجيع على حفظ القرآن الكريم، وقد حصل المجتازون لهذه الدورات، وحفظه القرآن الكريم على شهادات معترف فيها من وزارة الأوقاف والتربية والتعليم.
- دورات في مجالات أخرى: حيث كان يتم تنظيم دورات إختيارية في النحو، والخطابة، والقراء المحاضرات، وإدارة التنظيم، والقيادة، والأمن، والفقه، والسيرة، والتاريخ، وإدارة المشاريع، والإسعافات الأولية، والخط العربي وغيرها.

(407) جهاد البطش: مرجع سابق، ص 139.

(408) أحمد الريماوي: الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص 20.

البدايات سمح بقلم رصاص واحد لكل خمسين أسيراً لكتابة الرسائل لذويهم، ثم يسلمونه لإدارة السجن، وفي العام 1970م نجحوا في الحصول على دفتر من ثماني ورقات وقلم لكل معتقل<sup>(409)</sup>، وسمح للمعتقلين بإدخال الكتب عن طريق الصليب الأحمر وفق اشتراطات ومعايير، واحتجازها للرقابة والتمحيص لفترات طويلة قبل إدخالها للأسرى، للنظر في اسم الكتاب، مروراً بالمؤلف ووصولاً إلى المضمون<sup>(410)</sup>، وحصل المعتقلون في العام 1977م على فرصة أخرى من الكتب عندما أصدرت محكمة العدل العليا الإسرائيلية قراراً يقضي بالسماح بدخول الكتب إلى المعتقلات باستثناء 600 كتاب صنفتها إسرائيل بالممنوعة، وكان السماح بإدخالها بشكل مزاجي، وفي العام 1979م حقق الأسرى إنجازاً بإدخال كتاب كل شهر لكل أسير على أن لا يزيد ما بحوزته على ثمانية كتب<sup>(411)</sup>، وفي الثمانينيات تم إدخال الكتب عبر الصليب الأحمر والأهالي بشكل كبير ومتنوع، وأقيمت المكتبات العامة في السجون<sup>(412)</sup>.

قام عدد من الصحفيين والمؤسسات البحثية الإسرائيلية بعدد من الزيارات لمكتبات السجون للاطلاع على مضمون الكتب الأكثر اهتمام لدى الأسرى، وحركة المطالعة، ورقابة إدارة مصلحة السجون على الكتب، وشكل تعيين أمناء المكتبات، وخرجوا بنتيجة أن « المكتبة لدى الأسرى الأمنيين الفلسطينيين تحظى بمكانة مرموقة جداً، وأن قيادة الأسرى ترى فيها كمركزاً للتربية والتعليم في السجون »<sup>(413)</sup>، أما عن المكتبات في السجون فهي أربعة أنواع:

أ - **المكتبة الاعتقالية العامة:** وعادة تكون موجودة في معتقلات تجمعها مكتبة عامة، وجميع أقسامها يخرجون لساحة واحدة كسجن عسقلان المركزي، وتكون مزودة من قبل الصليب الأحمر ومن الأهالي عبر الزيارات، ويديرها المعتقلون بشكل جماعي ويعين لها أمين مكتبة عام، وبإمكان أي معتقل من أي فصيل الاستفادة منها ضمن نظام استعارة متفق عليه على عدد الكتب، وتقسيم نظام الأقسام، وأيام الاستعارة.

ب- **المكتبة الاعتقالية الداخلية:** وعادة تكون في قسم واحد من السجن، وتشارك فيها كل الفصائل، وتزود من قبل الصليب الأحمر بتوزيع النسخ المكررة على الأقسام، وذاتياً من قبل المعتقلين، أي بما يحصلون عليه من أهاليهم، ويوزع أمين المكتبة<sup>(414)</sup> كراس يحتوي عناوين الكتب على المعتقلين في كل قسم<sup>(415)</sup>.

(409) خالد الهندي: مرجع سابق، ص 27.

(410) حسن عبد الله: الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص 52.

(411) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص 179.

(412) يذكر الباحث قبيل الإفراج عنه في العام 2005 أن إدارة السجون سمحت للأسرى بإدخال كتاب شرط إخراج كتاب بدله يوم الزيارات، الأمر الذي انحصر مع المتغيرات السياسية، والقوانين التي سنتها إسرائيل للتطبيق على الأسرى في العام 2007، والتي كان إحداها منع الزيارات عن أسرى قطاع غزة في أعقاب أسر الجندي شاليط.

(413) نلغמה מא: ספריות האסירים הביזונוניים בישראל، מרכז הספר והספריות، 2015، <http://www.meidaat.org.il/articles-n-studies/is->، 011/may-11/sue

(414) شغل الباحث أثناء الاعتقال كأميناً لمكتبة قسم 11 بسجن نفعة، ويسمح للأسير باستعارة ثلاث كتب لمدة أسبوع وتبديلها أو تجديدها، ضمن أرشيف وترقيم تم تصنيفه للتعرف على الكتب والمؤلفين وتصنيف الكتاب لسهولة الحصول عليه واعادته في مكانه، وكان هنالك اقبال شديد على الدراسة وخاصة ممن تخصصوا بالبحوث وإعداد الدراسات من الأسرى، واعتاد الأسرى على الحفاظ على الكتب وخاصة التي تدخل عبر الأهالي بعد انتزاع جلدتها الخارجية بحجج أمنية، فقاموا بتجليدها بالكرتون والغراء وقطع القماش وورق البرستول الملون وكتابة أسمائها بخط جميل خوفاً من التلف

(415) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص 180.

ج- المكتبة الفصائلية الخاصة: قد تكون في مكتبة القسم فيما لو حُسم القسم لفصيل معين، أو لفصائل قريبة من بعضها « كقسم الجماعة الإسلامية، أو قسم اليسار، أو قسم كامل لحركة فتح »، وفي حال اختلاط الأقسام بالفصائل المتنوعة يتم اقتناء تلك المكتبات على رفوف الغرف الخاصة، وعادة تحوي هذه المكتبات الكتب والدراسات والنشرات والمجلات الفكرية الحزبية، والتي تتناول البرامج والأفكار والمبادئ واللوائح الخاصة بكل تنظيم، ويتم إدخالها عبر الأهالي، ويدويًا من إنتاجات ودراسات الأسرى المنسوخة بخط اليد.

د- المكتبة الشخصية: كثير من الأسرى من لازمهم الكتاب معظم أوقات اعتقالهم، فكان رفيق حياتهم أينما حلوا، وكانت لهم اهتمامات خاصة غير متوفرة في المكتبات العامة والتنظيمية، فافتنوا مكتبات خاصة تلبي رغباتهم وميول ثقافتهم عبر الزيارات « كالقواميس الخاصة باللغات، والكتب الفكرية، وعلوم الإدارة والقيادة »، ومن اهتموا بمواصلة دراستهم الأكاديمية، أو من عكفوا على إعداد الدراسات والأبحاث الخاصة، وأذكر أن الأسير الشهيد نعمان طحانية من السيلة الحارثية - جنين كان يحمل في تنقلاته حقيبة ملابس، وحقيقتين من الكتب الفكرية والمنوعة، وعلى شاكلته المئات من الأسرى.

موقع الكتروني عبري يحمل اسم « دليل المكتبات » أجرى تحقيقاً صحفياً عن مكتبات الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية وتطرق لصفات أمين المكتبة الفلسطيني الأسير بالقول « ضمت المكتبة في السجون ما بين 800 إلى 3000 كتاب، وقد يصل العدد إلى 7000 كتاب معظمها عربية، وبها كتب عبرية وإنجليزية، عند اختيار أمين المكتبة من قبل السجناء الأمنيين الفلسطينيين، يؤخذ بعين الاعتبار أن يكون حاصلاً على شهادة جامعية، وصاحب تجربة في مرافق العمل داخل السجون، وأن يتحلى بالرزانة والعقلانية والهدوء، وأن تكون معاملته مهذبة مع الأسرى، وأن يكون مشجعاً للأسرى على القراءة، وأن يكون على علاقة مستقرة مع السجن حتى لا يكون سبباً للتوتر، وأن يكون قادراً على اختيار الكتاب للأسرى وفق أعمارهم ومستوياتهم الثقافية حتى لا يصاب البعض بالإحباط من بعض الكتب ذات الصياغة العالية، وأي أمين مكتبة لا يتحلى بهذه الصفات يتم فصله من عمله »<sup>(416)</sup>.

## خامساً- الوسائل الثقافية:

### 1. الجلسات:

يعتقد الباحث أن الجلسات في السجون والمعتقلات الإسرائيلية بمثابة الباروميتر لقياس قوة الحركة الأسيرة، والأوضاع الداخلية للفصائل الفلسطينية، ومدى اهتمام المعتقلين كأشخاص بذواتهم، فأينما تواجدت الجلسات الثقافية، والتعليمية، والإدارية، والأمنية، على صعيد السجن، والتنظيم، والأسرى بشكل تطوعي، تواجدت بمعيتها الصلابة، والعافية، والقوة التنظيمية، والعكس صحيح.

قضى المعتقلون الفلسطينيون الكثير من وقتهم اليومي في الجلسات الثقافية، فقد كانت جلسة الصباح تعتبر بمثابة جلسة تنظيمية تبدأ بالقسم ولذلك كان حضورها إجباري لجميع أبناء التنظيم بغض النظر عن مراتبهم التنظيمية أو وعيهم، أما جلسات المساء فكانت للنشاطات العلمية فهي اختيارية حسب تسجيل المعتقل لأي نشاط معين<sup>(417)</sup>، وتنقسم الجلسات إلى ثلاثة أقسام:

أ - **جلسات اعتقالية عامة:** غالباً ما تكون ثقافية وطنية تُعنى بالقضايا الفلسطينية العامة، وتعرف بالمناسبات التاريخية « كالنكبة والنكسة والتقسيم ويوم الأسير والانتفاضات الفلسطينية والانسقام ووثيقة للوفاق»، وممكن أن تتناول المستجدات على صعيد الوضع الفلسطيني، والأحداث المحلية والعربية والدولية ذات الانعكاس على القضية الفلسطينية، وممكن أن تعالج قضايا اعتقالية، وأمنية، وإدارية عامة تتفق عليها اللجنة الثقافية العامة المفرزة عن اللجنة النضالية العامة في المعتقل.

ب - **جلسات تنظيمية:** وهي الجلسات التي يقوم بها الفصيل بشكل داخلي، وغالباً ما تعنى بمبادئ الفصيل ومفاهيمه وشعاراته وتصوراته لخطوات العمل، ويقوم المثقفون فضائلياً أو قادة التنظيم بشرح طروحات فصيلهم وتبريرها خاصة للمعتقلين الجدد الذين لم ترسخ لديهم بعد مثل هذه الأمور<sup>(418)</sup>، هذا بالإضافة لقضايا التحليل السياسي والاهتمامات الثقافية الأخرى التي تحدد معالمها اللجنة الثقافية للفصيل وفق الحاجة والمستجدات.

ج- **جلسات تطوعية فردية:** هذا نوع من الجلسات يعكف على ترتيبها أشخاص معينون ببعض المواد الثقافية، كتعليم اللغات، واللغة العربية، وأحكام القرآن وغير ذلك، وغالباً ما تكون بأعداد قليلة ومحدودة، وغير تنظيمية، وغير إلزامية بموادها وأوقاتها، وقد يكون المعلم فيها من فصيل، والمتلقى من فصيل آخر، وفق الحاجة التعليمية والرغبة الثقافية للأفراد.

### أهمية الجلسات:

- عبرت الجلسات تعبيراً حياً وحقيقياً عن الصورة المشرفة داخل المعتقلات.
- اعتماد التثقيف داخل المعتقلات من مقومات العمل النضالي.
- صهر النضالات الفردية والجماعية في بوتقة واحدة لخدمة الإطار والفصيل التنظيمي الذي ينتمي إليه المعتقل.
- محاولة جادة لخلق حالة من التكيف والانسجام مع الواقع الاعتقالي من خلال خطوات تكتيكية واستراتيجية بإشغال المعتقل في العمل الثقافي.

(417) جهاد البطش: مرجع سابق، ص145.

(418) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص173.

- تأطير العنصر-المعتقل- بما ينسجم مع المواقف السياسية والنضالية الوطنية.
- عملت الجلسات التنظيمية والتثقيفية داخل المعتقل والسجن على التعبير عن الرؤية التنظيمية بكل تفصيلاتها للمحافظة على وحدة الصف والموقف والرؤية السياسية.
- الاقتناع بأن جميع الفصائل التنظيمية الفلسطينية متميزة ورائدة من حيث العطاء والعمل وحين الانتقال من مرحلة القرار إلى مراحل التنفيذ والعمل.
- خلق حالة من التوجه لدى المعتقل بأن مرحلة الأسر هي محطة نضالية من محطات العمل النضالي.
- عملت على تهيئة الشخص للدفاع عن ذاته المناضلة وعملها البناء وصقلها على اعتبار أن الصراع مع العدو داخل المعتقل صراع عقول وليس صراع عضلات.
- شحن النفوس للمواجهة الدائمة مع السجناء<sup>(419)</sup>.

## 2. المطالعة الذاتية:

اهتم الأسرى بشكل كبير بالمطالعة مع دخول الكتاب السجن، وتنوع الكتاب في المكتبات، هذا التنوع الذي أشبع ميول واهتمامات آلاف الأسرى ممن دخلوا السجن، وأبحروا في مكتباتها وتخصصوا في علومها، ولقد شجعت الحركة الأسيرة القراءة الذاتية، فخصصت في كثير من السجن ساعة هدوء يومية للقراءة الذاتية، ومن الأسرى من استطاع أن يقرأ كتاباً أو روايةً في يوم واحد.

وبهذا صار الكتاب في حياة المعتقل الفلسطيني زاداً ثقافياً يومياً، لتسود القراءة والنقاش وتلخيصات الكتب والتعليق عليها في المجلات الاعتقالية والجلسات والحوارات الثنائية والجماعية، إلى أن ترسخت قاعدة عادة القراءة في المعتقلات، وأصبح المؤلف، أن يلازم الكتاب المناضل المعتقل معظم ساعات يومه<sup>(420)</sup>.

## 3. المجلات:

أطلق بعض الكتاب على المجلات الاعتقالية مصطلح « الصحافة الاعتقالية » كون المجلات في السجن تقوم بدور الصحافة، ولها رئيس ولجنة تحرير ورقابة، ولقد صدرت «المجلات» في السجن بشكل منتظم أو متقطع، وتكتب بخط اليد، وعلى دفاتر يتم قصها وترتيبها لتأخذ أشكالاً جميلة، وتصدر بلوحات فنية من نتاجات فنانيين معتقلين، ودرجت العادة أن تتضمن المجلات الاعتقالية، زوايا سياسية وتنظيمية وتربوية وأدبية واجتماعية ونضالية<sup>(421)</sup>.

(419) إدريس جرادات: مرجع سابق، ص13.

(420) حسن عبد الله: الصحافة العربية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص53.

(421) المصدر نفسه، ص59.

ولقد أسهمت مجموعة من العوامل في التأسيس للصحافة الاعتقالية « المجلات »<sup>(422)</sup> وبلورتها، منها: توافر الخبرات لدى المعتقلين، فقد أفرزت التجربة كفاءات ثقافية وفكرية وإبداعية وأفرزت أيضاً تخصصات، في السياسة والثقافة والفكر والاقتصاد... الخ، وفرة المواد السياسية والتنظيمية والثقافية المهربة من الفصائل في الخارج إلى المعتقلين معلومات أغنت الكتابة الصحفية ووضعت الكتاب في صورة ما يجري في الخارج<sup>(423)</sup>.

وعاماً بعد عام، بعد نضالات كلفت الأسرى الشهداء والمعاناة، والسماح باقتناء الأقلام الملونة والأوراق المسطرة والرسم، والألوان بأنواع متعددة زيتية ومائية وخشبية وغيرها، والسماح بالدبسات والصبغ، والقرطاسيات، ومع تقدم الخبرة عدد من الكتاب، والمفكرين والإعلاميين، وبرز على فترات، الصحافيين، والشعراء، والروائيين، والرسامين، فأبدعوا إبداعات رائعة تعالج قضايا الوطن على هذا الصعيد<sup>(424)</sup>.

وتطورت في المعتقلات مجالات تنظيمية مختلفة تعنى بمختلف النواحي الثقافية، والتطورات السياسية، والمبادئ الحزبية والفصائلية، وقد عمد المعتقلون إلى تطويرها من أجل التعبير عن مواقفهم وتصوراتهم وعن الأبعاد والأسس التي كانت تحكمها، وكذلك من أجل صياغة تحليلات سياسية أو اقتصادية لم تتطرق الجلسات إليها أو طرقتها بدون تفصيل أو دون الأخذ بمختلف وجهات النظر<sup>(425)</sup>.

وفي إحدى الحملات البوليسية وقعت مجلة في يد ضابط في معتقل عسقلان، وكانت المجلة المذكورة مقصودة بشكل جميل ومكتوبة بعناية فائقة، وعناوينها بارزة، ورسم أحد فناني المعتقل أسفل كل مقالة لوحة منسجمة مع مضمونها، عندما استعرض الضابط المجلة « صفر» وقال مستغرباً، يا إلهي، إنهم يخبئون هنا مطبعة<sup>(426)</sup>، دلالة على دقة التصميم والتنسيق، وجمال الخط، وإرفاق الصور، والكاريكاتور، وتنوع المقالات في المجالات، واستطاع الأسرى إدخال الطابعة اليدوية في عسقلان ونفحة في العام 1984م، وتعلم عدد من الأسرى على يد زملائهم الذين كانوا يجيدون استخدامها قبل الاعتقال، ولكن إدارة مصلحة السجون صادرتها في منتصف العام 1985م في أعقاب رفض الأسرى الوقوف على العدد<sup>(427)</sup>، ويمكن تقسيم المجلات إلى قسمين:

**أ- المجلات الاعتقالية العامة:** والتي كانت بمشاركة الكل الاعتقالي في السجن أو المعظم منه، وتكون تحت إشراف اللجنة الثقافية المنبثقة عن اللجنة النضالية العامة في السجن، ولقد برز من هذه المجلات، مجلة (عسقلان الثورة)، وكان أول عدد منها من سبع ورقات من ورق

(422) ذكرت شهادات الأسرى أن الأسير فاضل يونس، كان من رواد الحركة الأدبية في السجون، وكان أول من اخترع «مجلة السجن»، وذلك في العام 1971، حيث لم يكن لدى المعتقلين أوراق أو أقلام، ولكن فاضل يونس، كان يلجأ إلى الأوراق الملقوفة على غلب اللبن، ينظفها ويلصقها على الحائط، ليعمل منها مجلة متواضعة، وهذه المجلة المتواضعة بشكلها وموادها، كانت عنصر إثارة وتشويق، وكسرت الرقود والروتين اليومي في حياة المعتقلين. وفتحت عيونهم على الجانب الثقافي الذي كان شبه مهمل قبل صدورها.

(423) المصدر نفسه، ص 60.

(424) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: إبداعات انتصرت على القيد، وقائع المؤتمر السنوي الثالث، مرجع سابق، ص 67.

(425) محمد لطفى ياسين: مرجع سابق، ص 104.

(426) المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية: مرجع سابق، ص 22.

(427) هشام عبد الرزاق: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 28/9/2015.



اللبن، وهي نسخة لكل مردوان، ولقد وصلت تطورات المجلة إلى ذروتها عام 1984م عندما كانت تصدر في أكثر من أربعين صفحة<sup>(428)</sup>.

ومجلة «نفحة الثورة» بعد العام 1980م في سجن نفحة، وجرى الاتفاق وطنياً على إصدارها صحيفة لتعبر عن الكل الوطني، وتنتهج في تحريرها نهج منظمة التحرير الفلسطينية<sup>(429)</sup>، ومجلة «الجماعة الإسلامية» في العام 1982م الصادرة عن الفصائل الإسلامية<sup>(430)</sup>.

**ب- المجلات التنظيمية الخاصة:** هي مجلات تصدر عن التنظيمات بشكل حزبي، وتتناول القضايا والتفسيرات والتعقيبات والتحليلات للقضايا من منظور وأفكار ومبادئ الفصيل الذي يرفع المجلة، وتكون تحت إشراف اللجنة الثقافية له، ولكنها شبيهة من حيث التقسيم والتصميم والتلوين وعوامل الجذب للأسرى<sup>(431)</sup>.

إن إصدار المجلات الاعتقالية، يمثل أحد العلامات المهمة في تجربة المعتقلين الفلسطينيين، ولا يمكن لأي دارس لهذه التجربة إلا أن يتوقف ويتأمل ملياً هذا الإبداع الصحافي الذي طالما أدهش بل وصدم السجان، وأشغل أوقات المعتقلين المهتمين بعمل منتج مفيد شكل إحدى العلامات المضيئة في تجربة الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة<sup>(432)</sup>.

#### 4. الفنون:

تجشم الأسرى كجماعة منظمة أخضعت لشروط حرمان رهيب الكد المضني، وبذلوا جهوداً جبارة في محيطهم المادي، واستنبطوا منه الوسائل التي تساعدهم على التعبير عن أحاسيسهم وأفكارهم، وتحويلها إلى خطوط تشكل المادة المختارة لتغدو قطعة فنية تتجلى فيها القدرة الإبداعية الطالعة من أتون الحرمان النفسي والاجتماعي<sup>(433)</sup>، فامتاز المعتقلون في كل السجون بالأشغال اليدوية التي تسمح ظروفهم بانتاجها، والتي تتحكم في ذلك عوامل البيئة وطبيعة المكان إضافة إلى العامل الزمني، كغيرها من المظاهر الثقافية فقد كان إبداع المعتقلين يزيد مع الزيادة التي تطرأ على تطور النشاط الثقافي بشكل عام<sup>(434)</sup>، فالذي عاش التجربة الاعتقالية، لا بد وأن يتذكر أولئك الفنانين الرائعين، مجموعة كسرت بأقلام مهرة وبقطع من القماش انتزعت من ملابس المعتقلين الخاصة، كسرت أقفال الأبواب الحديدية الثقيلة وحلقت في عالم الإبداع، وأكدت أن الحرية هي معرفة بالضرورة، وأن الفنان بمقدوره أن يكون طليقاً حراً يرفرف بجناحيه الإبداعيين حتى لو أدمى القيد معصميه<sup>(435)</sup>.

(428) جهاد البطش: مرجع سابق، ص 141.

(429) سلمان جاد الله: المواجهة والاحتراف، مرجع سابق، ص 2 ص 67.

(430) كانت برئاسة تحرير الموجه الثقافي، والذي شغل عضو مجلس الشورى العام المنتخب، وبرز عدد من الكتاب في هذه المجلة كالأسيّر «زهير الرنتيسي، وعبد الله الرزق، ومصباح الصوري، ومحمد أبو طير، وعبد الحليم شهاب.

(431) عرف من هذه المجلات «العاصفة» وفتح الثورة، الهدف، وراية الشعب، وإلى الأمام، والنضال «لحركة فتح»، والثبات، والرباط، واللواء، والباسين والهدف» لحركة حماس، «والفرسان، والمجاهد، والأمين» «لحركة الجهاد الإسلامي»، ونداء الوطن، والهدف، والطريق نفحة، والشعلة «للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»، وعدد كبير من المجلات للفصائل الفلسطينية الأخرى.

وتعددت المجلات لتصبح من 40 صفحة أقل أو أكثر، وأصبح يمتلك الفصيل أكثر من مجلة، ووصل الحد بأحد الفصائل إلى إصدار خمس مجلات شهرياً، كل منها تخصصت في مجال معين، وأصبح لكل فصيل منابر خاصة تعبر عن خطه السياسي ومنظومته الفكرية.

(432) حسن عبد الله: الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص 61.

(433) سلمان جاد الله: أدب المواجهة، مرجع سابق، ص 140.

(434) جهاد البطش: مرجع سابق، ص 148.

(435) المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية: مرجع سابق، ص 22.

كما مارس المعتقلون الفلسطينيون مهارة الرسم التي ابتدأت من الرسم على جدران الزنزانة انتهاءً بالرسم الملون على المناديل والمتتبع لهذه الرسوم يجد أنها تتعلق بعدة مواضيع أهمها المرأة، وأسوار القدس وقبة الصخرة<sup>(436)</sup>، والقضبان الحديدية، وكانت نجاعة وطبيعة الألوان من أهم السمات التي يمكن أن نربطها بعامل الزمن ابتداءً من بداية السبعينات<sup>(437)</sup>، حيث إن المعتقلين حصلوا على مواد الرسم خاصة الألوان والمناديل أثناء وضعها في مطالبهم في الإضرابات عن الطعام<sup>(438)</sup>.

واتخذ الإبداع خلف القضبان أمهاتاً عديدة<sup>(439)</sup>، منها صناعة المراكب ذات الأشعة، ومجسمات قبة الصخرة، ومزهريات الزهور، والبراويز، وأعمال التطريز، وتجليد الدفاتر بالمطرزات للمذكرات والتي صنعت من (الغراء والكرتون المقوى وخيوط الحرير وعبوات معجون الأسنان، وقد بدأ الأسرى الفلسطينيون يمارسون هذه الأمط الإبداعية منذ منتصف السبعينات<sup>(440)</sup>، وتطورت مع السماح للمعتقلين بإدخال أو شراء أدوات صناعة التحف عبر الأهالي ومن الكانتين<sup>(441)</sup>، كما أن إبداعات الحركة الوطنية الأسيرة التي جلبت الانتباه وحازت على الإعجاب، وأهديت إلى القائد الأممي الرئيس الكوي فيدل كاسترو<sup>(442)</sup>

في نهاية المبحث يرى الباحث أن الأسرى تميزوا بعشقهم للجمال، كما عشقهم للوطن الذين ضحوا بزهرات شبابهم لتحريره، وأنهم حملوا قلباً وحباً كفيلاً بقلب العالم إلى واحة حب وسلام، وأنهم اهتموا في سجنهم بكل ما هو جميل، ويعوض واقع الحرمان والجمود الذي فرضته إدارة السجون عليهم برسومات الزهور والطيور والرموز المعبرة عن الحب والحرية والحياة.

لقد استطاعت الحركة الوطنية الأسيرة من خلال مسيرتها الثقافية أن تخرج الكثير من المناضلين الأشاوس والمقاومين الأبطال، الذين كانوا جنوداً للوطن، ووقوداً للثورة، وخرجت القادة السياسيين، الأفاضل الذين كانت لهم أدوار كبيرة ولافتة ومؤثرة في قيادة الجماهير الفلسطينية، بالإضافة إلى مئات القادة من ذوي الخبرة والكفاءة، وبذا فقد شكلت السجون رافداً مهماً وأساسياً للثورة، وبناء الوطن والدولة، ولم يكن لكل هذا أن يتحقق لولا الإرادة والعزيمة التي تحلى بها الأسرى، والخطوات النضالية التي خاضوها، والإضرابات عن الطعام والتضحيات الجسام التي قدموها<sup>(443)</sup>.

(436) أنظر ملحق تحف وفنون خرجت من السجون: ص 293.

(437) اشتهر معتقلو سجن بئر السبع بالأعمال الفنية في وقت مبكر عن بقية السجون نظراً للخبرة التي اكتسبها من مرافق العمل في السجن والتي افتتحت فور افتتاح السجن، وكذلك استخدام المركز اليهودي للفنون للمعتقلين في العمل كأيدي عاملة في عمل أشكال خشبية وطلائها لصالح المركز (I)، على أن العامل الأهم هو توفر مواد نشاط الأشغال اليدوية - حسب طبيعة المنطقة ففي سجن بئر السبع توفر الحرير والحجر الذي كان يأخذه المعتقلون من ساحة الفسحة، وخشب النجارة.

(438) جهاد البطش: مرجع سابق، ص 149.

(439) نحت الأسرى عجم الزيتون ولونوه بالأصفر والبني بعد أن أوجدوا هذه الألوان من إذابة بعض أقراص الدواء بالماء والزيت، كما صنعوا عقد الزينة من الخرز، وحفروا على عجم (الأفوكاتو)، كما حفروا على غلب (الدمينو) (I)، وقد امتاز المعتقلون في الحفر على حجارة الصخر الصغيرة في تعبيرات لزوجاتهم وأطفالهم، وقد كانت تحفة « العالم لنا » المحفورة على الرخام للفنان الأسير « على النجار ».

(440) سامي الأخرس، كامل مسعود: مرجع سابق، ص 68.

(441) جدير بالذكر أن للباحث تجربة في هذا المجال، إذ أنه تعلم « الخط الكوفي » في العام 1992 وأقنعه، ورغم انشغاله الدائم بالثقافة والمطالعة، وتعلم اللغات، والتعليم الجامعي، إلا أنه كان عنواناً للأسرى أينما حل في السجون لكتابة أول آية من سورة الإسراء على « مجسم قبة الصخرة » ورسم عشرات بل مئات البطاقات التي زينت بالورود والعصافير، كبطاقات معايدة للأهليات والزوجات في يوم الأم والأعياد.

(442) سلمان جاد الله: أدب المواجهة، مرجع سابق، ص 144.

(443) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص 305.

## المبحث الثالث أدب السجون (الخصائص والسمات)

الأدب أحد أشكال التعبير الإنساني عن مجمل عواطف و أفكار و خواطر و هواجس الإنسان بأرقى الأساليب الكتابية التي تتنوع من النثر، إلى النثر المنظوم، إلى الشعر الموزون، لتفتح للإنسان أبواب القدرة للتعبير عما لا يمكن أن يعبر عنه بأسلوب آخر<sup>(444)</sup>.

وأدب السجون والمعتقلات في فلسطين جزء لا يتجزأ من الأدب العربي، الذي يتطلع للحرية، وهو من أصدق أنواع الكتابة، سواء كان ذلك على مستوى النثر أو على مستوى الشعر، واختلفت التسميات حول النتاج الأدبي في باستيلات العدو، فذهب البعض لتسميته "بأدب الحرية"، أو «بالأدب الاعتقالي»، وحرص آخرون على صبغه بمفاهيم إيديولوجية، فأطلقوا عليه «الأدب الأسير»، وذهب آخرون إلى تسميته «بأدب السجون»، ولكن الجميع مجمعون على أنه يندرج تحت عنوان: «الأدب الفلسطيني المقاوم»<sup>(445)</sup>.

وأدب السجون لم يكتب في الصالونات المكيفة، أو في الحياة المرفهة والبساتين التي تصدح في سمائها الطيور المغردة، بل كتب في أجواء من الأمل والأمل، وفي ظل المعاناة والصبر والتأمل داخل محرقة العدو<sup>(446)</sup>، بين الجدران، ومن خلف القضبان، وثمره فرق بين من يكتبون في الصالونات ومن يكتبون في المعتقلات، ففي الحالة الأولى يأتي أدبهم عادياً، أما في الحالة الثانية، فيضئ أدبهم بإشراقات جمالية، تضيء حياة روحية متوقّدة، حيث أن المعاناة والألم مصدران وحاضنة دافئة للعطاء والإبداع، المشع على طريق الحق والخير والجمال، حيث تتفجر الطاقات الإبداعية من خلال ممارسات القمع اليومية للسجان في أقبية السجون، التي شكلت تربة خصبة لتفتّح هذا الإبداع<sup>(447)</sup>.

في هذا المبحث سيتطرق الكاتب لأدب السجون وتفصيلاته، نشأته وعوامل ظهوره، وظروفه ومميزاته، وسماته الجمالية، وأبرز التجارب الأدبية، والكتابات الإبداعية من الشعر والنثر والرواية والقصة والخطبة والمسرحية والرسالة.

### أولاً، تعريف أدب السجون:

يعتقد الباحث أن أدب السجون جزء لا يتجزأ من الأدب العربي، والأدب الوطني، وأدب المقاومة، والأدب الفلسطيني، وأن الأديب الأسير يحمل صفات الأديب بالمعنى والمضمون، وللإيضاح أكثر وجد من الأهمية مكان التطرق لتلك التعريفات بالقليل من التفصيل:

(444) موقع أدب المعرفة: <http://www.marefa.org/index.php/%D8%A3%D8%AF%D8%A8>

(445) أحمد الرهاوي: مرجع سابق، ص 20.

(446) محمد عوض: نسمات من خلف القضبان، غزة، فلسطين، الكلمة للنشر والتوزيع، 2015، ص 8.

(447) أحمد الرهاوي: مرجع سابق، ص 27.

• **الأدب:** "هو ما عبر عن معنى من معاني الحياة بأسلوب جميل، أو هو الكلام الذي ينقل إلى السامع أو القارئ والإنفعالات النفسية، التي يشعر بها المتكلم أو المنتج" وهو العلم الذي يضم أصول فن الكتابة النثرية والشعرية المتأثرة بالعاطفة والمؤثرة في العاطفة. والأدب فكرة وأسلوب، مضمون وشكل، فهو فكرة من واقع المجتمع أو من أحلامه، وهو أسلوب فيه براعة وجاذبية ورشاقة وموسيقى، فيتكون من ذلك كله أدب أمة وأدب شعب<sup>(448)</sup>.

• **الأدب العربي القديم:** هو الأدب الذي نشأ في الأرض العربية منذ ما قبل الإسلام، ويرجع الأدب العربي إلى قرنين قبل البعثة المحمدية، وبالتحديد إلى ما بعد القرن الرابع الميلادي.

• **الأدب العربي الحديث:** هو أدب حركة التجديد والإحياء التي دعيت بعصر النهضة منذ القرن الثامن عشر، ونشأ نتيجة الأحداث السياسية أدب وطني للدفاع عن الدول العربية، وأدب قومي يدعو إلى توحيد النضال لطرد المستعمر<sup>(449)</sup>.

• **الأديب:** هو الكاتب المتفرغ للكتابة الأدبية، والمتمكن في لغته، وعلوم اللغة جميعاً، والمثقف ثقافة واسعة في تاريخ أدبه، وتاريخ آداب كثير من الأمم، ولاسيما المشهور منها، والمطلع على المذاهب الفكرية والمدراس الأدبية، وكلمة الأديب واسعة تشمل الشعر والنثر، كما تشمل الدراسات الأدبية والنقدية، وهي أوسع من كلمة روائي، أو مسرحي، أو شاعر، وليس بسهولة للمطالع والقارئ أن يحظى بهذه الصفة، ما لم يثبت أهلية وجدارة وجراً في الكتابة، وحسن إنتاج، والأديب متخصص أحياناً في مجال أدبي معين، وقد يتسع به الأفق فيكتب في كل مجال<sup>(450)</sup>.

• **الأدب الوطني:** هو الذي يشمل كل جنس أدبي، من شعر أو نثر أو خطابة أو مقالة، ويرصد منازع الشعب العربي ضمن هذا النطاق، ويصور مشاعره ومطامحه، وآماله، وآلامه، وهو المعبر عن قضايا الشعب الذي يقطن قطراً معيناً، ويطلق الأدب القومي على كل ما يتصل بالوطن العربي الكبير، وظهور الأدب الوطني سبب الاحساس بآلام الوطن، والغيرة عما يعتريه من أمراض وتفكك وتقصير<sup>(451)</sup>، ويرى الباحث أن أدب المقاومة في زمن الاستعمار يأتي في سياق مفهوم الأدب الوطني والأدب القومي الحديث سعياً للحرية.

• **الأدب العربي المعاصر في فلسطين:** هو تراث فكري ثمين وثروة فنية ضخمة، وحلقة في سلسلة الأدب العربي المعاصر، وعلى الرغم من أهمية هذا الأدب وسمو قيمته الفنية

(448) الدكتور محمد التونسي: المعجم المفصل في الأدب، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1999، ص.48.

(449) المصدر نفسه، ص.59.

(450) المصدر نفسه، ص.73.

(451) الدكتور محمد التونسي: مرجع سابق، ص.73.

لم تتجه إليه عناية الدارسين من مؤرخي الأدب، ونقاده والمتخصصين في الدراسات الأدبية، ويرجع ذلك إلى ظروف فلسطين قبل الكارثة وبعد حدوثها حيث حالت تلك الظروف دون تسليط الأضواء على أدبها بفنونه المتعددة وألوانه المختلفة<sup>(452)</sup>.

• **أدب المقاومة:** هو الأدب الداعي للحرية والتخلص من العبودية، « فعلى مدى الأجيال كان الأدب أكثر الفنون التصاقاً بالثورات، وأقواها جميعاً في التعبير عنها، وما من ثورة عرفها التاريخ إلا كان الأدب هو الممهّد لها، بالخطبة والقصيدة، وبالمقال والقصة والرواية وما إليها، ثم كان بعد قيامها هو الداعي لها والناشر لمبادئها، والمدافع عنها ضد مناهضات الخصوم والأعداء، فإذا استقر أمرها كان الأدب هو الراصد لمسيرتها، والمسجل لخطواتها، والمعبر باستمرار عن تأييد المجتمع لها أو سخطه عليها »<sup>(453)</sup>.

• **أدب السجون:** يرى الأدباء والنقاد أن أدب السجون<sup>(454)</sup>، هو الذي يكتبه الأسرى في المعتقلات، ويستوفي الحد الأدنى من الشروط، وما يكتب عن السجون والأسرى خارج السجن من غير الأسرى أو من المحرّرين لا يُعدّ أدب سجون، ويمكن تسميته « أدب عن السجون »<sup>(455)</sup>، هنالك الكثير من الأدباء ممن اجتهدوا في تعريف " أدب السجون " <sup>(456)</sup>، وجميعها متشابهة في مضمونها وأصولها، ومختلفة قليلاً على الحدود والمساحات، والأجناس والتصنيفات.

(452) د. كامل السوافري: الأدب العربي المعاصر في فلسطين، القاهرة، دار المعارف، 1979، ص7.

(453) عبد الصبور مرزوق: أدب ثورة 1919، القاهرة، رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم لنيل درجة الدكتوراه في الآداب، كلية العلوم، قسم الدراسات الأدبية، جامعة القاهرة، 1970، ص1.

(454) تعريف رئيس اتحاد الكتاب الفلسطينيين الأديب والروائي إبراهيم الزنت « المعروف بغريب عسقلاني، والأديب والناقد والمحاضر في الجامعة الإسلامية د.عبد الخالق العف.

(455) الأديب والروائي الأسير المحرر شعبان حسونة تطرق في مقابلة أجراها معه الباحث لثلاث مدارس في تعريف أدب السجون، الأول: هو ما يكتب في الأسر ويهتم بقضايا السجن، وهنا يتم استثناء الأدب العاطفي والبوليسي وغيره من الأنواع التي تكتب في الأسر.

الثاني: هو كل ما يكتب في الأسر، وهنا يتم استثناء ما كتب عن الأسر من غير الأسرى كرواية شرق المتوسط لعبد الرحمن منيف وغيره.

الثالث: هو كل ما يكتب عن السجون وكل ما يكتب بأقلام الأسرى ويهمل حسونة إلى هذا التعريف على أن يستوفي الشروط في كتابة الرواية، والقصة، والقصة القصيرة، والقصة القصيرة جداً، والشعر العمودي، وشعر التفعيلة، والشعر المنثور، واختلف المختصون بشمل الخاطرة، والرسالة، والمغال في هذا الإطار.

الدكتور الشاعر الأسير المحرر فايز أبو شمالة اعتبر أن أدب السجون هو كل ما له علاقة بالوجدان والعاطفة الإنسانية والتعبير عن ذلك فنياً، وهذا يشمل القصة والرواية والشعر والخطبة والأغنية والعمل المسرحي، ويتكون من شقين، شق يتعلق بالسجناء أنفسهم، وما كتبوه هم من داخل غرف السجن، وما نطقوه أثناء وجودهم في السجن وحتى بعد خروجهم منه، فالتجربة قائمة، وتنعكس في التعبير لسنوات طويلة الأمد، وشق يتعلق بما عبر عنه الأدباء خارج السجن، ولاسيما أولئك الذين تغيلوا حياة السجن، واستمعوا لها، وعاشوا بوجدانهم تجربة السجناء، وراحوا يعبرون عنها بصياغتهم الخاصة، وأسلوبهم القادر على تصور حياة السجن، والتعبير عنها بشكل فني.

الأديب والروائي الأسير المحرر وليد الهودلي عرّف أدب السجون في مقابلة أجراها معه الباحث « بما يكتبه الأسرى في داخل الأسر، أو ما كتبه الأسرى من مذكرات بعد التحرر، أو ما كتب عنهم وعن السجون من غيرهم، في مجالات الرواية، والقصة، والشعر، والمسرحية، والخطبة، وألوان الأدب الأخرى، ولا يشمل أدب السجون إنتاجات الأسرى من الدراسات والأبحاث والكتب في مجالات من غير الإنتاج الأدبي.

الكتاب الأسير المحرر سلمان جاد الله عرّف أدب السجون في مقابلة أجراها معه الباحث « بالذي يكتبه الأسرى داخل السجون، ويشمل الرواية، والقصة، والشعر، والمسرحية، والزجل، وحتى اللوحات الفنية، وأدب السجون لا يشمل المقالات السياسية والتاريخ، ويمكن أن يطلق عليها أدبيات الفصائل. الأديب الأسير المحرر الدكتور خضر محجز عرّف الإنتاج الأدبي في مقابلة أجراها معه « ما يكتبه الأسرى خلال اعتقالهم، حتى لو لم يكن عن السجن، وأدب السجون هو كل إنتاج لغوي كتب في السجون، واتخذ الأسلوب الجميل وسيلة لإصلاص محتوى ما، كالشعر والقصة والرواية والمسرحية والنقد الأدبي، والخطبة الأدبية ».

(456) أنظر ملحق بعض انتاجات الأسرى من أدب السجون: ص295.

واستناداً لكل ما سبق من تعريفات يرى الباحث أن أدب السجون في فلسطين هو أدب مقاومة، وهو جزء من الأدب العربي المعاصر في فلسطين، والأدب الوطني والقومي، والأدب العربي والعالمى الحديث، لما يحمل من مميزات وخصائص، وحس إنساني وعاطفي، ورقة مشاعر وأحاسيس ومصداقية، وقدرة على التعبير والتأثير، وهو كل ما كتبه الأسرى داخل الاعتقال وليس خارجه، بشرط أن يكون من أجناس الأدب كالرواية والقصة والشعر والنثر والخاطرة والمسرحية والرسالة، ويفرق الباحث بين " أدب السجون " المستوفي للشروط الأدبية، وبين « أدبيات وإنتاجات الأسرى الأخرى » التي كتبها داخل الاعتقال، كالدراسات السياسية، والأبحاث التاريخية والأمنية والفكرية، والكتب في مجالات متنوعة، والترجمات من الصحف الإسرائيلية وغير ذلك من المجالات غير الأدبية.

فيشكل موضوع اعتقال المناضل ونقله من حياة الحرية إلى حياة السجن، مجرد انتقال بالمكان بالنسبة للمعتقل السياسي، وهو يحرص دائماً أن يجعل من قضية اعتقاله ووجوده في السجن مناسبة لطرح قضيته الأكبر والأساسية التي آمن بها واعتقل من أجلها، وفي مختلف التجارب التي مرنا بها في أدب السجون نجد على الدوام بأن المعتقلين السياسيين يشكلون لجنة هدفها إيجاد مختلف الوسائل للاتصال بالعالم الخارجي لكي تطرح عليه قضية اعتقالهم<sup>(457)</sup>.

والمشترك لكل الشهادات والمذكرات والأعمال الأدبية التي خرجت من السجون للأسرى السياسيين بشكل عام هو التصوير الحي والمكثف لصمود الإنسان الأعزل إلا من قناعاته في وجه آلة القمع وأساليب البطش، وتصوير شكل الصراع القائم بين الجلاد في مواجهة المناضل، السياط والكهرباء في مواجهة العقيدة والايمان، محاولات الإذلال والتركيح في مواجهة محاولات التصدي والصمود، الفرد في مواجهة السلطة.

إن كافة وسائل التعذيب الجسدي والنفسي التي يستخدمها الجلاد أو المحقق تستهدف كسر إرادة المناضل، وفي المقابل فإن المناضل يريد أن يحافظ على شيء واحد هو استمرار قدرته على المقاومة، وبذلك يرى الباحث أن أدب السجون يندرج تحت إطار أدب المقاومة في التعريف والمضمون<sup>(458)</sup>.

ولقد أمدنا التاريخ العربي بذاكرة خصبة أثراها عشرات بل مئات الشعراء الذين أسروا، وكتبوا قصائدهم في غياهب السجون<sup>(459)</sup>، كما يجدر التنويه أن أدب السجون ليس حكراً على الفلسطينيين والعرب فقط، بل هناك آخرون كتبوا داخل الاعتقال<sup>(460)</sup>، ولعل أشهرهم الروائي الروسي فيدور دوستوفسكي الذي كتب في العام 1962م كتاب « ذكريات من منزل الأموات »

(457) نزيه أبو نضال: أدب السجون، بيروت، لبنان، دار الحداثة، 1981، ص199.

(458) نزيه أبو نضال: مرجع سابق، ص199.

(459) كافي فراس الحمداني، والمنتبى، وناظم الغزالي(٠)، وعبد الرحمن منيف ورواياته المشهورة عن السجون « شرق المتوسط » و« الآن هنا »، ويحيى الشيخ صالح في أدب السجون، والمنافى في فترة الاحتلال الفرنسي، وشعر السجون لسام معروف المعوش، ورواية خطوط في الليل لمحمد الحسناوي وآخرين.

(460) كالشاعر التركي ناظم حكمت، وشاعر تشيلي العظيم بابلو نيرودا، والروائي الروسي ديستوفسكي في روايته « منزل الأموات » وآخرون كثر ممن كانوا تحت الاحتلال واعتقلوا.



بعد تجربة اعتقالية لأربع سنوات خاضها في سجن « أومسك بسبييريا »، وبعد خروجه من السجن قال « لطالما باركت القدر الذي وهب لي أن أعاني هذه التجربة التي كان لها فضل كبير علي<sup>(461)</sup> »، وأمثلة أخرى.

## ثانياً- العوامل التي ساعدت في ظهور أدب السجون الفلسطيني:

وصف أ. د. صادق أبو سليمان<sup>(462)</sup> « أدب السجون » بما يصوغه الكاتب الأسير في السجن وهو يحيا في مكان بئس لا يوفّر لساكنه إلا أبسط المتطلّبات التي تحفظ له حياته، والذي يخرج من محبّسين: محبس السجن، ومحبس معاناة الأديب الذي ينسج التجربة الأدبية كلمات وجمالاً وصوراً بديعة مفعمة بحيوية الانفعال، وصدق التجربة والمشاعر؛ والأديب الأسير الذي ينهل من مصدر المعاناة في سبيل الحرية<sup>(463)</sup>.

و«أدب السجن» فرض نفسه كظاهرة أدبية في الأدب الفلسطيني الحديث، وبرز قبل احتلال الخامس من حزيران/ يونيو 1967م، فالشعراء الفلسطينيون الكبار محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد<sup>(464)</sup>، أثّروا الساحة الأدبية بهذا الأدب المقاوم، ولعل أبرز سماته تتمثل في التمسُّك بالأرض، والتغني بالحرية، وحب الوطن، والالتزام والصدق المقاوم، الذي تجلّى في نصوصهم، فأطلق عليهم: رواد شعراء المقاومة الفلسطينية، الذي اتسم بالبعد العربي والبعد العالمي كقصيدة: «الثوار ينشدون»، لراشد حسين، و«أنا عبد» لفوزي الأسمر، موجهة لشعب إفريقيا، ولسميح القاسم عدة قصائد عن باتريس لومومبا، وإفريقيا، وزنوج أميركا، ومقطع اسمه بطاقات إلى ميادين المعركة، وهي سلسلة من القصائد القصيرة موجهة إلى المغني الزنجي بول روبنسون، وفيدل كاسترو، وكريستوف غبانيا، وثوار الفيتكونغ، ولعل أبرزها قصيدة محمود درويش «عن الأمنيات»<sup>(465)</sup>.

## وهناك عدة عوامل ساعدت على الكتابة الأدبية لدى الأسرى وأهمها:

1. دخول الكتب الأدبية للسجون في العام 1972م، وتوافرها في نهاية السبعينيات، والتي مثلت العصر الذهبي للأسرى على الصعيد الثقافي بشكل عام، والطفرة الأدبية الاعتقالية بالشكل الخاص، «في هذه المرحلة ازدهرت القراءات الأدبية لتشمل طيفاً واسعاً من الأدباء على مستوى العام، ابتداءً من غسان كنفاني واميل حبيبي في مجال الرواية، مروراً بنجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وطه حسين والطيب صالح، وانتقاله تولستوي، وديستوفيسكي وتورجنيف ومكسيم جوركي، وكتاب الأدب السوفيتي اللاحقين، والعودة إلى شكسبير وتشارلز ديكنز وفيكنتوهوجو في أوروبا، والانطلاق نحو الأدب الأمريكي خصوصاً أدب جون جون شتاينبك، وارنست همنجواي، وكتاب آخرين من قوميات

(461) نزيه أبو نضال: مرجع سابق، ص 199.

(462) أستاذ علوم اللغة العربية، جامعة الأزهر بغزة، عضو مجمع اللغة العربية بالمراسلة بالقاهرة

(463) مركز الأسرى للدراسات: <http://alasila.ps/ar//index.php?act=post&id=2773>

(464) جميل السلحوت: مرجع سابق، ص 9.

(465) أحمد الريماوي: مرجع سابق، ص 8.



2. وتجارب وأجناس مختلفة في مجال الرواية والقصة والشعر والمسرح، والتي شكلت جامعاً ممتعاً ومصدراً غزيراً للمعارف والاستمتاع<sup>(466)</sup>».

3. تنامي قوة الحركة الوطنية الأسيرة، وتطور أساليب الإسناد الجماهيري لها، ما أدى إلى لجم شراسة القمع الجسدي والفكري، وخفف من حدة القهر الممارس ضد الأسرى.

4. التلغز واضطرار إدارة السجن إلى السماح بإدخاله في غرف السجن، ما أتاح للمعتقلين الاطلاع على العالم الخارجي من خلال الاطلاع على بعض البرامج الأدبية والفنية في الفضائيات العربية التي سمحت بها إدارة مصلحة السجون، ثم عادت ومنعت بعضها ضمن سياسة التضييق.

5. دور المجلات والنشرات والصحف التي كان يصدرها المعتقلون، واهتمامهم بنشر النصوص الأدبية والقصائد الشعرية في مجلات أدبية خاصة « كصدى نفحة، والسمود الأدبي.

6. نشر أعمال بعض المعتقلين خارج أسوار السجن بعد تهريبها بطرق مختلفة<sup>(467)</sup>.

ويرى الباحث أن تطلع الأسير للحرية، وملء الوقت بالاهتمامات الثقافية وخاصة الأدبية، التي تحمل الأسير نحو الأفق الواسع والممتد بلا نهايات، وتحلق بروحه نحو الفضاءات الرحبة، والخيالات اللامحدودة، والتي تمثل تحدياً لمشروع السجن الساعي لحصر جسده وروحه في أمتار بل سنتيمترات معدودة ليبقى معتقل الظروف والسياسات والإحساس بالمعاناة والعذابات، كانت عوامل معنوية للعيش في كنف الحياة وصناعتها من لا شيء، ولا يمكن استبعاد عامل التحفيز والتشجيع والمنافسة من قبل المؤسسات الفلسطينية والعربية والدولية بقضايا الأسرى، وأهمها جائزة الحرية السنوية التي تعلن عنها هيئة شؤون الأسرى والمحررين في مجال « الرواية والقصة والفيلم والبوستر والأغنية »، والتي شجعت الأسرى على المشاركة فيها، في ظل سهولة التواصل مع الخارج مع تهريب الهواتف النقالة التي سهلت تصوير ونقل أدبيات الأسرى لكل مكان، ولعل من أبرز الاهتمامات والأجناس الأدبية التي اهتم بها الأسرى في السجن:

## 1. المجلات الأدبية:

اهتم الأسرى بأدب السجن، وشجعوا الكتاب والأدباء من خلال إنشاء عدد من المجلات الأدبية، إضافة إلى المجلات الثقافية العامة كنفحة الثورة التي خصصت صفحات أو ملاحق أدبية، ومن أبرز المجلات الأدبية:

(466) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: ابداعات انتصرت على القيد، المؤتمر الأول، مرجع سابق، ص 43.

(467) سلمان جاد الله: أدب المواجهة، مرجع سابق، ص 113.

- **الصمود الأدبي:** والتي صدرت في سجن عسقلان في العام 1986م<sup>(468)</sup>.
- **صدي نفحة:** والتي صدرت في سجن نفحة في العام 1989م، كنشرة أدبية (469).
- **مجلة «الهدف الأدبي»:** في معتقل عسقلان، والتي صدرت عام 1981م (470).
- **مجلة «إبداع نفحة»:** والتي صدرت عن اللجنة الثقافية الوطنية في معتقل نفحة<sup>(471)</sup>.
- **مجلة «النهضة»:** حطمت قمقم الفتوية التنظيمية، وخرجت بثوب وطني عام بدءاً بهيئة تحريرها، مروراً بموادها وانتهاءً بتوزيعها والإقبال على قراءتها، والتي عكست الأبعاد الحقيقية للتغيرات الكيفية التي أصبح عليها العامل الذاتي في أوساط المعتقلين والتي انسجمت بدرجة نضجها مع نضج العامل الموضوعي دائم الحضور<sup>(472)</sup>.
- وعمل الأسرى بشكل جدي في الثمانينيات من القرن العشرين، على تهريب نتاجهم الأدبي خارج الأسر، واهتمت الصحف والمجلات الفلسطينية والعربية والعالمية، بنشر نتاجهم، وكان من أهم الصحف والمجلات التي نشرت أعمالهم الإبداعية: البيادر الأدبي، والشراع، والكتاب، والفجر الأدبي. كما عملت دور النشر والمؤسسات الثقافية والحزبية على نشر إبداعات المعتقلين في كتب<sup>(473)</sup>.

## 2. شعر الأسرى:

الشعر فن يعتمد الصورة، والصوت، والجرس، والإيقاع، ليوحي باحساسات وخواطر، وأشياء لا يمكن تركيزها في أفكار واضحة للتعبير عنها في النثر المألوف والمعروف، والموهبة الشعرية ملكة ذاتية، وبذرة تنمو داخل الشخصية المتميزة عاطفياً أو عقلياً<sup>(474)</sup>، ويشكل شعر الأسرى الفلسطينيين، أنموذجاً هاماً من نماذج شعر المقاومة، وذلك لأن معظم أدباء فلسطين وشعرائهم سواء من داخل الأراضي المحتلة في العام 1948م، أم من الأراضي المحتلة في العام 1967م، دخلوا السجون والمعتقلات الإسرائيلية<sup>(475)</sup>، ويتميز شعر المعتقلات بكونه مقاوماً، جاء من أتون معركة ضارية بين الأسرى وبين إدارة قمع السجون بأجهزتها المختلفة، إزاء ذلك انبرى الشعراء ممن نضجت قرائحهم، وتفجرت مواهبهم الشعرية، ليقفوا في مقدمة المجابهة؛ ليعبروا عما يختلج في نفوسهم من ألم وحزن وأسى.

وعليه فإننا لسنا أمام شعر باكِ شاكِ ضعيف حزين، يرسل الدمع مدراراً، وليس شعراً

(468) وأسستها وأشرف عليها الأسرى « سلمان جاد الله، رياض حلس، وشاركهما محمد التلول » وقد أثار ردود فعل جيدة، وترصعت صفحاتها بكتابات الشهيد عمر القاسم وملاحظاته النقدية.

(469) كان من أبرز من شاركوا في تحريرها بالإضافة إلى مؤسسها الأسيرين « معاذ الحنفي، وفايز أبو شمالة.

(470) أشرف على تحريرها كل من: منصور ثابت، وعبد الحميد الشطلي، ومحمود عفانة.

(471) أشرف على تحريرها كل من: فايز أبو شمالة، وسلمان جاد الله، ومعاذ الحنفي، ومحمود الغرابوي.

(472) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: إبداعات انتصرت على القيد، المؤتمر الأول، جامعة القدس - أبو ديس، فلسطين - القدس، (2012)، ص.66.

(473) أحمد الرهاوي: مرجع سابق، ص.20.

(474) جبور عبد النور: المعجم الأدبي، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، 2005، ص.148.

(475) مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد السادس عشر، العدد الأول، غزة، 2008، ص.4.

صاحبًا يواجه واقعه بالصرخ، بل نحن أمام شعر مقاوم ملتزم، ولعل أبرز ما يلحظ في هذا الشعر وحدته الموضوعية؛ إذ تتلاحم قصائد الشعراء الأسرى تلاحمًا عضويًا، كونه انطلق من ظروف واحدة، وهدفه واحد، ويمتاز أيضاً بكثرة استخدام الرمزية، كوسيلة ناجعة تختصر المسافات للوصول إلى المعنى العميق في نمط موجز موح، فإن هناك حاجة أمنية لهذا الشعر؛ لأن القصيدة الصريحة تعدّ جرماً يعاقب عليها قانون الاحتلال الإسرائيلي؛ لهذا السبب نجد الشاعر الأسير أكثر من غيره استخداماً للرمز؛ هروباً من عقاب جلاديه، وتضليلاً لمحاكمه العمياء.

وجاء هذا الشعر أيضاً موجزاً، تعرض فيه المعاني المتدفقة في ألفاظ قليلة، مع الإبانة والإفصاح عنها، ويتسم شعر الأسرى بالسهولة والبساطة والوضوح؛ فشعرهم نراه يجري مجرى الماء في النهر سلاسة وسهولة ويسراً وبساطة وعذوبة<sup>(476)</sup>.

ولقد تميزت الأعمال الشعرية للأسرى الفلسطينيين بأنها الأغنى والأكثر شمولية وزخماً من حيث الكم والكيف بين تجارب الشعوب وحركات التحرر، ويعود ذلك إلى ارتباطها بالقضية الفلسطينية وتحرير فلسطين، وطبيعة الاحتلال الإسرائيلي الذين تعرضوا له.

وكان التعبير بالشعر البدايات الأولى في إبداع الأسرى، فهو أسرع الأنواع الأدبية استجابة للتعبير عن المعاناة، لهذا لجأ عشرات من الأسرى إلى المحاولات الشعرية التي تترجم مشاعرهم وتعبّر عن مكنونهم النفسي<sup>(477)</sup>، فهو شعراً مغلفاً بالحلم الشفاف، وجاءت العبارة فيه هائلة أثرية<sup>(478)</sup>، لذا فإن النفس تتعشق هذا الشعر وتجه، وتميل إليه، لأنه يخاطب القلب والعقل، وترتاح له النفوس، وتشرح له الصدور، فكأن الشاعر في هذا الشعر يتحدث عن نفسه، وكأن هذا الشعر جزء منه<sup>(479)</sup>، ولقد برز عدد كبير من الشعراء داخل المعتقلات<sup>(480)</sup>.

### 3. الرواية والقصة:

الرواية هي فن سرد الأحداث والقصص، تضم الكثير من الشخصيات، وتختلف انفعالاتها و صفتها، وهي أحسن و أجمل فنون الأدب النثري، وتعتبر الأكثر حداثة في الشكل و المضمون، وتتميز بالتشويق في الأمور والمواضيع والقضايا المختلفة سواء أكانت أخلاقية أو اجتماعية أو فلسفية، والقصة القصيرة: تمثّل حدثاً واحداً، في وقتٍ واحد، وزمانٍ واحد، وهي حديثة العهد في الظهور<sup>(481)</sup>، وهي وثيقة بشرية مستقاة من الخيال والملاحظة والتأمل وممثلة لواقع حقيقي أو متخيل، وتُعنَى الرواية بموضوع الأدب أي الإنسان والعالم<sup>(482)</sup>، وهي أنواع متعددة،

(476) مفيد عرقوب، حسين الدراوش: صورة السجين والسجن والسجان في الشعر الوطني الفلسطيني الأسير، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص.2.

(477) نائل إسماعيل: الأساليب الإنشائية في شعر الأسرى الفلسطينيين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص.1.

(478) معاذ الحنفي، أعلق في ليلك الليلك، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، غزة، فلسطين، 1998، ص.15.

(479) مجلة جامعة القدس المفتوحة، العدد 29، الجزء الثاني، غزة، فلسطين، 2013، ص.352.

(480) كان أبرزهم « المتوكل طه، ومحمود الغرابوي، وعبد الناصر صالح، عز الدين المناصرة، ومحمود شريم، وخلييل توما، ومحمد عليان، وعمر خليل عمر، ود. خضر محجز، معاذ الحنفي، ود. فايز أبو شمالة، وسلمان الزريعي، وسائد السويركي، وعيسى قراقع، ومحمد أبو جلاله، وهشام أبو ضاحي، والشهيد عمر القاسم، وباسم الخندقجي، وتوفيق زياد، وراشد حسين، وسامي الكيلاني، وعلى الخليلي، والشهيد د. عبد العزيز الرنتيسي، والشهيد د.إبراهيم المقادمة، ويحيى السنوار، ومحمد طه، وحماة الحسنات، وعلى عسافرة، وعبد الناصر صالح، ومحمد أبو اللين، ومرزوق بدوي، والشهيد معين بسيسو، وآخرين كثر.

(481) موقع موضوع: <http://mawdoo3.com>

(482) عبد الصبور مرزوق: أدب ثورة 1919، مرجع سابق، ص.128.

والقصة القصيرة جنس أدبي متميز بالاقتصاد في التعبير وتصوير الحدث أو اللحظة الزمنية العابرة، بلغة وصفية درامية<sup>(483)</sup>، ولقد اهتم عدد كبير من الأسرى بكتابة الرواية في السجون، ومن الأهمية بمكان أن يشار للتأريخ إلى رواية « وابور الكاز » كأول رواية في أدب السجون<sup>(484)</sup>.

وتعد الرواية من أكثر الأجناس الأدبية المعبرة عن حالة الاعتقال قياساً بالأجناس الأدبية الأخرى التي خرجت من رحم السجون<sup>(485)</sup>، ولقد برز عدد من كتاب الرواية من الأسرى ولعل أبرزهم الروائي الأديب وليد الهودي الذي كتب عدد من الروايات أشهرها رواية ستائر العتمة «جزأين» والتي عالجت موضوع تجربة التحقيق والاعتقال وظروف السجن، وقد طبع الجزء الأول منها ثماني طبعات، أربعون ألف نسخة، والتي لم يسبق لرواية فلسطينية من داخل السجون وخارجها أن تنشر بهذا الكم، وتم تحويلها إلى فيلم في العام 2015م<sup>(486)</sup>.

#### 4. المسرحية:

المسرحية جنس أدبي متميز يمثل على خشبة المسرح، وهي مؤلف من الشعر أو النثر يصف الحياة أو الشخصيات، أو يقص قصة بواسطة الأحداث عن طريق الحوار ويتكون عادة من عدة فصول والتي بدورها تتكون من عدة مناظر<sup>(487)</sup>، وتثير الضحك بأسلوب أنيق بعيد عن التهريج، وتنطلق أحياناً من تصوير الطبايع وتصادمها، وما ينتج عن تناقضها وتصادمها من مواقف هزلية وساخرة معاً<sup>(488)</sup>، ويعالج المسرح الموضوعات الشائعة في الفنون الأدبية الأخرى، وبخاصة القضايا المتعلقة بطبيعة الإنسان، وما يصدر عنه من أفعال وما يعتمل في داخله من مشاعر وأحاسيس وأفكار<sup>(489)</sup>، واهتم بعض الأسرى بالمسرحية في نهاية

(483) د. سمير حجازي: قاموس مصطلحات، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1990، ص 68.

(484) سلمان جاد الله: أدب المواجهة، مرجع سابق، ص 103.

(485) الناقد المحاضر في الجامعة الإسلامية عبد الخالق العلف: مقابلة أجراها الباحث، 7/11/2015، غزة.

(486) والروائي الأديب شعبان حسونة الذي كتب مجموعة من القصص القصيرة باسم « أمسية سجين » وعدد من الروايات أشهرها « ظل الغيمة السوداء، وعلى جناح الدم » التي منحتها عضوية اتحاد الكتاب الفلسطينيين في العام 2005، والروائي الأسير المحرر رأفت حمدونة الذي كتب مجموعة « الرباعية الوطنية » والتي تضم أربع روايات هي عاشق من جنين، ولن يموت الحلم، وقلبي والمخيم، والشتات، التي طبعت طبعتين، وقد وصفها الأستاذ الدكتور صادق أبو سليمان بـ « رباعية العشق » كونها تذكر بلا ريب بأدب الأديب النوار، الذين خاضوا تجارب الثورة والنضال والمعاناة والحرمان والتعذيب، وإذا ما هممت بقراءتها واحدة بعد الأخرى ستري نفسك تعيش قصة الشعب الفلسطيني في العصر الحديث، وبالجملة فإن الكاتب في رواياته الأربعة قد استطاع التعبير عن هموم شعبه المتنوع، ومحطات نضاله المتسلسلة من خلال غاية واضحة تتسلسل الأجيال، ولملمس كل قارئ، للرباعية بتأريخ أسلوب الكاتب، ومناسبة لغته لمضامين رواياته.

وهناك العشرات ممن أبدعوا بكتابة الرواية في السجون أمثال: الأديب غريب عسقلاني، وحافظ أبو عباية ومحمد البيروني، وحسن عبد الله، وحمزة يونس، ورمزي مرعي، ود. خضر محجز، وذاهر جبارين، وجمعة التايه، ومحمد و إبراهيم اغبارية، وعباد الزين، وسليمان جاد الله، وعزت الغزاوي، وعصمت منصور، وفاضل يونس، وموسى الشيخ، ومحمد أبو صبحه، ونواف العامر، محمد عبد الهادي، ومحمود عيسى، وجمال الهور، وعلى عارفة، محمد عبد الهادي، ويوسف محمد، وأمين فقيه، وحسن سلامة، وعمر حمش، وكمال الأسطل، محمد أيوب، معاذ بلال، ومؤيد الشيش، وغيرهم الكثير.

ويستذكر الباحث عدد من الأسرى ممن دونوا تجاربهم الاعتقالية كمذكرات بشكل روائي متسلسل، بأقلامهم أو بأقلام كتاب من غير الأسرى ممن أبدعوا في عرضها بشكل روائي، كرواية « فرسان الحرية » لـشام عبد الرازق، و فيروزيات نضالية، والذي يتناول تجربة فيروز عرفه للدكتور سامي اليرغوثي ومروان اليرغوثي ألف يوم في زنزانة العزل الانفرادي لراهي وهبي، وأحلام بالحرية للأسيرة عائشة عودة، وأوراق من خلف جدران الأسر للأديب عبد الحق شحادة، وأمير الظل للأسير عبد الله اليرغوثي، والهواء المقتنع أبو علي شاهين 15 عام في الاعتقال لمحمد القيسي، وأيام من معتقل النقب للدكتور عبد الستار قاسم، والقادم إلى خطفك للأسير محمد الشرايحة، والخروج إلى المخيم لتأريخ مرداوي، وتاريخ مشرق وذكريات مؤلمة، ورحلة العودة للأسيرة المحررة للدكتورة مريم أبو دقة، وذكريات مبعثرة من ذاكرة الأسر لاسماعيل ديج، ونفحة يتحدث بعد ثلاثين عاماً لـجبريل الرجوب، وقصتي لسعيد الكرمي، وذاكرة الأسير لعل شواهنة، ومذكرات عوض السلمى، ومن صفحات نفحة للؤى عبيد، وصرخة من أعماق الذاكرة تتناول تجربتي اعتقال فؤاد الرامز وأحمد أبو حصيرة، ومذكرات محمود عارضة، ويوسف العارف، وغير ذلك من مذكرات على شكل روايات، وأبعد عدد من الأسرى بكتابة القصة القصيرة كالفصولية الهودي، وشعبان حسونة، واسماعيل ديج، وحسن عبد الله، وعصمت منصور وغيرهم الكثيرين.

(487) علي عزت عباد: معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، 1994، ص 37.

(488) جبور عبد النور: مرجع سابق، ص 266.

(489) المصدر نفسه: ص 247.

السبعينيات، ففي هذه المرحلة برزت محاولات لتأليف المسرحيات القصيرة، والتي كانت تعرض في الأمسيات الأسبوعية الترويحية، أسهم في إيجادها ونشطها انعدام وسائل التسلية، والشعور بضرورة إيجاد وسائل ترفيهية ترويحية تزيل التوتر وتقتل الرتابة، وتشكل في الوقت ذاته محاولة فنية لإعادة شحن الأسمى بالطاقة والنشاط لاستقبال أسبوع جيد، كما جرى استغلالها لتعميق الوعي وتطوير المعرفة ومعالجة بعض القضايا الواقعية<sup>(490)</sup>.

وكانت تمثل في غرف زنازين بئر السبع التي كانت تتسع لسبعين أسيراً مسرحيات من بينها مسرحية «زنبقة الدم» التي تعالج حكاية فتاة جرى اغتصابها من دخلاء على الثورة في القطاع، وقد جرى تمثيلها على خشبة مسرح نصبوه من البطاطين<sup>(491)</sup>، وقامت الأسيرات في سجن «نفيه تريتسا» بتقديم المسرحيات عرف منها مسرحية « فدائي جريح »، وعادةً ما يقوم المعتقلون بعمل مسرحيات يكتب نصها أحدهم أو يشترك فيها أكثر من واحد، ويتم توفير مواد الديكور من أشياء الغرفة<sup>(492)</sup>، ومن الطبيعي أن إدارة السجن لا تقبل بهذا النشاط الذي يمثل تحدياً لها، واستهانة بها، لكن المسرحيات والحفلات تقام ليلاً<sup>(493)</sup>.

ويرى الباحث أن الأسمى تأثروا بالمسرحية كفن مع دخول التلفاز للسجون، وخاصة ما كان يعرض على التلفزيون المصري والأردني، ولم ينتشر هذا الفن « تمثيل وكتابة » كأحد أجناس أدب السجون بالشكل الكبير، ولم يعرض إلا في الاحتفاليات والمناسبات والأمسيات وفي غالب الأحيان داخل الغرف، ولقد برز عدد قليل من كتاب النصوص المسرحية قياساً بالألوان والأصناف الأخرى<sup>(494)</sup>.

## 5. الخاطرة:

أبدع الأسمى في كتابة الخاطرة الأدبية كثر أدي صيغت فيه الكلمات ببلاغة وامتاز بكثرة المحسنات البديعية من صور واستعارات وتشبيه، والتي تصنف أدبياً في موقع بين القصة القصيرة و الشعر الحر وهي ثلاثة أنواع «الخطرة الرومانسية، والخطرة الوجدانية، والخطرة الإنسانية» وكتب الأسمى في الثلاثة وأكثرها «الإنسانية» التي تركز على قيم الصداقة والأخلاق الفاضلة والتضحية والوطنية.

وعدد كبير من الأسمى من اهتموا بهذا اللون من الأدب، وكانت لهم مجموعات من الخواطر كتبوها في عتمات الليل، ولبعضهم البعض، وخلال المراسلات، والمسابقات، والمجلات الأدبية<sup>(495)</sup>.

## 6. الرسالة:

هي ما يكتبه امرؤ إلى غيره معبراً فيه عن شؤون خاصة أو عامة، وقد يتوخى فيها البلاغة

(490) مفيد عرقوب: مرجع سابق، ص23.

(491) سلمان جاد الله: أدب المواجهة، مرجع سابق، ص66 - 67.

(492) المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية: مرجع سابق، ص10.

(493) عدنان جابر: مرجع سابق، ص177.

(494) برز منهم «حسن عبد الله الذي كتب» طرقات على باب الأمل، ومن مذكرات زيتونة، وإعلاميون في مهمة»، و«مسرحية النشق، وإبريق الذهب، ورامى ومحكمة الذئاب» لوليد الهودي، وعدد قليل آخر من كتاب المسرح في السجون.

(495) طبع منها تراجم خلف القضبان لعبد الفتاح حمائل، وإلى ولدي محمد للكاتب على جدة، وخواطر من الزنازة لمحمد عبد السلام وغيرهم.

والغوص في المعاني الدقيقة فيرتفع بها إلى مستوى أدبي رفيع<sup>(496)</sup>، واستطاع الأسرى الفلسطينيون في السبعينيات بعد الكثير من الخطوات النضالية بانتزاع حق مراسلة ذويهم عبر الصليب الأحمر الدولي، ومن ثم عبر البريد الرسمي، وبدأت الموافقة بحصر الرسالة بأقل من عشرة سطور، ثم تطورت لتصل فرخ من الفلسكاب كبير الحجم أكثر أو أقل.

ومع مرور الوقت مع تطور الإمكانيات الأدبية للأسرى تحولت رسائل المعتقلين إلى أشبه بنصوص أدبية حملت مشاعرهم، وعبرت عن أفكارهم، خاصة وأنهم كانوا يلجأون إلى الأسلوب الأدبي وإلى الاستعارات والألغاز والتمويه على الرقيب، لكن البعض كان يعتمد الأسلوب الأدبي، بعد فتح المواهب والقدرات الأدبية خلف القضبان<sup>(497)</sup>.

ولقد وصلت الرسالة إلى أعلى مراحل تطورها، عندما تحولت من وسيلة إخبارية مباشرة تحمل السلامة إلى الأهل، إلى نصوص أدبية راقية، حيث أن بعض الرسائل صيغت على شكل قصائد شعرية، أو خواطر أو قصص قصيرة، أو نصوص أدبية مفتوحة، بخاصة عندما مازج وزاوج مرسل الرسالة بين الخاص والعام، أو عندما صقلت أقلام عدد لا بأس به من الأسرى وتطورت بشكل لافت، وأصبح أصحابها يعبرون عما يجول في صدورهم أدباً<sup>(498)</sup>.

كما وتمثل رسالة المعتقلين قيمة أدبية ونضالية وتاريخية، يمكن من خلالها الوقوف على مراحل التجربة الاعتقالية وخصائصها، والتعرف على ظروف ومستوى تطور المعتقلين، لذلك فإن دراسة هذه الرسائل تشكل مهمة وطنية وتاريخية وأدبية في آن واحد، ولقد شكلت الرسالة نافذة للمعتقل المناضل على أسرته ومجتمعه والحياة، وصلت في سطورها وتعبيرها مضامين اجتماعية وسياسية وتربوية و نفسية وفكرية، وارتقت من الجانب الإخباري إلى التحليلي، وبعضها ارتقى إلى الإبداعي، وحصل بامتياز على درجة رفيعة في عالم الأدب والإبداع<sup>(499)</sup>.

اختلف النقاد والمختصون في مكان الرسالة وإرفاقها بأدب السجون، ويرى الباحث أنها تستحق بجدارة أن تكون في صدارة هذا اللون من إنتاجات وأدبيات الأسرى، التي اهتم وحرص وتبارى الأسرى وتألقوا في صياغتها وتراكيبها البلاغية والأدبية، وقد أرفقوا على هامش سطورها بصور السورود والعصافير والرسومات والرموز الجمالية الأخرى.

## 7. الفن والغناء والموسيقى:

اهتم الأسرى بالفنون المرتبطة بأدب السجون، وتم تلحين الكتابات الأدبية، والقصائد الشعرية، على صورة زجل وأناشيد وأغاني وطنية، وكان للتراث الشعبي مكانة خاصة ومرموقة بين

(496) جبور عبد النور: مرجع سابق، ص 128.

(497) حسن عبد الله، كلمات على جدار الليل، رام الله، مركز المشرق للدراسات، 2004، ص 13.

(498) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: إبداعات انتصرت على القيد، المؤتمر الأول، مرجع سابق، ص 86.

(499) المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية: مرجع سابق، ص 23.



أسرى الثورة، فالذبكة والزجل انتشرا في كل السجون، ولا يخلو سجن من مناضل أو أكثر لديه القدرة على تأليف الزجل العاطفي والسياسي، كما كان المعتقلون ينظمون حفلات غنائية، مرة واحدة أسبوعياً، وتكون حفلات ممتعة وشيقة للجميع<sup>(500)</sup>.

وفي العام 1984م كانت الاحتفالات في السجون قد أخذت شكلاً جديداً، فقد تضمنت الفقرات أغاني ودبكات شعبية ورفع للاعلام الفلسطينية<sup>(501)</sup>، وغلب اللون الحزين على الأغاني والمواويل ليعكس الحجم المذهل المختزن في أعماق الأسرى، ويعكس توجعاً إنسانياً من الظلم الاجتماعي والقمع الاحتلالي، والحرمانات اللانهائية، وكثيراً ما كنت تجد الأغنية والنشيد الوطني يتبع الموال الحزين في جدلية مميزة، كان الأسير يفتح جرحه ثم يداويه، غالباً ما كان المغنى الأسير يؤدي ما هو موجود من أغاني ومواويل، لكنه أداء يحمل بصماته الخاصة، وبعضهم ألف الأغنيات ذات الطابع الشعبي، وبدرجة أكبر المواويل.

أشاعت الأمسيات الفنية المتواضعة الدفاء في طقس السجن البارد دوماً، حيث الأغنيات والأشعار تحمل الأفتدة المعذبة إلى عالم آخر بدون قيود وبدون حرمان، وتعالّت في هذه الأمسيات الضحكات كأنها تغسل ولو للحظات حزناً لا يفارق الواقع<sup>(502)</sup>.

ولقد تركت زجليات الشهيد راجح السلفيتي خاصة تلك التي أنتجها داخل الأسوار الأثر العميق في وجدان الأسرى، وكانت عاملاً يقتدى به في عملية إعادة صياغة التربية، خاصة تلك القصائد التي تحض على استيعاب أسرار النضال والصبر على الشدائد<sup>(503)</sup>.

وتنطبق هذه الصورة على سجن الأسيرات، حيث أن الأسيرات يقمن أيضاً بالأناشيد الوطنية وبصوت وطني ثوري، وكثيرة هي المرات التي يسمع فيها الزوار والمعتقلون المرضى في مستشفى سجن الرملة أصوات المناضلات الأسيرات الملئء بالحماسة والمعبر عن حب الوطن والالتصاق بالقضية<sup>(504)</sup>.

وأوجد المعتقلون لأنفسهم فضاءات جديدة، فعلى صعيد الموسيقى سادت موسيقى الشبابة، والمجوز، والأرغول، باعتبارها الأدوات الموسيقية الوحيدة التي كان يمكن للمعتقلين صنعها من أنابيب التمديدات الكهربائية المنتزعة من الجدران، كم كان عذباً صوت شبابة أبو علي الديراوي، ومجوز أبو سلطان، ودبكة أبو حامد الرفاتي، وأغاني محمود البرغوثي التي كانت تذكرنا بالمرحوم نصري شمس الدين<sup>(505)</sup>.

وفي العام 1985م صنع الفنان الأسير عوني الخروبي الذي تواجد في سجن غزة وعسقلان ونفحة آلة الكمان الموسيقية، من طاولة الزهر، وكانت إدارة السجون تصادرها، ويقوم

(500) المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية: مرجع سابق، ص10.

(501) جهاد البطش: مرجع سابق، ص148.

(502) سامي الأخرس، كامل مسعود: مرجع سابق، ص6768.

(503) سلمان جاد الله: أدب المواجهة، مرجع سابق، ص97.

(504) عدنان جابر: مرجع سابق، ص177.

(505) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: ابداعات انتصرت على القيد، مرجع سابق، ص43.



بإعادة صناعتها، وطالب الأسرى بإدخال الأدوات الموسيقية للسجون، فسمحت فقط بإدخال الكمان في سجن غزة، والعود في سجن نفحة للأسير الفنان المرحوم الخروبي، الذي علم بعض الأسرى<sup>(506)</sup> ممن تنافسوا فيما بينهم على تعلم العزف، وقام الفنان الخروبي بتلحين أشعار الأسرى التي كتبوها داخل الاعتقال وتم ترديدها في المناسبات والاحتفالات الوطنية في السجون وفي الخارج من قبل الأسرى المحررين<sup>(507)</sup>، وهناك من كتب القصيدة المغناة في السجن<sup>(508)</sup>.

### ثالثاً- سمات جمالية لأدب السجون:

يتميز أدب السجون بحيوية الانفعال، وصدق التجارب؛ كونه ينهل من مصدر المعاناة النابع من ثوار هانت عليهم أنفسهم فهبوا يحملونها على أكفهم ليقدّموها أضحى في سبيل تحذير كرامة الوطن وأهله<sup>(509)</sup>.

وقمّزت التجارب الأدبية بالالتزام في السجون بالالتزام بالقيم، والمبادئ، والتناغم مع القضية، في تجاوز الهم الفردي إلى الهم الجمعي والعام، "ومن أهم سمات أدب السجون:

1. العمق: يمتاز «أدب السجون» بعمق التعبير في الدلالة والمضمون، وفي الربط بين الفكرة والأسلوب.
2. الرمزية: غالباً ما يلجأ الكاتب إلى الرمز للتعبير عما يعتلج في حناياه.
3. التصوير الفني: كثيراً ما يلجأ الأديب إلى فرط عقود اللغة، وما حوت من جمال وجواهر، ليعيد تشكيل فكرته وشعوره في قالب لغوي جديد، فتعطيك المقطوعات الأدبية لوحات رائعة، أو مشاهد صامته، أو انعطافات على مشاهد حية مُفعمّة بالحركة.
4. البلاغة: الصناعة البلاغية رائجة الاستخدام، كالكنيات والاستعارات والتشبيهات والمجاز المرسل والمحسنات اللفظية والبديعة.
5. الاختزال: أي ضبط الفكرة التي تحتاج إلى فقرات طويلة في فقرة صغيرة.
6. العاطفة المتأججة: فلا تكاد تجد مقطوعة متكلفة المبنى أو المعنى، وإنما منسجمة في معناها ومبناها مع العاطفة التي تحكم القالب اللغوي المستخدم.
7. سعة الخيال: يلجأ الكاتب إلى الخيال في الغالب لاستعارة الصور أو الأحداث، فتتفاعل الفكرة في خياله مع صور إبداعية، بقالب لغوي خاص.

(506) كالأسير مسعود الراعي، والأسير معاذ الحنفي، والأسير خالد مناع والأسير طارق أبو زهدية وآخرين

(507) هشام عبد الرازق: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 28/9/2015.

(508) كعاجد أبو شمالة، وسليم الزريعي، ومعاذ الحنفي، وأحمد الشيباني الملقب بالسنبل أو العندليب، وعرف عدد من الأسرى الذين أسعدوا الأسرى بأصواتهم الجميلة في المعتقلات كالأسير «سعيد سلمان الملقب بأبي عرب»، والأسير المرحوم نايف أبو عياش، وأكرم حسن، ورأفت حمدونة، وجمعة التايه، والمنشد المشهور مركز العك، ونصر يتايمة، وحمودة صلاح، ومصعب الهشلمون، وآخرين.

(509) مركز الأسرى للدراسات: <http://alasma.ps/ar//index.php?act=post&id=2773>

8. الحزن المشوب بالتحدي: فمسحة الحزن لا تكاد تفارق المقطوعات الأدبية على اختلاف موضوعاتها، حتى تلك التي أراد بها صياغة مساحة من الفرح، لا تكاد تخلو من ألم أو آهات أو دموع، فأفرحهم، أفضل ما نعبر عنها بالجراح الباسمة.

9. الثقافة الواسعة: حيث يهتم الأسرى بتنمية ذواتهم ومهاراتهم وقدراتهم<sup>(510)</sup>.

في نهاية المبحث يعتقد الباحث أن أدب السجون له انعكاسه الكبير والإيجابي على نفسية الأسير والواقع الاعتقالي، كونه يعبر عن ذواتهم وآمالهم وطموحاتهم الشخصية والوطنية، ويخرجهم من ضغوط الاعتقال وأجواء الكبت والقيود إلى عالم الخيال الرحب، وكان لأدب السجون الكثير من التأثير على المجتمع الفلسطيني الذي وجد فيه الصدق في المشاعر، والبعد عن الذات والمصلحة الشخصية إلى الشيء العام والمصلحة الوطنية، وأوصل للقارئ الكثير من الرمزية والتجارب الاعتقالية وتحذير المقاومين في الكثير من النواحي الأمنية والخروقات التنظيمية وتصويبها ووسائل وأساليب التحقيق والتنبيه للغامض فيها، والانتماء والتواصل في النضال حتى تحقيق الحرية.

ويجزم الباحث أن ما هو مجهول من إبداعات الأسرى الأدبية، وما تم مصدرته من قبل إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية، ومن لم يرَ النور بالطباعة بسبب القصور باتجاه أدب السجون لهو أكثر بكثير مما عرف وما نحاول إبرازه وجمعه.

وأن أدب الأسرى فيه ما ليس بغيره من مصداقية، ومعاني إنسانية، وأنه يحمل مضامين مهنية، وبلاغة إبداعية يجعله أقرب للمستمع والقارئ من غيره، واستطاع أن يلفت انتباه المهتمين والأكاديميين والنقاد العالميين على سبيل المثال لا الحصر تناولت الدكتوراة نادية هارلو الأستاذة في جامعة تكساس الفن القصصي للمعتقلين الفلسطينيين، وجاء اهتمامها في إطار اهتمامها بالأدب المقاوم على مستوى عالمي، حيث جمعت في دراسة مقارنة العديد من النماذج الإبداعية التي أنتجت أعلام مقاومة انصهرت في القضايا التحررية لشعوبها.

وليس غريباً أن يكون للأقلام الأدبية التي تعمدت في تجربة الاعتقال حصة لا بأس بها في إصدارات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، وفي الملاحق الأدبية والثقافية في الصحف والمجلات المحلية وحتى في الكتب المترجمة إلى لغات أجنبية مثل إصدار اتحاد الكتاب باللغة الانجليزية «نصوص قصة قصيرة» حيث مثل عدد المشاركين من الأدباء في هذا الإصدار الذين تخرجوا من تجربة الاعتقال «15» من أصل «44» أي ما يقارب الثلث<sup>(511)</sup>، كما أن التجربة الثقافية والإبداعية في المعتقلات حققت إنجازات لفتت انتباه عدداً من الباحثين والدارسين والأكاديميين، على المستوى الفلسطيني والعربي والدولي<sup>(512)</sup>.

(510) أحمد الريماوي: مرجع سابق، ص22.

(511) حسن عبد الله، كلمات على جدار الليل، رام الله، مركز المشرق للدراسات، 2004، ص66.

(512) ذكر منها الأستاذ حسن عبد الله في كتاب الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين:

1. Esmail Nashif, Identity Community, and Text: The Production of Meaning among Palestinian Political Captives, for the degree of Doctor of Philosophy, University of Texas at A Ustin, 2004
2. Hadeel Alkazaz, The role of non-formal Education in Development, The Experience of Palestinian Prisoners in Israeli Prisons, for the degree of Doctor of Education, university of Leeds, 1994-1997
3. Rabab Tmsh, Pain Violence in Palestinian War-Prisoner Narrative, for the degree of Doctor of Philosophy (under preparing), University of Michigan

# المبحث الرابع

## المسيرة التعليمية للأسرى في السجون وأبرز مظاهر الإبداع

”الحفلة انتهت“ هذه عبارة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتيناهو في أعقاب سياسة التضييق على الأسرى، التي بدأها بمنح الثانوية العامة، والانتساب للجامعة المفتوحة في إسرائيل في الثالث والعشرين من حزيران 2001م، الأمر الذي شكل عدواناً على المعتقلين وانتهاكاً للمادة 28 من اتفاقية جنيف الثالثة التي أكدت على تشجيع الأنشطة الذهنية والتعليمية للأسرى من قبل الدولة الحاجزة<sup>(513)</sup>.

لا يقف الأمر على عدم التزام إسرائيل بتلك الاتفاقيات، بل تعدت ذلك محاربة وعرقلة تلك الجهود بمنع إدخال الكتب التعليمية بكل مراحلها، ورفضت توفير القاعات والصفوف الدراسية، وعاقبت من يقوم بالدروس والمحاضرات، ومنعت دخول الكتب المنهجية والمجلات والأبحاث والدراسات العلمية، ومنعت الالتحاق بأي مدارس أو جامعات أو مؤسسات تعليمية أو أكاديمية، ومنعت إيجاد معلمين من الأسرى الفلسطينيين للأشبال القاصرين، ومنعت الأدوات الدراسية والقرطاسيات والألواح، وقامت بالكثير من الخطوات التي تهدف لتجهيل الأسرى وعدم الاستفادة من أوقاتهم<sup>(514)</sup>.

وبالرغم من الظروف القاسية والمضايقات المبررة في السجون، نجح الأسرى بإصرارهم وتضحياتهم ونضالهم المستمر، تدريجياً وبشكل تراكمي في تحويل السجون والمعتقلات الإسرائيلية من محنة إلى منحة يستفاد منها، ومن مدافن للرجال والطاقت، وأمكنة مظلمة، إلى قلاع ثورية مشرقة، وجعلوا من سجونهم مدارس وجامعات فكرية متعددة ومتنوعة، خرجت أجيالاً متعاقبة من المتعلمين والمتقنين ومن حفظة القرآن والمبدعين<sup>(515)</sup>.

في هذا المبحث سيتناول الباحث الخطوات النضالية التي انتصرت على القيد بتحقيق الحد الأدنى من المتطلبات والاحتياجات، وصولاً للانتساب للجامعات الفلسطينية والعربية والدولية، وأشكال التعليم في السجون، بدءاً ببرامج محو الأمية حتى الحصول على الدراسات العليا، وتعلم اللغات وعلى رأسها ”العبرية والإنجليزية“، وشكل الجلسات وحلقات العلم والدراسة في القرآن والعلوم الأخرى.

كثيرة هي الوسائل التعليمية التي اتبعتها الأسرى في السجون تحدياً للسجان، حتى حولوا

4. Shadi Jabber, Artistic expression of the Palestinian Political Prisoners in the Israeli Prisons, for the degree of Master of Arts Therapy, European Graduate School EGS, 2003

5. Barbara Harlow, Resistance Literature, New York: Methuen inc and Methuen an co, 1987

6. Modern Palestinian Short Stories in Translation, 44 Authors, (edited by Izzat Ghazzawi, Claire Peak) , Jerusalem: The Palestinian Writers Union, 1998

(513) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: إبداعات انتصرت على القيد - المؤتمر السنوي الأول، مرجع سابق، ص 13.

(514) مركز الميزان لحقوق الانسان: مرجع سابق، ص 36 - 37.

(515) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص 305.

مفهوم السجن من بديل لحبل المشنقة إلى أكاديمية ثورية وفكرية وتربوية وتعليمية من خلالها يتم تكريس ثقافة الحق الفلسطيني في وجه الظلم الإسرائيلي، في ذلك الصراع الأشد بين الجدران والزنازين، حيث يقاتل الجسد والوعي معاً، في اشتباك فكري يومي دفاعاً عن الأمل والبقاء والحرية<sup>(516)</sup>، وعلى الصعيد التعليمي فهناك مفاصل أساسية استطاع الأسرى تحقيق نجاحات ملفتة ومبدعة فيها ومنها:

## أولاً - محو الأمية:

اعتقل في السجون الإسرائيلية ما يقارب من المليون من كل شرائح المجتمع الفلسطيني من حملة الشهادات العليا والمتقنين والأكاديميين والموظفين، ومنهم من طبقة الفلاحين والصيادين ومن رعاة الأغنام في القرى النائية والبادية ممن خرجوا من المدارس في سن مبكرة، والأطفال بعمر 14 عام وأقل، والأسيرات من ربات البيوت والقاصرات، ممن هن بحاجة للبدء معهم من المراحل الأساسية للتعليم، حتى من مرحلة محو الأمية.

ركزت اللجان الثقافية في السجون على متابعة تلك الشريحة على قتلها، وكلفت الكوادر المتعلمة<sup>(517)</sup> ذات القدرة والكفاءة بتدريسهم من خلال جلسات جانبية، واستطاعت الحركة الأسيرة أن تقضي على هذه الظاهرة من خلال التشجيع<sup>(518)</sup>، وأحياناً الإيجار للاعتماد على ذواتهم وتطويرها خلال سنوات الاعتقال الطويلة، وهكذا تحولت غرف السجون إلى صفوف دراسية وثقافية، فاهتم الأسرى بتحصيلهم الدراسي<sup>(519)</sup>.

## ثانياً - منجزات اعتقالية لتحصيل شهادة الثانوية:

بدأ تقديم امتحان الثانوية العامة « التوجيهي » في بعض السجون في العام 1971م، واشترطت حينها إدارة السجون أن يمضي الأسير أكثر من عام في الاعتقال، ورفضت إدارة سجن عسقلان منح الموافقة لغير العاملين في المرافق العامة لنيل الموافقة، الأمر الذي اعتبره الأسرى نوع من الابتزاز وقرروا اتخاذ موقف جماعي بمقاطعة الامتحانات<sup>(520)</sup>، وعلى صعيد الأسيرات ربطت إدارة المعتقل بين سلوك المعتقلة وبين إعطاءها الحق في تقديم امتحانات الثانوية العامة ووضعت العراقيل من أجل تعطيل الأمر<sup>(521)</sup>.

(516) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: إبداعات انتصرت على القيد - المؤتمر السنوي الأول، مرجع سابق، ص.11.

(517) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص.42.

(518) وهنالك نماذج إبداعية مرت بتلك المرحلة وكان لها الأثر الكبير في قضية الأسرى بعد التحرر أمثال مدير عام مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة في جامعة القدس - أبو ديس الدكتور فهد أبو الحاج الذي دخل السجون أمياً، حتى حصل درجة الدكتوراة، وقال في كلمته في افتتاح مؤتمر إبداعات انتصرت على القيد في الخامس والعشرين من العام 2011 « زج في أمياً خلف القضبان، لكس وجدت في التجربة محركاً ودافعاً لكي استثمر سنوات الاعتقال في تطوير إمكانياتي وقدراتي، فاستكملت كل البرامج والمقررات الدراسية، لأتخرج وأنصح بالجامعة وها أنا أنجزت رسالة الدكتوراة، وأعترف لولا تجربة الاعتقال لما تسنى لي تحقيق كل ذلك، وأقف أمامكم لأعبر عن امتناني لكل من علمني حرفاً أو أبدي لي مشورة أو نصيحة في الاعتقال.

نموذج آخر المناضلة المرحومة زكية شموط التي قامت قبل أن تُعتقل بـ 7 عمليات فدائية كبيرة كيدت إسرائيل خسائر مادية وبشرية ضخمة، من الستينات وحتى عام 1972 يوم تم اعتقالها، التي حوكتت بالوبند مدى الحياة وتم الإفراج عنها في تبادل 1985م، دخلت السجن أمية ولكنها تعلمت بمساعدة رفيقاتها المناضلات في سجن نفى تريتسا بسجن الرملة، ووصلت إلى الصف الخامس ابتدائي في فترة وجيزة .

ومن طرائف السجن في برنامج محو الأمية قصة معتقل بدوي، بدأ ببرنامج التعليم من ألف باء، كان يقول له معلمه الأسير ( ج ) و ( م )، فيقول: جم، قيتابع معه المعلم: و ( م ) فيقول: بطرافة بعير، ولكنه تعلم العربية والعبرية والانجليزية وعلمها للأخريين من المعتقلين.

(519) مفيد عرفوب: مرجع سابق، ص.21.

(520) محمد لطفى ياسين: مرجع سابق، ص.111.

(521) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص.196.

ومع ذلك استطاع الأسرى والأسيرات بعد العديد من الإضرابات المفتوحة عن الطعام من انتزاع حقهم في التعليم وفقاً للنظام التعليمي خارج السجون، ونجح الآلاف منهم وحصلوا على أكثر من شهادة للثانوية العامة<sup>(522)</sup> في الفرعين « العلمي والأدي» خلال اعتقالهم.

في السابع عشر من مارس 2009م قررت الحكومة الإسرائيلية، في سياق الجهود للإفراج عن الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط، بمناقشة عدد من الاقتراحات للتضييق على الأسرى الأمنيين المسجونين في إسرائيل، كوسيلة للضغط على حركة حماس، وتم تعيين لجنة لهذا الغرض برئاسة وزير الأمن الداخلي، ووزير الزراعة، ونائب رئيس الوزراء، على أن تقوم اللجنة بتقديم عدد من الخطوات على هذا الصعيد، كوقف الزيارات، ووقف زيارات منظمة الصليب الأحمر الدولي للأسرى الفلسطينيين حتى السماح بزيارة الصليب للجندي شاليط، ووقف تحويل الأموال لحسابات الأسرى، وتقنين المشتريات عن طريق كاتنين السجن، ووقف القنوات الفضائية ووسائل الترفيه، ووقف زيارة المحامين والمؤسسات الأخرى باستثناء زيارة المحامي الخاص الموكل في القضية للأسير<sup>(523)</sup>.

ومن إجراءات التضييق أوقفت إسرائيل المسيرة التعليمية في السجون وعلى رأسها منع الثانوية العامة، إلا أن الأطراف الثلاثة الرئيسية (الأسرى وهيئة شؤون الأسرى والمحررين ووزارة التربية والتعليم العالي)، وضمن منظومة متكاملة من الخطوات والإجراءات المدروسة نجحوا في تجاوز الرفض الإسرائيلي وتخطي المعيقات الموضوعية، بما لا يتعارض والنظام التعليمي في فلسطين، فاتفقوا على نظام يضمن التعليم، ومصداقية وشفافية الامتحانات برقابة مشرفين أكفاء من الأسرى في الأقسام، عبر لجنة يتم تشكيلها من قبل قيادة الأسرى مكونة من أسرى أكاديميين يحملون شهادات عليا تقدم أسماءهم وشهاداتهم هيئة شئون الأسرى والمحررين لوزارة التربية والتعليم العالي والتي تقوم باعتمادهم كجنة امتحانات مهمتها اعداد وتجهيز الامتحانات والتصليح والمراقبة ووضع العلامات والناتج، وترسل النتائج عبر مسؤول اللجنة داخل السجن الى هيئة شؤون الأسرى والمحررين والتي بدورها ترسل النتائج إلى التربية والتعليم للمصادقة عليها واعتمادها<sup>(524)</sup>، وموجب هذا الاتفاق تم تقديم امتحانات الثانوية العامة في السجون التي توافر فيها المشرفون للعام 2014م، حيث من تقدم لامتحانات 1200 طالب أسير، نجح منهم 411 طالب أسير، و321 أسير لم تنطبق عليهم الشروط التي وضعتها وزارة التربية والتعليم، والباقي لم يحالفهم الحظ بالنجاح وفق مدير برنامج التعليم في هيئة شؤون الأسرى وائل السعدوني<sup>(525)</sup>، و في العام 2015م تقدم لامتحانات (962) طالب أسير نجح منهم (665) <sup>(526)</sup>، من ضمنهم 30 أسيراً من أصل 58 من أسرى قطاع غزة، وبهذا لم تتوقف المسيرة التعليمية في سجون الاحتلال الإسرائيلي منذ عقود وبقيت مستمرة رغم أنف السجان<sup>(527)</sup>.

(522) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص304 .

(523) رونن نيبي: أسيرين بيتانونيين בבתי כלא בישראל , מרכז המחקר והמידע בכנסת , ירושלים , 2009 , עמ' 11.

(524) بسام المجدلاوي: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 19/11/2015.

(525) وائل السعدوني: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 19/7/2015.

(526) عبد الناصروني فروانة: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 17/11/2015.

(527) عاطف مرعي: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 19/11/2015.



## ثالثاً- خطوات نضالية تحقق طموح الدراسات الأكاديمية:

تطلع الأسرى بالكثير من الشغف والطموح لتحقيق مطلب الانتساب والتعليم في الجامعات، والحصول على شهادات تنفعهم بعد تحررهم، وتكون مادة لتحدي السجنان للاستفادة من سنى اعتقالهم بالنافع المفيد، وكانوا على استعداد للدخول في أكثر المعارك شراسة مع المحتل ولو كلفهم الأمر ما كلف من أجل تحقيق هذا الطموح، وكانت المعركة الأقوى مع الاحتلال بخطوة الاضراب المفتوح عن الطعام في 27/9/1992م، والتي استغلها الأسرى لطرح قضية التعليم الجامعي والانتساب للجامعات الفلسطينية والعربية والدولية، وفي نهاية المطاف وبعد رفض قاطع من قبل إدارة السجون لمبررات واهية تتعلق بالكيفية في تنظيم الأمر، والمناهج الدراسية التحريضية من وجهة نظرهم، كان هنالك حل وسط بالسماح للأسرى الانتساب إلى الجامعة المفتوحة في إسرائيل باللغة العبرية.

### 1. الانتساب للجامعة المفتوحة في إسرائيل (الظروف والمعوقات):

اعتبر الأسرى طرح الالتحاق بالجامعة المفتوحة في إسرائيل بمثابة الشرط التعجيزي لعدة أسباب منها: الدراسة باللغة العبرية بشكل كامل، وتكاليف الدراسة العالية وكيفية تأمينها، بالإضافة لرفضهم المطلق للتعامل مع المؤسسات الإسرائيلية كمؤسسات عدو، ومع هذا أصر الأسرى على مواصلة مسيرتهم التعليمية بعد المشاورة مع كل القيادات داخل السجون وخارجها، كونه الخيار الوحيد أمامهم<sup>(528)</sup>.

وبدأ العشرات من الأسرى بتعلم اللغة العبرية، والانتساب للجامعة التي تعارف عليها الأسرى باسم «الجامعة العبرية»، وحقق الكثيرون أعلى الدرجات، وحصل الباحث من هذه الجامعة على شهادة امتياز لعام 2001م، وتخرج بنسبة 84% في العام 2004 قبل الإفراج عنه.

ويرى الباحث أن التعلم في الجامعة المفتوحة في إسرائيل كان له الكثير من الإيجابيات، منها: دفع الأسرى جماعات لتعلم اللغة العبرية كشرط بداية، والإنجليزية كشرط نهاية، وملاً للأسرى المنتسبون أوقاتهم في الدراسة للحصول على شهادات البكالوريوس والماجستير، واستطاع ما يزيد عن المئة خريج قبل المنع أن يحصلوا على شهادات قامت بتصديقها ومعادلتها وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطيني بالتعاون مع هيئة شؤون الأسرى والمحررين، بموجب اتفاق في العام 2010م، واستطاع أولئك الأسرى بعد تحررهم أن يتحولوا إلى خبراء في الشأن الإسرائيلي، ومنهم من أبدع في الكتابة والتحليل والترجمة بشهادات معتمدة من وزارة العدل، وعدد منهم أسس مراكز أبحاث مختصة بالشأن الإسرائيلي كمركز أطلس ونفحة والأسرى للدراسات والأبحاث الإسرائيلية وغيرها، ومنهم من تبوأ مراكز وظيفية عليا كالباحث الذي شغل مستشاراً لوزير شؤون الأسرى والمحررين في الشأن الإسرائيلي بدرجة مدير عام، وقدم برنامجاً إذاعياً لمدة عشر سنوات متتالية على إذاعةي القدس والأسرى من غزة باسم المشهد الآخر، وبرنامج تلفزيوني على فضائية هنا القدس باسم «إسرائيل من الداخل»، وغيره كثر،

(528) وزارة الثقافة: مجلة مدارات، قطاع غزة، فلسطين، العدد التاسع، يونيو 2013، ص 97.

واستطاع الأسرى من خلال تعمقهم في دراسة المجتمع الإسرائيلي أن يقرأوا أوضاع إسرائيل العسكرية و السياسية والاقتصادية والأوضاع الاجتماعية.

ويسجل الباحث تجربته في اختيار بحث التخرج الذي أثار جدلاً مع ضابط القسم، كونه أثبت صحة موقف تمرد الطيارين الإسرائيليين على القرارات العسكرية الإسرائيلية في أعقاب استشهاد 16 طفل فلسطيني في عملية استهداف الأسير المحرر الشهيد صلاح شحادة بقطاع غزة، ورغم استهجان الإدارة لانتقاء الموضوع إلا أن الباحث أصر على اختياره، ونجح وتخرج به.

لم يرق لأجهزة الأمن هذا الحال بعد انقلاب السحر على الساحر، لأن الأسرى أبدعوا في دراستهم، وحصلوا علامات عالية فاقت علامات السجناء الذين كانوا يدرسون معهم في نفس الجامعة، فبدأت إدارة السجون الإسرائيلية في العام 2006م بوضع العقبات والعراقيل في وجه هذا المشروع للتنصل منه، كمنع الأسرى الجدد من مبدأ الانتساب للجامعات بشكل مزاجي، وعقاب الطالب الجامعي الأسير بالانقطاع عن التعليم عند أي مبرر<sup>(529)</sup>.

وحددت عدد الأسرى الممكن انتسابهم للجامعة في كل سجن، وعدم انتساب أسير جديد حتى يتم تخرج أسير، ومنع الطلبة الأسرى من التعليم في تخصصات معينة كالعلوم ومن كورسات كالشورات العالمية، ومنع المشرف الجامعي من لقاء الطالب الأسير إلا مرة واحدة في الفصل، وتم سحب الكتب ولمبة الضوء عند نقل الطالب الأسير من سجن لآخر حتى يحصل على موافقة جديدة من إدارة السجن الذي ينزل إليه، وحصر دفع الرسوم التي تكفلت بها السلطة الفلسطينية عن طريق وزارة شؤون الأسرى والمحررين برقم حساب واحد للجميع الأمر الذي أوجد حالة من الإرباك والخلل في توزيع الرسوم على الطلبة وفق الحاجة، ومنعت إدارة السجون الأسرى من إدخال الكتب المساندة لدراساتهم وإعداد أبحاث تخرجهم<sup>(530)</sup>»

لم تتوقف إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية عند هذا الحد من العقبات، بل أصدرت وبدعم سياسي وتحريض إعلامي إسرائيلي قراراً بمنع الأسرى من الانتساب للجامعة المفتوحة في إسرائيل في حزيران 2011م، وحينما قدم الأسرى استئنافاً للمحكمة الإسرائيلية العليا، مطالبون بالسماح لهم بالاستمرار بالتعليم الجامعي لتضرهم من المنع، كان القرار النهائي السلبي في نيسان 2014م، برفض الاستئناف، والغريب في الأمر أن رئيس المحكمة العليا الأسبق القاضي (المتقاعد) « أشر غرونيس» اعتبر أن الرفض والتمييز بين الأسرى الجنائيين والأسرى الأمنيين في التعليم، لصالح الأسرى الجنائيين هو تمييز قانوني وشرعي، وأن قرار سلطة السجون بالمنع

(529) الأسير المحرر عدنان الأفندي: مقابلة أجراها الباحث، بيت لحم، فلسطين، 10/10/2015.

(530) الأسير المحرر توفيق أبو نعيم : مقابلة أجراها الباحث، غزة، 10/12/2014.



الجارف لتعليم الأسرى الفلسطينيين المسجونين على خلفية سياسية هو قرار تناسبي ومعقول، الأمر الذي وجد احتجاجات وخطوات كثيرة<sup>(531)</sup>.

حينها لم يكن بد أمام الأسرى إلا أن يبحثوا عن البديل، كون أن التفكير في التعليم الجامعي والحصول على الشهادات يعد من أولى أولويات الأسرى في السجون، ولربما فاق تفكيرهم في الطعام والشراب.

## 2. الجامعات الفلسطينية رداً على المعوقات الاسرائيلية:

اهتم المعتقلون مبكراً بالدراسة الجامعية، وحاولوا الوصول إلى معادلة تتيح لهم فرصة الدراسة، ووافقت إدارة المعتقل على هذه الرغبة، واستعدت جامعة بئرزيت الفلسطينية بتبنى الأمر والإشراف على الانتساب، وتسلم المعتقلون طلبات امتحان القبول، ودفع بعضهم رسوم دخول الجامعة، إلا أن السلطات عادت وتراجعت عن موافقتها وطوت المسألة<sup>(532)</sup>.

في أعقاب رفض إدارة مصلحة السجون لفكرة الانتساب للجامعات الفلسطينية، كونها تدرك أنه لو فتح المجال للأسرى للانتساب للجامعات العربية والفلسطينية نسبة كبيرة من الأسرى سيحولون السجن لمنحة تعليمية يتسلح بمقتضاها بالشهادات الأكاديمية التي ستمنحها الكثير من الوعي وضمان المستقبل بعد التحرر وتوفير الحياة الكريمة<sup>(533)</sup>، فمع حرمان الأسرى من التعليم بالجامعات عموماً حتى الجامعة المفتوحة في إسرائيل، بحث الأسرى عن بدائل سريّة من غير موافقة إدارة مصلحة السجون للانتساب للجامعات الفلسطينية، وبعد الكثير من المراسلات وافقت بعض الجامعات والكليات على دراسة الأسرى شريطة إيجاد نظام داخلي في السجون يضمن شفافية ومصداقية التعليم تحت إشراف عدد من الأسرى من حملة الشهادات العليا.

القفزة النوعية في التعليم الجامعي يوم أن استطاع الأسرى إدخال المقررات الدراسية، ويوم أن حصل الأسرى على أرقامهم الجامعية، وتمتعوا بحقوق الطالب الفلسطيني خارج السجون، شعرنا بالجدية حينما خصمت العلامات عن المتغيّبين في المحاضرات، والمقصرين بدراساتهم في الامتحانات<sup>(534)</sup>.

كانت العملية التعليمية شاقة في السجون، حيث أنها بدأت بتدريس بعض المساقات في تخصصات محددة في الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية بغزة، واشترطت الكلية للموافقة على

(531) في أعقاب استمرار المنح صدر بيان في 7/1/2013 باسم عشرات الأكاديميين من هيئة التدريس في الجامعة المفتوحة والمؤسسات الحقوقية والتعليمية في إسرائيل قالوا فيه «نحن أعضاء هيئة التدريس والعاملين في الجامعة المفتوحة في إسرائيل، نسجل احتجاجنا على قرار المحكمة الإسرائيلية العليا برئاسة القاضي السابق أهرون براك والذي حرم الأسرى الفلسطينيين من ممارسة حقهم في التعليم الجامعي كضغط على حركة حماس للإفراج عن شاليط، ومع أن شاليط تم الإفراج عنه في صفقة 2011، إلا أن الخطوات التي اتخذت لأجل ذلك لازالت مستمرة رغم الإفراج عنه، نطالب بعودة التعليم للأسرى كجزء من رسالة الجامعة التي لا تضع شروطاً للانتساب لها بغض النظر عن العرق، والدين، والجنس والقومية.

(532) محمد لطفى ياسين: مرجع سابق، ص112.

(533) الأمير المحرر أحمد أبو طه: مقابلة أجراها الباحث، 19/11/2015، غزة.

(534) أحمد محي الدين حرز الله: مقابلة أجراها الباحث، 19/11/2015، غزة.

البرنامج وجود مشرفين من الأسرى يحملون درجة البكالوريوس فما فوق، واعتمد الأسرى النسخ للكتب بسبب وجود نسخ محدودة وأعداد كثيرة من المنتسبين للبرنامج، الأمر الذي جعل الأسير ينسخ بيديه ما يقارب من الثمانية كتاب من المقررات، وبعدما حصل الأسرى على الدبلوم انصب اهتمام الأسرى للبحث عن جامعة فلسطينية أخرى تمنح شهادة البكالوريوس، وبالفعل وافقت جامعة الأقصى على المشروع الذي كان بمثابة تحد للسلطان<sup>(535)</sup>.

واستطاع عدد كبير من الأسرى الحصول على شهادة البكالوريوس من جامعة الأقصى التي احتفلت في نهاية أغسطس 2015م بتخريج الفوج الحادي والعشرين من طلابها تحت شعار «فوج الأسرى والمسرى»، حيث كان من ضمن الطلبة الخريجين قرابة 256 أسير من بينهم محررين، وآخرين مازالوا داخل المعتقلات، وتزين حفل التخرج بصور الأسرى الذين تحدوا الصعاب وحصدوا أفضل الدرجات العليا<sup>(536)</sup>.

لم يكتف الأسرى بالحصول على شهادة البكالوريوس بل سعوا للحصول على الدراسات العليا، ووافقت جامعة القدس أبو ديس على الانتساب لها تحت إشراف الدكتور النائب مروان البرغوثي المتواجد في سجن هداريم، وتخرج عدد منهم على يديه<sup>(537)</sup>، وفي العام 2015م كانت هنالك اتفاقية ما بين هيئة شؤون الأسرى والمحررين وجامعة القدس المفتوحة لفتح شعب دراسية في السجون في عدد من التخصصات «كالخدمة الاجتماعية، واللغة العربية، والتربية الإسلامية» بشرط وجود لجنة مكونة من خمسة مشرفين من حملة الماجستير والدكتوراة في الأقسام<sup>(538)</sup>، بدأت هذه التجربة في سجن هداريم لعدة اعتبارات «توافر الطاقم الأكاديمي، إقبال شديد من الأسرى على التعليم بسبب المحكوميات العالية، قلة التنقلات قياساً بالسجون الأخرى، المسؤولية والجدية والشفافية في التعامل مع الملف» الأمر الذي لم يتوافر في سجون أخرى بسبب التوترات المتعاقبة كسجن ريمون، وكلما توافرت الشروط سيتم البدء بالبرنامج لأي سجن أو معتقل جديد، وذلك لتحقيق طموح الأسرى من جانب، والقيام بالواجب الوطني من قبل الجامعة باتجاههم من الجانب الآخر<sup>(539)</sup>.

### 3. الجامعات العربية والدولية:

استطاع عدد من الأسرى تحقيق بعض الإنجازات على صعيد التعليم بمراسلة الجامعات العربية والدولية، وذلك بعد حملة مراسلات معتمداً على مساعدة الأهل والمحامين والمؤسسات الحقوقية المختلفة، حتى تجاوزت معهم بعض الجامعات العربية والدولية، وقدر

(535) الأسير المحرر رائد خالد غباين: مقابلة أجراها الباحث، 19/8/2015، غزة.

(536) موقع دنيا الوطن: <http://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2015/08/30/767673.html>

(537) أمثال الأسير: إسلام صالح جرار من مدينة جنين شمال الضفة الغربية، والأسير محمود أبو سرور من بيت لحم، والأسير عبد الناصر عيسى وجميعهم من برنامج الدراسات الإقليمية تخصصات دراسات إسرائيل (إ)، والأسير رشيد نضال صبري الذي أنهى رسالة الماجستير من جامعة بيرزيت وهو في معتقل عوفر، وكانت رسالته في إدارة الأعمال بعنوان «إدارة الجودة في الصناعات الفلسطينية للبرمجيات»، والأسير طارق عبد الكريم فياض الذي ناقش رسالة الماجستير من جامعة القدس أبو ديس، وكانت رسالته حول «تأثير الانتفاضة على الاقتصاد الإسرائيلي» (ت)، والأسير وائل عبد الله طحانبة تمكن في العام 2004 من مناقشة رسالة الماجستير من معتقل عوفر مع جامعة النجاح الوطنية الفلسطينية وغيرهم كثير.

(538) مسئول برنامج التعليم في هيئة الأسرى وائل السعدوني: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 19/7/2015.

(539) الدكتور جهاد البطش نائب رئيس جامعة القدس المفتوحة: مقابلة أجراها الباحث، 19/8/2015، غزة.

لرسائلهم أن تولد في الخفاء<sup>(540)</sup> كما عاشت سنوات في طي الكتمان بسبب محاربة إدارة السجون لتلك الظاهرة، وتمت مناقشة الرسائل عبر الهواتف النقالة المهرية<sup>(541)</sup>.

#### 4. البحث العلمي:

لم ينشط البحث العلمي في السنوات الأولى للاعتقال لعدة أسباب منها:

- أ- وجود أولويات واهتمامات لدى المعتقلين كبناء المجتمع الاعتقالي الصحي.
- ب- عدم توافر الكوادر المدربة على البحث، والتركيز على الثقافة العامة دون البحث والتدقيق.
- ج- مجال الحياة في الاعتقال ضيق بحيث لا تتعدى النواحي التي يمكن أن تبحث علمياً<sup>(542)</sup>.
- د- عدم توافر مكتبات علمية عامة واسعة في بدايات الاعتقال.
- هـ- بقاء الوعي السياسي بعمقه الأيدلوجي مسيطراً، لأنه كان نمطاً لتربية المعتقل.
- و- انشغال الكوادر الأكثر وعياً بالمهام التنظيمية التي خصت معظم وقتها في العمل التنظيمي.
- ز- عدم اقتناع المعتقلين بالاقتراس الأكاديمي كأسس للبحث، والنظر إليه كشيء من الضعف<sup>(543)</sup>.

ويرى الباحث أن هذا الأمر تغير في أعقاب الانتفاضات وخاصة انتفاضة 2000م في أعقاب اعتقال الكفاءات العلمية والأكاديمية، والكوادر التنظيمية، والسماح بإدخال الكتب، والسماح بالجامعة المفتوحة في إسرائيل، والجامعات الأخرى بشكل غير رسمي، ومشاهدة الفضائيات ومتابعة المتغيرات وخاصة السياسية.

فركز عدد كبير من المعتقلين على البحث العلمي وطبع الكثير منها في مجالات متنوعة في مجال الاعتقال والقانون الدولي، والديمقراطية، والمتغيرات السياسية ومستقبل المنطقة، وفي

---

(540) وحصل الأسير ناصر عبد الله عبد الجواد من بلدة دير بلوط قرب نابلس على شهادة الدكتوراة الجامعة الأمريكية المفتوحة في واشنطن، وكانت رسالته بعنوان « نظرية التسامح مع غير المسلمين في المجتمع المسلم » في العام 1997 م، وحصل الأسير القائد مروان البرغوثي على درجة الدكتوراة في العلوم السياسية بتاريخ 16/3/2010، من معهد البحوث والدراسات العربية التابع للجامعة العربية في القاهرة، وترأس لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور أحمد يوسف عميد المعهد وأستاذ العلوم السياسية، والأستاذة الدكتوراة نيفين مسعد، والأستاذ الدكتور علي الجرباوي، والتي كانت بعنوان « الأداء التشريعي والرقابي والسياسي للمجلس التشريعي الفلسطيني وإسهامه في العملية الديمقراطية في فلسطين 1996-2008 ».

وحصل كلاً من الأسيرين إيباد أبو خيزران و قاسم عواد على شهادة البكالوريوس من جامعة العالم الأمريكية عام 2010، وحصل الأسير عبد الحافظ سعدي غيطان على شهادة الدكتوراة في الإدارة العامة من جامعة العالم بالتنسيق مع جامعة بئر زيت بنشر في أيلول لعام 2010، وحصل الأسير حاتم قفشة على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة العالم الأمريكية بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف على رسالته التي كانت بعنوان «تآكل قوة الردع الإمبريالية»، وقد أتم إعدادها داخل معتقل النقب الصحراوي.

(541) إبراهيم أبو الهيجا: المنسيون في غياهب الاعتقال الصهيوني، مصر، الجزيرة، مركز الإعلام العربي، 2004: ص155.

(542) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص181.

(543) المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية، مرجع سابق، ص18.

الأفكار والبرامج والحركات الوطنية والإسلامية والقضية الفلسطينية، وفي الشأن الإسرائيلي، والأمن، والمنظومة الدولية، وفي شروط النهضة والحضارة وغير ذلك من المجالات.

### ثالثاً- تعلم اللغات:

تميز المعتقلون باهتمامهم الكبير في تعلم اللغات وخاصة العبرية التي كانت مفتاح للانتساب للجامعة المفتوحة في إسرائيل، وقراءة المجتمع الإسرائيلي من خلال وسائل الإعلام المتوافرة بشدة لعدم منح الفضائيات العبرية، وقوة البث الإذاعي للقنوات العبرية وخاصة أثناء التغطيات للأحداث الميدانية والعمليات العسكرية وما يخصهم في المفاوضات السياسية، ولوجود الصحف العبرية وإمكانية الاشتراك بها، وهناك ثلاثة عوامل جعلت المعتقلين الفلسطينيين أكثر اهتماماً بتعلم اللغات عامة في المعتقلات وهي:

الأول: تبلور الحركة الثقافية والفكرية، وبروز وعي لدي المعتقلين بأهمية تعلم اللغات، لأنها تشكل جسراً نحو الاستفادة مما وصل إليه وحصله الآخرون، وهذا ما يفسر حماس الكثير من المعتقلين لتعلم اللغة الانجليزية والفرنسية والأسبانية وحتى الروسية.

الثاني: هذا العامل ارتبط باللغة العبرية والذي جاء استجابة للحاجة ومتطلبات الواقع، أي لمعرفة ما يدور حولهم، وكذلك لمخاطبة الإدارة والسجان، وتقديم المطالب وغير ذلك من حاجات يومية.

الثالث: هو مركب بين ما هو نضالي وما هو معرفي، وتمثل في السعي للتعرف على العدو، وتفحص بواطن قوته وضعفه بغية أخذ ذلك بالحسبان لدى صياغة البرامج والتوجهات النضالية<sup>(544)</sup>.

لذا نجد الكثير من الأسرى يتقنون اللغة العبرية<sup>(545)</sup>، ووجد الباحث عدداً كبيراً من المعتقلين توجهوا أيضاً لدراسة اللغة الانجليزية لعدة أسباب:

1. توافر الكتب التعليمية من خلال الصليب الأحمر والأهالي.
2. عدد كبير من الأسرى من يملك الأرضية للتعليم الذاتي للغة الانجليزية بسبب دراستهم لها في المدارس والجامعات.
3. توافر المدرسين من حملة الشهادات والأكاديميين ممن يتقنون اللغة الانجليزية.
4. الحالة التنافسية في تعلم اللغات بين الأسرى.
5. إجبار طلبة الجامعة المفتوحة في اسرئيل على اجتياز خمسة مستويات كشرط لتسجيل الكورسات المتقدمة الأربعة قبيل التخرج.

(544) حسن عبد الله: الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص.54.  
(545) عدنان جابر: مرجع سابق، ص.173.

6. كانت لغة المؤسسات الدولية والحقوقية أثناء زيارتهم للسجون للاطلاع على أحوالها كالصليب الأحمر الدولي.

وهناك عدد قليل من الأسرى الذين تعلموا اللغة الفرنسية من أسرى التحقوا بالثورة الفلسطينية وعاشوا في دول المغرب العربي وخاصة الجزائر، وآخرون تعلموا الروسية من طلبة اعتقلوا خلال عودتهم من روسيا ودول شرق أوروبا، وآخرون تعلموا لغات متفرقة<sup>(546)</sup>، وكان لأسرى الداخل المحتل الفضل الكبير في تعليم الأسرى اللغة العبرية، كونهم تعلموها في المدارس، واختلطوا بالمجتمع الإسرائيلي قبل الاعتقال، ومع مر سنين الاعتقال توافر عدد كبير من المعلمين الأسرى وخاصة القدامى ممن لا حصر لهم في تعليم اللغة العبرية في السجون.

لقد وسَّع تعلم اللغات اطلاع المعتقلين، ونوَّع تجاربهم، وزاد مصادر معلوماتهم، وفتح قنوات أخرى لكسر الحصار عنهم، ما يرهّن أن المعتقلين الفلسطينيين والعرب كان لديهم إصرار نادر على استثمار الوقت خلف القضبان، فيما هو مفيد ونافع، وتشكل اللغات صورة إيجابية من صور كثيرة في تجربة المعتقلين بعضها وثق كتابياً، والكثير منها لم يوثق، من هنا فإن الاهتمام باللغات وتعلمها وتناولها من مناضل متعلم إلى مناضل تلميذ، هي شكل إبداعي، جعلت من تعلم اللغات وسيلة للاطلاع على ثقافات الشعوب الأخرى<sup>(547)</sup>.

#### رابعاً- تعلم القرآن الكريم وأحكامه وحفظه:

اهتم الأسرى في السجون بالجانب الروحاني والعبادات، لأن طبيعة الإنسان أي كان دينه وجنسه يكون أقرب إلى الله في الضيق من أي وقت مضى، فيكثر الأسير من الصلاة والصيام والتسبيح والعبادات في الزنازين والمعتقلات، واعتنى الأسرى بقراءة القرآن الكريم وتعلموا من خلال الجلسات اليومية وخاصة في أقسام الجماعة الإسلامية أحكام التلاوة والتجويد، وهنالك أعداد كبيرة من الأسرى من حفظوا القرآن عن ظهر قلب.

فتعلم القرآن الكريم شكل مادةً للصبر وقت العسر للأسرى، وزاد للتزود منه خلف القضبان، فكان المحطة التي استراح في ظلها الأسرى عند اشتداد الكرب، ووجدوا في كنفه ما يقوي عزائمهم لحظة التعب والضعف<sup>(548)</sup>.

(546) على سبيل المثال لا الحصر المناضلة «عائدة سعد» تعلمت اللغة العبرية في السجن منذ السبعينات ودرستها غيرها من الفتيات المناضلات، وأخرى علمن المناضلات العبرية كالأسيرة لينا الجربوني، وأمنة منى، وأسيرات انتسبن للجامعة المفتوحة في إسرائيل كالأسرى.

(547) حسن عبد الله: الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص55.

(548) لم يقتصر حفظ القرآن على أسرى فصائل المقاومة الإسلامية (الجهاد الإسلامي وحما)، بل هنالك عدد كبير من أسرى حركة فتح ممن حفظوا القرآن وكتبوه بخط اليد ليؤتوا، والأسير إبراهيم البيادسة اعتقل رقيقاً في تنظيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ومحكوماً بالمؤبد لمدى الحياة وتمكن من حفظ القرآن كاملاً أثناء الاعتقال.

الأسير المحرر مصعب البريم قال: كنا نهرب إلى القرآن الكريم لنحيا بمعيته قبل أن يقتلنا الوقت والسجان وظلمة الاعتقال، فوجدنا فيه خير أنيس، كوننا كنا في أجواء محنة وعذاب وقهر، وبيئة معقدة التركيب تحتاج لاستراحات روحانية، والوقت منحنا القدرة على التنافس على حفظه، واللجان الثقافية أفرزت جزء من ميزانيتها لتشجيع وتحفيز الأسرى على ذلك، مما جعل الأسرى يحفظون سور لا تقل عن حزب وأكثر في اليوم الواحد، والأسرى تمكنا من حفظ القرآن ما بين عام إلى عامين، وجمع سجن نفعة ما يقارب من الأربعين حافظاً للقرآن الكريم، ومثيل ذلك العدد «أقل أو أكثر» في سجون ومعتقلات أخرى، ودخل علم السنن المتصل عن النبي صلى الله عليه وسلم لحفظ القرآن إلى السجون بوجود الشيخ الدكتور عيد دحادحة في العام 2008 في سجن رمون ومن ثم انتشر إلى باقي السجون، وتلقى عدد من الأسرى على يديه وتلاميذه الشهادات المصدقة من وزارة الأوقاف.

ونظم الأسرى عملية تحفيظ القرآن الكريم في السجون لمنحهم الشهادات التأهيلية والمتقدمة في أحكام التلاوة والتجويد بالتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الدينية الفلسطينية، وكونت لجان لامتحانات ومشرفين في كل قسم، ومجموعات للتحفيظ وفق مستوى الأسرى سميت بالتأسيسية للمبتدئين ومتقدمة وتأهيلية للجاهزين لتقديم الامتحانات النهائية، وتم تقديم الشهادات التي اعترز بها الأسرى وذووهم في احتفالات عامة لتكريمهم.


في نهاية المبحث يؤكد الباحث أن الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة أولت أهمية كبيرة لتعليم الأسرى في السجون لكل المراحل وجميع المستويات، فالتعليم في ثقافة الأسرى يعد الحاضنة الأولى للإبداع على كافة الصعد " الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعسكرية " وفي كافة المجالات الأخرى، فهو أحد أشكال المقاومة التي تصقل قدرة المناضل لمواجهة السياسات التجهيلية نحوه، فالتعليم والتوسع في المعارف والثقافات لدى المعتقلين يعدوا أهم الأسلحة بعد الاعتقال، فاهتمام الأسرى بالتعليم يشغل وقت المعتقلين بالمنفعة في الكثير من الجوانب التربوية والتنموية، وفي الاطلاع على الحضارات والثقافات والتجارب النضالية العالمية، والالتحاق بعد التحرر بالجامعات للحصول على الشهادات في الدراسات العليا، ويضمن مستقبل المعتقل على صعيد العمل والمكانة الاجتماعية والتنظيمية.

في نهاية الفصل ويعتقد الباحث أن كل مخططات إدارة مصلحة السجون تحطمت على صخرة العلم والوعي والثقافة التي تسلم بها الأسرى منذ لحظة الاعتقال، وفشلت في تحويلهم إلى عبء يثقل كاهل المجتمع بعد تحريرهم، واستطاع عموم الأسرى أن يبنوا ذواتهم ثقافياً وأكاديمياً، وخرجوا من السجون والمعتقلات كوادرات تنظيمية تملك تجربة نضالية واعتقالية أكثر من ذي قبل، وقادة سياسيين وعسكريين فهموا حقيقة عدوهم بأكثر وعي وحكمة ودراية وعمق، وشاركوا في مجتمعاتهم كخبراء ومختصين، وكتاب وأدباء وصحفيين، فأنخرطوا في المؤسسات الرسمية والأهلية والفصائل الوطنية، قادة ومفكرين، وأمناء لتنظيماتهم وأعضاء مجلس وطني ووزراء حكوميين.

ولا بد من الإشارة أنه لم يقصد من خلال هذا الفصل القول بأن كل المعتقلين على الإطلاق يخرجون من المعتقل بذات المستوى من الكفاءة الثقافية، والقدرة الإبداعية، والمكانات العلمية والأكاديمية، فهناك من رغبوا عن المشاركة الفعالة بنفس المهمة، ولكن بالعموم خرجت المعتقلات أناساً قادرين ومبدعين ساهموا في عملية النضال الفلسطيني في مختلف المجالات وعلى كل المستويات<sup>(549)</sup>.

في الفصل القادم سيتناول الباحث بعض الظواهر الإبداعية في السجون والمعتقلات الإسرائيلية، كالإضرابات المفتوحة عن الطعام لتحقيق الحقوق، والظاهرة الإنسانية المستجدة بالإنجاب عن طريق النطف المهربة، ودور الأسرى في محاولات إنهاء الانقسام الفلسطيني، والتجربة الديمقراطية الاعتقالية.

(549) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص 198.



**الفصل الرابع**  
**من مظاهر الإبداع في السجون**



## الفصل الرابع من مظاهر الإبداع في السجون

كثيرة هي مظاهر إبداع الأسرى في السجون، على صعيد إنجازاتهم الشخصية، وبلورة المواقف والخطوات النضالية، والتجارب الاعتقالية في مواجهة السجنان، والتمكن في أعقاب عملية مواجهة ممتدة وطويلة وصعبة وعنيدة من فرض نظام داخلي يتمتع بحد أدنى من الإدارة الذاتية<sup>(550)</sup> وعملية الدفاع عن الذات والجماعة والتراث الاعتقالي، ومن مظاهر الإبداع تخريج القادة، المتمتعون بالخيال الواسع، وعدم الاستسلام للمشكلات، والتحلي بالصبر للوصول إلى الحلول بأقل التكلفة وأقل الإمكانيات، قادة يتمتعون بالانضباط الذاتي، ويميلون للاستشارة في اتخاذ القرار، ومتقبلون للنقد الذاتي والبناء عليه للوصول إلى الأفضل، متصفون بالعقل المفتوح، والتحلي بالمرونة والاتصاف بالحساسية المطلوبة نحو المشكلات، والقدرة على توليد الأفكار الجديدة، والحزم والقدرة على السيطرة والتوجيه والإشراف، والتميز بالمتابعة وتحمل المسؤولية، وعدم الاستسلام لإدارة مصلحة السجون الإسرائيلية ومخططاتها القمعية وسياساتها العنصرية، والقدرة على التكيف مع المحيط والتقلبات رغم التنقلات وكثرة المتغيرات، والتطلع بنظرة تفاعلية للمستقبل، والقراءة الجيدة للماضي، وأخذ العبرة من التجارب السابقة، وقراءة واعية للواقع، واستشراف للمستقبل مع اليقين بالنصر والحرية، وجميعها مواصفات للشخصية المبدعة<sup>(551)</sup>.

في هذا الفصل سيتناول الباحث أربعة مباحث تعتبر جزءاً من مظاهر الإبداع للأسرى داخل السجون، أولها، مسيرة الإضرابات المفتوحة عن الطعام والتي بلغت ذروتها قياساً بحركات التحرر العالمية، وثانيهما، أسطورة الإنجاب من داخل الاعتقال كثورة إنسانية في وجه السجنان، وثالثهما، الدور الوطني والتدخلات من قلب المعتقلات لفض النزاعات وحالة الانقسام الفلسطيني بوثيقة الأسرى، ورابعهما، ممارسة الديمقراطية من حيث الفهم والوعي بالمبادئ، والتطبيق لها في مجتمع اعتقالي مصغر أقرب إلى المدينة الفاضلة.

(550) زاهي وهبي: مرجع سابق، ص 131.

(551) أنظر: د وليد العياصرة: مرجع سابق، ص 135.

dinca.m.(1993). personality traits as interface between the creative potential and creativity.Revue romance do psychologies,vol.37(2), PP 145-152.

Elder,linda and Paul ,Richard(2001) .Critical thinking: Thanking to some purpose.journal of developmental Education ,25(1) ,PP 40-42.

Olson ,J.(1999.What academic librarians, librarianship should know about creative thinking journal of academic , librarianship ,25(5) .PP383-390.

Richard, T. 1990. Creativity and problem solving at work.England gower company limited.

Schank , G(1993) .Effects of A creative problem solving curriculum on students of varying Ability levels. Gifted Quartelrly ,vol.37,no.1.PP32-38.

# المبحث الأول

## الإضرابات المفتوحة عن الطعام لتحقيق الحقوق

من مظاهر إبداع الأسرى في السجون « القدرة على قراءة الواقع » من حيث حاجة الأسرى للمطالب والحقوق، ودراسة أوضاعهم من حيث القوة والضعف، والتعمق في النظر للواقع الإسرائيلي من حيث شكل الحكومة وائتلافها وشخصية وزير الأمن الداخلي المسؤول عن إدارة مصلحة السجون والمسؤول عنها، والأوضاع الفلسطينية ومكانة الأسرى ضمن أولوياتها في ظل زحمة الأحداث والهموم، ومراقبة الأوضاع العربية والعالمية، والحكمة في اختيار الظرف والتوقيت المناسبين، ودراسة جميع البدائل وفق الإمكانيات المتاحة، والأهم اختيار وسيلة النضال الأكثر تأثير وأقل تكلفة وأكثر ملاءمة في مواجهة السجناء.

ولقد استخدم الأسرى الكثير من الوسائل النضالية « العنيفة والسلمية، التكتيكية والاستراتيجية » لتحقيق حقوقهم الأساسية والإنسانية، واعتمدوا طريقة النضال السلمي كأحد وسائل النضال المؤثر من خلال الإضرابات المفتوحة عن الطعام، تلك الوسيلة التي تعد امتداداً لأحد أشكال النضال العالمي في وجه الطغاة، فالنضال السلمي يعود امتداده إلى قرون طويلة ما قبل الميلاد، وقد تكون أول حركة احتجاجية سلمية مؤرخة تعود إلى عام 494 قبل الميلاد، حين حجب العامة التعاون عن أسيادهم النبلاء الرومان، تلك الحركة التي افتتحت عصراً جديداً من المواجهة السلمية مع السلطات، وحديثاً فالتاريخ حافل بالثورات والحركات الاحتجاجية السلمية التي راکمت تجربة إنسانية هائلة لمقاومة القهر، والظلم والاحتلال<sup>(552)</sup>.

فالنضال السلمي من خلال العديد من الوسائل وعلى رأسها « الإضرابات المفتوحة عن الطعام » أثبتت نجاعتها وقدرتها على التأثير وتحصيل الحقوق، وفي إبراز قضية الأسرى إعلامياً على المستوى العربي والدولي، وإدانة سلطة الاحتلال قانونياً، كونها تتجاوز الاتفاقيات والمواثيق الدولية، والقانون الدولي الإنساني بمعاملتها السيئة مع المعتقلين، وعملت على الالتفاف حول قضيتهم فلسطينياً وعربياً ودولياً.

في هذا المبحث سيتناول الباحث وسيلة الإضراب المفتوح عن الطعام كأحد أشكال مقاومة الأسرى، وسيطرق إلى ظروفه وتوقيته، وأنواعه، والخطوات التمهيديّة التي تسبقه في الإعداد والتحضير كأسباب لنجاحه.

هاني نعيم: النضال اللاعنفي - الطريق إلى الحرية، لبنان، بيروت، منشورات هنيعل، 2012، ص 5 (552)

## أولاً- الإضراب المفتوح عن الطعام (التعريف، والجدور، والأنواع):

### 1. تعريف الإضراب المفتوح عن الطعام:

الإضراب المفتوح عن الطعام أو ما يعرف بـ «معركة الأمعاء الخاوية أو المعركة الاستراتيجية في السجون» هو امتناع المعتقل عن تناول كافة أصناف وأشكال المواد الغذائية الموجودة في متناول الأسرى باستثناء الماء وقليل من الملح (553). وتعتبر هذه الخطوة الأخطر والأقسى التي يلجأ إليها المعتقلون لما يترتب عليها من مخاطر جسيمة - جسدية ونفسية- وصلت في بعض الأحيان إلى استشهاد عدد منهم، ويلجأ الأسرى إلى مثل هذه الخطوة بعد نفاذ كافة الخطوات النضالية التكتيكية الأخرى، وعدم الاستجابة لمطالبهم عبر الحوار المفتوح بين السلطات الاحتلالية، واللجنة النضالية التي تمثل المعتقلين، حيث أن الأسرى يعتبرون الإضراب المفتوح عن الطعام، وسيلة لتحقيق هدف وليس غاية بحد ذاتها، كما تعتبر أكثر الأساليب النضالية السلمية وأهمها، من حيث الفعالية والتأثير على إدارة المعتقلات والسلطات والرأي العام لتحقيق مطالبهم، كما أنها تبقى أولاً وأخيراً معركة إرادة وعزيمة وتصميم (554)، وهنالك أنواع من الإضرابات وفق الأهداف، كالإضرابات الاحتجاجية، والتضامنية، والمطلبية، والسياسية (555).

(554) يعد الإضراب المفتوح عن الطعام من الوسائل السلمية الاحتجاجية منذ قديم الزمان، فلقد أستخدم في إيرلندا ما قبل المسيحية، حيث كانت تعرف باسم «troscadh» أو «Cealachan» وكانت توجد قواعد محددة للإضراب عن الطعام في ذلك الوقت، وفي كثير من الأحيان يكون الإضراب عن الطعام أمام منزل الجاني، ويعتقد العلماء أن الإضراب أمام منزل الجاني يرجع إلى الأهمية العالية في حسن الضيافة آنذاك، حيث يعتبر السماح للشخص المضرب عن الطعام بالموت أمام المنزل عار كبير لصاحب هذا المنزل، ويقول آخرون أن هذا الإضراب يكون فقط لليلة واحدة، حيث لا يوجد أي دليل في إيرلندا يدل على موت المضرب عن الطعام، وكان الهدف الأول للإضراب عن الطعام في ذلك الوقت استرداد الديون أو الحصول على العدالة، وتوجد أساطير لـ سانت باتريك قديس إيرلندا تقول بأنه استخدم الإضراب عن الطعام.

أما في الهند، فقد ألغت الحكومة الهندية عام 1861 ممارسة الإضراب عن الطعام من أجل الحصول على العدالة أمام باب الطرف المخالف (عادة المدين)، وهذا يدل على انتشار هذه الممارسة قبل ذلك التاريخ أو على الأقل الوعي العام بها، وهذه الممارسة الهندية قديمة وتعود إلى نحو 400 إلى 750 قبل الميلاد.

وأكثر من اشتهر بالمقاومة السلمية «المهاغما غاندي» الذي سجن مرات لدى الحكومة البريطانية وبسبب مكانته العالمية فقد كرهت الحكومة البريطانية أن يموت وهو في عهدها، وذلك خوفاً من تأثير سمعتها بهذا الحدث، وشارك «غاندي» في العديد من أحداث الإضراب عن الطعام وذلك احتجاجاً على الحكم البريطاني في الهند وبعده الكثير من المناضلين الهنود في استخدام هذه الوسيلة النضالية، وخاضت المطالبات بحق اقتراع المرأة في مطلع القرن العشرين إضراباً عن الطعام في السجون البريطانية، وكانت «ماريون دونلوب» أول من بدأت الإضراب عن الطعام في العام 1909، وقد توفيت كل من «ماري كلارك» و«جين هيوارث» و«كاترين فراي» وغيرهن نتيجة لما تعرضن له من إطعام قسري بالقوة، وقد استخدمت المطالبات الأمريكيات بحق الاقتراع للمرأة أيضاً بهذه الطريقة من الاحتجاج السياسي أسوة بنظرائهن البريطانيات.

وقد جذرت ثقافة الإضراب المفتوح عن الطعام بعمق في المجتمع الإيرلندي والفلسطيني، فقد استخدم الجمهوريون الإيرلنديون هذه الطريقة منذ العام 1917 وأيضاً خلال الحرب الإنجليزية-الإيرلندية في العقد الثاني من القرن الماضي، وأول إضراب عن الطعام قام به الجمهوريون قابله البريطانيون بالإطعام القسري، والذي تصاعد في العام 1917 ووصل ذروته باستشهاد «توماس آش» في سجن «مونتجووي»، وبعد نهاية الحرب الأهلية الإيرلندية في أكتوبر من العام 1923 دخل ما يقرب من 8000 سجين من الجيش الجمهوري الإيرلندي في إضراب عن الطعام احتجاجاً على استمرار دولة إيرلندا الحرة في اعتقالهم، وقد لجأ لجيش الجمهوري الإيرلندي الموقت لهذه الطريقة مبعداً في مطلع سبعينيات القرن الماضي، وفي العام 1981م توفي عدد منهم في تلك الإضرابات كان أشهرهم «بوبي ساندرز» الذي توفي نتيجة الاضرابات في 5 مايو/ أيار 1981م.

واستخدم أيضاً تلك الوسيلة السلمية «الكويبون» ففي إبريل من العام 1972 قام المنشق السياسي والشاعر المسجون «بيدرو لويس بوينيل» بإعلان إضرابه عن الطعام، حيث عاش ما يقارب 53 يوماً على السوائل فقط، مما أدى إلى وفاته في 25 مايو/ أيار 1972، واشتهرت العديد من الحركات الثورية التي ناضلت ضد الاستعمار وسلطات الاحتلال باستخدام هذه الوسيلة النضالية كجنوب أفريقيا، ومثل الإضراب المفتوح عن الطعام أكثر صور الإحتجاج الفلسطيني في السجون الإسرائيلية، وكانت أوائل التجارب الفلسطينية للإضرابات المفتوحة عن الطعام في سجن نابلس في تشرين الثاني / نوفمبر 1968 لثلاثة أيام، وفي سجن عسقلان، والرملة، ومعقل بيت ليد «وكفاريونا في الثامن عشر من فبراير/ شباط 1969م واستمر تسعة أيام»، واتسمت جميعها بالعنفية، ولقد دفع الشعب الفلسطيني العديد من الشهداء خلال هذه المسيرة كان أولهم الشهيد عبد القادر أبو الفصح في 11 يوليو / تموز 1970م في أعقاب أول إضراب جماعي ومنظم من حيث الإعداد وعدد المشاركين في الإضراب الذي بدأ في 5 يوليو / تموز 1970 بسجن عسقلان، واستشهد آخريين أثناء إضراباتهم الجماعية والفردية، والتي وصلت إلى ما يقارب من 260 يوماً متتالية في إضرابات فردية، في أعقاب شرارة إضرابات فجرها الشيخ المجاهد خضر عدنان في ديسمبر/ كانون الأول 2011، والتي كانت الأطول والأقسى في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة رفضاً لسياسة الاعتقال الإداري.

(554) وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية: <http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=3796>

(555) زهير المصري، نجود أحمد: مرجع سابق، ص 17.

## أما عن تصنيف الإضرابات من حيث المدة فهناك:

- **الإضراب المحدود:** وهو الامتناع عن تناول الطعام لفترة تقل عن ثلاثة أيام بُغية استنكار موقف ما يخص قضية معينة، أو حالة تضامن مع شخص معزول أو مريض أو حالة احتجاجية مؤقتة.
- **الإضراب غير المحدود عن الطعام:** وهو الامتناع عن تناول الطعام لفترة زمنية غير محدودة، وتقترن فترة انقضائها بتحقيق المطالب التي نفذت من أجلها الإضراب وتبقى مفتوحة وقد تقترن بسقوط شهداء، حيث يتم الإعلان بين المضربين عن الطعام أن الإضراب سيبقى مفتوحاً إلى أجل غير مُسمى.

### 1. تصنيف الإضرابات المفتوحة عن الطعام:

#### أ - تصنيف من حيث المشاركة:

- **إضرابات جماعية:** دخول جماعي للأسرى باستثناء الحالات المرضية المزمنة، وقد يمتد لكل السجون أو غالبيتها كإضراب (1970 و1992م)، أو للمعظم كما الإضرابات السياسية وإضراب 2012، وغالباً ما يحمل قضايا مطلبية تتمثل بتحسين الظروف المعيشية.
- **إضرابات فردية:** دخول فردي تطوعي في إضراب مفتوح عن الطعام، كشكل نضالي فرضته أسباب ذاتية وموضوعية<sup>(556)</sup>، استدعته الظروف في ظل عدم الإجماع أو تحقيق الأغلبية المطلوبة للدخول في خطوات استراتيجية تحمل أهداف سامية ووطنية كرفض الاعتقال الإداري، أو التمديدات تحت مسمى مقاتل غير شرعي، أو المطالبة بتطبيق قانون أسرى الحرب على الأسرى الفلسطينيين، وقضايا أخرى، وبرزت بشكل كبير في الأعوام ما بين (2011 - 2015م).

#### ب- تصنيف من حيث الأهداف:

- **الإضرابات الاحتجاجية:** مثلت تلك الإضرابات وسيلة احتجاج على قضايا مطلبية كالتفتشات ومنع الزيارات، وسوء الطعام كمأً ونوعاً، أو الاستهتار بحياة أسير معرضة حياته للخطر والمطالبة بنقله للمستشفى، أو بسبب منع إدخال احتياجات الأسرى من ملابس وأغطية وأحذية عبر الزيارات وقضايا أخرى.
- **الإضرابات التضامنية:** مثل الإضراب عن الطعام لوجبات أو أيام مع الأسرى المضربين عن الطعام احتجاجاً على اعتقالهم الإداري التعسفي بلا لوائح اتهام، أو التضامن مع الأسرى المعزولين لفترة طويلة بشروط غير محتملة وغير إنسانية مخالفة لكل الاتفاقيات الدولية.

(556) عبد الناصر فروانة، مرجع سابق، ص336.

• **الإضرابات المطالبة:** وهي أكثر الإضرابات تكراراً منذ بدء الحركة الأسيرة، وتصل لفترات طويلة حتى تلبية إدارة السجون لمطالبهم، وتهدف تلك الإضرابات إلى تحسين شروط حياة الأسرى المعيشية، والرعاية الطبية، وشروط زيارة الأهل، وتطبيق الاتفاقيات الدولية على الأسرى في التعليم وشروط الاعتقال، والتهوية، والحقوق الأساسية، وقضايا مطالية تقتضيها الحاجة من فترة إلى أخرى<sup>(557)</sup>.

• **الإضرابات السياسية:** لم تمر الاتفاقيات السياسية التي وقعت بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي بشأن الأسرى مروراً عابراً، بل واجهت غضباً شديداً وانتقاداً لاذعاً من قبل الأسرى، وقاموا بثلاث إضرابات سياسية مفتوحة عن الطعام للمطالبة بحريتهم<sup>(558)</sup>، كان أولها في 21 يونيو/ حزيران 1994م، والثاني في 18 يونيو/ حزيران 1995م، والثالث في 5 كانون أول / ديسمبر 1998م، وكان لهذه الإضرابات التأثير الكبير بالضغط على طواقم المفاوضات والرعاة الدوليين للعملية السياسية للضغط من أجل الإفراج عنهم، وتم الإفراج عن الآلاف بموجب المفاوضات السياسية ونضالات الحركة الأسيرة في السجون بإبراز قضيتهم، باستثناء من قام بعمليات مقاومة نوعية تسببت بجرح أو قتل مستوطنين رفضت دولة الاحتلال الإفراج عنهم، وبقي عدد منهم في السجون بعد أكثر من 20 عام على اتفاقية أوصلو<sup>(559)</sup>.

### الإضرابات المفتوحة عن الطعام في القانون الدولي:

أكدت الاتفاقيات الدولية على ضرورة احترام خيارات المحتجزين والحفاظ على كرامتهم الإنسانية، ويتفق موقف اللجنة الدولية للصليب الأحمر الدولي مع موقف الرابطة الطبية العالمية والمنصوص عليه في إعلان « مالطا وطوكيو » من العام 2006م، واللنا أكدنا على حق الأسير أينما كان أن يختار وسيلته النضالية وخاصة إذا ما كانت بوسيلة سلمية، ومنها الإضرابات المفتوحة عن الطعام<sup>(560)</sup>.

(557) زهير المصري، نجاد أحمد: مرجع سابق، ص 17.

(558) عيسى قراقع: مرجع سابق، ص 87.

(559) من أهم إضرابات الحركة الفلسطينية الأسيرة إضراب سجن الرملة بتاريخ 18/2/1969 واستمر (11) يوماً، وإضراب معتقل كفار يونا بتاريخ 18/2/1969 واستمر ثمانية أيام، وإضراب الأسيرات الفلسطينيات في سجن نفسي ترستا بتاريخ 28/4/1970 واستمر تسعة أيام، وإضراب سجن عسقلان بتاريخ 5/7/1970 واستمر سبعة أيام، وإضراب سجن عسقلان بتاريخ 25/13/9/1973 يوماً، وإضراب الذي انطلق من سجن عسقلان لتحسين شروط الحياة الاعتقالية واستمر (45) يوماً، وإضراب 24/2/1977 في عسقلان واستمر لمدة (20) يوماً، وإضراب نضحة بتاريخ 14/7/1980 واستمر (32) يوماً، وإضراب سجن جنيد في سجن جنيد في 19/6/1984 واستمر (13) يوم، وإضراب سجن جنيد في 25/3/1987 وشارك فيه أكثر من (3000) أسير فلسطيني، من مختلف السجون واستمر (20) يوماً، وإضراب سجن نضحة في 23/6/1991 واستمر (17) يوماً، وإضراب 27/9/1992 الذي شمل معظم السجون. وشارك فيه نحو سبعة آلاف أسير واستمر 17 يوماً في غالبية السجون و19 يوماً في أخرى، وقد اعتبر هذا الإضراب من أنجح الإضرابات التي خاضها الأسرى الفلسطينيون من أجل الحصول على حقوقهم، وإضراب 6/1994، الذي شمل معظم السجون احتجاجاً على الآلية التي نفذ بها الشق المتعلق بالإفراج عن خمسة آلاف أسير فلسطيني حسب الاتفاق السياسي « أوصلو » واستمر الإضراب ثلاثة أيام، وإضراب الأسرى بتاريخ 18/6/1995 تصت شعار (إطلاق سراح جميع الأسرى والأسيرات دون استثناء واستمر لمدة (18) يوماً، وإضراب أسرى سجن عسقلان عام 1996 واستمر 18 يوماً على الماء والملح، وإضراب 5/12/1998 إثر قيام إسرائيل بالإفراج عن (150) سجين جنائي، وإضراب 1/5/2000 احتجاجاً على سياسة العزل، وإضراب سجن نيفي ترستا بتاريخ 26/6/2001 حيث خاضته الأسيرات واستمر لمدة 8 أيام متواصلة احتجاجاً على أوضاعهن السيئة، وإضراب شامل في كافة السجون بتاريخ 15-8-2004 واستمر 19 يوماً، وإضراب أسرى سجن شظية في 10-7/2006 واستمر 6 أيام وذلك احتجاجاً على تفشي الالتهاب على الزيارات وكذلك لتحسين ظروف المعيشة، وإضراب أسرى الجبهة الشعبية وبعض المعتزولين واستمر 22 يوماً في عام 2011 للمطالبة بوقف سياسة العزل الانفرادي، وإضراب 17/4/2012 والذي بدأ بمشاركة تدريجية للأسرى ووصل عدد الأسرى المضربين ما يزيد عن 1500 أسير واستمر 28 يوم مطالبين بإلغاء العزل الانفرادي، والحد من سياسة الاعتقال الإداري، والسماح بالزيارات لأسرى غزة، وإلغاء قانون شاليط، وإضراب الأسرى الإداريين في 24/4/2014 احتجاجاً على استمرار اعتقالهم الإداري دون تهمة أو محاكمة، مطالبين بإلغاء سياسة الاعتقال الإداري، وإضراب أسرى حركة الجهاد الإسلامي ضد العزل الانفرادي بتاريخ في 9/12/2014 والذي استمر عشرة أيام، وكان آخرها إضراب الأسيرين خضر عدنان ل 56 يوم بلا مدعمات والإفراج عنه في 12/7/2015 والأسير محمد علان في 17/6/2015 بنفس الطريقة والذي استمر 65 يوماً متتالية ورفضها لأخذ كل أشكال الفيتامينات والمدعمات الغذائية وإجراء الفحوصات الطبية وإمتادها على الماء فقط، احتجاجاً على اعتقالهم الإداري، وكان إضرابها خطوة هامة نحو إنهاء هذه السياسة الجائرة والتعسفية، والعشرات من الإضرابات الفردية لأبطال فلسطينيين لا يتسع المجال لذكرهم جميعاً.

(560) موقع فلسطينيو 48: <http://www.pls48.net/?mod=print&ID=1183555>

وهذا الأمر يقود الباحث « لتحریم التغذية القسرية »، كمخالفة قانونية، لجأت إليها دولة الاحتلال في منتصف 2014 بقرار من الكنيست الإسرائيلي، الذي أعطى سلطات الاحتلال صلاحية إطعام المعتقلين الفلسطينيين المضربين عنوة، مما شكل خطراً على صحة وحياء المضربين، الأمر الذي يعيد للأذهان ما كان يمارس بحق المضربين بما يعرف بنظام « الزوندا » في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي والتي أدت إلى استشهاد العديد من الأسرى<sup>(561)</sup>.

## ثانياً- الخطوات العملية لإنجاح معركة الإضراب المفتوح عن الطعام:

### أ - خطوات تحضيرية تسبق الإضرابات:

يأتي الإضراب المفتوح عن الطعام في أعقاب فشل كل الخطوات التكتيكية والوصول لحائط مسدود في وجه مطالب الأسرى بواسطة الحوار، والمراسلات، والمحاكم الإسرائيلية، وفي ظل تفاقم الأوضاع المعيشية للأسرى، حينها تبدأ المشاورات بهدف استعادة الحقوق<sup>(562)</sup> بين الفصائل، وفي اللجنة الوطنية العامة، وفي حال التوافق والاتفاق بمسئولية كاملة ضمن حسابات دقيقة في السجن الواحد، وبين السجون، ومع التنظيمات والقيادات الفلسطينية في الخارج.

وتبدأ المراسلات التي توضح ظرف الأسرى وتعنت الاحتلال في التعاطي مع مطالبهم، والمطالبة بالمساندة والدعم من قبل (المؤسسات التي تُعنى بقضية الأسرى، والمؤسسات الحقوقية والانسانية الفلسطينية والعربية والدولية، الرسمية منها والأهلية، ووسائل الإعلام، والنقابات والاتحادات، والمجالس الطلابية للجامعات، وأعضاء الكنيست العرب، والمتضامنين مع القضية الفلسطينية، والجامعة العربية والمؤتمر الإسلامي، وغير ذلك من الجهات المتضامنة والصديقة)<sup>(563)</sup>.

وقد تأخذ تلك التحضيرات والمراسلات أكثر من عامين متتاليين<sup>(564)</sup>، ويتم تحديد ساعة الصفر بعد ملائمة الظروف الذاتية المتعلقة بالأسرى، والموضوعية ذات العلاقة بالأوضاع الفلسطينية والسياسية العامة للمحيط والمنطقة، وشكل الحكومة الإسرائيلية وائتلافها وتوجهاتها<sup>(565)</sup>، وتبرز قضية الإبداع لدى الأسرى في الإضرابات المفتوحة عن الطعام بعملية التخطيط والتنسيق والتعبئة وتوفير عوامل النجاح المتمثلة ب:-

1. تحديد الأهداف «الدنيا كخطوط حمراء لا يمكن التنازل عنها بأي حال من الأحوال»<sup>(566)</sup>، والأهداف القصوى كطموح يأمل ويتمنى الأسرى من تحقيقها»، والعمل على دقة التخطيط والتوقيت ونضوج الظروف الذاتية والموضوعية.

(561) أمثال « الأسير الشهيد راسم حلاوة، وعلى الجعفري، واسحق مراغة، وما لحق بأذى بصحة عشرات آخرين.

(562) فهد أبو الحاج، مرجع سابق، ص44.

(563) سليم حسين الزريعي: مقابلة أجراها الباحث، 10/1/2015، غزة.

(564) الأسير المحرر زهير الشوشنية: مقابلة أجراها الباحث، 3/11/2015، غزة.

(565) الأسير المحرر علام الكعبي: مقابلة أجراها الباحث، 18/6/2015، غزة.

(566) سلمان جاد الله: المواجهة والاحتراف، مرجع سابق، ص2 - ص60.



2. التعبئة النضالية والمعنوية عبر الجلسات والتعاميم النضالية، والإرشاد والتوجيه والتنويه للمحظورات، ووسائل إدارة مصلحة السجون لكسر الخطوة وإفشالها، ويتم التركيز على الأسرى الجدد الذين لم يخوضوا تجارب إضرابات سابقة، معتبرين أن الإضراب المفتوح عن الطعام في يد المعتقل (كالنار الذي يتطهر به نضالهم) <sup>(567)</sup>.
3. العمل على شمولية الخطوة النضالية وذلك بامتدادها لكل السجون والمعتقلات كجبهة موحدة واسعة تربك إدارة السجون وتوسع رقعة التضامن الخارجي.
4. العمل على وحدة الصف الاعتقالي وزيادة ترسيخ الوحدة الوطنية الاعتقالية، وتنقية الأجواء الاعتقالية والتعالي على الخلافات وأشكال الشردمة <sup>(568)</sup>، حيث أن إدارة مصلحة السجون تراهن على الخلافات لإفشال الخطوات الاستراتيجية كالإضراب المفتوح عن الطعام <sup>(569)</sup>.
5. التركيز على كل الجهات والمؤسسات الرسمية والأهلية الإعلامية والجمهيرية والحقوقية الفلسطينية والعربية والدولية من خلال المراسلات.
6. القدرة على قراءة الظروف والمستجدات العامة، وخاصة التركيبة الفلسطينية والإسرائيلية الداخلية ومؤخراً التطورات والأحداث العربية المحيطة كجهات داعمة ومساندة.
7. وحدة القرار والاتفاق على قيادة الإضراب وتكوين قيادة مركزية وطنية موحدة تتحدث باسم كل قلاع الأسرى، وإيجاد قيادات ظل بديلة في حال النقل والعزل لبعضهم، والتحذير من الالتفاف عليها بقيادات فرعية للسجون قد تؤدي لشردمة القرار الوطني العام، الذي قد يؤدي لانسحابات منفردة للبعض على حساب الآخر، بوعود وامتيازات خاصة بكل سجن.

### ب- خطوات عملية في بداية الإضرابات:

في أول أيام الإضراب يتم تبليغ إدارة مصلحة السجون بقرار الأسرى ومطالبهم، ويتم جمع كل المواد الغذائية الموجودة في السجن وتسليمها للإدارة، ويتم استثناء الأسرى المرضى وكبار السن منه حفاظاً على حياتهم، ويتم نقلهم لغرف خاصة في قسم معزل حتى لا يتأثر الأسرى برائحة الطعام الذي يصل إليهم <sup>(570)</sup>، وتستمر الحالة التعبوية والتثقيفية للأسرى وفق أيام الإضراب <sup>(571)</sup>، ويتم اطلاع القاعدة التنظيمية على كل المستجدات الخاصة بنتائج الحوار مع طواقم إدارة مصلحة السجون، والحذر من وسائل سلطات الاحتلال والعيادة

(567) محمد القيسي: مرجع سابق، ص 192.

(568) عبد الحق شحادة: مرجع سابق، ص 52.

(569) حلمي عنقاوي: مرجع سابق، ص 251.

(570) نائل رمضان: مرجع سابق، ص 33.

(571) فلحظة الدخول في الإضراب يتم التركيز على كيفية الحفاظ على السعرات الحرارية للجسم وعدم هدرها في الحركة والجهد وحتى التفكير، وتجنب الحديث عن الطعام والشراب للتحكم في إفرازات المعدة، والمحافظة على تناول الملح الذي يساعد على الرغبة في تناول الماء بالكميات الكبيرة والتي تساعد على الاستمرارية والحفاظ على حاجة الجسم منها، والحفاظ على الجهاز الهضمي.



الطبية في ترهيب الأسرى أو ترغيهم لكسر الإضراب، والالتزام بالقرار الوطني، والحفاظ على السرية، والحذر من الانهيار» على قاعدة أن (الدخول في الإضراب المفتوح عن الطعام تطوعي واختياري ولكن الاستمرار فيه إجباري حتى النصر أو الشهادة)، ويتعرض للمسائلة كل من يشذ عن هذه القاعدة، ويتم وضع الأسرى في الحالة الإنسانية في الخارج من خلال أجهزة المذيع والهواتف المهربة، وبث روح التحدي والتفاؤل بالنصر القريب.

### ج- نهاية الإضراب:

نهاية الإضراب المكلفة بتحقيق المطالب هي أفضل اللحظات وأبهج الفرحات للأسرى المضربين، فنشوة الانتصار لحظة فك الإضراب لا يعادلها نشوة، لأنها تعزز الروح المعنوية لدى الأسرى أمام السجن، والتي ستشكل انطلاقة جديدة في مسيرة اعتقالهم بظروف وشروط حياة تجعلهم أكثر شعور بالعزة والكرامة والتطور للأفضل داخل السجون، والحركة الأسيرة وضعت شروط لإنهاء الإضراب بقرار خطي من اللجنة النضالية العامة في أعقاب استجابة دولة الاحتلال للمطالب التي تم الاتفاق عليها، والمسبوقه بإجراء مفاوضات مباشرة على أعلى المستويات المختصة من الطرف الإسرائيلي كمدیر إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية العامة المسماة « بالتسيفوت- צא"פוט » أو وزارة الأمن الداخلي المسئولة عنها، أو أية جهة مخولة لإجراء مفاوضات شريطة الحصول على ضمانات مقنعة للمسائل التي تستوجب الانتظار سواء أكان ذلك عن طريق جهة ثالثة موثوقة للأسرى أو محايدة كالصليب الأحمر الدولي، والتلبية الفورية للمسائل التي لا تستوجب الانتظار واعتبار ذلك حقوقاً للأسرى وليس امتيازات تمتلك دولة الاحتلال حق سحبها متى شاءت<sup>(572)</sup>، ويتم اشتراط عودة المنقولين والمعزولين من القيادات والكوادر، وإعادة كل ما تم سحبه من ممتلكات للأسرى كالأجهزة الكهربائية والملابس وغيرها، وفي أعقاب فك الإضراب يتم إرشاد الأسرى طبيياً بكيفية العودة التدريجية للطعام والشراب، وإعادة الكانتين والأطعمة والمعلبات التي تم إخراجها من قبل الأسرى لحظة الدخول في الإضراب المفتوح عن الطعام، ويتم عبر النشرات والتعاميم الوطنية والفصائلية الإشادة بموقف المضربين والمساندين في الخارج، وتوجيه التحية للأسرى على تضحياتهم وجهودهم وصبرهم وللداعمين لهم في كل مكان.

ويرى الباحث أن الإضراب المفتوح عن الطعام سلاح ذو حدين، لصالح الأسرى في حالات التضامن والضغط على الاحتلال للاستجابة لمطالبهم، وضدهم في حال افتقار الإضراب لأهم سبب في نجاحه المتمثل بأشكال المساندة والدعم الخارجي، والذي يتوجب على الأسرى قراءته جيداً قبل الدخول في أي خطوة استراتيجية، وللحالتين شواهد كثيرة بالسلب والإيجاب على حد سواء في الإضرابات الفردية أو الجماعية.

### ثالثاً- الممارسات الإسرائيلية خلال الإضراب:

عللت دولة الاحتلال أسباب أي خطوة احتجاجية للمعتقلين بربطها بالسياسة، فقد دأب منذ

(572) جبريل الرجوب: زنزانة رقم 704، عمان، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، 1985، ص 101.

البداية مسئولو مصلحة السجون (נצ"ס) على اعتبار أن الإضراب المفتوح عن الطعام يتم بمبادرة من قادة المنظمات الذين يعملون من داخل السجون وبالتنسيق مع التنظيمات في الخارج، والإيحاء للعالم بأن السجون أصبحت خلايا ومجموعات واسعة، ويوجد بها مجالس قيادة ومحاكم، وأن هدف الأسرى منها مواصلة النضال ضد الدولة حتى داخل السجون، وأنهم عناصر خطيرة تسعى دائماً للتمرد<sup>(573)</sup>، وعمدت دولة الاحتلال عند كل محطة نضالية تصوير الأسرى الفلسطينيين «باطلاً» «أنهم مجرد» «مخربين وإرهابيين خارجين عن القانون»، وليسوا أسرى حرب يدافعون عن حقوقهم وأرضهم ووطنهم ضد احتلال بغض<sup>(574)</sup>، يأتي هذا التوصيف ضمن إدراك السلطات الإسرائيلية أبعاد وآثار الإضراب المفتوح عن الطعام، كونه يجرحها ويكشف عورة الديمقراطية وادعاءات حقوق الإنسان عالمياً، ويعري انتهاكاتها وتجاوزاتها للاتفاقيات الدولية، ويشكل رافعة وقفزة نوعية في تحسين شروط حياة الأسرى في فترة قياسية وبالعبوة مثله مثل عمليات تبادل الأسرى، كاستجابات لا تخضع لحسن النوايا بل بالإكراه، والقوة السلمية التي تجبر إدارة مصلحة السجون على التعاطي مع مطالب الأسرى الكبيرة التي لا يمكن تحقيقها عبر الخطوات التكتيكية والحوار.

كما أن الإضراب يدول قضية الأسرى عبر المؤسسات الحقوقية ووسائل الإعلام (المشاهدة والمقروءة والمسموعة والإلكترونية) كقضية سياسية، تبرز قضية عادلة بامتياز، ومظلومية فلسطينية واضحة مقابل احتلال عنصري ظالم ومنبوذ جاثم على صدر شعب مستعمر ومضطهد، أما عن إجراءات سلطات الاحتلال في مواجهة الإضراب، فمنذ المعلومة الأولى التي تصل أجهزة الأمن الإسرائيلية عن الإضراب تبدأ الإجراءات القمعية والترغيبية والترهيبة النفسية والعملية لتقويضه في مهده، وتسعى من خلال تلك الإجراءات أن توصل رسالة أن السجين لا يملك شيء من أمره، وأنها هي الأمرة النهائية، والتأكيد على حضورها كقوة حاكمة لا يستطيع أحد صدها لحظات المواجهة، وتقوم بعدد من الخطوات عند كل محطة<sup>(575)</sup>.

1. **فترة التحضير:** تقدم إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية على عدد من الخطوات قبل الإضراب كتكثيف الاجتماعات مع لجنة الحوار واللجنة الوطنية العامة لقراءة الموقف والتعرف على المطالب، ومن ثم بإطلاق الوعود الكاذبة وكسب المزيد من الوقت بحجة فحص المطالب، ومن خلال بث الإشاعة السلبية والمغرضة عن عدم جدوى الخطوة، وأن الخارج مليء بالهموم والمشاكل والاهتمامات البعيدة عن قضية الأسرى، ونشر الأخبار المحبطة بعدم الاستجابة للأسرى ولو أدى الأمر إلى استشهاد أعداد منهم، والبدء بالنقلات وعزل القيادات لخلق البلبلة والإرباك ووقف التنسيق بين السجون.

2. **في أعقاب الدخول في الإضراب:** تقوم إدارة السجون بالعديد من الإجراءات في أعقاب الدخول في خطوة الإضراب مثل (كالإعلان عن حالة الطوارئ، واستدعاء قوات كبيرة من السجناء والبدء بسحب كل ممتلكات الأسرى والأغراض من الغرف والكهربائيات وخاصة التلفاز والراديو ومنع الصحف لعزل الأسير عن العالم الخارجي وعدم اطلاعه على

(573) جهاد البطش: مرجع سابق، ص 172173.

(574) ناصر عبد الجواد: مرجع سابق، ص 30.

(575) طارق أبو شلوف: ملحة الكرامة 2012، غزة، فلسطين، الناشر مؤسسة مهجة القدس للأسرى والشهداء، 2013، ص 95.

حالات التضامن التي تقوي عزيمته، وسحب كل ممتلكات الأسرى باستثناء الفرشة وغطاء للأسير، وبعض الملابس القليلة ومنشفة والقليل من الملح وأحياناً يتم سحبها ومعجون الأسنان والشامبو، وتبدأ بحملات التفتيش، وتقليص ساعات الفورات لساعة واحدة في اليوم، ثم يمتد المشروع لعزل المزيد من القيادات والكوادر المؤثرة التي تمثل مجموع الأسرى، ويتم منع زيارات الأهالي والمحامين، والمؤسسات الحقوقية والدولية كالصليب الأحمر الدولي في كثير من الأحيان<sup>(576)</sup>، ومع امتداد الإضراب تحاول إدارة السجون تجاهل إضراب الأسرى والتعمد بعدم الاجتماع بهم أو مناقشة مطالبهم، وتصعد من إجراءاتها القمعية فتجلب مجموعة من المدنيين الجنائين اليهود في غرفة وسط قسم الأسرى المضربين<sup>(577)</sup>، ويقوموا بشوي « للحم المدهنة وقلّي الباذنجان والطماطم » عمداً بهدف نشر رائحته القوية، للتأثير على نفسيات ومعنويات المضربين، وإزعاج القسم بالموسيقى الصاخبة<sup>(578)</sup>، وفي بعض الأحيان يتم نقل أعداد من الأسرى من بينهم قيادات وكوادر ونخب وإجبارهم على نزع ملابسهم تماماً وضربهم، ومساومتهم في العيادات<sup>(579)</sup>، وفي كثير من الأحيان قامت الإدارة بالاستفراد بالأسرى عند نقلهم والاعتداء عليهم جسدياً، أو قتلهم<sup>(580)</sup> بشكل غير مباشر من خلال إطعامهم قسراً بالتغذية القسرية<sup>(581)</sup>.

3. **مع نهاية الإضراب:** تقوم إدارة السجون باشتراط التعاطي مع المطالب بفك الإضراب، وأنه لا يمكن أن يتم إخضاع إدارة السجون بالقوة، وأنها تحتاج لفحص المطالب مع الجوانب الأمنية والسياسية، ومع الوقفات الشعبية الخارجية، وأشكال الضغط من قبل المؤسسات الحقوقية والدولية، والتدخلات الخارجية من جهات رسمية وأهلية، والاحتكاك المباشر بين المتضامنين والجيش المستوطنين والتخوفات من انتفاضات تحمل شعار الأسرى، وتكثيف الدور الإعلامي، والتخوف من عواقب استشهاد عدد منهم، وفي ظل هذه الظروف تقوم الطواقم المفاوضة الإسرائيلية المفاوضة بالاجتماعات المتكررة ومحاولات الالتفاف عليها من خلال البدائل، كالموافقة على الجامعة العبرية بدل الجامعات الفلسطينية والعربية، وشراء احتياجات الأسرى من الكانتين بدل إدخالها عبر الأهالي، والموافقة على بعض القنوات الفضائية العربية الترفيهية والعربية وليس الإخبارية وفق طلبات الأسرى، وإدخال عدد من الكتب بقدر إخراج مثلها.

(576) طارق أبو سلوف: ملحة الكرامة 2012، غزة، فلسطين، الناشر مؤسسة مهجة القدس للأسرى والشهداء، 2013، ص 95 - 96.

(577) فؤاد قاسم الرازم: مقابلة أجراها الباحث، 3/11/2015، غزة.

(578) سيطان الولي: سلال الجوع، رام الله، فلسطين، الرعاية للدراسات والنشر، 2006، ص 102..

(579) حدثت مثل تلك الانتهاكات مع 26 معتقل تم نقلهم من نفضة إلى الرملة في اليوم التاسع من الإضراب في 1980/7/21، وإجبارهم على تناول الحليب بالقوة والعنف وفي سجن الدامون في مايو /آيار 1970. أما على صعيد الأطباء وعبادة السجن فغالباً ما تتحول من مكان للشفاء، وإغاثة المرضى إلى مكان لمساومة الأسير المضرب على موقفه، وإلى ساحة صراع ساخنة، فتحاول الطواقم الطبية في السجون كسر الإضراب من خلال عرض الطعام والشراب على الأسرى الذين يتم نقلهم للعيادات بسبب حالات الإغماء والإعياء، وتحذر الأسرى من خطورة الإضراب على حياة ومستقبل الأسير، وتلعب العبادة دور التعلب الماكر من خلال السياسة التامعة، وفي عبادة السجن في اضراب نفضة عام 1980 حمل أحد الأطباء ويدعى « فيلمتن » هراوة وقام بضرب الأسرى ووضع الكليشات في أيديهم، وأطعم المضربين بالأنبوب عنوة، وقتل الأسرى الثلاثة « على الجعفرى ورأسم حلاوة وإسحاق مراغة » ومن الإجراءات بدء الإدارة بالصرب النفسية بالإشاعة أو عبر مكبرات الصوت، وبخلط القليل من الحقائق بالأكاذيب لتحويل الأكاذيب حقائق، وبتوزيع نشرات مطبوعة تتضمن مخاطر الإضراب والتعذير من الاستمرار فيه، وأن العالم الخارجي غير مهتم باضرابكم ومنشغل بالسوبر ستار والألعاب الأولمبية أو بأخبار الانقسام والثورات العربية، ويبت الأخبار الكاذبة كفش القيادة إضرابها في العزل بعد النقل، وفك الإضراب في بعض السجون الأخرى، ومحاولات الالتفاف على قيادة الإضراب بقيادات بديلة والمحاولة لفتح الخطوط الجانبية من خلال بعض الوعودات.

(580) كاستشهاد على الجعفرى ورأسم حلاوة في في يوليو / تموز 1980.

(581) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة - جامعة القدس، المصدر السابق، ص 122.

في تلك الظروف الحساسة تبدأ معركة (العض على الأصابع) من خلال رفض الأسرى لبدائل إدارة مصلحة السجون، والإصرار على مطالبهم كاملة، في أعقاب التضحيات الجسام وسقوط الشهداء في بعض المعارك، وفي ظل الشعور بالمساندة القوية من قبل الجماهير الفلسطينية والعربية والدولية ووسائل الإعلام، وأحياناً يتم الوصول لحلول توافقية في حال الشعور بضعف أشكال المساندة، أو التخوف من حالات استشهاد لطول الإضراب، أو نتيجة ظروف معينة ذات العلاقة بالمحيط السياسي، أو بشكل ائتلاف الحكومة الإسرائيلية وتعتيتها، أو لأسباب أخرى.

وللباحث تجربة شخصية في هذا السياق حيث أنه خاض ستة إضرابات مفتوحة عن الطعام، وأولها بعد عامين من اعتقاله في 27 أيلول/ سبتمبر 1992 بسجن عسقلان استمر لمدة 15 يوماً متواصلة ولم تلتزم الإدارة بالاتفاق فعاد الأسرى للإضراب يومين إضافيين حتى استجابت لبقية المطالب، والثاني: في سجن نفحة في العام 1994م واستمر ثلاثة أيام إثر توقيع اتفاقية القاهرة احتجاجاً على آلية الإفراجات، والثالث: في سجن نفحة في 18 يونيو / حزيران 1995 تحت شعار إطلاق سراح جميع الأسرى والأسيرات قبيل مفاوضات طابا في أعقاب اتفاقية أوسلو واستمر (18) يوماً، والرابع: في نفحة في 5 ديسمبر / كانون الأول 1998 إثر قيام الاحتلال بالإفراج عن (150) سجين جنائي ضمن صفقة الإفراج التي شملت (750) أسيراً وفق اتفاقية واي ريفر وعشية زيارة الرئيس الأمريكي آنذاك بيل كلنتون للمنطقة وكان أقل من عشرة أيام، والخامس: في سجن نفحة في الأول من مايو / أيار من العام 2000 احتجاجاً على سياسة العزل الانفرادي والقيود والشروط الصعبة على زيارات أهالي المعتقلين الفلسطينيين وامتد ما يقارب من 22 يوماً، والإضراب السادس: قبيل الإفراج عنه بأشهر قليلة، حيث أنه كان متواجداً في سجن جديد يسمى رهونيم في محيط مدينة " نتانيا " وسط أسرى جدد قبيل إضراب 15 أغسطس / آب 2004، وبدأت التعبئة التنظيمية للأسرى بعد تحديد نقطة الصفر للدخول الجماعي دون إعلان عام، فأبلغته الإدارة بالنقل إلى عزل سجن " هداريم " قبل الإضراب بأسبوعين في ظروف مأساوية بصحبة أسيرين آخرين من قدامى الأسرى وهما (الأسير ماجد شاهين والأسير المجاهد ناصر القصاص) متهماً الثلاثة بالتحريض، وتم الإضراب في الموعد المتفق عليه مع السجون الأخرى، ومن ثم تم نقل الثلاثة من العزل إلى سجن هداريم بعد خوض الإضراب للأسرى بشكل جماعي والذي استمر 19 يوماً متتالية.

4. في نهاية المبحث يمكن القول أن الأسرى المزودون بإيمانهم وعدالة قضيتهم وقناعاتهم بمعركتهم أثبتوا من خلال إظهار سلاح جوعهم وشهواتهم، وأطال لحمهم أن الكف باستطاعتها أن تهزم المخز، وأن الإرادة أقوى بكثير من القوة<sup>(582)</sup>، وأن قلة الإمكان تهزم الإمكان مهما بلغ ظلمه وجبروته بقوة الحق، فنجحوا بعزيمتهم من انتزاع موافقة إدارات السجون على توفير شروط انسانية وثقافية وصحية واجتماعية ضرورية للإبداع<sup>(583)</sup>، ولولا تلك التضحيات الكثيرة خلال مسيرة اعتقالهم الطويلة والمتكررة لما تحققت الطموحات الكبيرة في حياتهم.

(582) محمد صحبة، فؤاد الخفش: مرجع سابق، ص 12.

(583) د سامي الأخرس، كامل مسعود : مرجع سابق، ص 70.

ويرى الباحث من عمق التجربة لهذه المعارك النضالية «الإضرابات المفتوحة عن الطعام» وبما تحمل من معاناة وعذابات وصبر وانتظار للنصر، ومن جهد المفاوضات المضنية مع عدو أكثر شهرة على طول التاريخ بقضايا التسوية والتلوكؤ والمكر والخديعة والالتفاف على الحقائق وتزوير الواقع، أن الإضرابات المفتوحة عن الطعام في السجون تمثل ذروة سنام العملية الكفاحية والمقاومة السلمية.

فبالإضرابات المفتوحة عن الطعام هزم جنرالات الصبر الفلسطينيين جنرالات الحرب الصهاينة، وانتصرت رغبة الحياة على مخطط الموت، وانتزعت الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة حقوقها من مخالب القهر والظلم المتمثلة بإدارة مصلحة السجون الإسرائيلية.

ويعتقد الباحث أن لا مجال لتصور واقع السجون على مدار عشرات السنين بلا إنجازات نتائج الإضرابات المفتوحة عن الطعام كخطوات استراتيجية، فبالإضرابات انتقل واقع الأسرى من أفران إسرائيلية نازية هدفت لصهر القوة النضالية ودفن الروح المعنوية في مقابر للأحياء إلى أماكن تنصقل فيها بنية الرجال الوطنية والثقافية والأخلاقية، وتترى فيها الأجيال الفلسطينية لتخرج الكفاءات والقيادات المتمتعة بالقدرات والإمكانات، لذلك يطلق على الإضرابات أمّ الخطوات الإبداعية، التي ولدت بنتائجها الإبداعات الأخرى على شتى الصعد والمجالات داخل المعتقلات.

وللأمانة العلمية فالإضرابات المفتوحة عن الطعام تفاوتت نتائجها، فلم تكن بمستوى متوازي من الإنجازات، فإضراب 1970م يختلف عن إضراب 1992م وعن إضراب 2004م وعن إضراب 2012م، فكلّ له ظروفه الذاتية والموضوعية، وبالعموم فمجرد القرار بدخول الإضراب بصورة فردية أو جماعية وخوضه بما يحمل من مخاطر يشكل بلا شك انتصاراً كبيراً للإنسان والحق الفلسطيني على السجان والباطل الإسرائيلي.

## المبحث الثاني

# أطفال النطف المهربة حالة نضالية مستجدة في السجون

سفراء الحرية، أطفال النطف المهربة، الإنجاب من داخل السجون «، جميعها مسميات تدل على أحدث معركة إنسانية مستجدة لصناعة الحياة، حكاية بدأت بفكرة، وانتهت بحقيقة رغم كل قيود الاحتلال، معركة اعتمدت على حرب الأدمغة بين الأسرى والسجان، قوامها التطلع للحياة بعين متفائلة، وأبطالها أناس مظلومين عزّلوا امتلكوا سلاح الإرادة والصمود والأمل بالمستقبل، يفكرون ويخططون ويبتكرون ويبدعون، في وجه إدارة ظلامية تألقت في صناعة الموت، ورغم كل الممارسات والقيود والوسائل الأمنية أخفقت في كسر إرادة الأسرى وحرمانهم من حقوقهم الأساسية « بالإنجاب وتحقيق غريزة الأبوة مثل باقي البشر.

ظاهرة تهريب النطف برزت في أوساط الأسرى الفلسطينيين المتزوجين، ومن أمضوا فترات طويلة، ومن ذوي الأحكام العالية، ممن حرّموا تكوين أسر وإنجاب ذرية بسبب قيام الاحتلال الصهيوني باختطافهم واعتقالهم من بين أهلهم وذويهم وزوجاتهم، وتشير الإحصائيات أنّ 30-40% من الأسرى في السجون من هم متزوجون، هذا يعني أن العقوبة ستكون مضاعفة مرات بحقه وبحق وزوجته بالإضافة لعائلته، وبهذا سيقع العقاب على ما ليس له أي جانب في الفعل، وخاصة على الزوجة التي تشعر بالوحدة بسبب غياب الزوج لسنين طويلة، ولأنه الحق الفلسطيني والتحدي لهذا السجان قرر عدد من الأسرى القيام بتهريب نطفهم خارج السجن عبر طرق وأساليب لا تخطر على بال بشر، من أجل الحصول على ذرية، وتكوين أسر وبناء حياة عائلية رغم الغياب القصري عن المجتمع<sup>(584)</sup>.

في هذا المبحث سيتناول الباحث قضية غريبة عجيبة، كانت حلماً وأصبحت خاطراً ثم احتمالاً، وأضحت بإرادة وإصرار حقيقة لا خيالاً، وسيتطرق الباحث إلى بدايات الفكرة، وتطورها، وأسبابها، وشروطها، وآثارها على مجمل قضية الأسرى على المستوى الاجتماعي والإعلامي والحقوقى، وفي فضح انتهاكات دولة الإحتلال وممارساتها العنصرية، وردود فعل إدارة السجون وأجهزة الأمن الإسرائيلي بالتعامل معهم ومع أطفالهم الذين أنجبوا وهم خلف القضبان.

### أولاً - جذور الفكرة وإرهاصاتها:

إنجاب الأطفال للإنسان شيئاً فطرياً، فلا يكاد يوجد من لا يحب أن يكون له أبناء، كونهم

(584) محمد أحمد عطا الله: أطفال يولدون رغم السجان، سفراء الحرية، غزة، فلسطين، الناشر موقع مفوضية الأسرى والمحررين، 2015، ص 1.



زينة الحياة الدنيا، فقد تجد من يبذل أعز ماله من أجل الحصول على طفل لكي يتحقق له شعور الأبوة، وهذا الشعور يشترك فيه الذكر والأنثى، الغني والفقير، والحر والأسير، وإذا كان هذا الشعور متحققاً للإنسان الذي ينعم بالحرية، والذي بإمكانه أن يتزوج، ويعيش حياته الطبيعية، فكيف بالأسير الذي لا يلتقي بأهله على فترات بعيدة وغير منتظمة إلا من خلف الأسلاك والقضبان<sup>(585)</sup>؟ ومن هنا بدأت الحكاية والتفكير والنقاش المعمق للقضية وعلى فترات طويلة مكثت ما يقارب من العقدين من الزمن

## وبرزت ثلاثة إشكاليات أساسية لتحقيق هذه الأمنية وهي:

**أ - الجانب الشرعي:** تخطى الأسرى في السجون معضلة الفتوى الشرعية من خلال إجازة المجامع الفقهية لعملية التلقيح الصناعي بين الأزواج في حالة الضرورة، فهي مباحة في حالة العجز عن الإنجاب بالشكل الطبيعي، في حال رغبة الزوجين في التناسل وإنجاب الذرية، لأن التناسل مصلحة مشروعة لهما<sup>(586)</sup>، وحصل الأسرى على فتوى شرعية لجواز الإنجاب من داخل السجون عن طريق الزراعة<sup>(587)</sup>.

**ب- الجانب الاجتماعي:** برزت الكثير من التحديات والنقاشات لدى الأسرى في أعقاب الكثير من التساؤلات على المستوى الاجتماعي، بسبب عدم وعي المجتمع لهذا الخيار كونه غير مسبوق قد يعرض الزوجة للحرج، وهناك مخاوف كبيرة من عدم تصديق واستيعاب هذه التجربة في حال حملها خلال اعتقال زوجها منذ سنوات طويلة، وقد يكون هنالك إستقصاد للمس بها من قبل المخبرات الإسرائيلية التي تحارب الظاهرة بلا أخلاق من خلال التشكيك ونشر الأخبار الكاذبة والإشاعة المغرضة عن طريق المتساقطين، وتلقفها من بعض الحاقدين ومن ثم المس بكرامة وشرف المرأة وكذلك الأسير والمقربين .

لذلك بحث الأسرى عن الحاضنة الاجتماعية التي تحميه وعائلته على كل المستويات، بدايةً

(585) نائل رمضان: مرجع سابق، ص 103.

(586) نفس المصدر: ص 105.

(587) إجازت الزراعة كلا من الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي والشيخ المرحوم حامد البتاوي، ومن دائرة الإفتاء بـفلسطين وعلى رأسها الشيخ عكرمة صبرى، وأجازها كلاً من د.عماد حمتو أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة فلسطين وأحد علماء الأزهر الشريف بـفلسطين، والشيخ د. سمح حجاج المفتي والمحاضر بجامعة فلسطين بغزة، والشيخ عبد الباري خلة رئيس لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف والشئون الدينية بقطاع غزة.

والجميع أكد « أن الإنجاب فطرة بشرية محببة للإنسان، لقله تعالى: « الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً »، ولأن حفظ النسل من مقاصد الزواج ومقاصد الشريعة، فلا بد للإنسان أن يحافظ عليهما بالطرق والوسائل الشرعية، فإذا كان المكلف يستطيع الإنجاب بالطريقة العادية التقليدية وهو اللقاء الجنسي بين الزوجين فلا يجوز التلقيح الصناعي وغيره من الطرق المعاصرة، أما إن كان هناك ضرورة كالمشاكل التي تواجه أحد الزوجين ويكون العلاج لها الزراعة فلا بأس من ذلك بشروط وضوابط خاصة، ومن حق الأسير الحرية وطلب الولد فإذا حرم الحرية فلا يحرم الولد، فالولد قرة عين أبويه وعليه فلا بأس من التلقيح الصناعي الحاصل بين الأسير وزوجته عن طريق تهريب النطفة ولكن بشروط دقيقة منها:

1. الدقة في نقل النطفة وعدم نقل أكثر من نطفة للشخص الناقل تجنباً لشبهة التبديل.

2. التأكد من نقل العينة من الأسير وحفظها في زوجته فقط.

3. إشهاد الأسير على النطفة التي أخرجها منه.

4. أن يكون الناقل ثقة.

5. إعلام أهل الزوج وأهل الزوجة بذلك.

6. إعلام الجهات الشرعية والقضائية والرسمية والقانونية بتلك العملية.

بهذه الضوابط يجوز التلقيح ولا حرج به، وهو نوع من الثورة والتمرد على المحتل وتحدي له.



من قناعة الزوجة بالفكرة كونها الشريك الأساسي في القضية لتحمل العبء، وكونها أكثر الجهات تحدياً أمام المجتمع للشروع بهذه الفكرة وتحقيقها، ومن ثم قناعة المقربين من الوالدين كرجال أساسيين وشاهدين على تنفيذ المهمة ورعايتها، وقناعة العائلة والحي والمجتمع لتبني هذه القضية كنوع من التحدي للسلطان.

### ولحل هذه المعضلة الاجتماعية اقترح بعض الأسرى حلولاً تتمحور في:

1. تناول فكرة تهريب النطف والزراعة لزوجة الأسير عبر وسائل الإعلام المشاهدة والمقروءة والمسموعة والالكترونية، والفصائيات الفلسطينية والعربية، ولربما كان الأسبق في هذا الاتجاه فيلم «انتزاع» الذي عرض في العام 2009م، والذي جسّد فكرة تهريب النطف من داخل السجون إلى خارجها قبل نجاح أول نطفة في العام 2012م.
2. أن تقوم وزارة الأوقاف بتعميم الفكرة عبر الخطباء في المساجد لإثارة الموضوع بشكل مكثف.
3. أن تقوم المؤسسات العاملة في مجال الأسرى بتوزيع نشرات وعقد ورش العمل بوجود أهالي الأسرى لاستيعاب الفكرة<sup>(588)</sup>.

**ج- الجانب الأمني:** فكر الأسرى بحلول للإنجاب من داخل السجون، وفق القوانين الدولية، وما هو متعارف عليه في سجون عربية، وما هو متاح ومعمول به من نظام في السجون الإسرائيلية، ودرس الأسرى هذه الحالة بتمعن في فترة مبكرة ما قبل الشروع بتهريب النطف، وكانت البدايات مناقشة الخلوة الشرعية داخل السجن، على أساس الإجتماع بين الزوجين في غرفة خاصة معدة داخل السجن يتم اللقاء فيها بين الزوجين لفترة معلومة في أوقات محددة بحيث يتم نقل الزوجة من خارج السجن إلى داخله فتلتقي بزوجه في الغرفة المخصصة بحيث تحدث المعاشرة بينهما، وهذه الغرفة تكون تحت الإدارة المسؤولة عن السجن، والمعروفة في السجون الإسرائيلية، وبخاصة لدى الأسرى الجنائين اليهود باسم (7777) **חידר** - حيدر أهافا أي غرفة الحب<sup>(589)</sup>.

وكثيرة هي المدارس لدى علماء الاجتماع في أوروبا والعالم التي تؤكد على الآثار الإيجابية لاجتماع الأزواج في السجون كوسيلة تأهيلية وإصلاحية<sup>(590)</sup>، ومنذ أكثر من قرن تعاملت به بعض السجون الأمريكية في ولاية ميسيسيبي (Mississippi) في العام 1900م مع الأسرى السود الذين اشتغلوا في الحقول أثناء وجودهم في السجن<sup>(591)</sup>، وكذلك في ولاية أوريغون وكاليفورنيا، وعمل بنظام الخلوة في السجن في الكثير من دول العالم، كالولايات المتحدة الأمريكية والدول

(588) الأسير المحرر إيداع عطا أبو فنون: زواج الأسير وطلاقه والمستجدات في ذلك، بحث مقدم لكلية الدراسات العليا بجامعة الخليل، قسم القضاء الشرعي، للحصول على درجة الماجستير، 2013، ص 267.

(589) نفس المصدر، ص 244.

(590) Accordino, M.p., & Guerny, B.Jr. (1998). An evaluation of the relationship enhancement program with prisoners and their wives internation- (590)

al journal of Offender and Comparative Criminology, 42, (1), 5-15

(591) صحيفة هآرتس الإسرائيلية: <http://www.haaretz.co.il/misc/1.1150868>

الأوروبية والآسيوية وأمريكا الجنوبية ودول أفريقيا<sup>(592)</sup>، ودعا لهذه الفكرة علماء اجتماع كثر<sup>(593)</sup>، وعلى المستوى العربي كانت المملكة العربية السعودية أول من طبقت «الخلوة الشرعية» في سجونها في العام 1978م، وتلتها في ذلك الخصوص كل من الكويت واليمن وقطر والإمارات العربية المتحدة ودول عربية أخرى، وأصدرت دار الإفتاء المصرية فتوى رسمية بختم شعار وزارة العدل أكد فيها المفتي د. علي جمعة: «بالجواز الشرعي لاختلاء المسجون بزوجه، والزوجة المسجونة بزوجها لممارسة الحقوق الشرعية الخاصة بالزوجين<sup>(594)</sup>».

أما على صعيد السجون الإسرائيلية فأول من طرح فكرة «الخلوة الشرعية» مع الزوجة للنقاش الأسير المحرر جبر وشاح خلال اعتقاله في العام 1993م في سجن نفحة، وتم تناول الفكرة من جميع جوانبها، وكتب في ذلك مقالاً لازال يحتفظ به خطياً حتى بعد الإفراج عنه ضمن إفراجات اتفاقية أوسلو، معللاً الأمر بالأحكام الجنونية والجائرة والصارخة بالمؤبدات لمرات لمدى الحياة، وتطرق لحق الزوجة بالإنجاب، كونها تنتظر زوجها لسنوات طوال دون ونيس في الحياة، بالإضافة لضغط المجتمع عليها لطلب الطلاق بسبب انسداد أفق الإفراج عن الأسرى، وحتى لا تقهر في حال تم الإفراج عن الزوج وهي في سن اليأس إذا ما طلب الذرية لاجئاً لتحقيق أمنيته للزواج بأخرى<sup>(595)</sup>.

## ولكن الأسير وشاح ورفاقه في السجن رفضوا الفكرة بعد دراسة معمقة لها، لأسباب أمنية أهمها:

1. عدم أخلاقية العدو الإسرائيلي، الذي لا يتوانى من فضح الخلوة بالصوت والصورة.
2. التخوفات الأمنية من استغلال تلك الصور كابتزاز وضغط على الأسير وزوجته واستخدامهما كوسيلة إسقاطهما أمنياً وأخلاقياً.
3. الفارق بين الدول التي تحبس رعاياها وتعمل على تأهيلهم وإصلاحهم ليكونوا عناصر إيجابية في المجتمع بعد تحررهم، وبين العدو الصهيوني الذي يسعى بشتى الأساليب لتحطيم بنية الأسير ونفسيته، وتحويله عبء على مجتمعه.
4. الحذر من جانب الأسرى في كل ما يتعلق بالحماية له ولذويه.
5. عدم قبول تلك الفكرة من جانب زوجات الأسرى وعائلاتهم لانتمائهم لمجتمع متدين ومحافظ، وعدم تشجيعها وتبنيها وطنياً واجتماعياً<sup>(596)</sup>.

(592) سفير بن مسفر الجعيد: تقييم تجربة الخلوة الشرعية لنزلاء السجون، دراسة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في العلوم الاجتماعية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، قسم العلوم الاجتماعية، المملكة العربية السعودية، 2008 ص26.  
(593) أمثال: كولومبس هوبر، وأوجين زهانز، وروث شونل كافان، وجوزيف بالوج وغيرهم.  
(594) بوابة القاهرة: <http://www.cairoportal.com/story/847>  
(595) الأسير المحرر جبر وشاح: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 25/4/2015.  
(596) الأسير المحرر إيداع أبو فنون : مرجع سابق، ص246.

## ثانياً - عنصرية اسرائيلية باتجاه الأسرى العرب:

عارضت دولة الاحتلال فكرة الإنجاب للأسرى الفلسطينيين والعرب بكل الوسائل « بالخلوة الشرعية والنطف المهربة والحرية المؤقتة والاجتماع بالأهل لساعات ثم العودة » وعملت على محاربتها بكل الطرق، واتضح هذا الرفض في أعقاب عقد قران عميد الأسرى العرب الشهيد سمير القنطار على فتاة فلسطينية من مدينة حيفا المحتلة خلال الاعتقال، وذلك في العام 1993م، والذي أثار ضجة كبيرة في الأوساط الإسرائيلية، الأمر الذي دفع رئيس الوزراء ورئيس دولة اسرائيل الأسبق شمعون بيرس بالتصريح إعلامياً « ذرية سمير القنطار لن ترى النور ما دمت على قيد الحياة »<sup>(597)</sup>

وقد بررت مديرة مصلحة السجون أوريت أوداتو « אורית אודאטו » رفض الإنجاب للأسرى الفلسطينيين السياسيين عبر مقابلة متلفزة على إحدى القنوات الاسرائيلية بالبعد الأمني، خوفاً من تهريب أدوات ممنوعة للأسرى من خلال الخلوة.

ويعتقد الباحث بصحة قرار الأسرى الفلسطينيين برفض فكرة الإنجاب عن طريق « الخلوة الشرعية » في سجون المحتل، في حين يؤكد على عنصرية الاحتلال في التعاطي معهم بشعار دنيء « أن الإرهابي سينجب ارهابياً مثله » في حين سمحت للسجين الإسرائيلي الأمني « إيغال عمير - יגאל עמיר »<sup>(598)</sup> قاتل رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق إسحاق رابين<sup>(599)</sup>، الأمر نفسه تكرر مع السجين الإسرائيلي الأمني عامي بوبر « לומי פופר »<sup>(600)</sup>.

وما يدل على العنصرية والتمييز لدى دولة الاحتلال رفض طلب السماح بالإنجاب للأسير الفلسطيني « وليد دقة » كحالة مشابهة<sup>(601)</sup>.

## ثالثاً - الإنجاب عن طريق النطف المهربة:

في أعقاب القيود والممنوعات الإسرائيلية، والتخوفات الأمنية لخير «الخلوة الشرعية»، والمحاربة الإسرائيلية لأي خيارات بإخراج النطف والتلقيح الصناعي بطرق رسمية، بدأ الأسرى يفكرون بطرق إبداعية بديلة لتحقيق الإنجاب كحق إنساني، فبرزت فكرة الإنجاب عن

(597) محمد أحمد عطا الله: أطفال يولدون رغم السجن، سفراء الحرية، غزة، فلسطين، منشور الكترونياً، موقع مفوضية الأسرى والمحربين، 2015، ص 5.  
(598) مع العلم أن « إيغال عمير » يقضي عقوبة المؤبد، وبعد الخوض بإضرابات عن الطعام، ومحاولته تهريب النطف تحت المططف، توجه لمحكمة العدل العليا الإسرائيلية وجلب له محاميه المدعو شموئيل دافيد كاسير الموافقة الرسمية له « بالخلوة الزوجية » كباقي الأسرى اليهود، وتمكن بذلك من إنجاب طفل.  
(599) موقع مغرس: <http://www.maghress.com/alittihad/188073>  
(600) « السجن اليهودي عامي بوبر » قتل فيما عرف بالأحد الأسود في 20 مايو / أيار 1990 « بندقية من طراز أم 16 » سبعة من العمال الفلسطينيين من مدينة خانونس جنوب قطاع غزة، وأصاب أحد عشر آخرين بجراح مختلفة بمنطقة « ريشون لتسيون » قرب تل أبيب، ومع هذا سمحت له إدارة مصلحة السجون الاسرائيلية بالزواج الرسمي في العام 1993م، وأنجب طفله البكر في العام 1995 م، وطفلين آخرين من بعده.  
(601) الأسير « وليد دقة » ووليد 1961م من سكان باقة الغربية في المثلث الشمالي بفلسطين المحتلة عام 48، والمعتقل منذ العام 1986، والمحكوم عليه بالسجن المؤبد مدى الحياة (ولا زال معتقلاً حتى تاريخ الدراسة 2015 )، والذي عقد قرانه على ناشطة حقوقية في العام 1999، والتي رفضت المحكمة المركزية في الناصرة التماساً قدمه مركز «عدالة» عن طريق المحاميه عبر بكر في 27 يوليو/ تموز 2008 السماح له بإنجاب طفل، كحل لم يفارق هاجسه بتحقيق الأبوة، والذي كتب عنه العديد من القصص القصيرة والخواطر، كون الوقت لا يعمل لصالحه، ولأن تحريره لا يبدو في الأفق، وهو وزوجته يأخذان بالتقدم بالسن، وادعت المحاميه أن سلب حق الأسير «دقة» في إنجاب الأطفال يشكل مساً خطيراً في حقوقه الدستورية، كحقه في ممارسة حياة عائلية وحقه في الكرامة وفي مضي فترة محكوميته بشكل لائق وإنساني لا يستند على مبدأ النعمة، وإن أي تأخير في السماح للأسير بتحقيق حقه في إنجاب الأطفال سيسبب له ضرراً أبدياً، والنتيجة التي كانت ترفض الالتسام دليل واضح على التمييز بين السجناء العرب واليهود لصالح اليهود في الحقوق، على الرغم من تشابه الفعل على اختلاف القضية لصالح الفلسطيني كمقاوم للمحتل مقابل إرهاب استيطاني مناقض للانسانية والاتفاقيات والمواثيق الدولية.

طريق « النطف المخزنة (602) ، ومن ثم بدأت فكرة تهريب النطف من السجون (603) ، ويمكن إرجاع أول محاولات تهريب للنطف إلى العام 2002م (604) ولم تنجح حينها بسبب « قلة خبرة الأسرى في حفظ حياة الحيوانات المنوية وتوصيلها للخارج، والإمكانيات العلمية والمهنية في قضية الزراعة والتلقيح في فلسطين وتهيئة الإرشادات الطبية والتحضير للعمليات، وتوفير الظروف والمناخات الاجتماعية والنفسية والوطنية للفكرة ».

وفيما يتعلق ببعض عوامل النجاح لم تتوافر الأنايب الحافظة للنطف المهربة في السجون، وبعثتها للأسير روعي مشتهى الذي لم تنجح محاولته لربما لأسباب لها علاقة بظروف الزيارات، أما عن طرق التهريب التي تم الإعلان عنها وكشفها من قبل الاحتلال، فكانت عبر هدايا الأسرى لذويهم يوم الزيارات، وذلك بوضع النطف مكان نواة التمر، أو داخل حبات الشوكولاتة والحلويات، وطرق لا زالت غير مكتشفة ولم يتم الإعلان عنها بعد لاستمرار نجاح الظاهرة.

#### • أول سفير حرية من السجون:

سجلت الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة أول انتصار في إنجاب الأطفال عن طريق النطف المهربة في 13 أغسطس / آب 2012م، وكان أول سفير للحرية « الطفل مهند » ابن الأسير عمار الزبن، المحكوم بـ (27 مؤبداً و25 عاماً)، ولم يقدم المركز الذي أجرى عملية التلقيح حتى تهيأت الظروف الاجتماعية، وبعد الحصول على فتوى دينية رسمية، واحتضان مجتمعي، ومباركة عدد كبير من المؤسسات والقيادات الفلسطينية الوطنية والإسلامية، وبدعم من كوادر الحركة الوطنية الأسيرة في السجون، وحينما طلبت زوجة الأسير عمار الزبن من المركز القيام بهذه العملية في العام 2006م، تم تأجيل الموضوع ل يتم أخذ الموافقة من الجميع، وتهيئاً كافة الظروف والأجواء الاجتماعية والعائلية والمؤسسية للأمر، وقام المركز بالعملية بعد القناعة باستكمال كل المتطلبات في العام 2012م، أي بعد 6 سنوات من الطلب (605).

وبهذا تحول الأسير عمار الزبن وطفله الأول مهند عنوناً لمرحلة جديدة، وأساساً لبداية انطلاقاً نوعية، نحو تعميم التجربة والانتقال من الانتصار الفردي إلى الانتصارات الجماعية، وانتزاع لحق سلبته إدارة السجون الإسرائيلية، وأقرته المواثيق الدولية وكفله الشريعة الإسلامية، انتصار هو الأول، شجع الآخرين ومهد الطريق وشكل عنواناً لمعركة جديدة ضد الاحتلال والسجان، فانتشرت ثقافة القبول بالتخصيب، وغدت ظاهرة توشك أن تعم السجون، فمن الأسرى من سجل نجاحات مماثلة، ومنهم من تنظر زوجته استكمال فترة الحمل لتضع مولودها، ومن الزوجات من ينتظرن إتمام التحضيرات الطبية لإجراء عملية التلقيح، لكن

(602) من قبل الأسير عباس السيد مواليد 1966، من طولكرم، والمحكوم بالمؤبد 36 مرة، كونه خزنَ عينات قبل اعتقاله في العام 1997م في أحد المراكز المتخصصة بهدف الإنجاب عن طريق زراعة الأجنة، ولقد اقترح على زوجته أثناء الاعتقال استخدام العينة المودعة في المركز الطبي، ورغم عدم تقبلها للأمر في بداية الأمر إلا أنها عادت للتفكير وقررت الإقدام على التجربة رغم ما قد تسببه من حرج اجتماعي، معتبرة أنها تؤدي رسالة إنسانية

(603) أجرى الباحث الأسير إيباد أبو فنون قبل تحرره من الأسر في العام 2011م خلال كتابة رسالته بعنوان « زواج الأسير وطلاقه والمستجدات في ذلك » استطلاعاً في قسم 3 بسجن هداريم، الذي يضم عينة تقدر بـ ( 120 ) أسير من ذوي الأحكام العالية من معظم الفضائل الوطنية والإسلامية، وشارك في الاستطلاع 84%، وامتتحن 16 % وأشارت النتائج إلى أن 65% من المتزوجين ممن لم ينجبوا قبل الاعتقال يفكرون بالإنجاب وهم داخله.

(604) الأسير المحرر جبر وشاح؛ مقابلة أجراها الباحث، غزة، 25/4/2015.

(605) د سالم أبو خيزران مسؤول زراعة نطف الأسرى بمستشفى رزان التخصصي نابلس؛ مقابلة أجراها الباحث، غزة، 25/4/2015.

ثقافة تهريب النطف، انتشرت وسوف تنتشر أكثر، وسوف تلاقي تأييداً واسعاً فيما بعد، من رجال الدين والسياسة وأطراف الحركة الأسيرة قاطبة، ولقد تكررت التجربة من بعد، حتى غدت ظاهرة لافتة وثورة من أجل الحياة<sup>(606)</sup>، ولقد سجل التاريخ أن أول عملية تهريب من السجون كان بطلها الأسير عمار الزين، وأول سفير للحرية ابنه «مهند»، في حين كان الطفل «محمد كريم» ابن الأسير سائد صلاح، من مدينة جنين، والمحكوم 27 عاماً، هو آخر سفراء الحرية<sup>(607)</sup>، ليرتفع عدد الأطفال الذين أنجبوا عبر تهريب «النطف المنوية» من داخل السجون إلى أكثر من (40) طفلاً وفق تاريخ الدراسة حتى نهاية 2015م<sup>(608)</sup>، ولا زالت محاولات الأسرى مستمرة، والظاهرة في ازدياد بسبب الدعم والمساندة لها من كل الاتجاهات، وحقيقة الأمر أن السجون لم تشهد منذ بداية الاحتلال هذا التطور الفائق في مقدرة الأسرى على تهريب النطف المنوية وإنجاب الأطفال كما شهدته الأعوام القليلة الماضية، وإن هذا الإنجاز الإنساني أعطى قوة معنوية ونفسية للأسير وعائلته وجدد أملهم بالحرية<sup>(609)</sup>.

ويرى الباحث أن أطفال النطف منحت الزوجة ثقة الاستمرار بالحياة الزوجية مع زوجها الأسير، وجنبتها قهر زواج زوجها بعد الإفراج عنه بحثاً عن الإنجاب، وخففت الضغوط الاجتماعية عليها للبقاء على عهد التواصل مع زوجها رغم الأحكام العالية، وقضت توق الأسير لغريزة الإنجاب الذي حاول الاحتلال من خلال اعتقاله قطع النسل.

#### رابعاً- مواجهة الاحتلال لهذه لظاهرة النطف المهربة:

من الطبيعي أن تشكل ظاهرة تهريب النطف قلقاً كبيراً للاحتلال، في ظل الإجماع الإسرائيلي من خطر الديموغرافيا التي تشكل أحد أهم التحديات التي تواجهه مستقبلاً، ومن أجل الحفاظ على التفوق الديموغرافي قامت دولة الاحتلال باستقدام مجموعات ليست يهودية خالصة كالروس والإثيوبيين<sup>(610)</sup>، فالزيادة السكانية الفلسطينية بالشكل العام تشكل هاجساً لديه، وستكون أكثر رفضاً وحساسية إذا ما كانت الزيادة - ولو قليلة- متعلقة بنسل الأسرى وتحديدهم لتحقيق الإنجاب رغم الإعتقال.

فكانت أولى ردات الفعل الإسرائيلية على لسان الناطقة باسم مصلحة السجون الإسرائيلية المسؤولة عن احتجاز الأسرى الفلسطينيين السياسيين « سيفان فايتسمان » التي قالت: « إن إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية على علم بتهريب النطف من جانب الأسرى ومحاولاتهم، وأننا سنضع حد لهذه الظاهرة، ولقد تم تشكيل لجنة تحقيق للموضوع، وحسب النتائج سنصدر التعليمات الجديدة التي ستقلل بشكل كبير من الأدوات والطرق التي تهرب فيها الحيوانات المنوية »، ويينت فايتسمان أن إدارة مصلحة السجون اكتشفت وسائل وطرق

(606) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص348.

(607) موقع الحدث اليوم: <http://www.alhadathtoday.com/?page=News&id=7314>

(608) موقع مركز الأسرى للدراسات: <http://alasa.ps/ar/index.php?fact=post&id=27544>

(609) وكالة معاً الإخبارية: <http://www.maannnews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=750977>

(610) موقع مركز الأسرى للدراسات: <http://alasa.ps/ar/index.php?fact=post&id=28293>

التهريب، وبينت أن لجنة التحقيق الجديدة أصدرت تعليمات لن تعرض للإعلام لأنه في حال كشفها سيحاول الأسرى الفلسطينيون الالتفاف عليها<sup>(611)</sup>.

وفي أعقاب تشكيل لجنة التحقيق قامت إدارة مصلحة السجون بعدة خطوات مثل « التفتيش الدقيق للأسرى، والهدايا، والملابس التي يخرجها بهدف تبديلها عبر الأهل في يوم الزيارات، وكذلك تفتيش الأطفال الصغار، ومن يضبط أثناء تهريب النطف يتم عزله ويمنع من الزيارات، وأحياناً يتم نقله إلى سجن آخر ويغرم مالياً<sup>(612)</sup>.

ولعل أقسى أنواع العقاب منع دولة الاحتلال منح هؤلاء الأطفال بطاقة هوية فلسطينية، كما ترفض الاعتراف بشهادات الميلاد وأرقام الهويات التي تخرجها وزارة الداخلية الفلسطينية، كما تمنعهم من زيارة آبائهم في السجن للمضايقة على المعتقلين وتعقيد تواصلهم مع الخارج لكون هذه الإجراءات غير قانونية<sup>(613)</sup>، و لعل أكثر ما لفت انتباه الباحث للتدليل على تخبط دولة الاحتلال في التعامل مع الظاهرة منع أطفال النطف من زيارة آبائهم في السجن.

في نهاية المبحث يجزم الباحث والأسرى والمتابعون « أن عملية تهريب النطف تعد إنجازاً وطنياً وإنسانياً وحقوقياً كبيراً، وتعتبر وسيلة نضالية جديدة للأسرى بحثاً عن الحياة والأمل والحرية، وهي خطوة للتغلب على قيود السجان، وكسرت شوكة أحكامه المؤبدة، فإنجاب الأطفال حق مشروع لكل إنسان على وجه الأرض، والأسرى انتزعوا هذا الحق رغم أنف الاحتلال مسارعاً لقطار الحياة بالأمل والإرادة في معركة البقاء والوجود<sup>(614)</sup>.

رئيس هيئة الأسرى والمحربين عيسى قراقع يعتبر أن عملية تهريب النطف تمثل إنجازاً كبيراً وتحدياً للظروف القاسية التي يعيشها المعتقلون الفلسطينيون، فإنجاب الأطفال عن طريق التخصيب أقوى رسالة حياة على جوهر الأسرى الذين يتطلعون إلى المستقبل والحرية<sup>(615)</sup>، ووصف ظاهرة النطف المهربة بثورة التحدي الإنساني، واختراقاً لكل أشكال العزل والظروف الصعبة والقاسية التي يعيشها الأسرى بالسجون، ورسالة حياة عميقة للعالم تقول: « بأننا نحب الحياة ولا نريد سوى أن نعيش كبشر لنا أطفال وبيت وعائلة، وهذا هو هدفنا الإنساني والوطني والنضالي، وأضاف: أن الأسير اثبت أنه إنسان له الحق في الحياة والحرية، رداً على كل أشكال التعسف الإسرائيلية التي تسعى إلى تجريده من إنسانيته وتشويه صورته، حيث يرى الأسير في طفله القادم نبض حياة متجددة في الوقت الذي تقوم به إسرائيل بقتل واعتقال الأطفال الفلسطينيين، وهي رسالة أخلاقية من الأسرى بامتياز<sup>(616)</sup>.

(611) موقع الحدث الفلسطيني: مصدر سابق، <http://www.alhadath.ps/article.php?id=a02504y10495236Ya02504>

(612) الأسير المحرر أحمد محيي الدين حرزاليه: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 20/10/2015.

(613) موقع الحدث الفلسطيني: <http://www.alhadath.ps/article.php?id=a02504y10495236Ya02504>

(614) الأسير المحرر خضر خليل شعث: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 2/11/2015.

(615) موقع الحدث الفلسطيني: <http://www.alhadath.ps/article.php?id=a02504y10495236Ya02504>

(616) وكالة معاً الإخبارية: <http://www.maaneews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=750977>



ومن النتائج الإيجابية لظاهرة تهريب النفط أنها سلطت الضوء على القضايا الإنسانية للأسرى بشكل كبير في العالم، وأظهرت العنصرية التي يتعرض لها المعتقلون السياسيون القابعون في سجون الاحتلال الإسرائيلي<sup>(617)</sup>، ويرى الباحث أن سفراء الحرية، أبناء النفط المهربة حملوا رسائل عدة للعالم، رسالة مطالبة لتجريم سياسات الاحتلال التي تتعامل مع آبائهم بكل تلك الوحشية من الأحكام الرديئة الخيالية، واعتقالهم في ظروف غير آدمية وغير إنسانية، وعلى العنصرية وسياسة التمييز في السجون ما بين اليهودي والفلسطيني في كافة التعاملات والحقوق والممارسة، وأن الاحتلال يحرم آباءهم من حقوقهم الأساسية وعلى رأسها حق الإنجاب والتعليم والعلاج والتواصل مع الأهل عبر الزيارات المنتظمة، وإنهاء العزل الانفرادي والأحكام الإدارية بدون لائحة اتهام ومملفات سرية، ويحملوا ملف الأسرى بكل مكوناته وانتهاكات الاحتلال بحقهم للمؤسسات الحقوقية والإنسانية المحلية والعربية والدولية.



# المبحث الثالث

## تأثير الأسرى ووثيقة الوفاق الوطني كأساس للمصالحة الفلسطينية

بسم الله الرحمن الرحيم  
«واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»

انطلاقاً من الشعور العالي بالمسؤولية الوطنية والتاريخية ونظراً للمخاطر المحدقة بشعبنا، وفي سبيل تعزيز الجبهة الفلسطينية الداخلية وصيانة وحماية الوحدة الوطنية ووحدة شعبنا في الوطن والمنافي، ومن أجل مواجهة المشروع الإسرائيلي الهادف لفرض الحل الإسرائيلي، ونسف حلم شعبنا وحق شعبنا في إقامة دولته الفلسطينية المستقلة الكاملة السيادة، هذا المشروع والمخطط الذي تنوي الحكومة الإسرائيلية تنفيذه خلال المرحلة القادمة تأسيساً على إقامة واستكمال الجدار العنصري وتهويد القدس وتوسيع المستوطنات الإسرائيلية والاستيلاء على الأغوار وضم أجزاء واسعة من الضفة الغربية وإغلاق الباب أمام شعبنا في ممارسة حقه في العودة.

ومن أجل المحافظة على منجزات ومكتسبات شعبنا التي حققها من خلال مسيرة كفاحه الطويل ووفاء لشهداء شعبنا العظيم وعذابات أسراه وأنات جرحاه، وانطلاقاً من أننا ما زلنا نمر في مرحلة تحرر طابعها الأساسي وطني ديمقراطي مما يفرض استراتيجية سياسية كفاحية متناسبة مع هذا الطابع.

ومن أجل إنجاح الحوار الوطني الفلسطيني الشامل، واستناداً إلى إعلان القاهرة والحاجة الملحة للوحدة والتلاحم، فإننا نتقدم بهذه الوثيقة<sup>(618)</sup>.

بهذه الكلمات المسؤولة، وبكل ذلك الانتماء المتجذر للشعب والوطن في أعماق التاريخ، وبذلك المستوى والإدراك والحرص على المصالح الوطنية العليا، والتنبؤ والاستشراف بالمستقبل القريب والبعيد لمجمل القضية الفلسطينية، بدأ الأسرى مقدمة وثيقتهم التي عرفت « بوثيقة الأسرى » في مايو/أيار 2006م، والتي توصل إليها قادة الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة « باسم كافة الأسرى » كإحدى أهم مظاهر الإبداع التي خرجت باسمهم من داخل السجون الإسرائيلية.

في هذا المبحث سيتناول الباحث عدد من الموضوعات منها، أسباب الانقسام الفلسطيني

(618) جمعية الأسرى والمحربين: وثيقة الوفاق الوطني، مركز الدراسات والتوثيق والمعلومات، غزة، فلسطين، 2006، ص.5.

وأثاره وتداعياته، ومبادرة الأسرى بالكثير من النقاشات والحوارات في السجون لتجنيب شعبهم وبلاتته، والتعريف بقيادة الفصائل صنّاع الوثيقة، والعناصر الأساسية التي حرص الأسرى التأكيد عليها من خلالها، ومدى صلاحيتها حتى تاريخ الدراسة في تحقيق المصالحة الوطنية الفلسطينية.

## أولاً - بدايات الانقسام الفلسطيني:

شهدت الساحة الفلسطينية في 14 يونيو / حزيران 2007م حدثاً أشبه بالزلزال السياسي، أطلقت عليه حركة فتح مصطلح «الانقلاب» ووصفته حركة حماس «بالحسم» ونعته المحايدون «بالانقسام» وشهدت سنواته الكثير من الأحداث والمحطات ما بين التوتر والاشتباكات والمواجهات المسلحة، وبين الحوارات والمفاوضات والاتفاقات في فلسطين بلقاءات مباشرة، وخارجها بوساطات عربية مصرية وسعودية وقطرية وغيرها.

ومن المحللين والكتاب مَنْ أعاد جذور الانقسام لأسباب تتعلق بفترات سابقة ممتدة لها جذورها الفكرية والأيدلوجية والبرامج والأهداف، ومنهم من أعاده إلى ما بعد انطلاق حركة حماس، ومشاركتها الفاعلة في الانتفاضتين (1987 - 2000م)، ومن ثم ممارسة دورها السياسي ما قبل وبعد اتفاقية أوسلو 1993م، إلا أن الباحث سيقترن في بحثه على الأسباب المباشرة « أي ما بعد الانتخابات الفلسطينية الثانية التي جرت في 25 كانون ثاني/ يناير 2006م، وأحداث 14 يونيو/حزيران 2007م مع تحول الانقسام السياسي بين الحركتين إلى انقسام جغرافي وسياسي معاً.

عانت الساحة السياسية الفلسطينية خلال فترة الانقسام من عدد من الإشكاليات والمعيقات وأسباب أخرى من دوافع المصالحة، وأهمها: عدم انخراط كل مكونات الشعب الفلسطيني تحت مظلة واحدة، رغم كثرة الحديث عن ترميم هياكل وأنظمة وبرنامج منظمة التحرير الفلسطينية، وانضمام حركتي حماس والجهاد الإسلامي إليها، وغياب الرؤية الاستراتيجية الموحدة للفصائل، وعدم التوافق على أولويات العمل الوطني، وعدم التوافق والتناسق بين برنامجي المفاوضات والمقاومة، إلى جانب تشتت مراكز صناعة القرار الفلسطيني وتعرضها لضغوط داخلية وخارجية عديدة<sup>(619)</sup>.

ويرى الباحث أن الشعب الفلسطيني أشبع وعوداً ومحاولات وتدخلات واتفاقات وقرارات خلال سنوات الانقسام العجاف، والتي دفع خلالها ثمناً باهظاً، من جوعه ودمه وصبره ومعاناته، وأضحى ضحيةً للواقع المرير الذي حوله أشبه بالأسير في سجن كبير، وترك الانقسام الكثير من الآثار الجسيمة عليه في كل مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية " حيث أنه أعطى ذريعة للاحتلال للتهرب من العملية السياسية، وتكثيف سياسة التهويد والاستيطان، وتراجع الاهتمام الدولي بالقضية الفلسطينية كقضية سياسية إلى مجرد اهتمامات إنسانية من إغاثة ومساعدات غذائية، وأضعف الانقسام خيار المقاومة، وخلف أزمات اقتصادية، مع غياب شبه كامل للقانون".

(619) د محسن صالح، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2011، بيروت، لبنان، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2012، ص.2.

بات واضحاً للقوى السياسية كافة، استحالة بقاء الأمور على ما هي عليه، واستحالة الاستمرار في سياسة المناكفة وتبادل الاتهامات، وبضرورة العودة إلى إجراء مراجعة سياسية شاملة في إطار من الحوار الوطني يشارك فيه القوى السياسية كافة، وكذلك فعاليات المجتمع المدني وممثلي القطاع الخاص، ولكن المخرج من الأزمة جاء من خلف القضبان من الحركة الوطنية الأسيرة<sup>(620)</sup>.

## ثانياً - الأسرى والانقسام الفلسطيني:

لعبت الحركة الوطنية الأسيرة في سجون الاحتلال دوراً فريداً ومميزاً في المصالحة الوطنية الفلسطينية، من خلال إصدارها وثيقة الأسرى بعد حالة الاقتتال والانقسام السياسي الذي وقع بين حركتي حماس وفتح، وقد جاءت وثيقة الأسرى<sup>(621)</sup> أو « وثيقة الوفاق الوطني » لتشكل رافداً يؤسس لحوار وطني شامل يبنى عليه في إعادة اللحمة الوطنية لمؤسسات السلطة الوطنية وفصائل العمل الوطني الفلسطيني، وفي التاسع من مايو / آيار 2006م تم الإعلان عنها باسم الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في السجون الإسرائيلية<sup>(622)</sup>.

كما سبق من ذكر، قرأ الأسرى المأزق الفلسطيني قبل وقوعه، وشاهدوا نهاية النفق المظلم قبل الدخول إليه، فحذروا القوى الفلسطينية من الانجراف نحو كونه سيقوض أسس المجتمع الفلسطيني وركائزه، ولن يكون إلا لصالح العدو الإسرائيلي ومشروعه الصهيوني.

وبدأ نقاش مستفيض ومعقد بين الأسرى القادة للبحث عن أقوى وأضعف سبل التقاطع والاختلال في الساحة الوطنية<sup>(623)</sup> للوصول إلى أفضل صيغة جامعة للاتفاق على برنامج وطني موحد للعمل السياسي الفلسطيني، واستمرت الحوارات داخل المعتقل لمدة شهرين كاملين، ما بين نقاش وحذف وإضافة للأفكار، وكتابة مسوداتها وتعديلها، إلى أن خرجت الوثيقة بالشكل المعروف لأبناء شعبنا، ومن الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أن الأسرى القادة<sup>(624)</sup> كلهم تعاونوا بشكل مثمر وبنّاء في صياغة تلك الوثيقة الهامة<sup>(625)</sup>.

(620) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص 149 .

(621) أنظر ملحق نصوص وثيقة الأسرى كاملة: ص 284.

(622) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص 145 .

(623) القيادة في الجبهة الديمقراطية مصطفى بدارنة أحد صناع وثيقة الأسرى وصف بعد تحرره في صفقة وفاء الأحرار متابعة الأسرى للأوضاع المتفاقمة في الخارج بالقول « كنا كأسرى نراقب ونتابع بكثير من القلق والخوف حالة الصراع المحتدم على السلطة والنفوذ، بعد حالة الاستعصاء التي بدأ يعيشها النظام السياسي الفلسطيني في أعقاب انتخابات المجلس التشريعي الثانية 2006، والتي كانت تنذر بمخاطر الحرب الأهلية، وهذا ما دفعنا لأن نبادر قبل بدء أعمال مؤتمر المصالحة في رام الله أيار/2006 بشهرين تقريباً لندرس الحالة الوطنية باتجاه بلورة مشروع سياسي وطني نقدمه باسم الحركة الأسيرة للقوى الوطنية خارج المعتقل، ومع بلورة فكرة مؤتمر المصالحة أسرعتنا في إنجاز وثيقة الوفاق الوطني لتقدمها لطاولة الحوار الوطني في ذلك المؤتمر، كنت الوحيد في قسم آخر من السجن، ولكن هذا لم يمنع تواصلنا مع الآخرين إلى أن تم إنجاز صيغة نهائية للوثيقة، حيث ساعدتنا بعض الظروف لأن التقى الأخ مروان مباشرة في قاعة زيارة الأهل لتخصيص ذلك الوقت للحديث حول تلك الصيغة واعتمادها نهائياً، هذا بالطبع كان على حساب لقائنا وحديثنا مع أهلنا الذين جاؤوا لزيارتنا، الذين لم ينالوا إلا بعض الدقائق للحديث معنا ».

(624) ومن أبرز القادة الذين صاغوا الوثيقة مع التأكيد على مشاركة كوادر وتنظيمات أخرى كانوا ممثلين شعبهم في مطلب الوحدة الوطنية، وممثل تنظيماتهم في وضع خريطة المصالحة الممثلة بوثيقة الأسرى من داخل السجون وهم:

- الأسير مروان حسيب الرغوثي ممثلاً عن حركة فتح.
- الأسير عبد الخالق حسن التنشة ممثلاً لحركة حماس.
- الأسير بسام راغب السعدى ممثلاً عن حركة الجهاد الإسلامي.
- الأسير عبد الرحيم محمود ملوح ممثلاً عن الجبهة الشعبية.
- الأسير مصطفى كامل بدارنة ممثلاً عن الجبهة الديمقراطية وغيرهم .

(625) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة - جامعة القدس، موسوعة تجارب الأسرى الفلسطينيين والعرب، مرجع سابق، ص 441.

## رابعاً- وثيقة الأسرى:

أكدت وثيقة الأسرى في ثمانية عشر بنداً مفصلاً على مجمل القضايا الرئيسية الفلسطينية يوجزها الباحث، ” بتوجيه الخطاب لكل الشعب الفلسطيني في كل مكان وأينما تواجد (في الوطن والمنافي)، وحددت الوثيقة هدفه بتحقيق الحرية والعودة والاستقلال، وتقرير المصير والدولة المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، وأكدت على حق العودة ومضاعفة الجهد لدعم اللاجئين، وتحرير جميع الأسرى والمعتقلين كواجب وطني مقدس على الجميع، وطالبوا بتفعيل منظمة التحرير الفلسطينية وانضمام حركتي حماس والجهاد الإسلامي إليها، وأكدوا على حق الشعب الفلسطيني في المقاومة بمختلف الوسائل، إلى جانب العمل السياسي والتفاوضي والدبلوماسي والاستمرار في المقاومة الشعبية، وتوحيد الخطاب السياسي الفلسطيني، مع ضرورة إجراء إصلاح شامل لمؤسسات السلطة، وتشكيل حكومة وحدة وطنية بمشاركة كل القوى السياسية الراجعة للنهوض بالوضع الفلسطيني محلياً وعربياً وإقليمياً ودولياً، والتأكيد على أن إدارة المفاوضات هي من صلاحية «م.ت.ف» ورئيس السلطة الوطنية على قاعدة التمسك بالأهداف الوطنية الفلسطينية، والعمل على تشكيل جبهة مقاومة موحدة باسم جبهة المقاومة الفلسطينية، لقيادة وخوض المقاومة ضد الاحتلال وتشكيل مرجعية سياسية موحدة لها، والتمسك بالنهج الديمقراطي والحفاظ على مبادئ الديمقراطية وصورها، ورفض الحصار، ودعوة الحكومات العربية لتنفيذ قرارات القمم العربية السياسية والمالية والاقتصادية والإعلامية الداعمة للشعب الفلسطيني وصموده، والتأكيد على أن السلطة الوطنية الفلسطينية ملتزمة بالإجماع العربي والعمل العربي المشترك، ودعوة الشعب الفلسطيني للوحدة والتلاحم ورفض الصفوف، ورفض التدخل في الشؤون الداخلية الفلسطينية، ونبذ كل مظاهر الفرقة والانقسام، والتأكيد على حرمة الدم الفلسطيني، والالتزام بالحوار أسلوباً وحيداً لحل الخلافات، وتطوير المؤسسة الأمنية الفلسطينية بكل فروعها للقيام بمهمة الدفاع عن الوطن والمواطنين في مواجهة العدوان والاحتلال، وحفظ الأمن والنظام العام وتنفيذ القوانين، وتوسيع دور وحضور لجان التضامن الدولية والمجموعات المحبة للسلام لدعم صمود الشعب الفلسطيني<sup>(626)</sup>، وتم التوقيع على الوثيقة باستثناء حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين التي تحفظت على البند المتعلق بالانتخابات والمفاوضات<sup>(627)</sup>.

## خامساً- الاتفاق على الوثيقة:

رحب الكل الفلسطيني بشكل مبدئي بوثيقة الأسرى كمبادرة من الأسرى في السجون لإعادة الوحدة الوطنية، وأكد الجميع على أهميتها كأساس للمصالحة، وبعد مخاض عسير في أعقاب استئناف الحوارات بين الفصائل نجحت القوى والفعاليات الفلسطينية في 27 يونيو/حزيران 2006م في الوصول إلى اتفاق حول وثيقة نهائية، أطلق عليها « وثيقة الوفاق الوطني » وهي بالأساس وثيقة الأسرى بعد أن أدخلت عليها تعديلات بناءً على اقتراح بعض أطراف الحوار.

(626) جمعية الأسرى والمحررين: وثيقة الوفاق الوطني، مركز الدراسات والتوثيق والمعلومات، غزة، فلسطين، 2006، ص 1 - 16.  
(627) الجزيرة نت، 26/5/2006، <http://www.aljazeera.net/news/arabic/2006/5/26>

في نهاية المبحث يرى الباحث أن وثيقة الأسرى تشكل حالة إبداعية للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، لأنها تبلورت قبيل الأحداث وقرأت الواقع الفلسطيني ومستقبله قبل حدوثه، ولأنها تمثل حالة الإجماع للقوى والفصائل الفلسطينية داخل السجون في أعقاب نقاشات معمقة ومفتوحة، " ولأنها نجحت في رسم أهداف الشعب الفلسطيني ونضالاته، وآليات وسبل تحقيق هذه الأهداف، كما ترسم منهجاً لإصلاح أوضاع المؤسسة الفلسطينية، وإجماع القوى الفلسطينية كافة وممثلي المؤسسة الرسمية، وفعاليات المجتمع المدني والقطاع الخاص<sup>(628)</sup>."

والحالة الإبداعية للوثيقة أنها تمثل الإطار التوافقي الصالح لبرنامج سياسي ونضالي وائتلافي موحد مشترك، يسعى لتشكيل حكومة وحدة وطنية، على قاعدة البرنامج الوطني المشترك، وتجاوز الحالة الانقسامية التناحرية<sup>(629)</sup>.

ولأنها لا زالت المبادرة الأكثر ملائمة لإنهاء الإنقسام الفلسطيني، كونها تجيب على القضايا والملتطلبات الوطنية، ولأنها بعيدة عن التجاذبات والمصالح الحزبية والمطامع الشخصية، ولأن من عكف على صياغتها قادة لديهم التاريخ والتجربة النضالية، والقدرة على تفهم الواقع الفلسطيني وتركيبته الاجتماعية والسياسية، وإدراك خطورة الانقسام وآثاره على الكل الفلسطيني في الداخل والخارج، ولأن وثيقة الأسرى حصلت على الإجماع الوطني والإسلامي، وتم تبنيها ومباركتها حتى من طرفي الانقسام « حركتي فتح وحماس »، لذلك لازالت صالحة وقادرة على توحيد الساحة الفلسطينية فيما لو قام المعنيون بتنفيذ بندها<sup>(630)</sup>، وخاصة في ظل تعثر كل مبادرات المصالحة أو توصلها لاتفاقات دون قدرة على التنفيذ، والتي خلفت حالة من الريبة والشك وانعدام الثقة والإحباط، تلك القناعات التي باتت تشكل مكوناً في الثقافة المجتمعية الفلسطينية، وأصبح الفلسطينيون يشكون في كل شيء، حتى في قدرتهم على تجاوز واقعهم المرير<sup>(631)</sup>.

في نهاية المبحث يعتقد الباحث أن ما يشير لإبداع الأسرى في وثيقة الأسرى بأنها لا زالت تحافظ على برقيتها، كونها تشكل إرادة الأسرى في السجون وخارجها، بما يحملون من قيم وأخلاق وعطاءات وتضحيات وقراءة لخطورة الموقف، وأمل وطموح عالي في الوحدة كأسس لاستكمال مشوارهم الذي بدأوه خلال مشوارهم النضالي والجهادي في معركة التحرير والسيادة والحرية والاستقلال.

ولا زال يرى الباحث أن هنالك الكثير من الإمكانيات لإعادة الاعتبار للوثيقة في ظل تأثير المكانة العميقة للأسرى في السجون، ولجيش المحررين بعشرات بل بمئات الآلاف خارج السجون، هذا الجيش المؤثر لمكانته الاعتبارية وحضوره التنظيمي والنقابي والإعلامي فيما لو شكّل تياراً ضاغظاً على الفصائل المنقسمة، ولفظ الشخصيات المتنفذة والحاقدة والمتنفعة

(628) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص 152.

(629) الحوار المتمدن: 1=ac=69859&aid=0&print.art.asp?http://www.ahewar.org/debat/

(630) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأميرة: إبداعات انتصرت على القيد، المؤتمر الأول، مرجع سابق، ص 17.

(631) د. إبراهيم أبراش: صناعة الإنقسام الفلسطيني، القدس، فلسطين، صادر عن دار الجندي، 2014، ص 257.

من ظاهرة الانقسام خارج النسيج الوطني وتحميلها مسئولية آثار الانقسام ومحاكمتها وطنياً، وإجبارها للقبول بمبادئ وثيقة الأسرى أو وثيقة الوفاق الوطني التي تم الاتفاق عليها على أرضية بنود وثيقة الأسرى، كوثيقة إبداعية<sup>(632)</sup>، وإنهاء الانقسام البغيض الذي أطلق عليه البعض « بالنكبة الثانية » بما خلف من تداعيات سلبية على كل الصعد.

(632) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: إبداعات انتصرت على القيد، المؤتمر الثالث، مرجع سابق، ص 32.

## المبحث الرابع

# شكل التجربة الديمقراطية في السجون وانعكاسها على حياة الأسرى

قد يكون من الغرابة الحديث عن تجربة ديمقراطية للأسرى بين جدران سجون مغلقة، وممارسات قمعية قهرية غير معقولة من قبل سلطات الاحتلال، من حيث تجريم مبدأ التجمع على أساس تنظيمي أو بتكوين نواة مجتمع اعتقالي قائم على الحد الأدنى من القيم والشراكة والعقد الاجتماعي في أدنى صورته وشكله، وتقييد الحريات وتكثيف العقوبات على أتفه القضايا، والرقابة الشديدة على حركة الأسرى بكل أشكالها الحياتية والثقافية والتنظيمية والأمنية، ومنع عقد اللقاءات بين أعضاء الكوادر التنظيمية المنتخبة، ونقلهم المتواصل لإيجاد حالة من عدم الاستقرار التنظيمي الذي يرسى دعائم الممارسة الديمقراطية وثقافتها على أيدي نخب تألفت وأبدعت في استيعاب الأسرى الجدد وزرع مبادئها بهم منذ لحظات الاعتقال الأولى<sup>(633)</sup>.

وعلى الرغم من كل تلك العوائق فقد تجاوز الأسرى تلك العقبات ببدايل، وتطورت المسيرة الديمقراطية في السجون مع تطور الأوضاع الداخلية للأسرى مرحلة بعد أخرى، كل كان لها خصائصها وظروفها في شكل الإمكانيات، والروابط، واللوائح الداخلية، وإفراز القيادات وكيفية اتخاذ القرارات، والرقابة، والمحاسبة، والمساواة، والحقوق، والحريات.

ويمكن القول أن الممارسة الديمقراطية في السجون تبقى نسبية، قائمة على المشاركة في صناعة القرار السياسي والكفاحي، أكثر من الحديث عن العلاقة بين الحكم والمواطن، وقوانين وتشريعات وأنظمة وحريات وتعددية سياسية وثقافية وحقوق للفئات الاجتماعية المهمشة والضعيفة وغير ذلك من أهداف وقيم ومبادئ<sup>(634)</sup>.

في هذا المبحث سيتطرق الباحث لنشأة الديمقراطية ومبادئها الأساسية واسقاطها على واقع الاعتقال، وبداية المسيرة الديمقراطية وتطورها في السجون، وإلى أهم مظاهرها وإبداع الأسرى، وانعكاسها الإيجابي والمؤثر على الحياة الاعتقالية.

### أولاً - منشأ الديمقراطية وتعريفها:

ظهرت الديمقراطية في بادئ الأمر كمذهب سياسي فلسفي على يد كبار كتاب القرن الثامن عشر أمثال: جون لوك في إنجلترا، وجون جاك روسو ومنتسكيو في فرنسا، وكانت غاية

(633) أنظر / الأسير محمود صبيحة : مرجع سابق، ص52- 57.

(634) محسن أبو رمضان: التحول الديمقراطي في فلسطين، رام الله، فلسطين، مركز رام الله للدراسات وحقوق الإنسان، 2008، ص.8.



المذهب الفلسفي الديمقراطي هي محاربة الحكم الاستبدادي المطلق الذي ساد في أوروبا آنذاك، وبالذات في إنجلترا وفرنسا، فأبرز الكتاب أن السيادة لا ترجع للملك بل للشعب الذي يمثل مجموعة السيادة العليا، هذا دون أن ننسى أن جذورها الفلسفية تمتد وتضرب في التاريخ القديم، من خلال كتابات أفلاطون وأرسطو وديموقريطس وسقراط وغيرهم من الكتاب والفلاسفة اليونان، الذين تكلموا عن حكم الشعب لنفسه وبنفسه، ولكن ليس بالشكل الذي نراه اليوم من المفاهيم المعاصرة للديمقراطية<sup>(635)</sup>.

”فالديمقراطية“ بشكل عام تعني حق الشعب في ممارسة السلطة في الدولة باعتباره صاحب السيادة، والتعريف المبسط للديمقراطية هو « حكم الشعب »<sup>(636)</sup>، وفي هذا المجال قال الفيلسوف لينكولن أن «الديمقراطية» هي حكم الشعب بقيادة الشعب لخدمة الشعب<sup>(637)</sup>، ولا تبعد دوائر المعارف والقواميس عن هذا التعريف، فالقاموس السياسي الأمريكي يذهب إلى أن الديمقراطية هي نظام للحكومة تمارس فيه السلطة السياسية بواسطة الشعب<sup>(638)</sup>، ويرجع أصل كلمة « الديمقراطية » من الناحية اللفظية في الأساس كلمة يونانية مركبة من جزأين، الجزء الأول Demos وتعني الشعب، والجزء الثاني Kratos وتعني حكم أو سلطة<sup>(639)</sup>، وبالتالي فالمواطنون وفقاً لهذا التعريف لهم حرية الاختيار ما بين متنافسين على أصوات الناخبين، لكن ما بين انتخابات وأخرى يتخذ القادة السياسيون القرارات، وفي الانتخابات التالية يمكن للمواطنين الناخبين أن يتخلصوا من القيادات الموجودة، ويحلوا محلها قيادات أخرى متفق ومصالحهم بصورة سلمية<sup>(640)</sup>، وتحت إطار هذا المفهوم فتمنح المجتمعات الديمقراطية إمكانية المنافسة الحقيقية بين المرشحين على السلطة وقت الانتخابات<sup>(641)</sup>، مع التأكيد أن الحكم الديمقراطي بممارسته مقيد، ومصدر تقييده التزامه مبدأ حرية الأفراد والسعي للحفاظ على كرامتهم، وعدم قدرته على ممارسة السلطة المطلقة بلا قانون والتي تمارسها السلطات الدكتاتورية<sup>(642)</sup>، وفي السلطة الديمقراطية الكل ملتزم بالقانون، والجميع متساوي أمامه<sup>(643)</sup>، والديمقراطية تؤكد على حقوق الإنسان وحرية، وعلى مبدأ المساواة للجميع في كل المجالات (الاقتصادية والاجتماعية كما القانونية والسياسية)<sup>(644)</sup>، كما أن الدستور مصدر مهم لضبط عنان السلطة<sup>(645)</sup>، وهي لا تقتصر على المؤسسات والقوانين، والانتخابات والحكم، بل أيضاً على القيم والثقافة والسلوك<sup>(646)</sup>، وعلى الرغم من تعدد مدارس الديمقراطية إلا أنها جميعاً اتفقت على مبادئ أساسية متفق عليها<sup>(647)</sup>.

(635) محمد رفعت عبد الوهاب: النظم السياسية، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة، 2007، ص 179.

(636) روث حיים יהודה: שלטון העם על ידי העם. יבנה. תל אביב، 1949. ل 9.

(637) طلال أبو عفيفة: الدبلوماسية والاستراتيجية في السياسة الفلسطينية، بدون مكان ودار نشر، 1997، ص 625.

(638) Jack Plano and Millon green berg (eds), The American Political Dictionary (New York: Halt Rinehart and Winston Ithc , 1967 ) PP.6

(639) Philip P.Wiener ,Dictionary of the History of Ideas ( New York ,Charles Scribners Sons,1973 ) ,PP.652

(640) Joseph Schumpeter ,capitalism , Socialism , , Socialism and Democracy (London: Allen and Unwin , 1950 ) , PP.250

(641) Yanai, N: Party leadership in Israel, Ramat Gan,Turtledove ,1981 ,PP. 196

(642) בנימין גויברגר: הדמוקרטיה הישראלית. תל אביב, האוניברסיטה הפתוחה, 1998, ל 9.

(643) نفس المصدر: ل 10

(644) Benyamin , Neuberger: Modern Democracy: intellectuyl Roots andBasic Concepts , Tel-Aviv , The Open University ,1998,PP.54

(645) Benyamin , Neuberger: Democracy in Israel , Tel-Aviv , The Open University ,1998,PP. 19

(646) בנימין גויברגר: הדמוקרטיה המודרנית שורשים רעיוניים ותפיסות יסוד, תל אביב, האוניברסיטה הפתוחה, 1985, ל 93.

(647) Benyamin , Neuberger: Modern Democracy: intellectuyl Roots andBasic Concepts , Tel-Aviv , The Open University ,1998,PP.55

## ثانياً - بدايات الديمقراطية في السجون:

يستنتج ميشيل فوكو في كتابه (المراقبة والمعاقبة - ولادة السجن) أن السجن ليس مصدره القانون الجنائي بل هو سبق القانون وجاء هذا فيما بعد لينظمه، إن السجن بمؤسسته الخاصة وطريقة نشوئه وهيكلته المتعلقة به وحده كما لو كان سلطة مضافة إلى الدولة والمجتمع، ويعتبر السجن بهندسته وجاهزيته مكاناً مثالياً لإنتاج الجسد الانضباطي، ويرى أيضاً أنه « أصبح للسرديات عوامل جماعية وشعبية وأهداف سياسية واضحة، واشتد الالتباس بين المعارض السياسي والمتهم الجنائي، وقد أفادت السلطات طويلاً من هذا الالتباس بحيث سنت قوانين كثيرة ذات صبغة جنائية موجهة إلى أشكال المعارضة السياسية الخالصة والأيدلوجية المعينة »<sup>(648)</sup>.

ولقد مارس الأسرى الديمقراطية وتوسعوا فيها بالنضال الدؤوب، وإعمال الفكر في التجارب التي كانوا يخوضونها، وباكتساب عوامل الثقافة من خلال الإبداع والاطلاع على ثقافة الآخرين، وتطوير مهاراتهم من خلال تجارب الديمقراطية فيما يصل إليهم من دراسات وحوار حولها، وكان للنهوض الأدبي دوره في الإبداع والحوار حول الشكل الأفضل الذي يجب أن يبلغه الأسرى في اكتساب المزايا الديمقراطية في التعامل والارتقاء الإنساني إلى العلاقة الأفضل فيما بينهم، فقد ثبت أنه حتى في غياب الأيدلوجيا الموحدة للمعتقلين السياسيين (بصفتهم معتقلين سياسيين) كان هناك نقاش وحوار يتسم بالروح الديمقراطية بين الأسرى<sup>(649)</sup>.

منذ بداية الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة عاملت السلطات الإسرائيلية الأسرى بالكثير من أشكال السطوة والقوة، وحرابت كل أشكال ومظاهر الديمقراطية في السجون، فانتمت مصلحة السجون قوانين قهرية طبقتها على الأسرى السياسيين أسوة بالجنائين اليهود كونهم تحت نفس المسؤولية والإدارة، متجاوزة الفارق الجوهرية في أسباب الاعتقال والنظام والخصوصية بهدف الانتقام وعدم الاعتراف بالمسؤولية القانونية الدولية لهم كأسرى حرب، ومع هذا منعت الفلسطينيين السياسيين من كل امتياز إيجابي منحت للجنائين، على سبيل المثال لا الحصر: طبقت على الأسرى الفلسطينيين السياسيين نظام التفتيش العاري بسبب تهريب الجنائين للمخدرات والسموم، وفي المقابل منعت الأسرى الفلسطينيين من تحديد حكم المؤبد بعشرين عاماً، وإفراجات ثلثي المدة، والاتصالات الهاتفية مع الأهالي، وحق الإنجاب، وغير ذلك من الامتيازات التي منحتها للجنائين، فتعاملت مع الطرفين بشكل انتقائي لصالح الجنائين اليهود.

ورغم هذه العنصرية في التعامل اليومي مع الأسرى الفلسطينيين، والقولية السلبية التي روجتها سلطات الاحتلال باتجاههم على المستوى المحلي والدولي إلا أن الأسرى بقوة القوة العنيفة تارة، والناعمة والنضال السلمي تارة أخرى، وبمنطق القانون الدولي والحق والعقل والمنطق استطاعت الحركة الفلسطينية الأسيرة أن تجابه التحديات والمخططات وأبدعت في

(648) فهد أبو الحاج: مرجع أنظر سابق، ص 9.

(649) فهد أبو الحاج: مرجع سابق، ص 94.

عشرات بل مئات القضايا ومنها تطور الحالة الديمقراطية، حيث أنها حولت السجون إلى مجتمعات أشبه وأرقى من المجتمعات خارج السجون، وجعلت من الممارسة الديمقراطية أساساً مهماً للنجاحات في الكثير من المستويات، فأُسست مجتمع قائم على تداول السلطة، وإجراء الانتخابات لاختيار القيادة التي تدير شؤون مجتمع الأسرى في المعتقلات، واحترام الحقوق الأساسية كمبدأ المساواة والحقوق « حق التعبير عن الرأي، وحق الفرد في حماية المجتمع له من الاعتداء على شخصه أو كرامته الإنسانية، ووجود القوانين التي تحكم الحياة اليومية، وتنظم علاقة الفرد بالفرد، والفرد بالمجتمع، وفصل السلطات، ووجود عقد اجتماعي يتم التنازل من خلاله عن جزء من الحرية النسبية التي يتمتع بها الأسرى، وتفويض جهة منتخبة لهذه السلطات لكي تصرف شؤونهم باسم المجموع<sup>(650)</sup>.

ويؤكد الباحث من خلال مكانته في المؤسسات التنظيمية والاعتقالية العامة، وملاحظته ومراقبته لواقع السجون والأسرى، أن الديمقراطية في السجون برزت في ثلاثة مركبات، الأول: على المستوى الفردي بالثقافة والسلوك والممارسة، والثاني: على صعيد بنية التنظيم الواحد وهياكله ولجانه وشكل القرارات فيه، والثالث: تجلى بشكل واسع على صعيد العلاقة التي تحكم الفصائل والمؤسسات الاعتقالية العامة في كل سجن، وبين السجون لحظة اتخاذ القرارات الجماعية الاستراتيجية العامة، وللتفصيل أكثر<sup>(651)</sup>:

## 1. على الصعيد الفردي:

يشيد الباحث بوظيفة المجتمع الاعتقالي الذي يصهر الأسرى بالمفاهيم والأفكار الوطنية، وبتغليب المصالح العليا على الأنانيات والحاجات الشخصية، ويعمل على استيعابهم من خلال التدرج في تربيتهم وصلهم من الناحية النظرية بالمفاهيم والمعرفة والمبادئ الديمقراطية، ومن الناحية العملية بتمرينهم وتدريبهم على السلوك القويم والنضالي والجماعي المنضبط.

ولقد اكتسب الأسرى المفاهيم الديمقراطية من خلال انتمائه للفصائل الفلسطينية قبل الاعتقال والتي مارست العملية الديمقراطية في مؤسساتها بنسب متفاوتة، والتي حملت نويات ديمقراطية غير مكتملة تحتاج للمزيد من النمو من أجل حسم نقاط هامة ومفصلية في تفكيرها بهذا الشأن<sup>(652)</sup>، ويرجع هذا الأمر لعملية النضال الطويل مع الاحتلال وظروف الشتات والاعتقال، والتي شكلت عائقاً ضخماً في مواجهة تطوير الممارسة الديمقراطية<sup>(653)</sup>، ومن خلال الأدبيات والكتب والتلفاز والراديو والصحف ومنها العبرية التي دخلت المعتقلات، ومؤخراً من الجامعات التي انتسب إليها الأسرى وخاصة الجامعة المفتوحة في إسرائيل

(650) نفس المصدر: ص14.

(651) للمزيد من التفصيل أنظر إلى دراسة كل من: خالد الهندي: التجربة الديمقراطية للحركة الفلسطينية الأسيرة، رام الله، مؤسسة ناديا للطباعة والنشر، 2000. فهد أبو الحاج: التجربة الديمقراطية للأسرى الفلسطينيين في المعتقلات الإسرائيلية في الفترة 2007-1967، القدس، فلسطين، مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، 2014م.

الأسير محمد صبحه: التجربة الديمقراطية والمؤسسية حركة حماس في السجون، غزة، فلسطين، مكتب اعلام الأسرى، 2015.

(652) وليد سالم: المسألة الوطنية الديمقراطية في فلسطين، رام الله، فلسطين، مؤسسة ناديا للطباعة والنشر، 2000، ص157.

(653) محمد خالد الأزعر: النظام السياسي والتحول الديمقراطي في فلسطين، رام الله، فلسطين، مواطن - المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 1996، ص12.

والجامعات الفلسطينية والدولية عبر الدراسة، والأهم من خلال الشعور بحاجة المفاهيم الديمقراطية في مواجهة السجن الذي يحاربهم مؤسسات منظمة قائمة على تلك الأسس وتتبع نظام سياسي أثنى الديمقراطية لصالح المواطنين اليهود في المجتمع الإسرائيلي، ولأهمية إيجاد نظام داخلي للفصائل يدير العمل الاعتقالي بوسيلة سَلَسَة وناجحة في السجن بعيداً عن الخلافات والصراعات.

فبدأت التنظيمات داخل المعتقلات بالقيام بأعباء وظيفتها الاجتماعية الريادية، وذلك ببناء أسير متشبث بالثوابت الوطنية، والمقدر لرموزها وقيمها الحضارية المنفتحة، والمتمسك بهويته بشتى روافدها، والمعترز بانتماؤه لقضيته، والمدرك لواجباته وحقوقه، بالإضافة إلى تربيته على التحلي بفضيلة الاجتهاد المثمر، وتعريفه بالتزاماته تجاه نفسه ومجتمعه الاعتقالي، وعلى التشبع بقيم التسامح والتضامن والتعايش، ليساهم في الحياة الديمقراطية كحاجة أساسية في مواجهة المحتل بثقة وتفاؤل، في اعتماد على الذات وتشبع بروح المبادرة.

كما أن السجن كمجتمع صغير، يعد الورشة الحقيقية التي يتمرن فيها الأسير على الحياة الفضلى وعلى التعاون الاجتماعي وعلى السلوك المدني بصفة عامة، ويعمق من خلالها الممارسة الفعلية في حدود التعايش والتقبل المتاحين، وبذلك ينتج معتقلاً حدثياً قوياً بعلمه وغزارة معارفه وبسلوكه المدني الموجه بداهة نحو البناء لا الهدم<sup>(654)</sup>.

أدرك المجتمع الاعتقالي منذ بدايته أن لا سيد على الديمقراطية، إلا الديمقراطية نفسها، وليس هنالك من مؤمن على الديمقراطية، إلا الفرد الديمقراطي الحر، وحين ينبج المجتمع الاعتقالي ذلك الفرد، يضع اللبنة الأولى، للمجتمع الاعتقالي الديمقراطي، كون أن كل أسير يشكل في ذاته نواة ذلك المجتمع، ومن هنا انطلقت نظرية البناء كفكرة<sup>(655)</sup>.

واجتهد المجتمع الاعتقالي بتكريس مبدأ المسؤولية لدى الأسرى، مبدأ قام على المفاعلة، أي علاقة تفاعل متبادل، أو منظومة علاقات: علاقة بين الأسير والأسرى الآخرين، والعلاقة بين الأسير والمجتمع الاعتقالي، والعلاقة التي تضبط الأسير بالتنظيم الذي ينتمي إليه ويعيش في كنفه وتحت مظلتها، وبذلك يتحول الأسير من شخص باحث عن الذات والمصالح الشخصية إلى شخص يتطلع للأهداف الكبرى والمصالح العليا للمجموع الاعتقالي<sup>(656)</sup>.

ومارس المعتقلون مرتكزات ومبادئ الديمقراطية في السجن، في إطار الفصيل والمجتمع الاعتقالي العام، في الكثير من المجالات، كحق الانتخاب والترشيح، والحقوق والواجبات، وتقبل التعددية الاعتقالية واحترام الأطر الأخرى وعناصرهم وأفكارهم ومعتقداتهم الفكرية والسياسية والدينية، وبالإنصاع لمفهوم الأغلبية في التمثيل الاعتقالي، وتداول التوجيه النضالي « الموجه العام »، واللجان التنظيمية بناءً على أرضية تداول السلطة، وممارسة الحرية على قاعدة أن الحرية الشخصية تنتهي عند حدود حرية الآخرين، فمارس الأسير حرته في ظل

654 موقع مركز الأسرى للدراسات: <http://alasa.ps/ar/index.php?act=post&id=27480>

655 موقع الوطن: <http://contactus.htm8www.al-watan.com/mobile/viewnews.aspx?n=BF219820>

656 موقع أخبار الديمقراطية: [http://www.sironline.org/alabwab/akhbar\\_aldimocrati\(15\)/akhbar\\_aldimocrati\(15\)/390.htm](http://www.sironline.org/alabwab/akhbar_aldimocrati(15)/akhbar_aldimocrati(15)/390.htm)

حدود الانضباط، دون تعكير صفو ومزاج زملاءه، في النوم والسهر والرياضة، وحتى على صعيد الصوت والضوء والحركة داخل الغرفة، لإدراكه أن الحرية لا تعني أن يفعل الإنسان كل ما يريده، لأن أشد الدول ديمقراطية تضع حدوداً لحرية الأفراد دون أن يقصد من ذلك القضاء على الحريات أو التقليل من شأنها، بل تنظيماً بغية الحفاظ على مصالح الجماعة وحقوق الآخرين والنظام العام<sup>(657)</sup>، ولم يستغل الأسرى على بعضهم أو يفضلوا بعضاً منهم على غيرهم، والتزم الكل منهم بالمواثيق والدساتير واللوائح الداخلية والإعتقالية، ونظام المكافآت والعقوبات والقانون على قاعدة المساواة، أما ما ساعد الأسرى على قناعاتهم بقيم الديمقراطية، إحاطتهم بحجم التحديات من حولهم، ومعرفتهم بنفسهم التي تحتاج للآخرين في بيئة العدا والقهرة، لأن العلاقة بين الفرد والبيئة هي علاقة متبادلة، وإذا لم يستطع الإنسان أن يعي هذه العلاقة لن يكون بمقدوره اتخاذ القرارات الصحيحة، ولا كيف يمكن أن يتخذها، لأن أحد مفاهيم الديمقراطية أن تختار وأن تتخذ قرارات صحيحة<sup>(658)</sup>.

## 2. على الصعيد التنظيمي الداخلي:

يقدر الباحث أن الروح والممارسة الديمقراطية تجسدت في أبهى صورها داخل الفصائل الفلسطينية في السجون، ولعل أبرزها، في توزيع وتشكيل الهياكل واللجان التنظيمية، وفي فصل السلطات (التنفيذية والتشريعية والقضائية)، حيث أن كل منها يمارس وظائف معينة ومحددة وتكون كل سلطة مستقلة عن الأخرى مع تعاون السلطات فيما بينها<sup>(659)</sup>، وفي وجود القوانين التي تتضمنها اللوائح الداخلية والتنظيمية لكل فصيلة<sup>(660)</sup>، التي تحدد الصلاحيات والمهام وكذلك الحدود للأمر أو الموجه العام، واللجان التنفيذية والمركزية والمؤتمرات الحركية، ومجالس الشورى واللجان، وتحدد صلاحيات وحدود كل اللجان ورؤسائها « الإدارية، والثقافية، والخارجية، والأمنية، والثقافية، والمالية، والقضائية »، ونظام العقوبات العامة، وتجعل الديمقراطية من المشاركة حقاً لكل مواطن<sup>(661)</sup>، كل ذلك تجسّد في واقع السجون، بالانتخابات وتداول السلطة السلمي المنتظم كل ستة شهور، ومحاسبة المسؤولين دورياً في لجان وصناديق الانتخابات.

ولعل أبرز تجليات العملية الديمقراطية تكمن في طريقة الانتخابات التي تمر بعدة مراحل في السجون، وتختلف في الشكل والطريقة والمسميات من تنظيم إلى آخر وفق النظام الداخلي المتفق عليه بتصويت فصائلي بثلاثي الأعضاء في القلعة، والمتشابهة في مضمونها وأهدافها بين كل الفصائل، ففي المرحلة الأولى من الانتخابات يتم تعيين اللجنة المشرفة، ويتم الإعلان عنها

(657) داوود الباز: النظم السياسية للدولة والحكومة في ضوء الشريعة الإسلامية، الاسكندرية، دار الفكر الجامعي، 2006، ص203.

(658) المركز الفلسطيني لتعميم المعلومات: نحو مجتمع ديمقراطي، القدس، فلسطين، جامعة بئر زيت، 1994، ص203.

(659) أحمد سعيد نوفل، وأحمد جمال الظاهر: الوطن العربي والتحديات المعاصرة، القاهرة، الشركة العربية المتحدة، 2008، ص29.

(660) للتوسع أكثر في الديمقراطية الحزبية أنظر: بيبا نوريس: بناء الاحزاب السياسية: اصلاح الضوابط القانونية والقواعد الداخلية (ستوكهولم: المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات 2004).

سوزان سكارو: تنفيذ الديمقراطية الداخلية الحزبية، سلسلة الاحزاب السياسية والديمقراطية في الجوانب النظرية (واشنطن: المعهد الوطني الديمقراطي 2005).

كينيث جاندا: تبني القانون الحزبي، سلسلة الاحزاب السياسية والديمقراطية في الجوانب النظرية (واشنطن: المعهد الوطني الديمقراطي 2005).

(661) جيلين تندر: الفكر السياسي - الأسئلة الأبدية، ترجمة محمد مصطفى غنيم، القاهرة، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، 1993، ص108.



## بالتزامن مع استقالة المؤسسة التنظيمية السابقة، وإفراز مؤسسة تنظيمية جديدة ضمن ضوابط أهمها:

”الدعاية الانتخابية ممنوعة بكل صورها ومن يثبت مخالفته في ذلك يُحوّل إلى لجنة قضائية، والانتخابات سرية في كل مراحلها، وتتم وفق القوائم المُعدة لذلك، وأن تعتمد الأسماء الشخصية في ورق الانتخابات وعدم ذكر الكُنية أو الألقاب، و يحظر على الأسير انتخاب نفسه، ومُنَع التنسيق المسبق بين الأسرى، ويُعاقب كل من يثبت بحقه هذا الأمر بأن يُحرم من المشاركة بالانتخابات والترشح، والتصويت حق لكل من تنطبق عليه شروط العضوية كافة، والترشح والتصويت يكون حق لمن أمضى (فترة زمنية متفق عليها في السجن وفق النظام الداخلي)، وعلى من تنطبق عليه شروط العضوية كافة، ومن أمضى فترة أقل يحق له التصويت دون الترشح، أما عن آلية الانتخابات فيتم انتخاب أعضاء مجلس الشورى أو ما يمثله لدى التنظيمات وما يتناسب مع عدد أسرى الفصيل في السجن، وبدورهم ينتخبون اللجنة التنفيذية المقلصة، واللجنة التنفيذية تقوم بانتخاب الموجه العام أو الأمير أو المسؤول العام للتنظيم<sup>(662)</sup>.”

بعد ذلك يصدر بيان ختامي في مختلف الأقسام يعلن فيه نتائج الانتخابات لكل المراحل، ويعلن عن فتح باب الاعتراضات لمدة (48) ساعة، شريطة أن تكون الاعتراضات مكتوبة ومعللة، وتشكر اللجنة الموكلة بإجراء الانتخابات عبر بيان القاعدة التنظيمية على مشاركتها الإيجابية والفاعلة في العرس الانتخابي.

بعد انتهاء مدة الاعتراض يحق للجنة الانتخابات المركزية إتلاف القسائم الانتخابية لجميع المراحل، مع الاحتفاظ بالتقرير التفصيلي للعملية الانتخابية بكل مراحلها، ويتم استخلاص العبر من أي أحداث سلبية تخللتها.

ويبدأ المنتخبون الجدد عملهم بعد ذلك، وتعتبر جميع مؤسسات التنظيم السابق مُنحَلَّة ، بينما تبقى اللجان التنفيذية الأخرى (الثقافية، المالية، الإدارية،... الخ) عاملة بشكل مؤقت إلى حين تشكيل لجان جديدة خلال مدة زمنية محددة وفق النظام العام أو اللائحة الداخلية<sup>(663)</sup>.

## أهمية العملية الانتخابية في السجون:

يرى الباحث أن العملية الانتخابية تعد أحد أهم مظاهر التجربة الديمقراطية في السجون، كونها تحدث في ظروف قاسية وتنغصية من قبل أجهزة الأمن الإسرائيلية وإدارة مصلحة السجون، كما أنها عملية إبداعية راقية، ممًا لها من انعكاس على حياة الأسرى وتنظيم حياتهم، وتحقيق استقرارهم، وتحقيق القوة النسبية مع السجنان، وبالتالي إيجاد معادلة الرعب بين الطرفين.

(662) اللائحة الداخلية لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين في السجون : ص33

(663) الأسير محمد صبيحة : مرجع سابق، ص32.

ومما لاشك فيه أن إشراك القواعد في اختيار ممثليهم، ومساهمتهم في اتخاذ القرارات التي تخص حياتهم الاعتقالية يجعلهم جميعاً جزءاً من الواقع بكل جزئياته، وليس مجرد أرقام تعيش داخل الأسر لا يملكون من أمورهم شيئاً، وهذا لا يأتي إلا عبر الانتخابات التي تحقق هذا الغرض، فتؤدي إلى آثار إيجابية أهمها: (تجعل التنظيم القائم على الحياة الاعتقالية سريعاً كونه منتخب من قواعد الأسرى، والتزام الأسرى بالقرارات التنظيمية، والامتنال للسياسة الصادرة عن اللجان المنتخبة حتى ولو كانت مخالفة لرغبتهم الشخصية، كما أن أسلوب الانتخاب يجعل الناخب رقيباً على عمل المرشح الفائز، قادراً على محاسبته عبر صناديق الاقتراع في الدورة الانتخابية القادمة التي لا تتعدى في السجن أكثر من ستة أشهر، هذه الرقابة تشكل محفزاً للمكلف بإدارة العمل التنظيمي بشكل مسؤول، كما أن نتائج الانتخابات تكشف غالباً عن توجهات الناخب، وبالتالي يمكن للهيئة التنظيمية التعرف على ما يرضي القاعدة وما يسخطها، وما الذي أدى إلى هذه النتائج، وأخيراً، فالإنتخابات نوع من التفاعل مع الواقع، وشعور لكل مشارك أنه جزء من صناعة القرار، الأمر الذي يعطيه شيئاً من الثقة، ويشعره بنوع من الأمانة والمسؤولية ويدفعه إلى مزيد من المساهمة في تيسير الحياة الاعتقالية<sup>(664)</sup>.

### 3. على صعيد المجتمع الاعتقالي العام:

وقع على الأسرى خلال مقاومتهم للاحتلال خارج السجن، ومن خلال بدايات اعتقالهم الكثير من الظلم، وتعرضوا للمزيد من العنف، جراء ظروف وقسوة التحقيق والتعذيب، وقهر السجن، وقهر القوانين العنصرية المجحفة بحقه خلال الاعتقال، فتلك الظروف أوجدت فئات لدى الأسرى الذين كانوا أقدر على تحديد مكامن القوة والضعف، والخطأ والصواب، واستثمار إمكانيات القوة الموزعة بحوزتهم، واستيعابها في إطار جامع يجابه المحتل بكل الوسائل المتاحة ولعل أحد مفاتيحها في المعتقلات ممارسة الديمقراطية، فصاغ الأسرى اللوائح والمؤسسات واللجان، ورسخوا الكثير من المبادئ في مجتمعهم الاعتقالي، كالتعددية وحقوق الإنسان والمساواة وسيادة القانون واحترام الأقلية<sup>(665)</sup>.

ووقف على رأس مواقع العمل التنظيمي هيئة قيادية مؤلفة من الجميع مثلت كل الفصائل وسميت «بالهيئة الوطنية العامة أو اللجنة الاعتقالية العامة» تقوم بعملها على أساس أنها هيئة متعاونة متكاملة تتحمل مسؤولياتها داخل المعتقلات من خلال هيئات أو «لجان» منبثقة عن الهيئة الوطنية العامة، وتتم مناقشتها بالتزامن والمشاركة الوافية لكل القضايا، وتتخذ القرارات بالأغلبية الديمقراطية، وبذلك يكون خضوع الأقلية للأغلبية، وخضوع القيادات للمؤتمرات، فمن أصول الديمقراطية أن يتخذ القرار بالأغلبية، وتلتزم به وتنفذه الأقلية، فالعملية الديمقراطية تقتضي أن تكون نزيهة، وجدير بالذكر أنه هذا الوضع الديمقراطي النموذجي فُرض على المعتقلين الفلسطينيين السياسيين في المعتقلات الإسرائيلية من أجل مواجهة إدارة المعتقلات العامة وتحقيق الكرامة<sup>(666)</sup>.

(664) الأسير محمد صبيحة: مرجع سابق، ص32.

(665) الأسير المحرر عبد الرحمن شهاب، مقابلة أجراها الباحث، 23/6/2015، قطاع غزة.

(666) فهد أبو الحاج: مرجع سابق، ص112 - 113.



وقد أدارت الحركة الأسيرة بفصائلها، ومن خلال الهيئات الاعتقالية، عملية صراع مريّر وطويل النفس مع إدارات سجون الاحتلال، وكانت لها مواقف عظيمة في الصبر والصمود والتضحية، كما تمكنت وبرغم التنافس بينها من إيجاد طريقة للتفاهم حول هذه المسألة بالذات، حيث تعارفت فصائل الحركة الأسيرة على آلية لاتخاذ القرارات النضالية في مواجهة إدارة السجون، وحددت طبيعة عمل الهيئات الاعتقالية، وطبيعة العلاقات الفصائلية ومستوى التفاعل الفكري والاجتماعي بين الفصائل، وإدارة الصراع بين الحركة الأسيرة وإدارة المعتقلات، وتوصلت إلى آليات ديمقراطية في اتخاذ القرار النضالي<sup>(667)</sup>.

وفي هذا السياق وجد المعتقلون أن التعاون بينهم تمليه الضرورة والواجب، وبدونه لا يمكن الارتقاء بأوضاع المعتقل، وإن هذا التعاون يلزمه وجود حد أدنى من التفاهم، وتنسيق المواقف، وعبر الخبرة والتجربة تم التوصل إلى الوسيلة الصحيحة بدلاً من الضغط والعنف والإكراه، ومع تطور الأوضاع وازدياد الوعي، فكّون المعتقلون لجاناً مشتركة في كافة المجالات لتنسيق المواقف وتوحيد الآراء وترتيب أوضاعهم بشكل ديمقراطي يُرضي الجميع، ولعل أهم تلك اللجان (لجنة الحوار العامة التي تقابل إدارة مصلحة السجون وتتجاوز معها حول طلبات الأسرى الشخصية والاعتقالية العامة، واللجنة الوطنية العامة التي تضم كل القوى الوطنية والإسلامية والتي تتخذ القرارات الجماعية<sup>(668)</sup> بشكلها الديمقراطي المحض وترسم السياسات العامة للمعتقل، والموجه العام للمعتقل من قبل التنظيم الأكثر عدد في غالب الأحيان، وبشكل نادر ممكن التوافق على شخصية ذات إمكانيّة وقدرّة عالية من فصيل قد لا يكون من أكبر فصائل وفق تفاهم واتفاق اعتقالي عام.

وبلا شك أن التجربة الديمقراطية في السجون حافظت الوحدة الوطنية (وحدة من خلال التعدد والعمل الديمقراطي) التي لم تعد موضوعاً للجدل بين الأسرى، ولقد وجد مبدأ الوحدة الوطنية تعبيراً منظماً له في إطار اعتقالي منظم ومنضبط، عبّر عن أماني وتطلعات المعتقلين<sup>(669)</sup>.

بهذه الآليات تميزت الحركة الفلسطينية الأسيرة بالعديد من المميزات كمارسات منحتها القوة والأصالة على قاعدة الديمقراطية التي اتسم بها المجتمع الاعتقالي على صعيد الفرد والفصيل والمجموع، ولقد كان واقع الأسرى عند الأسرى منظماً تنظيمياً دقيقاً وشاملاً، فكل تنظيم له لوائحه ودساتيره، وقوانينه التي يسير عليها، وهناك لوائح وقوانين تنظم العلاقة بين هذه الفصائل بعضها ببعض، وكذلك بينها وبين إدارة السجون في كل ناحية تهم المعتقلين، وبناءً عليه شكلت المؤسسات واللجان التنظيمية والاعتقالية التي تعالج شؤون المعتقلين الإدارية والنضالية والثقافية والمالية وغيرها، بحيث لا تجد أي مجال كان أو أي نقطة ليس لها حل أو قاعدة تفاهم عند المعتقلين<sup>(670)</sup>، مجتمع قائم على القانون كنظام عدالة أو ممارسة

(667) خالد الهندي: مرجع سابق، ص 139-140.

(668) محمد لطفى ياسين: مرجع سابق، ص 132.

(669) قدرى أبو بكر: مرجع سابق، ص 147.

(670) حلمى عنقاوى: مرجع سابق، ص 9.

سلطة أو قدرة في الحفاظ على الحق<sup>(671)</sup>، والحرية والعدل والمساواة، وكان أحد تعبيرات الحرية في السجون ضمان اختيار الانتماء للتنظيم الذي يرغب فيه المعتقل الجديد منذ لحظة دخوله السجن بعملية فرز حرة للعيش أينما شاء لدى التنظيمات دون إكراه، وحرية الرأي دون قمع أو تكميس للأفواه، فلم توجد سياسة للتنظيمات بمنع أي أسير من أن يعبر عن رأيه بشكل حر وديمقراطي، وأن ينتقد ويرفع شكواه أو رأيه أو وجهة نظره في كل الأمور، ويشارك في عملية التقييم الدورية الشاملة التي تجرى لمجمل الحياة الاعتقالية<sup>(672)</sup>، ويمارس الأسرى الحرية فيما بينهم، كونهم أكثر الناس توقفاً إليها، ولكونهم في الأصل طلاب حرية، فالحرية مطلب فطري قامت ثورات الشعوب من أجلها، وكانت هي الشرارة التي أشعلت الشواظ للخلاص من شعور العبودية، ولهذا احتلت كلمة الحرية مقاماً رفيعاً، فليس في كل اللغات كلمة تخفق لها القلوب بقدر ما تخفق لكلمة الحرية<sup>(673)</sup>، والواقع أن الحقوق والحريات لا تختصر بمبدأ واحد، وإنما هي مبادئ عدة تتمثل في حرية الرأي والمعتقد والحريات الشخصية المختلفة.

### ثالثاً- الرقابة والمساءلة والمحاسبة في السجون:

تشكل كلاً من الرقابة والمساءلة والمحاسبة أهم الأدوات الديمقراطية لضمان سلامة التجربة الديمقراطية في كل مكان وكل واقع، ولقد تحققت تلك الأهداف بعدة وسائل داخل السجون ولعل أهمها:

1. الرقابة الذاتية بدافع ديني أو أخلاقي أو وطني تمنعه من ممارسة الأخطاء.
2. التقارير الإلزامية من قبل الموجهين ومسؤولي اللجان والمؤسسات.
3. اللجان الرقابية التي يتم تكوينها في أعقاب حدوث خلل تنظيمي أو اعتقالي عام.
4. والانتخابات إحدى صور المساءلة والمحاسبة للمسؤولين من قبل القاعدة التنظيمية.
5. بواسطة الأعمال الفنية عبر المجلات، والمسرحيات السامرة، والكاريكاتور الناقد والأعمال الفنية الأخرى.
6. اللقاءات الإدارية: كأسلوب اعتمده الحركة الأسيرة منذ نشأتها عبر اللقاءات المباشرة الدورية في الغرف وفي الساحات تحت شعار (النقد والنقد الذاتي) عبر جلسات مكاشفة مفتوحة، يسأل فيها الأسرى المسؤولين بكل ما يخطر بالهم، وعلى المسؤول الإجابة والتوضيح، وكان هذا الأسلوب الأبرز من بين أسباب الرقابة والمساءلة الجماعية التي تمارسه القاعدة التنظيمية<sup>(674)</sup>.

(671) أحمد بكار: الديمقراطية حاضراً ومستقبلاً، عمان، وزارة الثقافة، 1997، ص40.

(672) خالد الهندي: مرجع سابق، ص124.

(673) داوود الباز: الشورى والديمقراطية النيابية، الاسكندرية، دار الفكر الجامعي، 2004، ص22.

(674) الأسير محمد صبيحة: مرجع سابق، ص43-48.

## رابعاً- مواجهة الاحتلال للتجربة الديمقراطية:

تحمل الثقافة الصهيونية العنصرية ثقافة سلبية اتجه العربي بشكل عام، فاستكثرت واستهجنت عليه إمكانيات الوعي والتقدم والتطور والمفاهيم الديمقراطية، ومن خلال تتبع الباحث للكثير من محاولات الاحتلال وجد الكثير من الوسائل التي وضعها لإحباط المسيرة الديمقراطية الفلسطينية خارج السجون، على اعتبار أنها تشكل حالة نضالية مؤثرة على صعيد وحدة فضاء المقاومة، وسلامة اتخاذ القرار السياسي والعسكري، والطريق لنبذ الخلافات والانقسامات وقبول التعددية السياسية والفكرية، والتنسيق فيما بينها في كل مراحل النضال العسكري والسياسي والقانوني، فاتخذ الكثير من الإجراءات التعسفية بحق الشخصيات والقادة والمفكرين الفلسطينيين من دعاة الحوار والوحدة والتعايش وقبول مبادئ الديمقراطية بعمليات الاغتيال والإبعاد والاعتقال، وحرص العالم «باطلاً» لتصنيف القوى الوطنية والإسلامية المقاومة «بالارهابية»، وأغلق المؤسسات الاجتماعية والثقافية والرياضية، وحاول بكل الوسائل ضرب البنى التحتية للمقاومة.

الأمر الذي تكرر بصورة مصغرة في السجون، حيث أن الاحتلال اعتبر أن ممارسة الديمقراطية في السجون تشكل خطراً على سياساته ومخططاته ومؤامراته التي انهارت بفعل وعي الأسرى في مواجهتها ديمقراطياً، ومن خلال دراسة دقيقة لخبراء اجتماعيين اطلعوا وراقبوا السلوك الديمقراطي في السجون حاولوا ببعض الوسائل "كنقل القادة وعزل الكوادر المجربة، وزرع الفتنة والمحاور والشليات والفضوى<sup>(675)</sup>، وفي أعقاب الانقسام الفلسطيني خارج السجون استغلّت أجهزة الأمن الإسرائيلية هذا الواقع لضرب مصادر القوة لدى الأسرى بوحدة قرارهم، فقامت بفصل الأسرى في الأقسام على أساس فصائلي في محاولة لضرب البنية الأساسية المتمثلة بوحدة موقفهم وسر صلابتهم وصمودهم طوال التجربة الاعتقالية، الأمر الذي لم يتحقق - رغم أنه تأثر بفعل الانقسام - لأن الحوار والتنسيق بين الأسرى لم يتوقف في أي فترة كانت، مهما اختلفت الظروف<sup>(676)</sup>.

في نهاية المبحث ويرى الباحث أن التجربة الديمقراطية للأسرى الفلسطينيين بعد أربعين عاماً في السجون الإسرائيلية أضحت ثقافة متداولة عبر البرامج التنظيمية، وتربية اعتقالية من القدامى إلى الجدد منذ بدء الاعتقال، وقيم ومعاملة يمارسها الأسرى في شؤون حياتهم اليومية، قبل أن تكون ممارسة وسلوك ومؤسسات وقرارات، واعتبر الأسرى أن الكثير من تلك القيم مستوحاة من دينهم كالتسامح والحريات والحقوق والمساواة وقبول الآخر وسيادة القانون والشورى فيما بينهم.

ويمكن القول أن التجربة الديمقراطية في المعتقلات تدرجت ومررت في مخاضات ومحطات، وشهدت تفاعلاً في إطار جدلية العلاقة بين العامل الذاتي والموضوعي، حيث أن الواقع المعيشي بتحدياته ومتطلباته وفر ظرفاً موضوعياً للعامل الذاتي، سواءً على مستوى الفصيل

(675) الأسير المحرر المجدد سامر أبو سير، مقابلة أجراها الباحث، 23/6/2015، قطاع غزة.

(676) الأسير المحرر المجدد ابراهيم عليان، مقابلة أجراها الباحث، 23/6/2015، قطاع غزة.

أو الفصائل للارتقاء بمفاهيمها وممارستها الديمقراطية، ومعلوم أن نضج العامل الذاتي قد أسهم في تحسين العامل الموضوعي وتطويره، والموضوعي بدوره ارتد في علاقة تأثيرية بناءً على الذاتي.

ولو لم يجترح المعتقلون الفلسطينيون التجربة الديمقراطية لتحول الواقع الاعتقال إلى مسرح للصراع والتنافس داخل الفصيل الواحد وعلى صعيد الفصائل الأخرى، ولأصبح الحوار باليد والأدوات الحادة بدل الحوار الإنساني الواعي والهادف، وتوجد تجارب كثيرة في بعض المعتقلات الصغيرة، فحينما غابت العلاقات الديمقراطية تحول المعتقل لساحة للصراع

في نهاية الفصل ومن وحي التجربة الخاصة يرى الباحث أن الأسرى تميزوا بتجربة إبداعية حقيقية استطاعوا من خلالها المقدره على التعايش<sup>(677)</sup>، ووعيهم لمتطلبات الواقع الاعتقالي القائم على التعددية الحزبية، والتوجهات الفكرية المختلفة، والعدو المشترك المشرف سيفه والمسلط على رقاب الكل الاعتقال بلا استثناء، وإدراكهم لخطورة الموقف الذي يحتاج للتقارب والوحدة والتفاهم والاستقرار النسبي المناهض لاستهدافات إدارة مصلحة السجون الساعية لشرذمة الأسرى وانفلاشهم وزرع نبذة الخلافات والصراعات بينهم، ولتقويض واقعهم التنظيمي والنضالي، أن يرسوا دعائم مشتركة قائمة على مبادئ وتفاهات ديمقراطية.

ويجزم الباحث أن الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة كانت قادرة على مواجهة السجن، وشكلت حماية للفرد والجماعة، وحدت من التسيب، ونظمت العلاقة، وأوضحت الحقوق لكل فرد ما له وما عليه، وسيرت الحياة الصعبة والمعقدة في ظل اعتقال طويل له متطلبات، وله اشتراطات قاسية تضغط على الإنسان في رغباته وغرائزه وحرته الفردية<sup>(678)</sup>.


ومن عناصر الإبداع « للحركة الأسيرة امتلاك الرؤية المستقبلية » التي تجعل الجهات قادرة على أن ترى كيف ستكون الأمور في المستقبل مقارنة بما هي عليه الآن<sup>(679)</sup>، ويتطلع القادة المبدعون والمبتكرون إلى ما وراء الأفق، أنهم يتطلعون للمستقبل مع الحلم بما سيكون عليه هذا المستقبل، كما أنهم يتخيلون المستقبل بنظرة متفائلة أو إيجابية، كما انهم تغيرون وجدويون في طرح أفكارهم من خلال اتصالهم الفعال ويوضحون للآخرين كيفية إنجاز الأهداف العامة من خلال الالتزام بالهدف الكلي<sup>(680)</sup>.

(677) جل جازو: ليبرليزيم، كشريم، كشريم بيقورت، رعننا، الأونبيريستيا الفتوتها، 2004، ص 233.

(678) نفس المصدر، ص 183.

(679) الدكتور حسين علي: الإبداع في حل المشكلات، سوريا، دمشق، دار الرضا للنشر، 2001، ص 26.

(680) د. علاء محمد سيد قنديل: القيادة الإدارية وإدارة الابتكار، الأردن، عمان، دار الفكر ناشرون وموزعون، 2010، ص 166.



## خاتمة الدراسة النتائج والتوصيات

## خاتمة الدراسة

في نهاية الدراسة يخلص الباحث من خلال دراسة وتحليل الواقع الاعتقالي، والملاحظة الشخصية بالمعايشة والمراقبة، والتجربة الذاتية من خلال نشاطه في معظم المؤسسات الاعتقالية أثناء السجن لفترة خمسة عشر عاماً متواصلة، والتنقل التاريخي التحليلي من محطة إلى أخرى، ومن خلال المقابلات الشخصية التي أجراها الباحث مع أسرى محررين من كل المناطق في فلسطين، ومن خلال خبرة الباحث العملية في مجال الأسرى ما بعد التحرر<sup>(681)</sup>، وكذلك بعد اطلاع واسع على عدد كبير من الدراسات الأكاديمية والأبحاث العلمية السابقة التي تناولت أوضاع الأسرى والمعتقلين في السجون الإسرائيلية، ومن خلال الوثائق التي هُرِّبَت من السجون، والحصول عليها بطرق ووسائل متعددة قد تعرض أصحابها للكثير من المسؤولية، يؤكد الباحث من خلال تلك العملية المتراكمة والمتكاملة والمتواصلة والمعمقة، والدراسة العقلية والمنطقية لا العاطفية وبالشواهد والإنجازات والمعطيات أن الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة بوحدتها وعقليتها الفذة، وخطواتها التكتيكية والاستراتيجية العنيفة والسلمية استطاعت أن تقهر إرادة سلطات الاحتلال العنصرية، وإدارة مصلحة السجون والأجهزة الأمنية الإسرائيلية، وأن تتجاوز كل مخططاتها التصفوية والتدميرية، واستطاعت من خلال تقديم عشرات الشهداء والعذابات والمعاناة أن تحمي الشعب الفلسطيني وأبناءه من الاسقاط، وأن تربي وتعبىء وتخرج أجيالاً من القادة تبوؤوا بعد الإفراج عنهم مراكز قيادية على مستوى الفصائل الفلسطينية، وكوادر في المؤسسات الوطنية والنقابية الرسمية والأهلية<sup>(682)</sup>.

ويخلص الباحث من خلال الاطلاع على دراسات نظرية تناولت أشكال المقاومة وفنونها، وكذلك الدراسات التي قدمت نماذج تطبيقية لتجارب عالمية مشابهة كمييار للحكم على إنجازات الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة أنها شكلت حالة إبداعية مميزة على صعيد بناء الهياكل والمؤسسات الاعتقالية واتخاذ القرارات، وترتيب بنية الفصائل الداخلية، ونمط التعاون والتنسيق بين الفصائل في السجن الواحد وبين المعتقلات، وعلى صعيد الاهتمام والبناء الثقافي والإنتاج الأدبي والتعليمي، والتأثير الإيجابي السياسي، ومسيرة الإضرابات المفتوحة عن الطعام الفردية والجماعية من حيث امتداد الفترات الزمنية غير المسبوقة والإنجازات التي تحققت من أنياب محتل لم يعترف بالاتفاقيات والمعاهدات العالمية والقانون الدولي الإنساني.

ويرى الباحث أن الأسرى كانوا أكثر حكمة، وأعمق حنكة، وأصلب عزيمة، وأكثر وعي وإبداع، في مواجهة الأزمات، وأكثر حرص على الوحدة الوطنية والتفاهم والمشاركة من الجميع في اتخاذ القرارات على أسس ديمقراطية سليمة، وأكثر كفاءة في استقراء المستقبل بالقدر الذي يحقق الأهداف المرجوة، والقدرة على ترتيب الأولويات وتوجيه اهتمام الأسرى للنافع والمفيد

(681) كونه شغل مستشاراً لوزير شؤون الأسرى والمحررين ومديراً عاماً بها، وناطقاً إعلامياً باسمها في المحافظات الجنوبية، ومديراً لدارة القانون الدولي، وعضواً مكلماً بإدارة مكتبها في غزة نتيجة الانقسام في أعقاب تحويلها إلى هيئة، وعمله كمديراً ومؤسساً لمركز الأسرى للدراسات، ومديراً للبرامج في إذاعة صوت الأسرى، وعضواً في لجنة الأسرى للقوى الوطنية والإسلامية بقطاع غزة.

(682) كان منهم الأنساء العاملون للفصائل، وأعضاء مكاتب سياسية ولجان مركزية ومستوى ساحات، ووزراء وأعضاء في المجلسين الوطنى والتشريعى الفلسطينى، ومنتفقذون في القرارات أينما تواجدوا.



واقعاً ومستقبلاً، وتحديد أفضل الأساليب والوسائل ببدائل متعددة تحت شعار «صاحب بديل أو خيار واحد فاشل» واختيار البديل الأقل تكلفة وأكثر تأثيراً في تحقيق الأهداف المرجوة تحت شعار « الكرامة أولاً والحرية ثانياً »<sup>(683)</sup>.

ويشيد الباحث بتجربة الإنجاب التي خاضها الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية، كحالة إبداعية لم يشهد لها التاريخ مثيل، وهذا ما يصنفها تجربة إبداعية بامتياز كونها مستجدة، وتعد أحدث المعارك مع السجناء من حيث الشكل والنوع والرسالة والمضمون ونوع التحدي، ويمكن القول أن نجاح تهريب النطف من الأسرى وإنجاب الأطفال تعتبر ثورة إنسانية غير مسبوقة في وجه السجناء، وتميزت بعدم الركون للسجناء في قطع نسل الأسرى وحرمانهم من غريزة الإنجاب والشعور بالأبوة، واتسمت بفاعليتها وانتمائها ودورها، كون أن الصراع الديموغرافي يعد أحد أشكال الصراع القائم بين الطرفين (الفلسطيني والإسرائيلي) في فلسطين المحتلة، في أعقاب سياسات الاستيطان والتهجير التي تمارسه دولة الاحتلال بحقهم.

ويعتقد الباحث أن تدخل الأسرى لإنهاء الانقسام الفلسطيني عبر وثيقة الأسرى تعد خطوة إبداعية وتأتي في سياق استشراق المستقبل المساوي على الصعيد الوطني على كل الاتجاهات فيما لو لم يتحقق الوثائق الوطني، لذا تصنف وثيقة الأسرى من أهم المشاريع التي تسعى إلى تحقيق المصالحة في ظلّ واقع ازداد تعقيداً مع تغيير الظروف السياسية، وتأتي أهميتها كونها خرجت من قيادات كانت فاعلة ميدانياً قبل الأسر، ولأنها جاءت شاملة إلى أبعد الحدود، واعتُبرت مخرجاً من الأزمة التي تفاقمت مع تزايد المواجهات بين طرفي الانقسام<sup>(684)</sup>.

كما أن التجربة الديمقراطية في السجون، تعد تجربة إبداعية وفريدة، نظراً لأنها جاءت في أجواء القمع الاحتلالي، إضافة إلى أنها شكلت خروجاً على سياق غير ديمقراطي بالنظر إلى التركيبة الاجتماعية والسياسية التي عايشها قبل الاعتقال<sup>(685)</sup>، ولا شك أن التجربة الديمقراطية للحركة الأسيرة هي تجربة إيجابية في التقييم العام، وأن هذه التجربة جاءت متقدمة بمستوى كبير عن التجربة الديمقراطية خارج السجون<sup>(686)</sup>، ويمكن القول أن ديمقراطية السجون الديمقراطية الفصائلية والحزبية سبقت ديمقراطية الفصائل الفلسطينية والسلطة الوطنية في معاملاتها ويومياتها ولوائحها خارج السجون، لذلك هي مبدعة بممارساتها وأنظمتها ونظم حياتها.

ويعتقد الباحث أن الحالة الفلسطينية تشكل حالة إبداعية قياساً بحركات التحرر العالمية، فالتجربة الفلسطينية أشبه ما تكون من حيث شكل الاحتلال وممارساته وعنصريته وأيدلوجيته بحالة الصراع في جنوب أفريقيا، حيث أن التجربتين قامتا على الاستيطان والتوسع وإنكار حقوق الغير، وعمل النظامان العنصرين الحركة الصهيونية ونظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا "الأبارتهايد"، على التوسع وتهجير السكان الأصليين والسيطرة على الأراضي، وأوجد النظامان عدداً كبيراً من القوانين المخالفة للاتفاقيات والمواثيق الدولية.

(683) أنظر: د محمد المصيرفي: إدارة الأزمات. الإسكندرية، مؤسسة حورس الدولية، 2008، ص98.

(684) موقع مجلة دراسات شرق أوسطية: <http://www.mesj.com/new/ArticleDetails.aspx?id=255>

(685) فهد أبو الحاج: مرجع سابق، ص179.

(686) خالد الهندي: مرجع سابق، ص189.

لذلك وجد الباحث أهمية لمقارنة التجريبتين الاعتقالتين (الفلسطينية والجنوب أفريقية) من حيث ظروف الاعتقال وتمط حياة الأسرى، إلا أن دولة الاحتلال الإسرائيلي سجلت تفوقاً من حيث الانتهاكات بحق الشعب الفلسطيني على نظيرتها العنصرية في الكثير من القضايا « كبشاعة وسائل التعذيب والتحقيق، والأحكام الرديعة، والقوانين العنصرية وتجاوز المواثيق الدولية، وسوء الطعام كمأً ونوعاً، وقتل الأسرى عمداً ومحاولات تصفيتهم بشكل مباشر وغير مباشر، واعتقال الفتيات بعمر 12 عام، وتكفي الإشارة إلى أن رمز الحرية المتمثل بنيلسون مانديلا رئيس حزب المؤتمر الوطني الإفريقي أعتقل لفترة « ثمانية وعشرين عاماً »، في حين أٌقت دولة الاحتلال الإسرائيلي على اعتقال الأسرى الفلسطينيين وثمانين الشهداء المحتجزة لأكثر من «أربعة وثلاثين» عاماً، وهناك الكثير من الأحكام الرديعة على المعتقلين الفلسطينيين وصلت لآلاف السنين.

ووجد الباحث تشابه كبير في ظروف الاعتقال بين التجريبتين، في ما يتعلق بوسائل النضال لتحقيق الإنجازات والحقوق، كالتمرد على قرارات السجناء، والإضراب عن مزاوله العمل في المرافق، وممارسة العنف ضد السجناء، رغم أن نلسون مانديلا غير مقتنع بجدوى وسيلة الإضرابات المفتوحة عن الطعام رغم استخدامه لها، وقال عنها: « لم تكن الإضرابات وسيلة ناجحة في جميع الأحوال، وكنت أعتبرها من الوسائل العاطفية، أو الرومانتيكية غير العملية للاحتجاج، والإضراب عن الطعام في رأيي عمل سلبي جداً فنحن نعاني أصلاً، وبالاضراب نعرض صحتنا للخطر بل نغازل الموت، كنت أفضل دوماً الوسائل الإيجابية القائمة على التحدي والمواجهة، كالإضراب عن العمل أو الامتناع عن التنظيف، والقيام بأعمال تضر بالإدارة ولا تجلب الضرر إلينا»<sup>(687)</sup>، فكانت التجربة الفلسطينية أقرب إلى التجربة الأيرلندية والهندية، اللواتي اتخذن من الإضرابات المفتوحة عن الطعام وسيلة احتجاج سلمية لتحقيق المطالب والحقوق، وتشابهت التجربة الفلسطينية والجنوب أفريقية في الصراع الدائم مع السجناء في تحقيق الحقوق، والاهتمام بالوقت والثقافة والتعليم والأدب<sup>(688)</sup>.

(687) نلسون مانديلا: رحلتي الطويلة من أجل الحرية، ترجمة عاشور الشامس، جوهانسبرج، جنوب أفريقيا، جمعية النشر اللغة العربية، 1998، ص423.  
(688) قال مانديلا في مذكراته رحلتي الطويلة من أجل الحرية: « لم يكن الخط البياني لتحسن الأوضاع داخل السجن ثابتاً في كل الأوقات، كان التقدم متعزلاً وغالباً ما تعقبه انتكاسات، فرمياً مرت سنوات قبل أن تتحرك خطوة واحدة نحو الأفضل، ثم إذا بهذه الخطوة تلتفى في يوم واحد، كنا كمن يدفع صخرة عظيمة إلى أعلى الجبل ثم نراها في لحظات تتدرج نحو أسفله، «و» كانت جزيرة روبن (1) بمثابة جامعة، فمع وفود الكثير من السجناء إلى الجزيرة كانت معرفتهم بالمؤتمر الوطني الإفريقي بسيطة للغاية، ومن هنا شرع سيسولو يلقى عليهم دروساً عن نشأة التنظيم، ومع مرور الوقت تحولت تلك الدروس التاريخية إلى منهج متكامل عن تاريخ المؤتمر الوطني وحركة النضال، وسجل كثير من سجناء العنبر للدراسات الجامعية، بينما التحق آخرون لدراسة الثانوية، ومانديلا نفسه حصل خلال الاعتقال على إجازة الحقوق من جامعة لندن، وكانت تصله كتب الحقوق عن طريق السفارة البريطانية، «وفيما يتعلق بعوائل الإبداع والثقافة كانت التجربة متشابهة حيث أن إدارة السجن في جزيرة روبن منعت على شاكلة السجناء الإسرائيلية إدخال الكتب، وصادرت إنتاجات الأسرى، وقامت بالتفتيشات والاعتقالات للعناير، واتخذت من العزل الانفرادي سياسة عقابية للأسرى، ولكن ظروف الاعتقال في السجن الإسرائيلية كان أكثر قسوة حيث أن إدارة السجن الإسرائيلية تفنتت في سياسة الاستهتار الطبي، في حين وصف مانديلا معاملة الممرضات له في إحدى المستشفيات بعد عملية أجريت له في الصدر « كانت المحصة مريحة جداً، واستمتعت بفترة نقاهة مريحة وممتعة، وأفرطت الممرضات بتدليلي والعناية بي، وزودتني بالحلويات والمخبزات، وأقمن سورة في حجرتي، حرصاً منهن على حضوري لمنع السجناء خروجي في مكان آخر، وأحضرن الكعك والحلويات والهدايا «، وحاربت إدارة السجن الإسرائيلية أي معنى للحياة من تربية للطيور أو ممارسة الزراعة، في حين سمحت إدارة جزيرة روبن وسجن بالسمور بالزراعة وإنشاء حديقة قال عنها مانديلا: « كنت دائمياً ميملاً إلى زراعة البساتين ولم تتوفر لي فرصة مزاولتها إلا خلف القصبان»، ومارست إدارة جزيرة روبن على الأسرى العمل بالمحجر كما فرضت إدارة السجن الإسرائيلية على الأسرى في بداية الاعتقال بالعمل في شبك الدبابات، ولكن رحلة المحجر كانت تخفف عن المناضلين في جنوب أفريقيا ووصفها مانديلا بالقول: «كنا نسير إلى المحجر مشياً على الأقدام لمدة عشرين دقيقة، كنا نتمتع بمشاهدة الشجيرات والأشجار الكثيفة التي تغطي الأرض ونستشيق رائحة أشجار الأوكالبتوس ونشاهد الطباء وبقر الوحش يرتع في الحقول، وعلمنا فيما بعد بجمع الطحالب التي دفعت بها الأمواج إلى الشاطئ» والتي تصدر إلى اليابان الذين يستخدمونها سماًاداً لتغذية التربة، كانت المناظر خلابة وبديعة، وفرنا ممتعة وسعادة عالية، رأينا السفن العملاقة، وطائر النورس يطارد السمك، وعجول البحر تداعب الأمواج، وشاهدنا بإعجاب تغيرات الطقس المثيرة «، هذا لا يعني أن الحياة في الجزيرة مريحة أو مقبولة، بل كانت إدارة الجزيرة تتعامل بعنصرية، وبانتهاكات لحظية وتفصيلية في كل مناحي الحياة، في الضرب والتفتيش، والعمل الشاق في المحجر، وسوء الطعام المصنوع من الذرة المطحونة، والملابس القصرية التي صنعت من الصوف الخفيف، والأحذية التي صنعت من إطارات السيارات «.

ويعتقد الباحث أن الانتهاكات بحق الآخر، والخروج عن القوانين والمواثيق الدولية، صفات متشابهة للأنظمة الاستعمارية والعنصرية، وغير مرهونة بجغرافيا أو بزمن، والأمثلة كثيرة ومتكررة على امتداد التاريخ، ولكن التجربة الفلسطينية تميزت بتنوع الوسائل النضالية، وعملية التنظيم، وبناء الذات، واستغلال الوقت في التعليم، والتوسع الثقافي، والإنتاج الأدبي والإبداعي.

## نتائج الدراسة:

1. لم تعترف دولة الاحتلال بأي مكانة قانونية للأسرى الفلسطينيين، بل تعاملت معهم كخارجين عن القانون وأطلقت عليهم الكثير من التوصيفات الباطلة، ولم تلتزم بالاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان، ولا بمواد وبنود اتفاقيات جنيف الأربع الموقعة عام 1949م وخاصة الاتفاقية الثالثة والرابعة، واللواتي أكدن على الحياة الكريمة والإنسانية للأسرى « مقاومين كأسرى حرب، أو معتقلين مدنيين » وتعاملت بقسوة مع الأسرى الفلسطينيين في السجون والمعتقلات، ولم تلتزم خلال المفاوضات السياسية بالإفراج عن الأسرى ككل شعوب العالم التي عقدت اتفاقيات سياسية، بل تعاملت معها كورقة ضغط على الجانب الفلسطيني، وورقة مساومة، وحولتها لحالة مزاجية مرتبطة بحسن نوايا الحكومة الإسرائيلية ونوع ائتلافها وبرنامجهما السياسي.

2. استطاع المعتقلون الفلسطينيون من خلال برامجهم وأنظمتهم وقوانينهم من تحويل السجون من مكان للإبادة المعنوية الجماعية وتحطيم العزيمة النضالية، إلى انصهار الكل في بوتقة الأكاديمية الاعتقالية التربوية والوطنية والثقافية والأدبية والتعليمية، وتمكنوا رغم كل الضغوط والتعذيب الجسدي والنفسي والحرمان من كل الشروط المعيشية الممكنة، التي تتنافى وأبسط الحقوق الإنسانية، على كل الصعد « في تقديم العلاج والطعام بكمية ونوعية لائقة ببني البشر، وزيارة الأهل، ومواصلة التعليم، و تأدية الشعائر الدينية بحرية وغيرها من الحقوق.

3. كما كشفت الدراسة عن حجم الروح التفاؤلية والإبداعية لدى الأسرى من خلال إعداد أنفسهم لما بعد السجن، من خلال التعليم لإكمال الدراسات العليا بعد الحرية، وتوفير فرص العمل والبحث عن الرزق بعد الإفراج، ومن خلال ملء أماكنهم التي سيوظفوا فيها من خلال تطبيق قانون الأسرى الذي يضمن حياة كريمة لهم بعد التحرر من قبل السلطة الوطنية الفلسطينية، ومن خلال زرع بذرة الحياة والعيش في كنف أسرة، من خلال تهريب النطف وحق الإنجاب والفرح بالأبناء، وتطوير الذات للمشاركة في صناعة واتخاذ القرارات التنظيمية والمصيرية داخل التنظيمات ومؤسسات السلطة الفلسطينية والمؤسسات النقابية والأعمال المتنوعة الأخرى.

4. لم يستسلم الأسرى لواقع الاعتقال السيء في كل تفاصيل حياتهم، بل استطاعوا من خلال إمكانياتهم وقدراتهم وثقة شعبهم بهم، أن يشاركوا من خلال وثيقة الأسرى «الوفاق الوطني» التي تلقفها الكل الوطني بالموافقة كأهم أدوات تحقيق المصالحة الفلسطينية التي تعثرت طويلاً، وكان لهم الدور الكبير في تهريب النشرات والقراءات والدراسات

حول واقع المجتمع الإسرائيلي، ومنظومته الائتلافية والحزبية، ومستقبل المسيرة السياسية، والتحذير من الخداع الإسرائيلي لكسب الوقت والاستمرار بالمخططات الصهيونية الداعية لتهجير شعبه بأكمله وتعزيز الاستيطان والتهويد على كل الأرض الفلسطينية، وقراءة الأوضاع العربية والدولية ومكانة القضية الفلسطينية في ظل تطوراتها.

5. أجاب الباحث من خلال فصول الدراسة على أسئلة البحث الرئيسية من خلال إبراز أشكال ومظاهر الجوانب الإبداعية للحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، ومجالاتها، ومعوقاتها، وكيفية التغلب عليها، ونشر المفاهيم الإبداعية كحرية الفكر، وبناء الذات والقدرات، وتعزيز التطور الثقافي، وتشجيع حركة الأدب، ورسم السياسات والخطط والبرامج لتخريج القادة والكوادر، وإعمال العقل، وملء الوقت وإدارته بما يفيد، وممارسة العصف الذهني من خلال النقاشات والجلسات المستمرة، وإدارة العقل ومعالجة الأفكار، وزرع روح القبول والحوار مع الآخرين، والنقد الذاتي، ومعرفة الذات ومراقبة النفس، ومهارات التفكير، وحل المشكلات والأزمات بطرق منهجية عبر البدائل والتكتيكات، وتنوع المجالات الإبداعية والابتكارية، وإيجاد استراتيجيات لتطوير منظومة الجوانب الإبداعية، وتعزيز روح المساواة وسيادة القانون التي نصت عليها اللوائح الاعتقالية، وأهم البرامج التي وضعها الأسرى للحفاظ على تراث الحركة الأسيرة وتراكم إنجازاتها والحفاظ على حقوقها.

6. اتفقت نتائج الدراسة مع الفرضيات التي وضعها الباحث في بداية الدراسة، إذ أن هنالك علاقة جدلية بين حجم الضغوط التي تمارسها إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية بحق الأسرى، وبين قدرتهم على الصمود والتحدي، فكلما زادت الضغوط من قبل السجناء على الأسرى كلما ابتكروا الخطوات النضالية الملائمة والكفيلة بحفظ كرامتهم وتحقيق حقوقهم التي تم مصادرتها، وكلما أبدعوا في بلورة الأفكار والأساليب الجديدة للتكيف والمواجهة والاستعداد للتضحيات، وعلاقة جدلية مماثلة بين قوة وضعف الحركة الأسيرة مقارنةً بالمتغيرات السياسية الخارجية وتماسك أو تراجع الوضع الفلسطيني الخارجي وتأثيره على الأسرى، فكلما تميز الواقع الفلسطيني بالوحدة والقوة والمقاومة والتماسك، كلما انعكس هذا الواقع على الأسرى بالإيجاب (والعكس صحيح)، كما وتباينت مستويات الوعي الإبداعي بين الأسرى الفلسطينيين باختلاف (مدة الاعتقال، والفترة الزمنية التي أمضاها في السجون، والمؤهل العلمي)، إذ أن المعتقلين الذين أمضوا فترات طويلة في الاعتقال، ومن دخلوا السجون بمؤهلات علمية، ومن حوكموا محكوميات عالية حققوا إنجازات أكبر من غيرهم، على صعيد تطوير الذات، ومواصلة التعليم الجامعي والدراسات العليا، والإنتاج الأدبي، وممارسة العمل التنظيمي في السجون وخارجها، وتبوؤوا المكنات والمسؤوليات المميزة حتى ما بعد التحرر.

## وعلى ضوء هذه النتائج يقترح الباحث مجموعة من التوصيات:

1. أهمية تحديد المكانة القانونية للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية على المستوى الدولي والمنظمات الحقوقية والإنسانية، وإلزام دولة الاحتلال بالتعامل وفق تلك المكانة في كامل الحقوق « في الإفراجات السياسية، والغذاء، والعلاج، والزيارات ومكان الاعتقال، وفي كل شروط الحياة المنصوص عليها »، وفق الاتفاقيات والمواثيق الدولية، وخاصة اتفاقية جنيف الثالثة والرابعة لسنة 1949م، ومتابعة تطبيقها في فلسطين المحتلة من قبل الدول الموقعة عليها لبحث أوجه القصور في الحماية المقررة للأسرى والمعتقلين، وتفعيل دور المؤسسة الدولية للصليب الأحمر وتوثيق أشكال التعذيب والمعاملة وشروط الاعتقال.

2. تشكيل لجنة من محامين وخبراء قانونيين فلسطينيين وعرب ودوليين لبحث آليات استخدام الالتزامات القانونية الخاصة باحترام الاتفاقيات الدولية، وأساليب تطبيقها، وتوثيق جرائم الاحتلال وفق شهادات الأسرى والأسيرات المشفوعة بالقسم، وإعداد ملفات خاصة حول الانتهاكات الإسرائيلية بحقهم، والعمل على تحريكها أمام المحكمة الجنائية الدولية، وكذلك أمام المحاكم الوطنية التي تسمح قوانينها بذلك، والعمل على ملاحقة ومساءلة المجرمين الإسرائيليين الذين ارتكبوا، ويرتكبون جرائم ضدهم، وفقاً للاختصاص الجنائي الدولي والعرف الجنائي الدولي، وخاصة بعد انضمام فلسطين للاتفاقيات الدولية، وبعد اعتراف الجمعية العامة بفلسطين كدولة مراقب.

3. تدويل قضية الأسرى والمعتقلين والتعريف بها في العالم لتشكيل رأي ضاغط ومساند لهم، وذلك من خلال السفارات الفلسطينية والعربية، وبعثاتها لدى المنظمات الدولية، ومن خلال توجيه الدعوات لمنظمات المجتمع المدني، والمؤسسات الحقوقية والإنسانية، وعبّر وسائل الإعلام «المشاهد والمقروء والمسموع، وعبّر الحملات الكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي بلغات متعددة، والسعي لعقد المؤتمرات الداعمة للأسرى والمؤيدة لهم والمطالبة بتحريرهم، وتغيير الصورة المشوهة التي تبثها دولة الاحتلال للعالم بحقهم، مستخدمة بذلك مراكز القوة من المال والإعلام والنفوذ السياسي التي تؤثر عليه.

4. الالتفاف حول قضية الأسرى والمعتقلين، وجعلها من أهم القضايا الفلسطينية والعربية، والتي لا تقل أهمية عن القضايا الوطنية الأخرى» كالقدس واللاجئين والدولة والمستوطنات، والتمسك بقضيتهم في كل الجبهات المفتوحة مع الجانب الإسرائيلي في المجالات «السياسية والعسكرية والقانونية»، وتوفير كل أشكال الدعم المادي والمعنوي للمعتقلين وذويهم خارج المعتقلات، للحفاظ على إنجازاتهم وصمودهم، واعتبار قضية الأسرى من الثوابت الفلسطينية التي لا يمكن التنازل عنها.



5. تطبيق ومتابعة توصيات جامعة الدول العربية المتعلقة بقضية الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال، والتي أقرتها القمة العربية التي عقدت في دمشق خلال الفترة من 29-30 مارس 2008م بإحياء يوم الأسير الفلسطيني واعتباره يوماً عربياً للأسير، وتوصيات اجتماع مجلس الجامعة على مستوى المندوبين الدائمين في القاهرة بتاريخ 14/11/2009م، والذي كلف المجموعة العربية لاستصدار قرار بطلب رأي استشاري من محكمة العدل الدولية في لاهاي حول الوضع القانوني للأسرى، وتكثيف الحملات السياسية والإعلامية للتعريف بقضيتهم، والمطالبة بإطلاق سراحهم، وحشد الدعم الدولي لمساندتهم، وتنفيذ توصيات المؤتمر الدولي للأسرى في بغداد 2012م تحت رعاية جامعة الدول العربية، تنفيذاً لقرار قمة سرت 2010م والذي تضمن إنشاء صندوق عربي لدعم الأسرى الفلسطينيين والعرب وعائلاتهم والأسرى بعد تحريرهم.

6. متابعة وتطبيق توصيات المؤتمرات الفلسطينية والعربية والدولية الداعمة للأسرى في فلسطين «كمؤتمر أريحا وغزة»، وخارج فلسطين في المغرب والجزائر وتونس والعراق والأردن ودول أوروبية أخرى، والتي كررت نفسها، وطوت صفحات توصياتها وقراراتها دون تنفيذ.

7. إدخال مساقات تعليمية وتربوية ومنهجية تتناول التجربة الاعتقالية، وإبداعات الحركة الوطنية الأسيرة في الكثير من المجالات في المناهج الدراسية الفلسطينية، وحث طلبة الدراسات العليا بالبحث في عمق هذه التجربة التي تستحق التوثيق والحفظ والحماية.

8. تواصل التنسيق بين وزارة التربية والتعليم، وهيئة شؤون الأسرى والمحررين، والمؤسسات الفلسطينية التعليمية، لكسر الحصار الإسرائيلي التعليمي والأكاديمي في السجون، وذلك من خلال مساهمة كل الكليات والجامعات بالتعاون مع هيئة الأسرى وقيادة الحركة الوطنية الأسيرة في السجون لإيجاد الوسائل التعليمية والإدارية التي تمكن الأسرى من مواصلة تعليمهم الثانوي والجامعي عبر مشرفين مؤهلين، ورقابة مهنية، والحصول على الشهادات العليا من خلال مناقشة رسائلهم من داخل السجون عبر الهواتف المهربة.

9. دعوة السلطة الوطنية والفصائل والمؤسسات الفلسطينية لمشاركة الأسرى المحررين، في عملية البناء والتنظيم، والاستفادة من خبراتهم وتجاربهم في الكثير من المجالات الأمنية والعسكرية والتنظيمية والإعلامية في القطاعين المدني والعسكري والقطاع الخاص، واحتضان الكفاءات الأكاديمية التي تخرجت من السجون، وحفرت في الصخر، وتحملت الإضرابات المفتوحة عن الطعام والجوع والآلام لنيل الشهادات الأكاديمية من داخل المعتقلات في ظل القيود الإسرائيلية المطبقة للحيلولة دون حصولهم عليها، ولمكافأتهم على جهودهم، وإشعارهم بمكانتهم وجهودهم، وللاستفادة من خبراتهم غير التقليدية والمميزة، ولطرح تجاربهم الإبداعية المفعممة بالأمل والإرادة أمام الطلبة من الأجيال الناشئة والشابة.

10. العمل على جمع وتوثيق إبداعات الأدب النضالي للأسرى، ووضع برامج تعليمية تربوية لتعزيز الاهتمام به ونشره وحفظه، ووضع خطة لتبني إصدارات الأسرى الأدبية، ودعم أعمالهم اليدوية والفنية، لما تحمله من رسائل وطنية وخيال واسع يطمح للحرية، وتنظيم المعارض لعرض كتابات وأعمال الأسرى والتعريف بها وبقيمتها ورسالتها.

11. وأخيراً يوصى الباحث بأهمية دراسة أشكال الإبداع وصور المقاومة الفلسطينية في السجون الاسرائيلية وأساليبها ومظاهر الإبداع والإبتكار في مواجهة أشكال القهر والقمع في السجون الاسرائيلية، والمقارنة التاريخية بالمزيد من العمق بالتجارب النضالية العالمية، والخروج برؤية علمية أكاديمية موسعة، تميز الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة عن غيرها في أشكال الصمود والمقاومة والإبداع.



## مراجع الدراسة

# قائمة المراجع

## المراجع العربية

### أولاً- الكتب العربية:

1. إبراهيم أبراش، «صناعة الانقسام الفلسطيني»، القدس، فلسطين، دار الجندي، 2014.
2. إبراهيم أبو النجا، «المنسيون في غياهب الاعتقال الصهيوني»، القاهرة، مركز الإعلام العربي، 2004.
3. أحمد أبو السعود، «ومضات من خلف القضبان»، غزة، وزارة الثقافة العامة، 2014.
4. أحمد أبو غوش، عطية عدنان، قدري أبو بكر، «المعتقلون الفلسطينيون»، رام الله، العودة للدراسات والنشر، 2004.
5. أحمد بكار، «الديمقراطية حاضراً ومستقبلاً»، عمان، وزارة الثقافة، 1997.
6. أحمد سعيد نوفل، وأحمد جمال الظاهر، «الوطن العربي والتحديات المعاصرة»، القاهرة، الشركة العربية المتحدة، 2008.
7. أحمد صدقي الدجاني، «لا للحل العنصري في فلسطين»، القاهرة، دار المستقبل العربي، 1994.
8. أحمد قريع، «المفاوضات المتعددة الأطراف لعملية السلام»، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2007.
9. إياد الرياحي، «الواقع التنظيمي للحركة الفلسطينية الأسيرة»، رام الله، مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، فلسطين، 2006.
10. أيمن عامر: الحل الإبداعي للمشكلات بين الوعي والأسلوب، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، 2003.
11. جبريل الرجوب، «زنزانة رقم 704»، عمان، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، 1985.
12. جبور عبد النور: المعجم الأدبي، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، 2005.

13. جمعية الأسرى والمحربين، «الأسرى الفلسطينيون وجبروت التعذيب الإسرائيلي في السجون الإسرائيلية»، غزة، مركز الدراسات والتوثيق والمعلومات، 2005.
14. جمعية الأسرى والمحربين، «الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان»، غزة، دائرة الإعلام والتوثيق، 2005.
15. جمعية الأسرى والمحربين، «التقرير السنوي 2004»، غزة، دائرة الإعلام والتوثيق، 2005.
16. جمعية الأسرى والمحربين، «السجون والمعتقلات الإسرائيلية»، غزة، مركز الدراسات والتوثيق والمعلومات، 2005.
17. جمعية الدراسات النسوية، المجموعة العربية للتنمية، «الأسيرات المحررات الفلسطينيات»، فلسطين، غزة، شركة مطابع بيت المقدس، 2014.
18. جميل السلحوت، «أدب السجون»، القدس، دار الجندي للنشر والتوزيع، 2012.
19. جهاد البطش، «المعتقلون الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية»، غزة، فلسطين، مكتبة اليازجي، 2007.
20. جوزيف الخورى طوق، «اتفاق غزة أريحا أولاً وماذا بعد؟»، بيروت، التوزيع الحصري، 1993.
21. حسان الزين، سمير القنطار - «قصتي»، بيروت، دار الساقى، 2010.
22. حسن عبد الله، «أثر الرسالة في حياة المعتقل الفلسطيني»، رام الله، مركز المشرق للدراسات، 2004.
23. حسن عبد الله، «الصحافة العربية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين»، القدس، نقابة الصحفيين الفلسطينيين، 2005.
24. حسن عبد الله، «كلمات على جدار الليل»، رام الله، مركز المشرق للدراسات، 2004.
25. حسين على، «الإبداع في حل المشكلات»، سوريا، دمشق، دار الرضا للنشر، 2001.
26. حلمي عنقاوي، «المراحل الأولى للمسيرة خلف القضبان»، الطبعة الأولى، رام الله، مطبعة الغد، 1995.
27. خالد الهندي، «التجربة الديمقراطية للحركة الفلسطينية الأسيرة»، رام الله، مؤسسة ناديا للطباعة والنشر، 2000.

28. داوود الباز، «الشورى والديمقراطية النيابية»، الإسكندرية، دار الفكر الجامعي، 2004.
29. داوود الباز، «النظم السياسية للدولة والحكومة في ضوء الشريعة الإسلامية»، الإسكندرية، دار الفكر الجامعي، 2006.
30. الدائرة الإعلامية لوزارة شؤون الأسرى، «تقرير شامل»، فلسطين، غزة، مكتبة الجامعة الإسلامية، 2008.
31. دياب اللوح، «أوراق متناثرة»، غزة، فلسطين، مطبعة الرنتيسي، 2002.
32. دين كيث سايمنتن: العبقرية والابداع والقيادة، ترجمة د. شاكِر عبد الحميد، الكويت، الناشر المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، 1993.
33. رأفت حمدونة، «صرخة من أعماق الذاكرة»، غزة، فلسطين، دائرة شؤون الأسرى، 2006.
34. رائد العامودي، «القادم إلى خطفك-مذكرات الأسير محمد الشرايحة»، غزة، فلسطين بدون دار نشر، 2011.
35. ربحي قطامش، فر شعبان، «تعذيب السجناء السياسيين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية»، رام الله، فلسطين، الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، 2003.
36. زاهي وهبي، مروان البرغوثي، «ألف يوم في زنزانة العزل الانفرادي»، رام الله، فلسطين، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2011.
37. سامي الأخرس، «فبروزيات نضالية»، غزة، فلسطين، مطبعة الأندلس، 2015.
38. سامي الأخرس، كامل مسعود، «رحيق الوطن»، غزة، فلسطين، مكتبة الأندلس، 2015.
39. سلمان جاد الله، «أدب المواجهة»، غزة، فلسطين، جمعية الأسرى والمحربين، 2000م.
40. سلمان جاد الله، «المواجهة والاحتراف»، القدس، مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة بجامعة القدس، 2014.
41. سمير حجازي: قاموس مصطلحات، القاهرة، مكتبة مديولى، 1990.
42. سمير نعيم، «المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية»، القاهرة، المكتب العربي للأوفست، ط 5، 1992م.
43. سيطان الولي، «سلا الجوع»، رام الله، فلسطين، الرعاة للدراسات والنشر، 2006.



44. طارق أبو شلوف، «ملحمة الكرامة 2012»، غزة، فلسطين، الناشر- مؤسسة مهجة القدس للأسرى والشهداء، 2013.
45. طارق سلمى أبو شلوف، «الربيع الصامت في منظور الأسرى»، فلسطين، سجن رامون، 2013.
46. طارق عبد الرؤوف عامر، «الإبداع مفاهيمه وأساليبه ونظرياته»، القاهرة، الدار العالمية للنشر والتوزيع، 2005.
47. طلال أبو عفيفة، «الدبلوماسية والإستراتيجية في السياسة الفلسطينية»، بدون مكان ودار نشر، 1997.
48. عبد الحق شحادة، «التجربة النضالية لمعتقل عسقلان»، ط 2، غزة، فلسطين، بدون دار نشر، 1999.
49. عبد الحق شحادة، «أوراق من خلف جدران الأسرى»، غزة، فلسطين، بدون دار نشر، 2010.
50. عبد الستار قاسم وآخرون، «التجربة الاعتقالية في المعتقلات الصهيونية»، ط1، نابلس، قسم العلوم السياسية، جامعة النجاح الوطنية، 1986م.
51. عبد الله عواد، «دولة مجدو»، عمان، دار الجليل للنشر، 1992.
52. عبد الناصر فروانة، «الأسرى الفلسطينيون.. آلام وآمال»، القاهرة، صادر عن جامعة الدول العربية، 2015.
53. عدنان جابر، «ملحمة القيد والحرية»، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1979.
54. عقيل حسين عقيل، «فلسفة مناهج البحث العلمي»، طرابلس، جامعة الفاتح، 1999م.
55. علاء محمد سيد قنديل، «القيادة الإدارية وإدارة الابتكار»، الأردن، عمان، دار الفكر ناشرون وموزعون، 2010.
56. عليّة عزت عياد: معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، 1994.
57. عيسى قراقع، «الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية بعد أوسلو 1993-1999»، فلسطين، معهد الدراسات الدولية، جامعة بيرزيت، 2000م.

58. غادة بدر، «أسرانا في سجون الاحتلال الإسرائيلي»، الأردن، دار الحامد للنشر والتوزيع، 2006.
59. فاضل يونس، «زنانة رقم 7»، ط3، رام الله، مطبعة المستقبل، 1999.
60. فايز أبو شمالة، «السجن في الشعر الفلسطيني المعاصر»، رام الله، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، 2003.
61. فراس أبو هلال، «معاناة الأسير الفلسطيني»، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2009.
62. فهد أبو الحاج، «التجربة الديمقراطية للأسرى الفلسطينيين في المعتقلات الإسرائيلية في الفترة 2007-1967»، القدس، مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، فلسطين، 2014.
63. قدرى أبو بكر، «من القمع إلى السلطة الثورية»، عمان، دار الجليل للنشر، 1989م.
46. كامل السوافيري: الأدب العربي المعاصر في فلسطين، القاهرة، دار المعارف، 9791.
65. اللجنة الدولية للصليب الأحمر الدولي، «اتفاقيات جنيف»، القاهرة، المركز الإقليمي للإعلامي، 2010.
66. محسن أبو رمضان، «التحول الديمقراطي في فلسطين»، رام الله، فلسطين، مركز رام الله للدراسات وحقوق الإنسان، 2008.
67. محسن صالح، «التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2011»، بيروت، لبنان، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2012.
68. محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1999.
69. محمد القيسي، «الهواء المقنع - أبو على شاهين 15 عام في الاعتقال»، مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، 2014.
70. محمد المصيرفي، «إدارة الأزمات»، الإسكندرية، مؤسسة حورس الدولية، 2008.
71. محمد خالد الأزعر، «النظام السياسي والتحول الديمقراطي في فلسطين»، رام الله، فلسطين، مواطن - المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 1996.
72. محمد رفعت عبد الوهاب، «النظم السياسية»، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة، 2007.

73. محمد صبحه، «التجربة الديمقراطية والمؤسسية حركة حماس في السجون»، غزة، فلسطين، مكتب إعلام الأسرى، 2015.
74. محمد صبحه، فؤاد الخفش، «إضراب الكرامة»، فلسطين، مركز أحرار لدراسات الأسرى وحقوق الإنسان، 2012.
75. محمد عبد الهادي: أساليب وأعداد وتوثيق البحوث العلمية، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، 1995.
76. محمد عوض، «نسمات من خلف القضبان»، غزة، فلسطين، الكلمة للنشر والتوزيع، 2015.
77. محمد لطفي ياسين، «التجربة الاعتقالية في السجون الإسرائيلية»، الأردن، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، 1989.
78. محمد منير مرسي، «البحث التربوي وكيف نفهمه»، القاهرة، عالم الكتب، 1986.
79. محمود عبد العزيز: نلسون مانديلا، الجيزة، مصر، دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، 2010.
80. مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، «التقرير السنوي 2012»، جامعة القدس، فلسطين، القدس، 2012م.
81. مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، «موسوعة تجارب الأسرى الفلسطينيين والعرب»، جامعة القدس، فلسطين، القدس، 2014م.
82. المركز الفلسطيني لتعميم المعلومات، «نحو مجتمع ديمقراطي»، القدس، فلسطين، جامعة بير زيت، 1994.
83. المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية، «ثقافة تحدث القيد»، ورشة عمل، رام الله، فلسطين، 2002.
84. المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية، «سطور من ذاكرة التجربة»، بدون دار نشر، رام الله، فلسطين، 2002م.
85. مركز القدس للإعلام والاتصال، «الاتفاقية الإسرائيلية الفلسطينية المحلية»، القدس، فلسطين، مطابع الشركة الوطنية، 1996.

86. مركز الميزان لحقوق الإنسان، «صرخات من وراء القضبان»، الرسالة للنشر والإعلام، أم الفحم، فلسطين، 2009.
87. مصطفى كبتها، وديع عواودة، «أسرى بلا حراب - المعتقلون الفلسطينيون والمعتقلات الإسرائيلية الأولى 1948 - 1949»، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2013.
88. مصلح عبد العزيز، «حقوق الأسير»، دار البداية ناشرون وموزعون، بغداد، 2012.
89. معاذ الحنفي، «أعلق في ليلك الليلك»، غزة، فلسطين، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، 1998.
90. منقذ أبو عطوان، «استغلال الأيدي العاملة الأسيرة في سجون الاحتلال الإسرائيلي»، 2006.
91. منية سمارة، محمد الظاهر، «سيناريو المعتقلات الصهيونية»، عمان، دار المنارات، 1985.
92. مؤسسة الحق، «المواطن التفتيش والاعتقال والمحاكم العسكرية»، ط 2، فلسطين، رام الله، المؤسسة، 1993.
93. مؤيد عبد الحسين الفضل، «الإبداع في اتخاذ القرارات الإدارية»، الأردن، إثراء للنشر والتوزيع، 2009.
94. ناصر عبد الجواد، «الأسرى - حقوقهم - واجباتهم - أحكامهم»، ط 2، الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2013.
95. نائل رمضان، «أحكام الأسرى في سجون الاحتلال الإسرائيلي»، لبنان، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2012.
96. نداء البرغوثي، «أسرى الحرب في القانون الدولي»، القاهرة، دار النهضة العربية، 2015.
97. نلسون مانديلا: رحلتي الطويلة من أجل الحرية، ترجمة عاشور الشامس، جوهانسبرج، جنوب أفريقيا، جمعية النشر اللغة العربية، 1998.
98. هاني نعيم، «النضال اللاعنفي - الطريق إلى الحرية»، لبنان، بيروت، منشورات هنيعل، 2012.
99. هشام عبد الرازق، «رواية فرسان الحرية»، فلسطين، وزارة الثقافة، 2008.
100. وحيه محجوب: البحث العلمي ومناهجه، عمان، الأردن، دار المناهج للنشر والتوزيع، 2016.

101. وزارة الإعلام، «هموم الحركة الأسيرة في ظل السلام»، رام الله، قسم الدراسات والورشات الإعلامية، 1995.
102. وزارة شؤون الأسرى والمحررين، «أوقفوا زمن السجن الأسود»، رام الله، فلسطين، الدائرة الاعلامية لوزارة الأسرى، 2010.
103. وزارة شؤون الأسرى والمحررين، «تقرير شامل عن أوضاع الأسرى في السجون الإسرائيلية»، الدائرة الإعلامية للوزارة، فلسطين، 17 / 4 / 2007.
104. وليد العيصرة، «مهارات التفكير الإبداعي وحل المشكلات»، الأردن، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2013.
105. وليد الفاهوم، «الحركة النسائية الفلسطينية»، مواطن - المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله، 2000.
106. وليد الفاهوم، «فلسطينيات في سجن النساء الإسرائيلي»، عمان، دار الجليل للنشر، 1985.
107. وليد الفاهوم، «لابد للقيد أن ينكسر»، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1979.
108. وليد الهودلى، «الشعاع القادم من الجنوب»، ط 3، رام الله، دار البشير للنشر والتوزيع، 2004.
109. وليد رفيق العيصرة، «مهارات التفكير الإبداعي وحل المشكلات»، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2013.
110. وليد سالم، «المسألة الوطنية الديمقراطية في فلسطين»، رام الله، فلسطين، مؤسسة ناديا للطباعة والنشر، 2000.
111. يحيى السنوار، «المجدد»، غزة، فلسطين، جمعية واعد للأسرى والمحررين، 2009. 2009.

### ثانياً- الكتب المترجمة:

1. بنيامين نتيناهو، «مكان تحت الشمس»، ترجمة محمد الديوري، ط 2، عمان، دار الجليل للنشر، 1996.
2. بيبا نوريس، «بناء الأحزاب السياسية، إصلاح الضوابط القانونية والقواعد الداخلية»، (ستوكهولم، المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات 2004).

3. جون مارى هنكرتس، «دراسة في القانون الدولي الإنساني العرفي»، ترجمة محسن الجمل، بيروت، المركز الإقليمي للإعلامي للصليب الأحمر، 2005.
4. جيفري ديلمان، موسى البكري، «استخدام إسرائيل للتعذيب بالصدمة الكهربائية»، ط1، القدس، مركز المعلومات الفلسطيني لحقوق الإنسان، 1991.
5. جيلين تندر، «الفكر السياسي - الأسئلة الأبدية»، ترجمة محمد مصطفى غنيم، القاهرة، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، 1993.
6. ريفد دروكر، أيهود براك - «الإخفاق الأكبر» (ترجمة هاشم حمدان)، رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية - مدار، 2004.
7. سوزان سكارو، «تنفيذ الديمقراطية الداخلية الحزبية»، سلسلة الأحزاب السياسية والديمقراطية في الجوانب النظرية (واشنطن، المعهد الوطني الديمقراطي، 2005).
8. فيليستيا لانغر، «الغضب والأمل»، ترجمة أحمد خليفة وآخرين، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1993.
9. فيليستيا لانغر، «بأم عيني»، القدس، منشورات صلاح الدين، 1975.
10. كينيث جاندا، «تبني القانون الحزبي»، سلسلة الأحزاب السياسية والديمقراطية في الجوانب النظرية (واشنطن، المعهد الوطني الديمقراطي، 2005).

### ثالثاً- الدوريات والمجلات:

1. أحمد شعبان المرغاوين. (2003)، «الإبداع لدى مرحلة الجامعية الأولى - دراسة ميدانية»، مجلة التربية المعاصرة.
2. الجامعة الإسلامية. (2008)، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الأول، المجلد السادس عشر، غزة، فلسطين.
3. جامعة القدس المفتوحة. (2013)، مجلة جامعة القدس المفتوحة، العدد 29، الجزء الثاني، غزة، فلسطين.
4. رفيق المصري. (2007)، «مستوى الوعي السياسي لدى أعضاء حركة التحرير الوطني (فتح)»، مجلة جامعة الأقصى، مجلد (11)، العدد الثاني، غزة، فلسطين.
5. سحر فرنسيس. (2014)، «موقع الأسرى الفلسطينيين في القانون الدولي الإنساني»، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 98.

6. صوت الأسير الإسلامي. (1994)، «أسرى الجهاد الإسلامي سجن جنيد»، مجلة الفرسان، العدد الثاني، فلسطين.
7. عاصم حمدان. (سبتمبر 2010)، «المبدع الإيرلندي بوبي ساندز وموقف الطالب العربي من الحياة الفكرية في الغرب»، صحيفة المدينة، عدد سبتمبر.
8. فايز أبو عون. «10 آلاف فلسطينية دخلت المعتقلات منذ عام 1968»، مجلة الغيداء، العدد 15.
9. الكتلة الإسلامية. (2011)، «مذكرات أسير»، غزة، فلسطين، صحيفة الشباب، العدد الثالث، غزة، فلسطين.
10. اللجنة الدولية للصليب الأحمر الدولي. (2007)، «مختارات من المجلة الدولية»، برنت رايت للدعاية والإعلان، القاهرة، مصر.
11. مركز التخطيط الفلسطيني. (2011)، «البيان الختامي لمؤتمر الأمم المتحدة حول الأسرى في فينا»، مجلة المركز، العدد 29، غزة، فلسطين.
12. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. (2003)، «حوار أسرى في سجن عسقلان»، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 54، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، القدس.
13. وزارة الثقافة. (يونيو 2013)، مجلة مدارات، العدد التاسع، قطاع غزة، فلسطين.

#### رابعاً- رسائل علمية:

1. أحمد زايد. (2002)، «التوافق النفسي وعلاقته بمفهوم الذات لأبناء شهداء وأسرى الانتفاضة»، رسالة دكتوراه غير منشورة، برنامج الدراسات المشترك بين جامعتي الأقصى وعين شمس، كلية التربية، القاهرة.
2. إسماعيل الداغور. (2013)، دور الأسرى في الحركات السياسية الفلسطينية (1987-2006)، «رسالة دكتوراه غير منشورة»، جامعة الأزهر كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، قسم العلوم السياسية، غزة، فلسطين.
3. إياد عطا أبو فنون. (2013)، «زواج الأسير وطلاقه والمستجدات في ذلك»، «رسالة ماجستير غير منشورة»، كلية الدراسات العليا، جامعة الخليل، قسم العلوم السياسية، فلسطين.
4. زياد أبو زياد. (2012)، «تأثير حقبة أوسلو على وحدة وانجازات الحركة الأسيرة في السجون الإسرائيلية (1993-2012)»، «رسالة ماجستير غير منشورة»، جامعة القدس، قسم العلوم السياسية، القدس - أبو ديس.



5. سفير بن مسفر الجعيد. (2008)، «تقييم تجربة الخلوة الشرعية لنزلاء السجون»، «رسالة ماجستير غير منشورة»، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، قسم العلوم الاجتماعية، المملكة العربية السعودية.
6. عبد الصبور مرزوق: أدب ثورة 1919، القاهرة، رسالة دكتوراة مقدمة إلى قسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم لنيل درجة الدكتوراة في الآداب، كلية العلوم، قسم الدراسات الأدبية، «رسالة ماجستير غير منشورة»، جامعة القاهرة، 1970.
7. غادة موسى. (2006)، «أثر الاحتلال على ثقافة المقاومة دراسة حالة للثقافة السياسية للمرأة الفلسطينية»، «رسالة دكتوراه غير منشورة»، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة.
8. محمد أبو شريعة. (2013)، «الحركة الأسيرة وتأثيرها في السياسة الفلسطينية (2006 - 2012)»، «رسالة ماجستير غير منشورة»، جامعة الأزهر كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، قسم العلوم السياسية، غزة، فلسطين.
9. مفيد عرقوب. (2008)، «بناء الجملة في شعر المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية»، «رسالة دكتوراه غير منشورة»، جامعة عين شمس، كلية الآداب، جمهورية مصر العربية.
10. منتهى عودة. (2013)، «المؤسسات الفلسطينية العاملة على خدمة الأسرى الفلسطينيين المحررين»، «رسالة ماجستير غير منشورة»، جامعة النجاح، نابلس.
11. خامساً- مؤتمرات وندوات علمية:
12. أحمد الريماوي. (2013)، الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
13. أحمد حماد، زهير عابد. (2013)، دور العلاقات العامة في التوعية بقضية الأسرى في سجون الاحتلال، غزة، فلسطين، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
14. إدريس جرادات. (2013)، دور الجلسات التعبوية في سجون الاحتلال الإسرائيلية، غزة، فلسطين، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
15. إياد شناعة. (2013)، أوضاع ومعاونة الأسيرات والأطفال الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية «1967م - 2012م»، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
16. تحسين الأسطل. (2013)، معالجة الكاريكاتير في الصحف الفلسطينية لقضية الأسرى في السجون الإسرائيلية، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

17. حسام حمدونة. (2013)، تصور مقترح لتفعيل دور الجامعات والكليات في تنمية الإبداع لدى طلبة الجامعات، فلسطين، «المؤتمر السنوي الخامس لتنمية ثقافة الإبداع» وزارة الشباب والرياضة، غزة، فلسطين.
18. رشاد المدني. (2013)، واقع الأسيرات الفلسطينيات ومعاناتهم داخل السجون الصهيونية، غزة، فلسطين، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
19. رفيق حمدونة، منير شقورة. (2013)، « توثيق تجربة الاعتقال الفلسطينية في السجون الإسرائيلية بين الضرورة والتنفيذ وتاريخها»، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
20. رياض العيلة، عبر ثابت. (2013)، الرؤية المستقبلية لحل قضية الأسرى الفلسطينيين، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
21. زكريا العثمانة. (2013)، أثر حرب حزيران (يونيو) 1967م على المعتقلين الفلسطينيين، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
22. زهير المصري، نجود أحمد. (2013)، العلاقات التنظيمية بين الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
23. عايد محمد الحموز. (2013)، الصلابة النفسية وعلاقتها ببعض أساليب التعذيب الإسرائيلية ضد الأسرى الفلسطينيين في محافظة الخليل، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
24. فتحي كلوب. (2013)، مفاهيم حقوق الأسرى المتضمنة في محتويات مناهج التربية الوطنية المقررة على تلاميذ المرحلة الأساسية في فلسطين، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
25. كمال الأسطل. (2013)، القانون الدولي الإنساني وقضية الأسرى الفلسطينيين، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
26. محمد أحمد العجاق. (2001)، أزمة الهوية في الفكر السياسي العربي، دراسة مقارنة في رؤى حسن حنفي ومحمد عابد الجابري، «رسالة ماجستير غير منشورة»، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، القاهرة.

27. محمود عساف، سميرة خليفة. (2013)، دور الجامعات الفلسطينية بمحافظات غزة في تعزيز قضية الأسرى في سجون الاحتلال وسبل تفعيله، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
28. مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة. (2013)، إبداعات انتصرت على القيد، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
29. مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة. (2013)، إبداعات انتصرت على القيد، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
30. مفيد عرقوب، حسين الدراويش. (2013)، صورة السجين والسجن والسجان في الشعر الوطني الفلسطيني الأسير، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
31. نائل إسماعيل. (2013)، الأساليب الإنشائية في شعر الأسرى الفلسطينيين، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
32. وليد مزهر. (2013)، الاعتقال في السياسة الإسرائيلية في منظور القوانين، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

#### سادساً- المقابلات:

1. إبراهيم عليان، رئيس ملتقى الأسرى وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 23/6/2015، قطاع غزة.
2. أحلام التميمي، أسيرة محررة، مقابلة أجراها الباحث، 1/11/2015، الأردن.
3. أحمد أبو طه، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 19/11/2015، غزة.
4. أحمد عبد الرحمن أبو حصيرة، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، غزة، 28/10/2015.
5. أحمد محي الدين حرز الله، المتحدث باسم مؤسسة مهجة القدس للشهداء والأسرى وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 19/11/2015، غزة.
6. أسامة أبو حرب، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 20/4/2015، غزة.
7. أكرم سلامة، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، غزة، 23/10/2015.
8. بسام المجدلوي، مدير عام شؤون الأسرى والمحررين ورئيس لجنة هيئة شؤون الأسرى المكلفة في المحافظات الجنوبية، مقابلة أجراها الباحث، غزة، 19/11/2015.

9. توفيق أبو نعيم، رئيس جمعية واعد للأسرى وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، غزة، 10/12/2014.
10. جبر وشاح، نائب رئيس المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، غزة، 25/4/2015.
11. جهاد البطش، نائب رئيس جامعة القدس المفتوحة، مقابلة أجراها الباحث، 19/8/2015، غزة.
12. خضر خليل شعث، المتحدث باسم ملتقى الأسرى والمحررين وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، غزة، 2/11/2015.
13. خضر عطية محجز، كاتب وأكاديمي وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 23/11/2015، قطاع غزة.
14. خضر محمود عباس، كاتب وأكاديمي وأسير محرر، مقابلة، 15/1/2015، غزة.
15. رامى جمال عزاره، المسئول الإعلامي لمفوضية الأسرى وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 3/11/2015، غزة.
16. رائد خالد غباين، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 19/8/2015، غزة.
17. روضة إبراهيم حبيب، أسيرة محررة، مقابلة، 3/2/2015، غزة.
18. زهير الشوشنية، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 3/11/2015، غزة.
19. زياد سليم سلمي، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 20/4/2015، غزة.
20. سالم أبو خيزران مسئول زراعة نطف الأسرى بمستشفى رزان التخصصي - نابلس، مقابلة أجراها الباحث، غزة، 25/4/2015.
21. سامر أبو سير، قيادي في الجبهة الشعبية وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 23/6/2015، قطاع غزة.
22. سلمان سليم جاد الله، أسير محرر وكاتب، مقابلة أجراها الباحث، 23/11/2015، قطاع غزة.
23. سليم حسين الزريعي، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 10/1/2015، غزة.

24. سميح كامل حجاج، المفتي والمحاضر بجامعة فلسطين بغزة، مقابلة أجراها الباحث، لبنان، بيروت، 17/11/2015.
25. شاكِر شبات، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 20/8/2015، غزة.
26. شعبان سليم حسونة، كاتب وروائي وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 7/11/2015، غزة.
27. شكري سلمه، أسير محرر، نائب رئيس هيئة شؤون الأسرى والمحررين، مقابلة أجراها الباحث، 23/4/2015، رام الله.
28. عاطف مرعى، مدير عام العلاقات العامة والإعلام وعضو لجنة مكلفة بإدارة هيئة شؤون الأسرى في المحافظات الجنوبية، بادرة أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، غزة، 19/11/2015.
29. عبد الباري محمد خلة، رئيس لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بقطاع غزة، مقابلة أجراها الباحث، غزة، 17/11/2015.
30. عبد الحق رمضان شحادة، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 15/2/2014، غزة.
31. عبد المنعم حسان أبو عطايا، أسير محرر ومبعد، مقابلة أجراها الباحث، 5/11/2015، إسبانيا.
32. عبد الناصر عوني فروانه، رئيس وحدة الدراسات والتوثيق بهيئة شؤون الأسرى وعضو اللجنة المكلفة بإدارتها في المحافظات الجنوبية، وباحث في قضايا الأسرى، مقابلة أجراها الباحث، غزة، 17/11/2015.
33. عبد الهادي غنيم، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 23/4/2015، قطاع غزة.
34. عدنان الأفندي، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، بيت لحم، فلسطين، 10/10/2015.
35. علام الكعبي، قيادي في الجبهة الشعبية وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 18/6/2015، غزة.
36. عماد يعقوب حمتو، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة فلسطين وأحد علماء الأزهر الشريف بفلسطين، مقابلة أجراها الباحث، غزة، 17/11/2015.
37. عمر خليل عمر، شاعر وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 5/1/2015، غزة.

38. فايز أبو شمالة، شاعر وكاتب وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 7/12/2015، غزة.
39. فهمي محمد كنعان، أسير محرر وأحد مبعدي كنيسة المههد، مقابلة أجراها الباحث، 3/11/2015، قطاع غزة.
40. فؤاد قاسم الرازم، عميد أسرى القدس وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 3/11/2015، غزة.
41. كفاح العارضة، أسير محرر مبعد، مقابلة أجراها الباحث، 23/4/2015، قطاع غزة.
42. محمد مصطفى أبو جلالة، كاتب وشاعر وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 3/11/2015، قطاع غزة.
43. محمود سليمان الزق، قيادي في جبهة النضال الشعبي وأسير محرر، مقابلة، 6/11/2015، غزة.
44. محمود مصطفى مرداوي، أسير محرر ومبعد، مقابلة أجراها الباحث، 4/11/2015، غزة.
45. مريم أبو دقة، أسيرة محررة وعضو مكتب سياسي في الجبهة الشعبية، مقابلة، 9/1/2015، غزة.
46. مصعب البريم، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 20/4/2015، غزة.
47. موفق عبد الرحمن حميد، مدير العلاقات العامة بجمعية «حسام»، مقابلة أجراها الباحث، 25/10/2015، غزة.
48. هشام عبد الرازق، وزير الأسرى السابق، مقابلة أجراها الباحث، غزة، 28/9/2015.
49. وائل السعدني، مسئول برنامج التعليم في هيئة الأسرى، مقابلة أجراها الباحث، غزة، 19/7/2015.
50. وليد الهودلي، كاتب وروائي وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 10/11/2015، رام الله.
51. يحيى محمود يحيى، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 2/10/2015، جباليا.

## سابعاً- مواقع الانترنت:

1. أحرار لدراسات الأسرى وحقوق الإنسان: [ps.ahrar.www](http://ps.ahrar.www)

الموضوع : أسرى العزل / أسلوب ممنهج للموت البطيء

نشر بتاريخ / 27، أغسطس, 2012

2. الأسرى للدراسات: [www.alasra.ps/ar](http://www.alasra.ps/ar)

الموضوع : تعريف الأسير الفلسطيني

نشر في يوم / الثلاثاء , 23 سبتمبر 2014, 03:05

3. بوابة القاهرة: [www.cairoportal.com](http://www.cairoportal.com)

الموضوع : أسرار الخلوة الشرعية في السجون الداخلية ..

كتب عواد سالم الأحد، 19 يناير 2014

4. الجزيرة نت: [www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net)

الموضوع : نص وثيقة الأسرى الفلسطينيين للوفاق الوطني

نشر بتاريخ: 16/3/2015

5. الحدث اليوم: [www.alhadathtoday.com](http://www.alhadathtoday.com)

الموضوع : سفير الحرية السابع والاربعون يرى النور

نشر يوم الاربعاء : 12-23- 2015



6. دنيا الوطن: [www.alwatanvoice.com](http://www.alwatanvoice.com)

الموضوع : مائة أسير بينهم محررون يتخرجون من الجامعة

تاريخ النشر : 2015-08-30

7. سكاى نيوز: [www.skynewsarabia.com](http://www.skynewsarabia.com)

الموضوع : اتصالات مكثفة للإفراج عن الأسرى

نشر في يوم السبت 29 مارس, 2014

8. سما الإخبارية: [www.samanews.com/ar](http://www.samanews.com/ar)

الموضوع : نبذة عن تبادل 1985 بين القيادة العامة واسرائيل

نشر الخميس 17 أبريل , 2014

9. صحيفة رأى اليوم: [www.raialyoum.com](http://www.raialyoum.com)

الموضوع : رئيس هيئة شؤون الأسرى والمحررين يؤكد اعتقال مليون فلسطينى منذ النكبة

حتى تاريخ النشر

نشر في 13 مايو 2015

10. فلسطين خلف القضبان: [www.palestinebehindbars.org](http://www.palestinebehindbars.org)

الموضوع : في الذكرى الـ 21 للإنتفاضة الأولى

نشر بتاريخ 7/12/2008

11. مركز المعلومات الوطني الفلسطيني - وفا: [www.wafainfo.ps](http://www.wafainfo.ps)

الموضوع : هيئة الأسرى: الاحتلال مارس التعذيب بحق 99% من الأسرى الأطفال

تاريخ النشر : 2015/07/28

12. معاً الإخبارية: [www.maannews.net/arb](http://www.maannews.net/arb)

الموضوع : تعذيب الأطفال في التحقيق

نشر بتاريخ : 28/07/2015

13. موضوع: [www.mawdoo3.com](http://www.mawdoo3.com)

الموضوع : تعريف الرواية والقصة

نشر بتاريخ 20 نوفمبر 2014

### المراجع الإنجليزية:

#### • Books:

1. Barbara Harlow, **Resistance Literature**, New York ,Methuen inc and Methuen , 1987.
2. Benyamin , Neuberger,**Democracy in Israel** , Tel-Aviv , The Open University, 1998.
3. Benyamin , Neuberger,**Modern Democracy,intellectual Roots and- Basic Concepts** , Tel-Aviv , The Open University ,1998.
4. Bernardi,Bernardo,**The concept and dynamics of culture** , (1977) , World Anthropology, The Hague. Mouton.

5. cooley, c:**Human Nature and the Social Order**, New York , Charles Horton , 1964.
6. David Beresford. **Ten Men Dead**, (New York. Atlantic Press, 1987), 7. ISBN 0-87113-702-X.
7. Jack Plano and Millon green berg (eds,)**The American Political Dictionary** (New York. Halt Rinehart and Winston Ihc , 1967).
8. Johnston,Hank & Bert Klandermans , eds., **social movement and culture**, university of Minneapolis, 1995.
9. Joseph Schumpeter ,capitalism , Socialism , **Socialism and Democracy** (London. Allen and Unwin , 1950).
10. Inglehart,Ronald.**The silent revolution changing values and political styles among western publics** , Princeton university press , 1977.
11. Kevin Flower and Kareem Khadder (6 May 2012). “Two Palestinians on hunger strike nearing death, says lawyer.”
12. Mannheim,karl.**Essays on the sociology of culture** , london,routledge,1994.
13. Mead ,G. **Mind, Self and Society from Stand Point of A Social Behaviorist** ,Chicago Univ ,Press 1962.
14. **Modern Palestinian Short Stories in Translation**, 44 Authors, (edited by Izzat-Ghazzawi, Claire Peak), Jerusalem.The Palestinian Writers Union, 1998.
15. Philip P.Wieiner, **Dictionary of the History of Ideas** (New York ,Charles Scribners Sons,1973).
16. Prus,Robert,**Subcultural mosaic and inter subjective realities.An ethnographic research agenda pragmatizing social sciences** , state university of new York press , 1997.
17. Radeliff,Brown.**Method in Social Anthropology**, theuniversity of Chicago,1918.

18. Richard, T. 1990. Creativity and problem solving at work.England gower company limited.
19. Verba,Sidny,Gabriel Almond. the civic culture political attitudes and democracy in five nations , Princeton university press , 1963.
20. Yanai, N.**Party leadership in Israel**, Ramat Gan,Turtledove ,1981.

- **Periodicals:**

A- (Magazine:

1. Accordino,M.p.,&Guerny ,B.Jr.(1998). An evaluation of the relationship enhancement program with prisoners and their wives international journal of Offender and Comparative Criminology,42,(1).
2. Dinca.m.(1993).personality traits as interface between the creative potential and creativity.Revue romance do psychologies,vol.37(2).
3. Elder,linda and Paul ,Richard(2001).Critical thanking. Thanking to some purpose.journal of developmental Education ,25(1).
4. Olson ,J.(1999.What academic librarians, librarianship should know about creative thanking journal of academic ,librarianship,25.(5).
5. Schank , G(1993).Effects of A creative problem solving curriculum on students of varying Ability levels. Gifted Quartelrly ,vol.37,no.1.
6. The Palestinian Academic Society for the Study of International affairs(Passia) ,2000.

- **Newspapers:**

1. Harriet Sherwood (7 May 2012). "Israeli court rejects Palestinian hunger strike prisoners' appeal". The Guardian (London).

2. Khoury, Jack (12 May 2012). "Palestinian prisoners to continue hunger strike". Haaretz.
3. Sanders, Edmund (12 May 2012). "Talks progress in bid to end Palestinian prisoners' hunger strike". Los Angeles Times.

• **Dissertations Theses:**

1. EsmailNashif, Identity Community, and Text: The Production of Meaning among Palestinian Political Captives, for the degree of Doctor of Philosophy, University of Texas at A Ustin, 2004.
2. HadeelAlkazaz, The role of non-formal Education in Development, The Experience of Palestinian Prisoners in Israeli Prisons, for the degree of Doctor of Education, university of Leeds, 1994-1997.
3. RababTmesh, Pain Violence in Palestinian War-Prisoner Narrative, for the degree of Doctor of Philosophy (under preparing), University of Michigan.
4. Shadi Jabber, Artistic expression of the Palestinian Political Prisoners in the Israeli Prisons, for the degree of Master of Arts Therapy, European Graduate School EGS, 2003.

المراجع العبرية:

1. איתמר ריבוניביץ: ישראל, הערבים והמזרח התיכון, 1948 - 2012, כנרת, זמורה - ביתן, דביר, אור - יהודה, 2000.

- איתמר ריבונפיתש: العرب والشرق الأوسط, 1948 - 2012, طبريا, زمורה بيتان, أور יהودا, 2000.

2. בני מוריס: מתוות קלינטון, עם עובד, תל אביב, 2004.

- בני מוריס: مبادرة كليتتون والردود الرسمية من اسرائيل والفلسطينيين, عام عوفيد, تل أبيب, 2004.

3. בנימין נויברגר: **הזמוקרטיה הישראלית**, תל- אביב, האונברסיטה הפתוחה, 1998

בנימין נויברגר: الديمقراطية الاسرائيلية، تل أبيب، الجامعة المفتوحة في اسرائيل، 1998.

4. בנימין נויברגר: **הזמוקרטיה המודרנית שורשים רעיוניים ותפיסות יסוד**, תל- אביב, האונברסיטה הפתוחה, 1985.

בנימין נויברגר: الديمقراطية الحديثة الجذور الفكرية والمفاهيم الأساسية، تل أبيب، الجامعة المفتوحة في اسرائيل، 1985.

5. גילוי דעת בעניין מניעת לימודי אסירים פלסטינים באוניברסיטה הפתוחה, بیان لأكاديميين اسرائيليين يستنكر منع الأسرى الفلسطينيين من التعليم في الجامعة المفتوحة في اسرائيل:

[/https://atzumaasirim.wordpress.com](https://atzumaasirim.wordpress.com)

6. גל גרזון: **ליברליזם, קשרים, הקשרים ביקורת, רעננה**, האונברסיטה הפתוחה, 2004.

غال جرسون: الليبرالية، والعلاقات المراقبة، رعنا، الجامعة المفتوحة في اسرائيل، 2004.

7. זכויות, זכויות אסירים ביטחוניים, **החقوق: حقوق الأسرى الأمنيين**:  
[/http://www.myrights.co.il](http://www.myrights.co.il)

8. מרכז הספר והספריות, **מרכז הכתב והמכתב**:

[/http://www.meidaat.org.il/articles-n-studies/issue-011/may-11](http://www.meidaat.org.il/articles-n-studies/issue-011/may-11)

9. רונן יניב: אסירים ביטחוניים בבתי - כלא בישראל, מרכז המחקר והמידע בכנסת, ירושלים, 2009.

رونين يانيف: الأسرى الأمنيين في السجون الاسرائيلية، مركز البحث والمعلومات في الكنيست، القدس، 2009.

10. ספריות האסירים הביטחוניים בישראל, מכתבאות האסرى الأمنيين فى اسر ائيل:

[/http://www.meidaat.org.il/articles-n-studies/issue-011/may-11](http://www.meidaat.org.il/articles-n-studies/issue-011/may-11)

11. רות חיים יהודה : שלטון העם על ידי העם, יבנה, תל- אביב, 1949.

روت حايمم يهودا: سلطة الشعب على يد الشعب، بينا للنشر، تل أبيب، 1949.

12. שליים אבי: קיר הברזל – ישראל והעולם הערבי, ספרי עליית הגג, ידיעות אחרונות, ספרי חמד, תל אביב, 2000.

آفي شلايم: الجدار الحديدي - إسرائيل والعالم العربي، يديעות أحرونوت، كتب حميد، تل أبيب، 2000.

13. مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان- بتسيلم: [www.btselem.org/arabic](http://www.btselem.org/arabic)

14. الموقع الإلكتروني لصحيفة هآرتس الإسرائيلية: [www.haaretz.co.il](http://www.haaretz.co.il)

15. الموقع الإلكتروني العبري (واللا): [www.walla.co.il/it](http://www.walla.co.il/it)



# ملاحق الدراسة

## استمارة مقابلة شبه مقننة

الاسم : .....

العمر : .....

مكان السكن : .....

الحالة الاجتماعية : .....

فترة الاعتقال : .....

السجن الذي نزل به : .....

المستوى التعليمي : .....

الانتماء التنظيمي : .....

المكانة القيادية والمواقع التي أشغلها خلال الاعتقال : .....

درجة الاتزان : .....

الحالة الصحية : .....

تقييم الباحث : .....

.....

.....

.....

.....

اليوم : ..... والتاريخ : .....

**بعض المواد في اتفاقية جنيف بشأن معاملة الأسرى  
المؤرخة في 12 آب / أغسطس 1949م  
اعتمدت وعرضت للتوقيع والتصديق والانضمام من قبل المؤتمر  
الدبلوماسي لوضع اتفاقيات دولية لحماية ضحايا الحروب  
المعقود في جنيف خلال الفترة من  
21 نيسان / أبريل إلى 12 آب / أغسطس 1949م  
تاريخ بدء النفاذ: 21 تشرين الأول / أكتوبر 1950  
وفقا لأحكام المادة 138**

**الباب الأول: أحكام عامة**

**المادة 13**

يجب معاملة أسرى الحرب معاملة إنسانية في جميع الأوقات. ويحظر أن تقترب الدولة الحائزة أي فعل أو إهمال غير مشروع يسبب موت أسير في عهدها، ويعتبر انتهاكا جسيما لهذه الاتفاقية. وعلى الأخص، لا يجوز تعريض أي أسير حرب للتشويه البدني أو التجارب الطبية أو العلمية من أي نوع كان مما لا تبرره المعالجة الطبية للأسير المعني أو لا يكون في مصلحته.

وبالمثل، يجب حماية أسرى الحرب في جميع الأوقات، وعلى الأخص ضد جميع أعمال العنف أو التهديد، وضد السباب وفضول الجماهير.

وتحظر تدابير الاقتصاص من أسرى الحرب.

**المادة 14**

لأسرى الحرب حق في احترام أشخاصهم وشرفهم في جميع الأحوال.

ويجب أن تعامل النساء الأسيرات بكل الاعتبار الواجب لجنسهن. ويجب على أي حال أن يلقين معاملة لا تقل ملاءمة عن المعاملة التي يلقاها الرجال.

يحتفظ أسرى الحرب بكامل أهليتهم المدنية التي كانت لهم عند وقوعهم في الأسر. ولا يجوز للدولة الحائزة تقييد ممارسة الحقوق التي تكفلها هذه الأهلية، سواء في إقليمها أو خارجه إلا بالقدر الذي يقتضيه الأسر.

## المادة 15

تتكفل الدولة التي تحتجز أسرى حرب بإعاشتهم دون مقابل وتقديم الرعاية الطبية التي تتطلبها حالتهم الصحية مجاناً.

## المادة 16

مع مراعاة أحكام هذه الاتفاقية فيما يتعلق برتب الأسرى وجنسهم، ورهننا بأية معاملة مميزة يمكن أن تمنح لهم بسبب حالتهم الصحية أو أعمارهم أو مؤهلاتهم المهنية، يتعين على الدولة الحاجزة أن تعاملهم جميعاً على قدم المساواة، دون أي تمييز ضار على أساس العنصر، أو الجنسية، أو الدين، أو الآراء السياسية، أو أي معايير مماثلة أخرى.

## الباب الثالث: الأسرى

### القسم الأول: ابتداء الأسر

## المادة 17

لا يلتزم أي أسير عند استجوابه إلا بالإدلاء باسمه بالكامل، ورتبته العسكرية، وتاريخ ميلاده، ورقمه بالجيش أو الفرقة أو رقمه الشخصي أو المسلسل. فإذا لم يستطع فبمعلومات مماثلة.

إذا أخل الأسير بهذه القاعدة باختياره فإنه قد يتعرض لإنتقاص المزايا التي تمنح للأسرى الذين لهم رتبته أو وضعه.

على كل طرف في النزاع أن يزود جميع الأشخاص التابعين له والمعرضين لأن يصبحوا أسرى حرب، ببطاقة لتحقيق الهوية يبين فيها اسم حاملها بالكامل، ورتبته، ورقمه بالجيش أو الفرقة أو رقمه الشخصي أو المسلسل أو معلومات مماثلة، وتاريخ ميلاده. ويمكن أن تحمل بطاقة الهوية أيضاً توقيع حاملها أو بصمات أصابعه أو كليهما، وقد تتضمن كذلك أية معلومات أخرى يرغب طرف النزاع إضافتها عن الأشخاص التابعين لقواته المسلحة. وكلما أمكن يكون اتساع البطاقة 6.5 \* 10 سنتيمترات وتصدر من نسختين. ويبرز الأسير بطاقة هويته عند كل طلب لكن لا يجوز سحبها منه بأي حال من الأحوال.

ولا يجوز ممارسة أي تعذيب بدني أو معنوي أو أي إكراه على أسرى الحرب لاستخلاص معلومات منهم من أي نوع. ولا يجوز تهديد أسرى الحرب الذين يرفضون الإجابة أو سبهم أو تعريضهم لأي إزعاج أو إجحاف.

يسلم أسرى الحرب العاجزون عن الإدلاء بمعلومات عن هويتهم بسبب حالتهم البدنية أو العقلية إلى قسم الخدمات الطبية. وتحدد هوية هؤلاء الأسرى بكل الوسائل الممكنة مع مراعاة أحكام الفقرة السابقة.

يجري استجواب أسرى الحرب بلغة يفهمونها.

## المادة 18

يحتفظ أسرى الحرب بجميع الأشياء والأدوات الخاصة باستعمالهم الشخصي -ماعدا الأسلحة، والخيول، والمهمات الحربية، والمستندات الحربية- وكذلك بخوذتهم المعدنية والأقنعة الواقية من الغازات، وجميع الأدوات الأخرى التي تكون قد صرفت لهم للحماية الشخصية. كما تبقى في حوزتهم الأشياء والأدوات التي تستخدم في ملبسهم وتغذيتهم حتى لو كانت تتعلق بعدتهم العسكرية الرسمية.

لا يجوز في أي وقت أن يكون الأسرى بدون وثائق تحقيق هويتهم. وعلى الدولة الحاجزة أن تزود بها الأسرى الذين لا يحملونها.

لا يجوز تجريد أسرى الحرب من شارات رتبهم وجنسياتهم، أو نياشينهم، أو الأدوات التي لها قيمة شخصية أو عاطفية.

لا يجوز سحب النقود التي يحملها أسرى الحرب إلا بأمر يصدره ضابط وبعد تقييد المبلغ وبيان صاحبه في سجل خاص، وبعد تسليم صاحب المبلغ إيصالا مفصلا يبين فيه بخط مقروء اسم الشخص الذي يعطي الإيصال المذكور ورتبته والوحدة التي يتبعها. وتحفظ لحساب الأسير أي مبالغ تكون من نوع عملة الدولة الحاجزة أو تحول إلي هذه العملة بناء على طلب الأسير طبقا للمادة 64.

ولا يجوز للدولة الحاجزة أن تسحب من أسرى الحرب الأشياء ذات القيمة إلا لأسباب أمنية. وفي هذه الحالة تطبق الإجراءات المتبعة في حالة سحب النقود.

تحفظ في عهدة الدولة الحاجزة الأشياء والنقود التي تسحب من الأسرى بعمليات مغايرة لعملة الدولة الحاجزة دون أن يطلب أصحابها استبدالها، وتسلم بشكلها الأصلي إلى الأسرى عند انتهاء أسرهم.

## المادة 19

يتم إجلاء أسرى الحرب بأسرع ما يمكن بعد أسرهم، وينقلون إلى معسكرات تقع في منطقة تبعد بقدر كاف عن منطقة القتال حتى يكونوا في مأمن من الخطر.

لا يجوز أن يستبقي في منطقة خطرة، وبصورة مؤقتة، إلا أسرى الحرب الذين يتعرضون بسبب جروحهم أو مرضهم لمخاطر أكبر عند نقلهم مما لو بقوا في مكانهم.  
يجب ألا يعرض أسرى الحرب للخطر دون مبرر أثناء انتظار إجلائهم من منطقة قتال.

## المادة 20

يجب أن يجري إجلاء أسرى الحرب دائما بكيفية إنسانية وفي ظروف مماثلة للظروف التي توفر لقوات الدولة الحائزة في تنقلاتها.

علي الدولة الحائزة أن تزود أسرى الحرب الذين يتم إجلاؤهم بكميات كافية من ماء الشرب والطعام والملابس والرعاية الطبية اللازمة. وعليها أن تتخذ جميع الاحتياطات لضمان سلامتهم أثناء نقلهم، وأن تعد بأسرع ما يمكن قائمة بأسرى الحرب الذين يتم إجلاؤهم. فإذا اقتضى الأمر مرور أسرى الحرب أثناء نقلهم بمعسكرات انتقالية، وجب أن تكون مدة إقامتهم في هذه المعسكرات أقصر ما يمكن.

## القسم الثاني: اعتقال أسرى الحرب

### الفصل الأول: اعتبارات عامة

## المادة 21

يجوز للدولة الحائزة إخضاع أسرى الحرب للاعتقال. ولها أن تفرض عليهم التزاما بعدم تجاوز حدود معينة من المعسكر الذي يعتقلون فيه، أو بعدم تجاوز نطاقه إذا كان مسورا. ومع مراعاة أحكام هذه الاتفاقية فيما يتعلق بالعقوبات الجنائية والتأديبية، لا يجوز حجز أو حبس الأسرى إلا كإجراء ضروري تقتضيه حماية صحتهم، ولا يجوز أن يدوم هذا الوضع على أي حال لأكثر مما تتطلبه الظروف التي اقتضته.

يجوز إطلاق حرية أسرى الحرب بصورة جزئية أو كلية مقابل وعد أو تعهد منهم بقدر ما تسمح بذلك قوانين الدولة التي يتبعونها. ويتخذ هذا الإجراء بصفة خاصة في الأحوال التي يمكن أن يسهم فيها ذلك في تحسين صحة الأسرى، ولا يرغم أي أسير علي قبول إطلاق سراحه مقابل وعد أو تعهد.

على كل طرف في النزاع أن يخطر الطرف الآخر، عند نشوب الأعمال العدائية، بالقوانين واللوائح التي تسمح لرعاياه أو تمنعهم من قبول الحرية مقابل وعد أو تعهد. ويلتزم أسرى الحرب الذين يطلق سراحهم مقابل وعد أو تعهد وفقا للقوانين واللوائح المبلغة على هذا النحو بتنفيذ الوعد أو التعهد الذي أعطوه بكل دقة، سواء إزاء الدولة التي يتبعونها، أو

الدولة التي أسرتهم. وفي مثل هذه الحالات، تلتزم الدولة التي يتبعها الأسرى بأن لا تطلب إليهم أو تقبل منهم تأدية أية خدمة لا تتفق مع الوعد أو التعهد الذي أعطوه.

## المادة 22

لا يجوز اعتقال أسرى الحرب إلا في مبان مقاومة فوق الأرض تتوفر فيها كل ضمانات الصحة والسلامة، ولا يجوز اعتقالهم في سجون إصلاحية إلا في حالات خاصة تبررها مصلحة الأسرى أنفسهم.

يجب بأسرع ما يمكن نقل أسرى الحرب المعتقلين في مناطق غير صحية، أو حيث يكون المناخ ضاراً بهم، إلى مناخ أكثر ملاءمة لهم.

تجمع الدولة الحائزة أسرى الحرب في المعسكرات أو أقسام المعسكرات تبعاً لجنسياتهم ولغاتهم وعاداتهم، شريطة أن لا يفصل هؤلاء الأسرى عن أسرى الحرب التابعين للقوات المسلحة التي كانوا يخدمون فيها عندما أسروا إلا بموافقتهم.

## المادة 23

لا يجوز في أي وقت كان إرسال أي أسير حرب إلى منطقة يتعرض فيها لنيران منطقة القتال، أو إبقاؤه فيها، أو استغلال وجوده لجعل بعض المواقع أو المناطق في مأمّن من العمليات الحربية.

يجب أن توفر لأسرى الحرب، بقدر مماثل لما يوفر للسكان المدنيين المحليين، ملاجئ للوقاية من الغارات الجوية وأخطار الحرب الأخرى، ويمكنهم -باستثناء المكلفين منهم بوقاية مأويهم من الأخطار المذكورة- أن يتوجهوا إلى المخابئ بأسرع ما يمكن بمجرد إعلان الإنذار بالخطر. وبطبق عليهم أي إجراء آخر من إجراءات الوقاية يتخذ لمصلحة الأهالي.

تبادل الدول الحائزة، عن طريق الدول الحامية، جميع المعلومات المفيدة عن الموقع الجغرافي لمعسكرات أسرى الحرب.

كلما سمحت الاعتبارات الحربية، تميز معسكرات أسرى الحرب نهاريًا بالحروف PW أو PG1، التي توضع بكيفية تجعلها مرئية بوضوح من الجو. علي أنه يمكن للدول المعنية أن تتفق علي أية وسيلة أخرى لتمييزها. ولا تميز بهذه الكيفية إلا معسكرات أسرى الحرب.

## المادة 24

تجهز المعسكرات الانتقالية أو معسكرات الفرز التي لها طابع الدوام في أوضاع مماثلة

للأوضاع المنصوص عنها في هذا القسم، ويفيد الأسرى فيها من نفس نظام المعسكرات الأخرى.

## الفصل الثاني: مأوى وغذاء وملبس أسرى الحرب

### المادة 25

توفر في مأوى أسرى الحرب ظروف ملائمة مماثلة لما يوفر لقوات الدولة الحاجزة المقيمة في المنطقة ذاتها. وتراعي في هذه الظروف عادات وتقاليد الأسرى، ويجب ألا تكون ضارة بصحتهم بأي حال.

وتنطبق الأحكام المتقدمة على الأخص على مهاجع أسرى الحرب، سواء من حيث مساحتها الكلية والحد الأدنى لكمية الهواء التي تتخللها أو من حيث المرافق العامة والفراش، بما في ذلك الأغذية.

ويجب أن تكون الأماكن المخصصة للاستعمال الفردي أو الجماعي لأسرى الحرب محمية تماما من الرطوبة، ومدفأة ومضاءة بقدر كاف، وعلى الأخص في الفترة بين الغسق وإطفاء الإضاءة. وتتخذ جميع الاحتياجات لمنع أخطار الحريق.

وفي جميع المعسكرات التي تقيم فيها أسيرات حرب مع أسرى في الوقت نفسه، تخصص لهن مهاجع منفصلة.

### المادة 26

تكون جريات الطعام الأساسية اليومية كافية من حيث كميتها ونوعيتها وتنوعها لتكفل المحافظة على صحة أسرى الحرب في حالة جيدة ولا تعرضهم لنقص الوزن أو اضطرابات العوز الغذائي. ويراعي كذلك النظام الغذائي الذي اعتاد عليه الأسرى.

وعلي الدولة الحاجزة أن تزود أسرى الحرب الذين يؤدون أعمالاً بالجزايات الإضافية اللازمة للقيام بالعمل الذي يؤدونه.

ويزود أسرى الحرب بكميات كافية من مياه الشرب. ويسمح لهم باستعمال التبغ.

وبقدر الإمكان، يشترك أسرى الحرب في إعداد وجباتهم، ولهذا الغرض، يمكن استخدامهم المطابخ. وعلاوة على ذلك، يزودون بالوسائل التي تمكنهم من تهيئة الأغذية الإضافية التي في حوزتهم بأنفسهم.

وتعد أماكن مناسبة لتناول الطعام.



ويحظر اتخاذ أي تدابير تأديبية جماعية تمس الغذاء.

## المادة 27

تزود الدولة الحاجزة أسرى الحرب بكميات كافية من الملابس، والملابس الداخلية والأحذية، الملابس لمناخ المنطقة التي يحتجز فيها الأسرى.

وإذا كان ما تستولي عليه الدولة الحاجزة من ملابس عسكرية للقوات المسلحة المعادية مناسباً للمناخ، فإنه يستخدم لكساء أسرى الحرب.

وعلى الدولة الحاجزة مراعاة استبدال وتصليح الأشياء سلفة الذكر بانتظام.

وعلاوة على ذلك، يجب صرف الملابس المناسبة للأسرى الذين يؤدون أعمالاً، حيثما تستدعي ذلك طبيعة العمل. **المادة 28**

تقام مقاصف (كنتينات) في جميع المعسكرات، يستطيع أن يحصل فيها الأسرى على المواد الغذائية، والصابون، والتبغ، وأدوات الاستعمال اليومي العادية. ويجب ألا تزيد أسعارها على أسعار السوق المحلية.

تستخدم الأرباح التي تحققها مقاصف المعسكرات لصالح الأسرى، وينشأ صندوق خاص لهذا الغرض. ويكون لممثل الأسرى حق الاشتراك في إدارة المقصف وهذا الصندوق.

وعند غلق أحد المعسكرات، يسلم رصيد الصندوق الخاص إلى منظمة إنسانية دولية لاستخدامه لمصلحة أسرى حرب من نفس جنسية الأسرى الذين أسهموا في أموال الصندوق. وفي حالة الإعادة العامة إلى الوطن، تحتفظ الدولة الحاجزة بهذه الأرباح ما لم يتم اتفاق بين الدول المعنية يقضي بغير ذلك.

## الفصل الثالث: الشروط الصحية والرعاية الطبية

### المادة 29

تلتزم الدولة الحاجزة باتخاذ كافة التدابير الصحية الضرورية لتأمين نظافة المعسكرات وملاءمتها للصحة والوقاية من الأوبئة.

يجب أن تتوفر لأسرى الحرب، نهاراً وليلاً، مرافق صحية تستوفي فيها الشروط الصحية وتراعي فيها النظافة الدائمة. وتخصص مرافق منفصلة للنساء في أي معسكرات توجد فيها أسيرات حرب.

ومن ناحية أخرى، وإلى جانب الحمامات والمرشات (الآدشاش) التي يجب أن تزود بها المعسكرات، يزود أسرى الحرب بكميات كافية من الماء والصابون لنظافة أجسامهم وغسل ملابسهم، ويوفر لهم ما يلزم لهذا الغرض من تجهيزات وتسهيلات ووقت.

### المادة 30

توفر في كل معسكر عيادة مناسبة يحصل فيها أسرى الحرب علي ما قد يحتاجون إليه من رعاية، وكذلك علي النظام الغذائي المناسب. وتخصص عند الاقتضاء عنابر لعزل المصابين بأمراض معدية أو عقلية.

أسرى الحرب المصابون بأمراض خطيرة أو الذين تقتضي حالتهم علاجاً خاصاً أو عملية جراحية أو رعاية بالمستشفى، ينقلون إلى أية وحدة طبية عسكرية أو مدنية يمكن معالجتهم فيها، حتى إذا كان من المتوقع إعادتهم إلى وطنهم في وقت قريب. ويجب منح تسهيلات خاصة لرعاية العجزة، والعميان بوجه خاص، ولإعادة تأهيلهم لحين إعادتهم إلى الوطن.

يفضل أن يقوم بعلاج أسرى الحرب موظفون طبيون من الدولة التي يتبعها الأسرى، وإذا أمكن من نفس جنسيتهم.

لا يجوز منع الأسرى من عرض أنفسهم على السلطات الطبية المختصة لفحصهم. وتعطي السلطات الحاجزة لأي أسير عولج شهادة رسمية، بناء علي طلبه، تبين طبيعة مرضه وإصابته، ومدة العلاج ونوعه. وترسل صورة من هذه الشهادة إلى الوكالة المركزية لأسرى الحرب.

تتحمل الدولة الحاجزة تكاليف علاج أسرى الحرب، بما في ذلك تكاليف أي أجهزة لازمة للمحافظة على صحتهم في حالة جيدة، وعلى الأخص الأسنان والتراكيب الاصطناعية الأخرى والنظارات الطبية.

### المادة 31

تجري فحوص طبية لأسرى الحرب مرة واحدة على الأقل في كل شهر. ويشمل الفحص مراجعة وتسجيل وزن كل أسير. والغرض من هذه الفحوص هو علي الأخص مراقبة الحالة العامة لصحة الأسرى وتغذبتهم ونظافتهم، وكشف الأمراض المعدية، ولاسيما التدرن والملاريا (البرداء) والأمراض التناسلية. وتستخدم لهذا الغرض أكثر الطرائق المتاحة فعالية، ومنها التصوير الجموعي الدوري بالأشعة على أفلام مصغرة من أجل كشف التدرن في بدايته.

### المادة 32

يجوز للدولة الحاجزة أن تكلف أسرى الحرب من الأطباء، والجراحين، وأطباء الأسنان، والممرضين أو الممرضات مباشرة مهامهم الطبية لمصلحة أسرى الحرب التابعين لنفس الدولة،

حتى إذا لم يكونوا ملحقين بالخدمات الطبية في قواتهم المسلحة. وفي هذه الحالة يستمر اعتبارهم أسرى حرب ولكنهم يعاملون معاملة أفراد الخدمات الطبية المناظرين الذين تستبقهم الدولة الحاجزة، ويعفون من أداء أي عمل آخر كالمصوص عنه في المادة 49.

## الفصل الرابع: أفراد الخدمات الطبية والدينية

### المستبقون لمساعدة أسرى الحرب

#### المادة 33

أفراد الخدمات الطبية والدينية، الذين تستبقهم الدولة الآسرة لمساعدة أسرى الحرب، لا يعتبرون أسرى حرب. ولهم مع ذلك أن ينتفعوا كحد أدنى بالفوائد والحماية التي تقضي بها هذه الاتفاقية، كما تمنح لهم جميع التسهيلات اللازمة لتقديم الرعاية الطبية والخدمات الدينية للأسرى.

ويواصلون مباشرة مهامهم الطبية والروحية لمصلحة أسرى الحرب الذين يفضل أن يكونوا من التابعين للدولة التي ينتمي إليها الأفراد المذكورون، وذلك في إطار القوانين واللوائح العسكرية للدولة الحاجزة، تحت سلطة خدماتها المختصة ووفقاً لأصول مهنتهم. وينتفعون كذلك بالتسهيلات التالية في ممارسة مهامهم الطبية أو الروحية:

(أ) يصرح لهم بعمل زيارات دورية لأسرى الحرب الموجودين في فصائل العمل أو المستشفيات القائمة خارج المعسكر. ولهذا الغرض، تضع الدولة الحاجزة وسائل الانتقال اللازمة تحت تصرفهم.

(ب) يكون أقدم طبيب عسكري في المعسكر مسؤولاً أمام سلطات المعسكر الحربية عن كل شئ يتعلق بأعمال أفراد الخدمات الطبية المستبقين. وتحقيقاً لهذه الغاية، تتفق أطراف النزاع عند نشوب الأعمال العدائية على موضوع الرتب المناظرة لأفراد الخدمات الطبية، بمن فيهم الأفراد التابعون للجمعيات المنصوص عنها في المادة 26 من اتفاقية جنيف لتحسين حال الجرحى والمرضى بالقوات المسلحة في الميدان، المؤرخة في 12 آب/أغسطس 1949م. ويكون لهذا الطبيب العسكري الأقدم، وكذلك لرجال الدين، الحق في الاتصال بسلطات المعسكر المختصة بشأن جميع المسائل المتعلقة بواجباتهم. وعلى هذه السلطات أن تمنحهم جميع التسهيلات اللازمة لإجراء الاتصالات المتعلقة بتلك المسائل.

(ج) وعلى الرغم من أن هؤلاء الأفراد يخضعون لنظام المعسكر الداخلي المستبقين فيه، فإنهم لا يرغمون على تأدية أي عمل خلاف ما يتعلق بمهامهم الطبية أو الدينية.

وتتفق أطراف النزاع أثناء الأعمال العدائية على إمكان الإفراج عن الأفراد المستبقين وتضع الإجراءات التي تتبع في ذلك.

ولا يعفى أي حكم من الأحكام المتقدمة الدولة الحاجزة من التزاماتها إزاء أسرى الحرب من وجهة النظر الطبية أو الروحية.

### الفصل الخامس: الأنشطة الدينية والذهنية والبدنية

#### المادة 34

تترك لأسرى الحرب حرية كاملة في ممارسة شعائرهم الدينية، بما في ذلك حضور الاجتماعات الدينية الخاصة بعقيدتهم، شريطة أن يراعوا التدابير النظامية المعتادة التي حددتها السلطات الحربية.

**تعد أماكن مناسبة لإقامة الشعائر الدينية.**

#### المادة 35

يسمح لرجال الدين الذين يقعون في أيدي العدو ويبقون أو يستبقون بقصد مساعدة أسرى الحرب، بتقديم المساعدة الدينية وممارسة شعائرهم بحرية بين أسرى الحرب من نفس دينهم وفقاً لعقيدتهم. ويوزعون على مختلف المعسكرات وفصائل العمل التي تضم أسرى حرب يتبعون القوات ذاتها، ويتحدثون نفس لغتهم أو يعتنقون نفس العقيدة. وتوفر لهم التسهيلات اللازمة، بما فيها وسائل الانتقال المنصوص عنها في المادة 33، لزيادة أسرى الحرب الموجودين خارج معسكرهم. ويتمتعون بحرية الاتصال فيما يختص بالأمر التي تتعلق بواجباتهم الدينية مع السلطات الدينية في بلد الاحتجاز والمنظمات الدينية الدولية، شريطة خضوع المراسلات للمراقبة. وتكون الرسائل والبطاقات التي قد يرسلونها لهذا الغرض إضافة إلى الحصة المنصوص عنها في المادة 71.

#### المادة 36

لأسرى الحرب الذين يكونون من الدينيين، دون أن يكونوا معينين كرجال دين في قواتهم المسلحة، أن يمارسوا شعائرهم بحرية بين أعضاء جماعتهم، أيا كانت عقيدتهم. ولهذا الغرض، يعاملون نفس معاملة رجال الدين المستبقين بواسطة الدولة الحاجزة، ولا يرغمون على تأدية أي عمل آخر.

#### المادة 37

عندما لا تتوفر لأسرى الحرب خدمات رجل دين مستبقي أو أسير حرب من رجال دينهم،

يعين بناء على طلب الأسرى للقيام بهذا الواجب رجل دين ينتمي إلى عقيدتهم أو إلى عقيدة مشابهة لها، وإذا لم يوجد، فأحد العلمانيين المؤهلين، إذا كان ذلك ممكناً من وجهة النظر الدينية. ويتم هذا التعيين، الذي يخضع لموافقة الدولة الحائزة، بالاتفاق مع طائفة الأسرى المعنيين، وإذا لزم الأمر بموافقة السلطات الدينية المحلية من المذهب نفسه. وعلى الشخص الذي يعين بهذه الكيفية مراعاة جميع اللوائح التي وضعتها الدولة الحائزة لمصلحة النظام والأمن العسكري.

#### المادة 38

مع مراعاة الأفضليات الشخصية لكل أسير، تشجع الدولة الحائزة الأسرى على ممارسة الأنشطة الذهنية، والتعليمية، والترفيهية والرياضية، وتتخذ التدابير الكفيلة بضمان ممارستها، بتوفير الأماكن الملائمة والأدوات اللازمة لهم.

وتوفر لأسرى الحرب فرص القيام بالتمارين الرياضية، بما في ذلك الألعاب والمسابقات والخروج إلى الهواء الطلق. وتخصص مساحات فضاء كافية لهذا الغرض في جميع المعسكرات.

### الفصل السادس: النظام

#### المادة 39

يوضع كل معسكر لأسرى الحرب تحت السلطة المباشرة لضابط مسؤول يتبع القوات المسلحة النظامية للدولة الحائزة. ويحتفظ هذا الضابط بنسخة من هذه الاتفاقية، وعليه أن يتأكد من أن أحكامها معروفة لموظفي المعسكر والحراس، ويكون مسؤولاً عن تطبيقها تحت إشراف حكومته.

على أسرى الحرب، باستثناء الضابط، أن يؤدوا التحية لجميع ضباط الدولة الحائزة وأن يقدموا لهم مظاهر الاحترام التي تقضي بها اللوائح السارية في جيوشهم.

ولا يؤدي الضباط الأسرى التحية إلا لضباط الرتب الأعلى في الدولة الحائزة. غير أنه يتعين أداء التحية لقائد المعسكر أياً كانت رتبته.

#### المادة 40

يسمح بحمل شارات الرتب والجنسية وكذلك الأوسمة.

#### المادة 41

يعلن في كل معسكر نص هذه الاتفاقية وملاحقها وأي اتفاق خاص مما تنص عليه المادة

6، بلغة أسرى الحرب، في أماكن يمكن فيها لجميع الأسرى الرجوع إليها. وتسلم نسخ منها للأسرى الذين لا يستطيعون الوصول إلى النسخة المعلنة، بناء على طلبهم.

تبلغ جميع أنواع اللوائح والأوامر والإعلانات والنشرات المتعلقة بسلوك أسرى الحرب بلغة يفهمونها، وتعلن بالكيفية الموصوفة آنفاً، وتسلم نسخ منها لمندوب الأسرى. وكل أمر أو طلب يوجه بصورة فردية لأسرى الحرب يجب كذلك أن يصدر إليهم بلغة يفهمونها.

#### المادة 42

يعتبر استخدام الأسلحة ضد أسرى الحرب، وبخاصة ضد الهاربين أو الذين يحاولون الهرب وسيلة أخيرة يجب أن يسبقها دائماً إنذارات مناسبة للظروف.

### الفصل السابع: رتب أسرى الحرب

#### المادة 43

تتبادل أطراف النزاع عند نشوب الأعمال العدائية الإبلاغ عن ألقاب ورتب جميع الأشخاص المذكورين في المادة 4 من هذه الاتفاقية، بغية ضمان المساواة في المعاملة بين الأسرى من الرتب المتماثلة، وفي حالة إنشاء ألقاب ورتب فيما بعد، فإنها تبلغ بطريقة مماثلة.

وتعترف الدولة الحائزة بالترقيات التي تمنح لأسرى الحرب والتي تبلغها بها الدولة التي ينتمي إليها الأسرى علي النحو الواجب.

#### المادة 44

يعامل أسرى الحرب من الضباط ومن في حكمهم بالاعتبار الواجب لرتبهم وسنهم.

ولتأمين خدمة معسكرات الضباط، يلحق بها عدد كاف من الجنود الأسرى من نفس قواتهم المسلحة، ويقدر الإمكان ممن يتكلمون نفس لغتهم، مع مراعاة رتب الضباط ومن في حكمهم من الأسرى، ولا يكلف هؤلاء الجنود بتأدية أي عمل آخر.

ويجب بكل وسيلة تيسير إدارة مطعم الضباط بواسطة الضباط أنفسهم.

#### المادة 45

يعامل أسرى الحرب الآخرون بخلاف الضباط ومن في حكمهم بالاعتبار الواجب لرتبهم وسنهم.

ويجب بكل وسيلة تيسير إدارة المطعم بواسطة الأسرى أنفسهم.

## الفصل الثامن: نقل أسرى الحرب بعد وصولهم إلى المعسكر

### المادة 46

عندما تقرر الدولة الحاجزة نقل أسرى الحرب يجب أن تراعي مصلحة الأسرى أنفسهم، وذلك على الأخص لعدم زيادة مصاعب إعادتهم إلى الوطن.

ويجب أن يجري نقل أسرى الحرب دائماً بكيفية إنسانية وفي ظروف لا تقل ملاءمة عن ظروف انتقال قوات الدولة الحاجزة. ويجب أن تؤخذ في الاعتبار دائماً الظروف المناخية التي اعتاد عليها الأسرى، ويجب ألا تكون ظروف نقلهم ضارة بصحتهم بأي حال.

على الدولة الحاجزة أن تزود أسرى الحرب أثناء النقل بمياه الشرب والطعام بكميات كافية تكفل المحافظة عليهم في صحة جيدة، وكذلك بما يلزم من ملابس ومسكن ورعاية طبية. وتتخذ الدولة الحاجزة الاحتياطات المناسبة، وبخاصة في حالة السفر بالبحر أو الجو لضمان سلامتهم أثناء النقل، وتعد قبل رحيلهم قائمة كاملة بأسماء الأسرى المرشحين.

### المادة 47

يجب ألا ينقل المرضى أو الجرحى من أسرى الحرب إذا كانت الرحلة تعرض شفاءهم للخطر، ما لم تكن سلامتهم تحتم هذا النقل.

وإذا كانت منطقة القتال قريبة من أحد المعسكرات وجب عدم نقل أسرى الحرب الموجودين فيه إلا إذا جرى النقل في ظروف أمن ملاءمة أو كان بقاؤهم في مكانهم يعرضهم إلى مخاطر أشد مما لو نقلوا منه.

### المادة 48

في حالة النقل، يخطر الأسرى رسمياً برحيلهم وبعنوانهم البريدي الجديد، ويبلغ لهم هذا الإخطار قبل الرحيل بوقت كاف ليتسنى لهم حزم أمتعتهم وإبلاغ عائلاتهم.

ويسمح لهم بحمل أمتعتهم الشخصية والمراسلات والطرود التي تكون قد وصلتهم، ويمكن تحديد وزن هذه الأمتعة إذا اقتضت ظروف النقل ذلك بكمية معقولة يستطيع الأسير نقلها بحيث لا يتجاوز الوزن المسموح به بأي حال خمسة وعشرين كيلوغراماً.

وتسلم لهم المراسلات والطرود المرسلة إلى معسكرهم السابق دون إبطاء، ويتخذ قائد المعسكر بالاتفاق مع ممثل الأسرى الإجراءات الكفيلة بضمان نقل مهمات الأسرى المشتركة والأمتعة التي لا يستطيعون حملها معهم بسبب التحديد المقرر بموجب الفقرة الثانية من هذه المادة.



تتحمل الدولة الحاجزة تكاليف عمليات النقل.

#### المادة 64

تحتفظ الدولة الحاجزة بحساب لكل أسير تسجل به البيانات التالية على الأقل:

1. المبالغ المستحقة للأسير أو التي تصرف له كمقدمات من راتبه أو أجور عمل أو بأي صفة أخرى، المبالغ التي تسحب من الأسير بعملة الدولة الحاجزة، والمبالغ التي تسحب من الأسير وتحويل بناء على طلبه إلى عملة الدولة المذكورة.
2. المبالغ التي تصرف للأسير نقداً أو بأي شكل آخر مماثل، والمبالغ التي تدفع نيابة عنه وبناء على طلبه، المبالغ المحولة طبقاً للفقرة الثالثة من المادة السابقة.

#### المادة 143

يسجل مجلس الاتحاد السويسري هذه الاتفاقية لدى الأمانة العامة للأمم المتحدة. ويخطر مجلس الاتحاد السويسري الأمانة العامة للأمم المتحدة كذلك بأي تصديقات أو إنضمامات أو إنسحابات يتلقاها بصدد هذه الاتفاقية.

إثباتاً لذلك، قام الموقعون أدناه، الذين أودعوا وثائق تفويضهم، بتوقيع هذه الاتفاقية.

حرر في جنيف، في هذا اليوم الثاني عشر من آب/أغسطس 1949م باللغتين الإنجليزية والفرنسية، ويودع الأصل في محفوظات الاتحاد السويسري. ويرسل مجلس الاتحاد السويسري صوراً مصدقة من الاتفاقية إلى جميع الدول الموقعة، وكذلك إلى الدول التي تنضم إلى الاتفاقية<sup>(689)</sup>.

## الجزء الأول من اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب

### المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة

اعتمدت وعرضت للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة

للأمم المتحدة 39/46 المؤرخ في 10 كانون الأول/ديسمبر 1984م

تاريخ بدء النفاذ: 26 حزيران/يونيه 1987، وفقا لأحكام المادة 27 (1)

إن الدول الأطراف في هذه الاتفاقية، إذ ترى أن الاعتراف بالحقوق المتساوية وغير القابلة للتصرف، لجميع أعضاء الأسرة البشرية هو، وفقا للمبادئ المعلنة في ميثاق الأمم المتحدة، أساس الحرية والعدل والسلم في العالم، وإذ تدرك أن هذه الحقوق تستمد من الكرامة المتأصلة للإنسان، وإذ تضع في اعتبارها الواجب الذي يقع على عاتق الدول بمقتضى الميثاق، وبخاصة بموجب المادة 55 منه، بتعزيز احترام حقوق الإنسان وحياته الأساسية، ومراعاتها على مستوى العالم.

ومراعاة منها للمادة 5 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمادة 7 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، وكلتاهما تنص على عدم جواز تعرض أحد للتعذيب أو المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة.

ومراعاة منها أيضا لإعلان حماية جميع الأشخاص من التعرض للتعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة، الذي اعتمده الجمعية العامة في 9 كانون الأول/ديسمبر 1975م، ورغبة منها في زيادة فعالية النضال ضد التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية في العالم قاطبة.

اتفقت على ما يلي:

### الجزء الأول

#### المادة 1

1. لأغراض هذه الاتفاقية، يقصد «بالتعذيب» أي عمل ينتج عنه ألم أو عذاب شديد، جسديا كان أم عقليا، يلحق عمدا بشخص ما بقصد الحصول من هذا الشخص، أو من شخص ثالث،

على معلومات أو على اعتراف، أو معاقبته على عمل ارتكبه أو يشتهب في أنه ارتكبه، هو أو شخص ثالث أو تخويله أو إرغامه هو أو أي شخص ثالث - أو عندما يلحق مثل هذا الألم

أو العذاب لأي سبب من الأسباب يقوم على التمييز أياً كان نوعه، أو يحرض عليه أو يوافق عليه أو يسكت عنه موظف رسمي أو أي شخص آخر يتصرف بصفته الرسمية. ولا يتضمن ذلك الألم أو العذاب الناشئ فقط عن عقوبات قانونية أو الملزم لهذه العقوبات أو الذي يكون نتيجة عرضية لها.

2. لا تخل هذه المادة بأي صك دولي أو تشريع وطني يتضمن أو يمكن أن يتضمن أحكاماً ذات تطبيق أشمل.

## المادة 2

1. تتخذ كل دولة طرف إجراءات تشريعية أو إدارية أو قضائية فعالة أو أية إجراءات أخرى لمنع أعمال التعذيب في أي إقليم يخضع لاختصاصها القضائي.

2. لا يجوز التذرع بأية ظروف استثنائية أياً كانت، سواء أكانت هذه الظروف حالة حرب أو تهديداً بالحرب أو عدم استقرار سياسي داخلي أو أية حالة من حالات الطوارئ العامة الأخرى كمبرر للتعذيب.

3. لا يجوز التذرع بالأوامر الصادرة عن موظفين أعلى مرتبة أو عن سلطة عامة كمبرر للتعذيب.

## المادة 3

1. لا يجوز لأية دولة طرف أن تطرد أي شخص أو أن تعيده («أن ترده») أو أن تسلمه إلى دولة أخرى، إذا توافرت لديها أسباب حقيقية تدعو إلى الاعتقاد بأنه سيكون في خطر التعرض للتعذيب.

2. تراعى السلطات المختصة لتحديد ما إذا كانت هذه الأسباب متوافرة، جميع الاعتبارات ذات الصلة، بما في ذلك، في حالة الانطباق، وجود نمط ثابت من الانتهاكات الفادحة أو الصارخة أو الجماعية لحقوق الإنسان في الدولة المعنية.

## المادة 4

1. تضمن كل دولة طرف أن تكون جميع أعمال التعذيب جرائم بموجب قانونها الجنائي، وينطبق الأمر ذاته على قيام أي شخص بأية محاولة لممارسة التعذيب وعلى قيامه بأي عمل آخر يشكل تواطؤاً ومشاركة في التعذيب.

2. تجعل كل دولة طرف هذه الجرائم مستوجبة للعقاب بعقوبات مناسبة تأخذ في الاعتبار طبيعتها الخطيرة.

## المادة 5

1. تتخذ كل دولة طرف ما يلزم من الإجراءات لإقامة ولايتها القضائية على الجرائم المشار إليها في المادة 4 في الحالات التالية:

(أ) عند ارتكاب هذه الجرائم في أي إقليم يخضع لولايتها القضائية أو على ظهر سفينة أو على متن طائرة مسجلة في تلك الدولة،

(ب) عندما يكون مرتكب الجريمة المزعوم من مواطني تلك الدولة،

(ج) عندما يكون المعتدى عليه من مواطني تلك الدولة، إذا اعتبرت تلك الدولة ذلك مناسباً.

2. تتخذ كل دولة طرف بالمثل ما يلزم من الإجراءات لإقامة ولايتها القضائية على هذه الجرائم في الحالات التي يكون فيها مرتكب الجريمة المزعوم موجوداً في أي إقليم يخضع لولايتها القضائية ولا تقوم بتسليمه عملاً بالمادة 8 إلى أية دولة من الدول التي ورد ذكرها في الفقرة 1 من هذه المادة.

3. لا تستثنى هذه الاتفاقية أي ولاية قضائية جنائية تمارس وفقاً للقانون الداخلي.

## المادة 6

1. تقوم أي دول طرف، لدى اقتناعها، بعد دراسة المعلومات المتوفرة لها، بأن الظروف تبرر احتجاز شخص موجود في أراضيها يدعى أنه اقترف جرماً مشاراً إليه في المادة 4 باحتجازه أو تتخذ أية إجراءات قانونية أخرى لضمان وجوده فيها. ويكون الاحتجاز والإجراءات القانونية الأخرى مطابقة لما ينص عليه قانون تلك الدولة على ألا يستمر احتجاز الشخص إلا للمدة اللازمة للمكثين من إقامة أي دعوى جنائية أو من اتخاذ أي إجراءات لتسليمه.

2. تقوم هذه الدولة فوراً بإجراء التحقيق الأولي فيما يتعلق بالوقائع.

3. تتم مساعدة أي شخص محتجز وفقاً للفقرة 1 من هذه المادة على الاتصال فوراً بأقرب ممثل مختص للدولة التي هو من مواطنيها، أو بممثل الدولة التي يقيم فيها عادة إن كان بلا جنسية.

4. لدى قيام دولة ما، عملاً بهذه المادة، باحتجاز شخص ما، تخطر على الفور الدول المشار إليها في الفقرة 1 من المادة 5، باحتجاز هذا الشخص وبالظروف التي تبرر اعتقاله. وعلى الدولة التي تجرى التحقيق الأولي الذي تتوخاه الفقرة 2 من هذه المادة أن ترفع فوراً ما توصلت إليه من النتائج إلى الدول المذكورة مع الإفصاح عما إذا كان في نيتها ممارسة ولايتها القضائية.

## المادة 7

1. تقوم الدولة الطرف التي يوجد في الإقليم الخاضع لولايتها القضائية شخص يدعى ارتكابه لأى من الجرائم المنصوص عليها في المادة 4 في الحالات التي تتوخاها المادة 5، بعرض القضية على سلطاتها المختصة بقصد تقديم الشخص للمحاكمة، إذا لم تقم بتسليمه.
2. تتخذ هذه السلطات قرارها بنفس الأسلوب الذي تتبعه في حالة ارتكاب أية جريمة عادية ذات طبيعة خطيرة بموجب قانون تلك الدولة. وفي الحالات المشار إليها في الفقرة 2 من المادة 5 ينبغي ألا تكون معايير الأدلة المطلوبة للمقاضاة والإدانة بأي حال من الأحوال أقل صرامة من تلك التي تنطبق في الحالات المشار إليها في الفقرة 1 من المادة 5.
3. تكفل المعاملة العادلة في جميع مراحل الإجراءات القانونية لأي شخص تتخذ ضده تلك الإجراءات فيما يتعلق بأي من الجرائم المشار إليها في المادة 4.

## المادة 8

1. تعتبر الجرائم المشار إليها في المادة 4 جرائم قابلة لتسليم مرتكبيها في أية معاهدة لتسليم المجرمين تكون قائمة بين الدول الأطراف. وتتعهد الدول الأطراف بإدراج هذه الجرائم كجرائم قابلة لتسليم مرتكبيها في كل معاهدة تسليم تبرم بينها.
2. إذا تسلمت دولة طرف طلبا للتسليم من دولة لا تربطها بها معاهدة لتسليم المجرمين، وكانت الدولة الأولى تجعل التسليم مشروطا بوجود معاهدة لتسليم المجرمين، يجوز لهذه الدولة اعتبار هذه الاتفاقية أساسا قانونيا للتسليم فيما يختص بمثل هذه الجرائم. ويخضع التسليم للشروط الأخرى المنصوص عليها في قانون الدولة التي يقدم إليها طلب التسليم.
3. تعترف الدول الأطراف التي لا تجعل التسليم مرهونا بوجود معاهدة بأن هذه الجرائم قابلة لتسليم مرتكبيها فيما بينها طبقا للشروط المنصوص عليها في قانون الدولة التي يقدم إليها طلب التسليم.
4. وتتم معاملة هذه الجرائم، لأغراض التسليم بين الدول الأطراف، كما لو أنها اقتصرت لا في المكان الذي حدث فيه فحسب، بل أيضا في أراضى الدول المطالبة بإقامة ولايتها القضائية طبقا للفقرة 1 من المادة 5.

## المادة 9

1. على كل دولة طرف أن تقدم إلى الدول الأطراف الأخرى أكبر قدر من المساعدة فيما يتعلق بالإجراءات الجنائية المتخذة بشأن أي من الجرائم المشار إليها في المادة 4، بما في ذلك توفير جميع الأدلة الموجودة في حوزتها واللازمة للإجراءات.

2. تنفذ الدول الأطراف التزاماتها بمقتضى الفقرة 1 من هذه المادة وفقا لما قد يوجد بينها من معاهدات لتبادل المساعدة القضائية.

#### المادة 10

1. تضمن كل دولة إدراج التعليم والإعلام فيما يتعلق بحظر التعذيب على الوجه الكامل في برامج تدريب الموظفين المكلفين بإنفاذ القوانين، سواء أكانوا من المدنيين أو العسكريين، والعمالين في ميدان الطب، والموظفين العموميين أو غيرهم ممن قد تكون لهم علاقة باحتجاز أي فرد معرض لأي شكل من أشكال التوقيف أو الاعتقال أو السجن أو باستجواب هذا الفرد أو معاملته.

2. تضمن كل دولة طرف إدراج هذا الحظر في القوانين والتعليمات التي يتم إصدارها فيما يختص بواجبات ووظائف مثل هؤلاء الأشخاص.

#### المادة 11

تبقى كل دولة قيد الاستعراض المنظم قواعد الاستجواب، وتعليماته وأساليبه وممارساته، وكذلك الترتيبات المتعلقة بحجز ومعاملة الأشخاص الذين يتعرضون لأي شكل من أشكال التوقيف أو الاعتقال أو السجن في أي إقليم يخضع لولايتها القضائية، وذلك بقصد منع حدوث أي حالات تعذيب.

#### المادة 12

تضمن كل دولة طرف قيام سلطاتها المختصة بإجراء تحقيق سريع ونزيه كلما وجدت أسباب معقولة تدعو إلى الاعتقاد بأن عملا من أعمال التعذيب قد ارتكب في أي من الأقاليم الخاضعة لولايتها القضائية.

#### المادة 13

تضمن كل دولة طرف لأي فرد يدعى بأنه قد تعرض للتعذيب في أي إقليم يخضع لولايتها القضائية، الحق في أن يرفع شكوى إلى سلطاتها المختصة وفي أن تنتظر هذه السلطات في حالته على وجه السرعة وبنزاهة. وينبغي اتخاذ الخطوات اللازمة لضمان حماية مقدم الشكوى والشهود من كافة أنواع المعاملة السيئة أو التخويف نتيجة لشكواه أو لأي أدلة تقدم.

#### المادة 14

1. تضمن كل دولة طرف، في نظامها القانوني، إنصاف من يتعرض لعمل من أعمال التعذيب وتمتعته بحق قابل للتنفيذ في تعويض عادل ومناسب بما في ذلك وسائل إعادة تأهيله على

أكمل وجه ممكن، وفي حالة وفاة المعتدى عليه نتيجة لعمل من أعمال التعذيب، يكون للأشخاص الذين كان يعولهم الحق في التعويض.

2. ليس في هذه المادة ما يمس أي حق للمعتدى عليه أو لغيره من الأشخاص فيما قد يوجد من تعويض بمقتضى القانون الوطني.

## المادة 15

تضمن كل دولة طرف عدم الاستشهاد بأية أقوال يثبت أنه تم الإدلاء بها نتيجة للتعذيب، كدليل في أية إجراءات، إلا إذا كان ذلك ضد شخص متهم بارتكاب التعذيب كدليل على الإدلاء بهذه الأقوال.

## المادة 16

1. تتعهد كل دولة طرف بأن تمنع، في أي إقليم يخضع لولايتها القضائية حدوث أي أعمال أخرى من أعمال المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة التي لا تصل إلى حد التعذيب كما حددته المادة 1، عندما يرتكب موظف عمومي أو شخص آخر يتصرف بصفة رسمية هذه الأعمال أو يحرض على ارتكابها، أو عندما تتم موافقته أو بسكوته عليها. وتنطبق بوجه خاص الالتزامات الواردة في المواد 10، 11، 12، 13 وذلك بالاستعاضة عن الإشارة إلى التعذيب بالإشارة إلى غيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة.<sup>(690)</sup>

2. لا تخل أحكام هذه الاتفاقية بأحكام أي صك دولي آخر أو قانون وطني يحظر المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة أو يتصل بتسليم المجرمين أو طردهم.<sup>(691)</sup>

(690) حقوق الإنسان: مجموعة صكوك دولية، المجلد الأول، الأمم المتحدة، نيويورك، 1993، رقم المبيع-A.94.XIV.

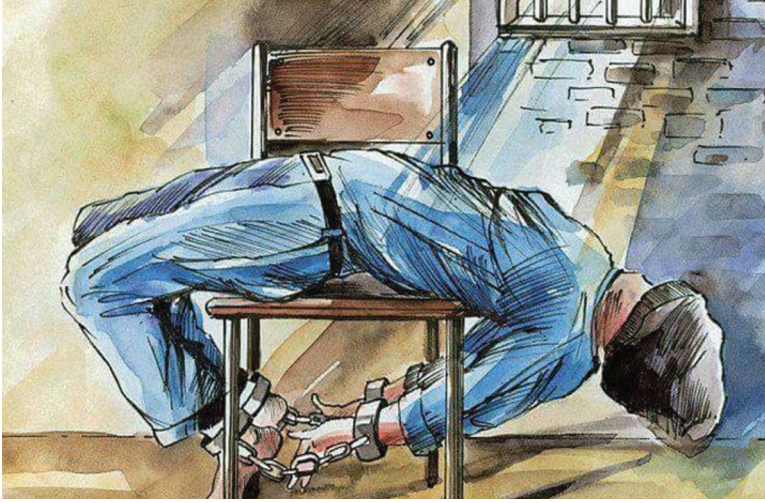
Vol.1, Part 1، ص 409.

(691) مكتب حقوق الانسان: <https://www1.umn.edu/humanrts/arab/b039.html>



## من أشكال التعذيب للأسرى الغلسطينيين في السجون الإسرائيلية

شكل رقم: 1



شكل رقم: 2



شکل رقم: 3



شکل رقم: 4



# نص وثيقة الأسرى الفلسطينيين للفواق الوطني

مايو / أيار 2006

بسم الله الرحمن الرحيم

«واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا»

انطلاقا من الشعور العالي بالمسؤولية الوطنية والتاريخية ونظرا للمخاطر المحدقة بشعبنا، وفي سبيل تعزيز الجبهة الفلسطينية الداخلية وصيانة وحماية الوحدة الوطنية ووحدة شعبنا في الوطن والمنافي، ومن أجل مواجهة المشروع الإسرائيلي الهادف لفرض الحل الإسرائيلي، ونسف حلم شعبنا وحق شعبنا في إقامة دولته الفلسطينية المستقلة الكاملة السيادة، هذا المشروع والمخطط الذي تنوي الحكومة الإسرائيلية تنفيذه خلال المرحلة القادمة تأسيسا على إقامة واستكمال الجدار العنصري وتهويد القدس وتوسيع المستوطنات الإسرائيلية والاستيلاء على الأغوار وضم أجزاء واسعة من الضفة الغربية وإغلاق الباب أمام شعبنا في ممارسة حقه في العودة.

ومن أجل المحافظة على منجزات ومكتسبات شعبنا التي حققها من خلال مسيرة كفاحه الطويل ووفاء لشهداء شعبنا العظيم وعذابات أسراه وأنات جرحاه، وانطلاقا من أننا ما زلنا نمر في مرحلة تحرر طابعها الأساسي وطني ديمقراطي مما يفرض إستراتيجية سياسية كفاحية متناسبة مع هذا الطابع.

ومن أجل إنجاح الحوار الوطني الفلسطيني الشامل، واستنادا إلى إعلان القاهرة والحاجة الملحة للوحدة والتلاحم، فإننا نتقدم بهذه الوثيقة (وثيقة الوفاق الوطني) لشعبنا العظيم الصامد المرابط، وإلى الرئيس محمود عباس أبو مازن، وقيادة منظمة التحرير الوطني الفلسطيني، وإلى رئيس الحكومة إسماعيل هنية ومجلس الوزراء، وإلى رئيس المجلس الوطني الفلسطيني وأعضائه، ورئيس المجلس التشريعي الفلسطيني وأعضائه، وإلى كافة القوى والفصائل الفلسطينية، وإلى كافة المؤسسات والمنظمات الأهلية والشعبية، وقيادة الرأي العام الفلسطيني في الوطن والمنافي، أملين اعتبار هذه الوثيقة كلا متكاملًا وأن تلقى دعم ومساندة وموافقة الجميع وتساهم بشكل أساسي في التوصل إلى وثيقة الوفاق الوطني الفلسطيني:

1- إن الشعب الفلسطيني في الوطن والمنافي يسعى من أجل تحرير أرضه وإنجاز حقه في الحرية والعودة والاستقلال وفي سبيل حقه في تقرير مصيره بما في ذلك حقه في إقامة دولته المستقلة وعاصمتها مدينة القدس الشريف على جميع الأراضي المحتلة عام 1967م، وضمان حق العودة للاجئين، وتحرير جميع الأسرى والمعتقلين، مستندين في ذلك إلى حق شعبنا

التاريخي في أرض الآباء والأجداد، وإلى ميثاق الأمم المتحدة، والقانون الدولي، وما كفلته الشرعية الدولية.

2- الإسراع في إنجاز ما تم الاتفاق عليه في القاهرة في مارس/آذار 2005م فيما يتعلق بتطوير وتفعيل منظمة التحرير الفلسطينية وانضمام حركتي حماس والجهاد الإسلامي إليها بوصفها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني في كافة أماكن تواجده، وبما يتلاءم مع المتغيرات على الساحة الفلسطينية وفق أسس ديمقراطية، ولتكريس حقيقة تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد لشعبنا، وبما يعزز قدرة منظمة التحرير في القيام والنهوض بمسؤولياتها في قيادة شعبنا في الوطن والمناقي وفي تعبئته والدفاع عن حقوقه الوطنية والسياسية والإنسانية في مختلف الدوائر والمحافل والمجالات الدولية والإقليمية. وأن المصلحة الوطنية تقتضي تشكيل مجلس وطني جديد قبل نهاية عام 2006 مبما يضمن تمثيل جميع القوى والفصائل والأحزاب الوطنية والإسلامية وتجمعات شعبنا في كل مكان وكافة القطاعات والمؤسسات والفعاليات والشخصيات على أساس نسبي في التمثيل والحضور والفاعلية النضالية والسياسية والاجتماعية والجمهيرية والحفاظ على منظمة التحرير الفلسطينية إطاراً جبهوياً عريضاً وائتلافياً وطنياً شاملاً وإطاراً وطنياً جامعاً للفلسطينيين في الوطن والمناقي، ومرجعية سياسية عليا.

3- حق الشعب الفلسطيني في المقاومة والتمسك بخيار المقاومة بمختلف الوسائل، وتركيز المقاومة في الأراضي المحتلة عام 67 إلى جانب العمل السياسي والتفاوضي والدبلوماسي والاستمرار في المقاومة الشعبية الجماهيرية ضد الاحتلال بمختلف أشكاله ووجوده وسياساته، والاهتمام بتوسيع مشاركة مختلف الفئات والجهات والقطاعات وجماهير شعبنا في هذه المقاومة الشعبية.

4- وضع خطة فلسطينية للتحرك السياسي الشامل وتوحيد الخطاب السياسي الفلسطيني على أساس برنامج الإجماع الوطني الفلسطيني والشرعية العربية وقرارات الشرعية الدولية المنصفة لشعبنا تمثلها منظمة التحرير والسلطة الوطنية رئيساً وحكومة، والفصائل الوطنية والإسلامية، ومنظمات المجتمع المدني والشخصيات والفعاليات العامة، من أجل استحضار وتعزيز وحشد الدعم العربي والإسلامي والدولي السياسي والمالي والاقتصادي والإنساني لشعبنا وسلطتنا الوطنية، ودعم لحق شعبنا في تقرير المصير والحرية والعودة والاستقلال ولمواجهة خطة إسرائيل في فرض الحل الإسرائيلي على شعبنا ولمواجهة الحصار الظالم علينا.

5- حماية وتعزيز السلطة الوطنية الفلسطينية باعتبارها نواة الدولة القادمة، هذه السلطة التي شيدها شعبنا بكفاحه وتضحياته ودماء وعذابات أبنائه، وإن المصلحة الوطنية العليا تقتضي احترام الدستور المؤقت للسلطة والقوانين المعمول بها واحترام مسؤوليات وصلاحيات الرئيس المنتخب لإرادة الشعب الفلسطيني بانتخابات حرة ديمقراطية ونزيهة، واحترام



مسؤوليات وصلاحيات الحكومة التي منحها المجلس التشريعي الثقة. وأهمية وضرة التعاون الخلاق بين الرئاسة والحكومة والعمل المشترك وعقد الاجتماعات الدورية بينهما لتسوية أية خلافات بالحوار الأخوي استنادا إلى الدستور المؤقت والمصلحة الوطنية العليا وضرورة إجراء إصلاح شامل في مؤسسات السلطة الوطنية وخاصة الجهاز القضائي، واحترام القضاء بكافة مستوياته وتنفيذ قراراته وتعزيز وتكريس سيادة القانون.

6- تشكيل حكومة وحدة وطنية على أساس يضمن مشاركة كافة الكتل البرلمانية، وبخاصة حركتي فتح وحماس والقوى السياسية الراجعة على قاعدة هذه الوثيقة وبرنامج مشترك للنهوض بالوضع الفلسطيني محليا وعربيا وإقليميا ودوليا، ومواجهة التحديات بحكومة وطنية قوية تحظى بالدعم الشعبي والسياسي الفلسطيني من جميع القوى، وكذلك بالدعم العربي والدولي وتتمكن من تنفيذ برنامج الإصلاح ومحاربة الفقر والبطالة، وتقديم أفضل رعاية ممكنة للفئات التي تحملت أعباء الصمود والمقاومة والانتفاضة وكانت ضحية للعدوان الإجرامي الإسرائيلي وبخاصة أسر الشهداء والأسرى والجرحى وأصحاب البيوت والممتلكات التي دمرها الاحتلال وكذلك العاطلين عن العمل والخريجين.

7- إن إدارة المفاوضات هي من صلاحية «م. ت. ف.» ورئيس السلطة الوطنية على قاعدة التمسك بالأهداف الوطنية الفلسطينية وتحقيقها على أن يتم عرض أي اتفاق مصري على المجلس الوطني الفلسطيني الجديد للتصديق عليه أو إجراء استفتاء عام حيث ما أمكن.

8- تحرير الأسرى والمعتقلين واجب وطني مقدس يجب أن تقوم به وبكافة الوسائل القوى والفصائل الوطنية والإسلامية و«م. ت. ف.» والسلطة الوطنية رئيسا وحكومة والتشريعي وكافة التشكيلات المقاومة.

9- ضرورة العمل ومضاعفة الجهد لدعم ومساندة ورعاية اللاجئين والدفاع عن حقوقهم والعمل على عقد مؤتمر شعبي تمثيلي للاجئين ينشق عن هيئات متابعة وظيفته التأكيد على حق العودة والتمسك به ودعوة المجتمع الدولي لتنفيذ القرار 194 القاضي بحق العودة للاجئين وتعويضهم.

10- العمل على تشكيل جبهة مقاومة موحدة باسم جبهة المقاومة الفلسطينية، لقيادة وخوض المقاومة ضد الاحتلال وتوحيد وتنسيق العمل والفعل للمقاومة وتشكيل مرجعية سياسية موحدة لها.

11- التمسك بالنهج الديمقراطي وإجراء انتخابات عامة ودورية وحررة ونزيهة وديمقراطية طبقاً للقانون، للرئيس والتشريعي وللمجالس المحلية والبلدية، واحترام مبدأ التداول السلمي للسلطة والتعهد بحماية التجربة الفلسطينية الديمقراطية واحترام الخيار الديمقراطي ونتائجه واحترام سيادة القانون والحريات الضرورية والعامة وحرية الصحافة والمساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات دون تمييز وحماية مكتسبات المرأة وتطويرها وتعزيزها.

12- رفض وإدانة الحصار الظالم على شعبنا الذي تقوده الولايات المتحدة وإسرائيل ودعوة العرب شعبيا ورسميا لدعم ومساندة الشعب الفلسطيني و«م. ت. ف» وسلطته الوطنية ودعوة الحكومات العربية لتنفيذ قرارات القمم العربية السياسية والمالية والاقتصادية والإعلامية الداعمة لشعبنا الفلسطيني وصدوده وقضيته الوطنية والتأكيد على أن السلطة الوطنية الفلسطينية ملتزمة بالإجماع العربي والعمل العربي المشترك.

13- دعوة الشعب الفلسطيني للوحدة والتلاحم ورس الصفوف ودعم ومساندة «م. ت. ف» والسلطة الوطنية الفلسطينية رئيسا وحكومة، وتعزيز الصمود والمقاومة في وجه العدوان والحصار، ورفض التدخل في الشؤون الداخلية الفلسطينية.

14- نبذ كل مظاهر الفرقة والانقسام وما يقود إلى الفتنة وإدانة استخدام السلاح مهما كانت المبررات لفض النزاعات الداخلية، وتحريم استخدام السلاح بين أبناء الشعب الواحد والتأكيد على حرمة الدم الفلسطيني، والالتزام بالحوار أسلوبا وحيدا لحل الخلافات والتعبير عن الرأي بكافة الوسائل بما في ذلك معارضة السلطة وقراراتها على أساس ما يكفله القانون وحق الاحتجاج السلمي وتنظيم المسيرات والتظاهرات والاعتصامات شريطة أن تكون سلمية وخالية من السلاح ولا تتعدى على المواطنين وممتلكاتهم والممتلكات العامة.

15- إن المصلحة الوطنية تقتضي ضرورة البحث عن أفضل الأساليب والوسائل المناسبة لاستمرار مشاركة شعبنا وقواه السياسية في قطاع غزة في وضعه الجديد في معركة الحرية والعودة والاستقلال وتحرير الضفة والقدس وبما يجعل من القطاع الصامد رافعة وقوة حقيقية لصدوم ومقاومة لشعبنا في الضفة والقدس، وإن المصلحة الوطنية تقتضي بإعادة تقييم الوسائل والأساليب النضالية الأنجع في مقاومة الاحتلال.

16- ضرورة إصلاح وتطوير المؤسسة الأمنية الفلسطينية بكل فروعها على أساس عصري بما يجعلها أكثر قدرة على القيام بمهمة الدفاع عن الوطن والمواطنين في مواجهة العدوان والاحتلال، وحفظ الأمن والنظام العام وتنفيذ القوانين وإنهاء حالة الفوضى والفلتان الأمني وإنهاء المظاهر المسلحة والاستعراضات، ومصادرة سلاح الفوضى والفلتان الأمني الذي يلحق ضررا فادحا بالمقاومة ويشوه صورتها ويهدد وحدة المجتمع الفلسطيني، وضرورة وتنسيق وتنظيم العلاقة مع قوى وتشكيلات المقاومة وتنظيم وحماية سلاحها.

17- دعوة المجلس التشريعي لمواصلة إصدار القوانين المنظمة لعمل المؤسسة الأمنية والأجهزة بمختلف فروعها، والعمل على إصدار قانون يمنع ممارسة العمل السياسي والحزبي لمنتسبي الأجهزة والالتزام بالمرجعية السياسية المنتخبة التي حددها القانون.

18- العمل من أجل توسيع دور وحضور لجان التضامن الدولية والمجموعات المحبة للسلام لدعم صمود شعبنا ونضاله العادل ضد الاحتلال والاستيطان وجدار الفصل العنصري سياسيا

ومحليا، ومن أجل تنفيذ قرار محكمة العدل الدولية في لاهاي المتعلق بإزالة الجدار والاستيطان وعدم مشروعيتها.

### **الوثيقة صادرة عن:**

حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح): النائب مروان البرغوثي أمين سر حركة «فتح».

حركة المقاومة الإسلامية «حماس»: الهيئة القيادية العليا الشيخ عبد الخالق النتشة.

حركة الجهاد الإسلامي: الشيخ بسام السعدي.

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين: عبد الرحيم ملوح عضو اللجنة التنفيذية نائب الأمين العام للجبهة.

الجبهة الديمقراطية: مصطفى بدارنة.

ملاحظة:- حركة الجهاد الإسلامي تحفظت على البند المتعلق بالمفاوضات.



## رسائل خرجت من السجون:

1. رسالة من أسيرة فلسطينية لابنتها في يوم زفافها (كلمات أدبية راقية):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
أخبرني قلبها شريط الشمس فتلكس فوايين المكان والزمان وتصل إليك يا ألد  
البنوة الأمل كانت المسافة بيني وبينك .. لم من دمع .. وجمال وفيود .. أشلاك .. وقضبان ..  
وأسودن شاكفة .. وجرمان .. أبي نسون .. وأقيمة فحيق .. وإبعاد .. والشاهد على الحب سطوري ..  
عنه فديت .. وعرب زفافك وحرمانك .. أن نظرتني سمعان بكلمة «ميتون» .. وأحمل وأهملك  
في يوم الفراق .. فحبه الزمان الساعقة في سماء بلادي .. والغائمة لظهور ترابي وقدر ساني ..  
والتي فرحات زودود كما فرحت سماها المسافة .. عن كل حفات الموهل .. والقويان المسافة  
وعر كل استيق العالم تجوزت لخط في بلادي .. وفي رديهم وأمرانهم أن آكون بجانبك فأقدم  
الين حورية .. وفلة .. وقبلة .. فخطا رعبان وأسلمة دمار حرفة محبوني ..  
أما فتد الأطفال والنساء والشيوخ وهم البيوت على ساكنها .. وتجرن البديل وحلق الأتجار  
وأبعاد الشكلة عن أهدا .. والرجوة عن أهدا حضارة .. والضابدة .. لابل قمة الديكور الجميلة ..  
فمر سياتين سطوري هذه أظهر لك .. أحمل وأغدن باقات الرجوع من فوق شاشاتهم  
المحادثة للحب والطبيعة والجمال .. اليك وإلى السيد .. المذهب الخلق «عيسى» .. الذي فتح  
لنا قلبه والجنون ورفق بناحية في بيتنا كتم وهدأ .. نسج مع أفرادكم خطوط الصناديق  
رأيت برحمتك نيفكس على رجوع بفضاء تنير الأرض والسماء ..  
عالميني وحسيني وعرة عيني وفلة كبري .. المبني فنتانين الأبيض الجميل .. وأزلي ..  
الرداء المرين .. فإن عرك شوق تذكاء فلنكن دمع فرح .. وما أحمل .. وأعلى .. هذه القطران  
وحبان دمع .. وهي بلكه كلفني هذه والحق ستغضب وتروي كل الجنود حتى تبتني فرغفولات  
مجدلات .. فلن تزل أيضا الفخراء .. بل ستشقق الصور الصفاء .. وتعملها ربعية فخراء ..  
وأقسم أن بيتنا ستسكنه كل الأرواح برغم ملوحه المرح .. ولن يسفر هذا الموسم المرين في بلاد  
وسترعل الزمان السوداء ولكن ليس كما جادوا بل ملكسة الأصمحة وحرفوة رشة رشة ..  
حتى تصعب تنمؤ منها عيون الليل والنهار .. وتغير رعادها معتد نوبه أحمل الأقدار ..  
ومع ذلك كمايون أنهم باقون .. لا تعري بيتي سمعان المرغن لهذا السبح .. أنه عواء سلطان حيد  
فوق عرقتي وفيه وجرمان سفي أظهر لكم وتكون التي غيبة .. واليق أكبر وأعسى منك هذه التربة  
وكل فضل بعد لها .. وستبقى أمك برغم الغزبان والجرمان «عزة» .. نزع المطر وتوس قورتنا  
فيكم فترجي في عروقكم رعاد العزة والكرامة ..  
فهدى بيتنا ووطننا ودموعنا وأملنا .. وصاحبة برى في كل حرف أخطه هذا .. ولولاها  
لناعت كل المكان وكان حرفنا ساقصات عاجزان ..  
« رسالة عاشقة عن كهوف الظلام طويت القمر ليضيئ المكان »

2. رسالة شكر وجهها الأسرى للمتضامنين معهم بعد إضراب مفتوح عن الطعام:

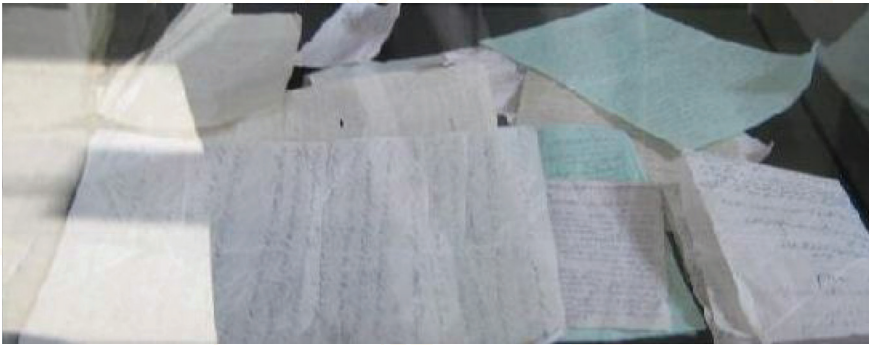
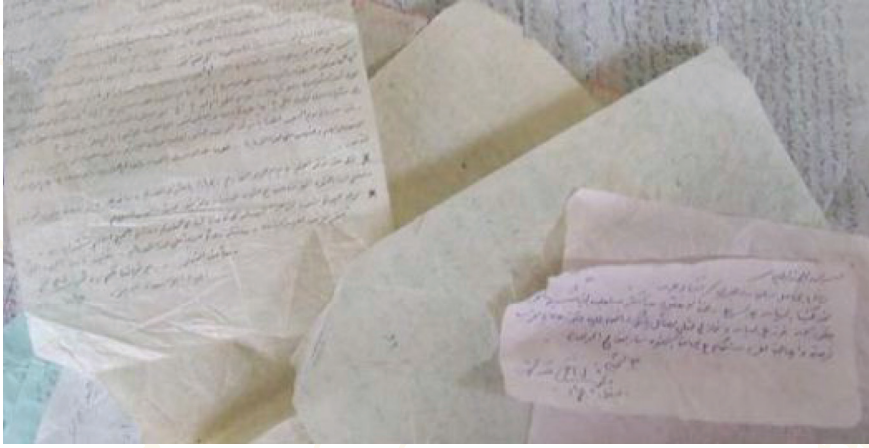
بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله الذي نهر عباده المستضعفين علمه حكمة الإلهام  
و الإلهام المستبين، و الصلاة و السلام على قائد سرادق  
المجاهدين محمد بن عبد الله الأمين و آله و صحبه الغر  
الطيبين ..  
أبناء شعبنا المجاهد البطال .. أبناء الجدار السوري  
أيها كل من ألقى عليه السلام عليكم و رحمة الله و بركاته  
توجه في كلماتنا هذه بكل عافية بالشكر و التقدير و  
الاعتزاز لكل الذين كانوا معنا بياناً رصيناً ، فأضادوا  
ظلمة عزلنا عنهم و صمومهم و تضحياتهم و تحسن مجاهدتهم  
و أسروا حركة الجدار الإسلامي الذي قدفوا أفعالهم في  
وجه أسوان بعض صرنا لنا . فطقم و طاب عطاؤكم الذي  
لا ينضب ..  
كما توجه بالتحية للصين القيادية العليا للأسرى الجدار  
الإسلامي الذي قادوا الخطوة الحكيمة لمرح و صلوة الذي لا  
يلين ..  
و نظراً لأخطرت حياتنا لكل الإعلاميين و الجمعيات المنقوية  
التي شكلوا جميعاً أروع صورة دم و تسناد تضامنا إعادله .  
عاش شعبنا البطال الذي لا يخزم .. عاش شيرانا  
السواحل قلعة التحدي نظام يوم مصيون ..  
و إنه بلاد جدار .. نصرنا و منتصار



3. رسالة موردة للأهل:



4. الرسائل المكبسلة بخط دقيق لتهريبها للخارج أو لسجن آخر:



## نماذج سياسية تحررت من السجون

استطاع عدد كبير من الأسرى الفلسطينيين ممن أمضوا فترات طويلة في السجون أن يتبوؤوا أماكن قيادية عالية في الكثير من المؤسسات الرسمية والأهلية والتنظيمات والحركات السياسية على سبيل المثال لا الحصر:

### 1. أسرى محررون أعضاء في المجلس التشريعي أمثال:

أحمد نصر، عبد العزيز شاهين (أبو علي)، هشام عبد الرازق، موسى أبو صبرة، مروان البرغوثي، حسام خضر، عبد الفتاح حمائل، زهران أبو قبيطة، محمد الحوراني، محمد إبراهيم (أبو علي يطا)، محمد دحلان، جمال حويل، مروان البرغوثي، ماجد أبو شمالة، بسام الصالحي، عيسى قراقع، أحمد سعادات، حسن يوسف، محمد الننتشة، عمر عبد، إبراهيم أبو سالم، أحمد الحاج علي، فتحي القرعاوي، حاتم قفيشة، خالد طافش، عزام التميمي، نزار رمضان، محمد أبو جحيشة وغيرهم.

### 2. أسرى محررون تبوأوا منصب وزير مثل:

عبد العزيز شاهين، هشام عبد الرازق، عيسى قراقع، د سفيان أبو زائدة، أشرف العجرمي، محمد دحلان، الدكتور عبد الرحمن حمد، عماد الفالوجي، حسين الشيخ، جمال الشوبكي، د جواد الطيبي، فريح ابو مدين، ربيحة ذياب، ناصر الدين الشاعر، إسماعيل هنية، محمود الزهار، عطا الله أبو السبح، وصفي قباها، عيسى الجعبري، خالد أبو عرفة وغيرهم<sup>(692)</sup>.

### 3. أسرى محررون قيادات في الفصائل الفلسطينية أمثال:

لجنة مركزية لحركة فتح (كالدكتور زكريا الأغا، محمود العالول، د. مروان البرغوثي، محمد دحلان، محمد اشتية، حسين الشيخ)، و قيادات حركة حماس وعلى رأسهم الشيخ الشهيد أحمد ياسين، وكذلك الشهيد عبد العزيز الرنتيسي، والشهيد م. إسماعيل أبو شنب، والشهيد صلاح شحادة، والشيخ إسماعيل هنية، وجمال ناصر، وجمال سليم، ورئيس المجلس التشريعي عبد العزيز دويك، وحسن يوسف، وإبراهيم أبو الهيجا، ويحيى السنوار، وروحي مشتهى، وتوفيق أبو نعيم، وحسن المقادمة، وأسامة المزيني، والشهيد أحمد الجعبري، ومحمد شمعة، والشهيد سعيد صيام، وجمال أبو الهيجا، ونزار عوض الله، وإبراهيم المقادمة، ومجموعة كبيرة من الأسرى المحررين ممن تم الافراج عنهم في صفقة وفاء الأحرار من العام 2011م.

ومن قيادات حركة الجهاد الإسلامي من الأسرى أمينها العام الشهيد د. فتحي الشقاقي، وجميع أعضاء المكتب السياسي لحركة الجهاد الإسلامي، كنائب الأمين العام زياد النخالة الذي أمضى (15) عاما في سجون الاحتلال الإسرائيلي وخرج في صفقة تبادل الأسرى، وكذلك

(692) إسماعيل الداعور: دور الأسرى في الحركات السياسية الفلسطينية (1987 2006)، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية جامعة الأزهرغزة، 2013، ص 107.

عبد العزيز الميناوي<sup>(693)</sup>، ود. محمد الهندي، و الشيخ نافذ عزام، والشيخ عبد الله الشامي، د. أنور أبو طه، وعبد الناصر أبو جاموس، وخالد صالح، وخالد البطش، وإبراهيم النجار، د جميل عليان، والشيخ بسام السعدي الذي اعتقل أكثر من عشرين عاماً، وفؤاد الرازم عميد الأسرى المقدسين وقد أمضى في السجون 31 عاماً، وأحمد أبو حصيرة الذي أمضى على اعتقالين ما يقارب من 35 عاماً، والأسير خضر عدنان ومجموعة كبيرة من الأسرى المحررين ممن تم الافراج عنهم في صفقة وفاء الأحرار من العام 2011.

ومن قيادات الجبهة الشعبية من الأسرى والمحررين القائد الأسير الأمين العام الحالي للجبهة أحمد سعادات المعتقل في سجون الاحتلال، والمحكوم عليه بالمؤبدات لمدى الحياة، و عبد الرحيم ملوح عضو اللجنة التنفيذية وشغل نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والشهيد القائد محمود الغرباوي، والدكتورة مريم أبو دقة عضو المكتب السياسي للجبهة، وعضو المجلس التشريعي النائب خالدة جرار، والشهيد محمد الأسود الشهير بجيفارا غزة والأسرى المحررين علام الكعبي، وسامر أبو سير، وأحمد أبو السعود، وعدد كبير من القيادات في الفصائل الأخرى كالقيادي محمود الزق (أبو الوليد)، وأحمد سلامة عضو المكتب السياسي للجبهة العربية الفلسطينية وغيرهم.

ومن قيادات الجبهة الديمقراطية من الأسرى المحررين مثل (حلمي الأعرج، ابراهيم منصور منصور، وائل رشدي خلف، محمد سلامة، سامر العيساوي، محمد دويكات، عبد الله الماكن، سليم استيته، وبسام ومصطفى المسلماني، وجدي جودة، وجمال زقوت) وغيرهم ممن تم الافراج عنهم في صفقة وفاء الأحرار من العام 2011<sup>(694)</sup>، وغيرهم كثر لا مجال للحصر.

---

(693) إسماعيل الداعور: دور الأسرى في الحركات السياسية الفلسطينية (1987 2006)، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية جامعة الأزهرغزة، 2013، ص 91.

(694) المصدر السابق: ص 81 .

تحف وفنون خرجت من السجون:

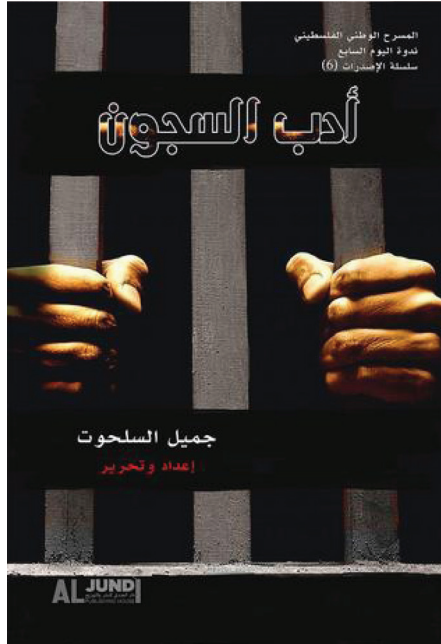




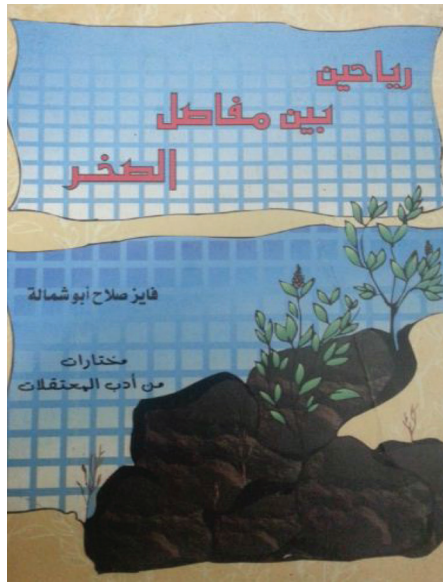




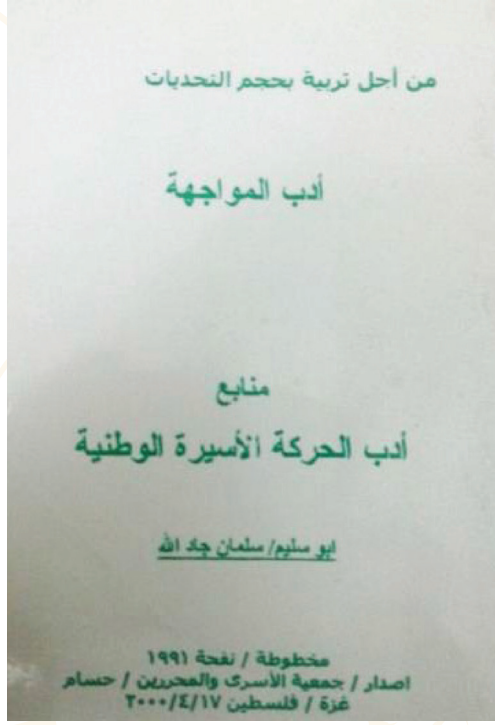
## من أدب السجون:



شكل رقم (1)



شكل رقم (2)



شكل رقم (3)



شكل رقم (4)

## ملخص الدراسة

تناول الدراسة « الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في الفترة ما بين 1985 إلى 2015م ».

سأتناول في الدراسة صراع العقول بين الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة وإدارة مصلحة السجون الإسرائيلية على مستوى إدارة الوقت وبناء الذات في شتى المجالات، بالتفكير والتخطيط ووضع البدائل والوسائل والأهداف وتحقيق الحقوق، وسأفسر العلاقة بين السياسات والمخططات الصهيونية التي استخدمها السجناء لتحقيق مآربه المتمثلة بتقويض الروح النضالية والثقافية والوطنية لدى المعتقلين، وبين إبداعات الأسرى التي تسلحت بالإرادة الصلبة، والعزيمة المستندة إلى الوعي، والقدرة الفائقة في ترسيخ أسس المواجهة النضالية الاستراتيجية والتكتيكية، السلمية والعنيفة الواعية.

وسأسلط الضوء على الزاوية الأهم من قضية الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين، والتي ستظهر معالمها بشكلٍ مختلفٍ وغير تقليدي قياساً بما كُتب عن الأسرى والسجون، حيث أن العادة جرت في التعاطي مع قضيتهم بالكثير من البكائيات وإبراز جانب الانتهاكات والعذابات التي تحولت في ذهن المتابع والمتضامن الفلسطيني والعربي والدولي إلى شيء مألوف وغير جذاب وغير منصف في آنٍ واحد، تلك الصورة النمطية التي غيّبت مئات الإضاعات والإشراقات والإبداعات والانتصارات التي تألق بها الأسرى.

### وسأجيب من خلال الدراسة عن السؤال الرئيسي المتمثل بـ :

- كيف استطاعت الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة أن تواجه ممارسات سلطات الاحتلال الإسرائيلي في السجون بطرق ابتكارية ووسائل إبداعية؟ وما هي أشكال المقاومة التي استخدمتها للتغلب على العوائق التي واجهتها؟

### وعن الأسئلة الفرعية التالية:

1. ما هي العلاقة بين ظروف الأسرى القاسية وابتكار أساليب مقاومة لمواجهتها؟
2. هل تنوعت وسائل المقاومة والمجالات الإبداعية لدى الحركة الأسيرة؟
3. كيف استطاعت الحركة الفلسطينية الأسيرة من تراكم إنجازاتها الإبداعية؟ وكيف تمكنت من الحفاظ عليها رغم تقلب الظروف والمتغيرات السياسية؟
4. كيف تمكن الأسرى من إيجاد استراتيجيات وأدوات تتلاءم مع خصوصية الاعتقال لتنمية قدرات الأسرى وتعزيز أشكال الصمود لديهم؟

## وتعددت المناهج والأدوات البحثية التي استخدمتها في الدراسة وكان أهمها:

لكون الدراسة تندرج في إطار الدراسات البينية، لكونها تجمع ما بين العلوم السياسية والتاريخ والمجالات الإبداعية، فاستخدمت المنهج التاريخي التحليلي، والمنهج الوصفي التحليلي، واستعنت باقتراب ومنهجية « التحليل الثقافي »، والأدوات البحثية وأهمها الملاحظة والمشاهدة من خلال المعيشة الشخصية لطول فترة الاعتقال التي استمرت خمسة عشر عاماً متتالية.

وقمت بتقسيم الدراسة إلى (إطار نظري وأربعة فصول رئيسية وخاتمة، وتضمن كل فصل منها أربعة مباحث):

- الإطار النظري شمل: « المقدمة، وتوضيح مشكلة الدراسة، وأهم التساؤلات والفرضيات، وأهمية الدراسة وأهدافها، والمناهج التي استخدمتها، والأدوات والإجراءات، وأسباب اختياري للدراسة ومبرراتها، والمصطلحات والدراسات السابقة وتقسيم الدراسة ».
- والفصل الأول كان بعنوان الحركة الأسيرة النشأة والتطور، بينت فيه نشأة الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، ومظاهر التضييق والانتهاكات بحق الأسرى في الكثير من النواحي، واجتهدت خلالها في تقسيم مراحل تطور الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، والوسائل النضالية التي اتبعتها الأسرى في مواجهة الاحتلال، وعوائق سلطات الاحتلال لطمس الجوانب الإبداعية للمعتقلين.
- والفصل الثاني حمل عنوان: «عوامل الإبداع -الظروف والمتغيرات» تناولت فيه العوامل التي ساهمت في تنمية الإبداع لدى الحركة الأسيرة، والآليات الاعتقالية لتطوير منظومة الجوانب الإبداعية داخل السجون، وانعكاس المتغيرات السياسية على واقع الأسرى وإنجازاتهم.
- والفصل الثالث كان بعنوان: « الحالة الثقافية والتعليمية في السجون» عرضت خلاله بالتحليل وسائل الاحتلال لتفريغ المعتقلين من محتوهم النضالي والثقافي، والمسيرة الثقافية للحركة الأسيرة، والعوامل التي ساعدت في ظهور أدب السجون، والمسيرة التعليمية للأسرى كأحد أهم مظاهر الإبداع في السجون.
- والفصل الرابع كان بعنوان: « من مظاهر الإبداع في السجون » فصلت فيه أهم إبداعات الأسرى كالإضرابات المفتوحة عن الطعام، وظاهرة أطفال النطف المهربة كحالة نضالية مستجدة في تاريخ حركات التحرر العالمية، وجهود المعتقلين الفلسطينيين في إنهاء الانقسام الفلسطيني على الساحة السياسية الداخلية من خلال « وثيقة الأسرى » كأساس للمصالحة، والتجربة الديمقراطية في السجون وانعكاسها على حياة الأسرى.

- وانتهت الدراسة بالخاتمة التي أكدت أن الحركة الفلسطينية الأسيرة من خلال عملية متراكمة ومتكاملة ومتواصلة ومعقدة، ودراسة عقلية ومنطقية لا عاطفية وبالشواهد والإنجازات والمعطيات استطاعت بوحدها وخطواتها التكتيكية والاستراتيجية العنيفة والسلمية أن تقهر إرادة سلطات الاحتلال العنصرية، وإدارة مصلحة السجون والأجهزة الأمنية الإسرائيلية، وأن تتجاوز كل مخططاتها التصفوية والتدميرية، وأن تربى وتعبئ وتخرج أجيالاً من القادة تبوؤوا بعد الإفراج عنهم مراكز قيادية على مستوى الفصائل الفلسطينية، وكوادر في المؤسسات الوطنية والنقابية الرسمية والأهلية، وأنها شكلت حالة إبداعية مميزة على صعيد بناء الهياكل والمؤسسات الاعتقالية واتخاذ القرارات، وترتيب بنية الفصائل الداخلية، ومط التعاون والتنسيق بين الفصائل في السجن الواحد وبين المعتقلات، وعلى صعيد الاهتمام والبناء الثقافي والإنتاج الأدبي والتعليمي، والتأثير الإيجابي السياسي، ومسيرة الإضرابات المفتوحة عن الطعام الفردية والجماعية من حيث امتداد الفترات الزمنية غير المسبوقة والإنجازات التي تحققت من أنياب محتلم يعترف بالاتفاقيات والمعاهدات العالمية والقانون الدولي الإنساني.

### وفي نهاية الدراسة خلصت إلى النتائج التالية:

1. لم تعترف دولة الاحتلال بأي مكانة قانونية للأسرى الفلسطينيين، بل تعاملت معهم كخارجين عن القانون وأطلقت عليهم الكثير من التوصيفات الباطلة، ولم تلتزم بالاتفاقيات الدولية فيما يتعلق بحقوقهم، وعلى المستوى السياسي تعاملت مع قضيتهم كورقة ضغط على الجانب الفلسطيني، وورقة مساومة.
2. استطاع المعتقلون الفلسطينيون من خلال برامجهم وأنظمتهم وقوانينهم من تحويل السجون من أماكن للإبادة المعنوية الجماعية وتحطيم العزيمة النضالية، إلى انصهار الكل في بوتقة الأكاديمية الاعتقالية التربوية والوطنية والثقافية والأدبية والتعليمية وإكمال الدراسات العليا بعد الحرية.
3. لم يستسلم الأسرى لواقع الاعتقال والتحنيط بين جدرانها، بل استطاع الأسرى من خلال إمكانياتهم وقدراتهم، أن يؤثروا إيجاباً بالواقع المحيط، وينشروا المفاهيم الإبداعية كحرية الفكر، وبناء الذات والقدرات، وتعزيز التطور الثقافي، وتشجيع حركة الأدب، ورسم السياسات والخطط والبرامج لتخريج القادة والكوادر، وإعمال العقل، وملاء الوقت وإدارته بما يفيد.

### وعلى ضوء هذه النتائج يقترح الباحث مجموعة من التوصيات أهمها:

1. أهمية تحديد المكانة القانونية للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية على المستوى الدولي والمنظمات الحقوقية والإنسانية، وإلزام دولة الاحتلال بالتعامل وفق تلك المكانة في كامل الحقوق.

2. تشكيل لجنة من محامين وخبراء قانونيين فلسطينيين وعرب ودوليين لبحث آليات استخدام الالتزامات القانونية الخاصة باحترام الاتفاقيات الدولية، وأساليب تطبيقها، وتوثيق جرائم الاحتلال وفق شهادات الأسرى والأسيرات المشفوعة بالقسم، وإعداد ملفات خاصة حول الانتهاكات الإسرائيلية بحقهم.
3. تدويل قضية الأسرى والمعتقلين والتعريف بها في العالم لتشكيل رأي ضاغط ومساند لهم، وذلك من خلال السفارات الفلسطينية والعربية، وبعثاتها لدى المنظمات الدولية، ومن خلال توجيه الدعوات لمنظمات المجتمع المدني، والمؤسسات الحقوقية والإنسانية، وعبر وسائل الإعلام المشاهد والمقروء والمسموع.
4. الالتفاف حول قضية الأسرى والمعتقلين، وجعلها من أهم القضايا الفلسطينية والعربية، والتي لا تقل أهمية عن القضايا الوطنية الأخرى « كالقدس واللاجئين والدولة والمستوطنات، والتمسك بقضيتهم في كل الجبهات المفتوحة مع الجانب الإسرائيلي في المجالات « السياسية والعسكرية والقانونية ».
5. تطبيق ومتابعة توصيات جامعة الدول العربية المتعلقة بقضية الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال، والتي أقرتها القمم العربية، ولاسيما القمة التي عقدت في دمشق خلال الفترة ما بين التاسع والعشرين والثلاثين من مارس من العام ألفين وثمانية، والتي دعت إلى إحياء يوم الأسير الفلسطيني في السابع عشر من نيسان من كل عام، واعتباره يوماً عربياً للأسير.
6. متابعة وتطبيق توصيات المؤتمرات الفلسطينية والعربية والدولية الداعمة للأسرى، والتي كررت نفسها، وطوت صفحات توصياتها وقراراتها دون تنفيذ.
7. إدخال مساقات تعليمية وتربوية ومنهجية تتناول التجربة الاعتقالية، وتواصل التنسيق بين وزارة التربية والتعليم، وهيئة شؤون الأسرى والمحررين، والمؤسسات الفلسطينية التعليمية، لكسر الحصار الإسرائيلي التعليمي والأكاديمي في السجون.
8. العمل على جمع وتوثيق إبداعات الأدب النضالي للأسرى، ووضع برامج تعليمية تربوية لتعزيز الاهتمام به ونشره وحفظه، ووضع خطة لتبني إصدارات الأسرى الأدبية.



وأختم، بتقديم أسمى آيات الشكر والتقدير إلى الأستاذة الدكتورة نادية أبو غازي، التي أتاحت لي شرف التلمذ على يديها، فكانت بتواضعها وجزيل عطائها وموفور علمها، مثلاً كريماً للإنسانية السامية، والأستاذية الحقّة، وكان لتوجيهاتها عظيم الأثر في إتمام هذه الرسالة العلمية بصورتها الحالية.

كما أتقدم ببالح الشكر والتقدير لكل من ساعدني في إنجاز هذا العمل، بدءاً بالطاقم الأكاديمي والإداري بمعهد البحوث والدراسات العربية، ومروراً بجميع الأخوة والرفاق والمجاهدين من الأسيرات والأسرى المحررين الذين ساهموا بالإجابة على أسئلة البحث برضا ودون تذمر.

وأهدي عملي هذا: إلى معلم البشرية ومنبع العلم نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم وآله)، وإلى الشهداء الأكرم منا جميعاً، وإلى الزملاء من الأسرى والأسيرات، وإلى والدي (أبو رأفت) الذي لم يدخل عليّ يوماً بشيء، وإلى والدي (أم رأفت) التي كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحني، وإلى عمي توفيق ستوم الذي ساندني، وإلى إخواني وأخواتي، وإلى زوجتي ورفيقة دربي، وإلى زهراتي الأربعة «نور وآية وجنى وإيمان» وقمري الذي أشرقت دنياي برؤياه «خليل»، وإلى عموم شعبي الفلسطيني الصامد والمكافح، أهدي هذا العمل.

**إنتهت بحمد الله**





## تعريف بالكاتب :

الاسم : الدكتور رأفت خليل عطية  
حمدونة

مواليد : مخيم جباليا 8/8/1970

الاعتقال : في العام 1990 م على خلفية  
نضالية وحُكم عليه بالسجن لمدة 15 عام وإغلاق جزء من بيته ، أمضى فترة اعتقاله في  
سجون عدة منها " عزل الرملة ، عسقلان ، نفحة ، بئر السبع ، هداريم ، ريمونيم ، جلبوع "  
وتم تحريره في 2005 بعد قضاء كامل محكوميته .

### مؤهلات تعليمية :

- بكالوريوس : علم اجتماع وعلوم انسانية ( الجامعة المفتوحة في اسرائيل - عام 2005 )  
وشهادة امتياز عام 2001 .
- ماجستير : دراسات اقليمية تخصص دراسات اسرائيلية من جامعة القدس " أبو ديس "  
، بامتياز 90.9% " عام 2008 .
- دكتوراة : في " العلوم السياسية " من معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة مع  
مرتبة الشرف الأولى مع توصية بالطباعة في العام 2016 برسالة تحت عنوان الجوانب  
الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة .
- ماجستير مهني : تدريب وتنمية بشرية بتقدير ممتاز من البرنامج المشترك بين الأكاديمية  
الدولية وبوليتكنيك المستقبل التطبيقي .

ومن مؤلفاته داخل الاعتقال " نجوم فوق الجبين - عاشق من جنين - الشتات - ما بين  
السجن والمنفى حتى الشهادة - قلبي والمخيم - لن يموت الحلم - صرخة من أعماق الذاكرة  
، يعمل مديراً عاماً بهيئة شئون الأسرى والمحربين ، وعضو لجنة مكلف بإدارتها في المحافظات  
الجنوبية ، وناطقاً اعلامياً لها ، ومديراً لدائرة القانون الدولي ، ومستشاراً لوزير الأسرى في  
الشأن الاسرائيلي ، ومديراً لمركز الأسرى للدراسات والأبحاث الإسرائيلية ، وعمل مديراً للبرامج  
في إذاعة صوت الأسرى ، ومحاضر غير متفرغ في الجامعات الفلسطينية ، ومقدم برامج اذاعية  
وتلفزيونية .